

القضايا العقديّة في ضوء سورة الروم

الدكتور
محمد بيومي البربري

اسم الكتاب: القضايا العقدية في ضوء سورة الروم.

اسم المؤلف: د. محمد بيومي البربري.

رقم الإيداع في جمهورية مصر العربية: (13795 / 2024).

الترقيم الدولي في جمهورية مصر العربية: 978-977-8877-03-8

الترقيم الدولي في الجمهورية العربية السورية: 978-9933-567-92-7

سنة الإنتاج: 2024.

يطلب الكتاب على العنوان التالي:



دار عقل للنشر

واتساب وتلغرام: 00963932832010

akalpublishing@gmail.com



الثقافة الروسية للنشر

واتساب وتلغرام: 00201060253858

russianculture.egypt@gmail.com

القاهرة - دمشق

المقدمة

الحمد لله كثيراً، له الحمد كله وله الشكر كله في السموات وفي الأرض، وله الحمد في الدنيا وفي الآخرة، أمر الإنسان بالتفكير والتدبر في آياته ليصل إلى الإيمان الثابت، والاعتقاد الراسخ، يقول الإمام فخر الدين الرازي^(١): كَرَّمَ اللهُ بَنِي آدَمَ بِالْعِلْمِ

(١) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر. أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الري) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه (مفاتيح الغيب) ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم، و(لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات) و(معالم أصول الدين) و(محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين) و(المسائل الخمسون في أصول الكلام) و(الآيات البينات) مع شرح ابن أبي الحديد له، في خزانة الأسكوريال، المجموعة ٣٣ و(عصمة الأنبياء) كراريس من أوله، في خزانة الرباط (المجموعة ١١٨٠ كتاني) و(الإعراب) في شستريتي، الرقم ٣٣٧٤ و(أسرار التنزيل) في التوحيد، و(المباحث المشرقية) و(أنموذج العلوم) و(أساس التقديس) رسالة في التوحيد، و(المطالب العالية) في علم الكلام، و(المحصول في علم الأصول) و(نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) بلاغة، و(السر المكتوم في مخاطبة النجوم) و(الأربعون في أصول الدين) و(نهاية العقول في دراية الأصول) في أصول الدين. و(القضاء والقدر) و(الخلق والبعث) و(الفراصة) و(البيان والبرهان) و(تهذيب الدلائل) و(الملخص في الحكمة، و(النفوس) رسالة، و(النبوات) رسالة، و(كتاب الهندسة) و(شرح قسم الإلهيات من الإشارات لابن سينا) و(الباب الإشارات) تهذيبه، و(شرح سقط الزند للمعري) و(مناقب الإمام الشافعي) و(شرح أسماء الله الحسنى) و(تعجيز الفلاسفة) بالفارسية، وغير ذلك. وله شعر بالعربية والفارسية، وكان واعظاً بارعاً توفي سنة ٥٨١ هـ ١١٨٥ م، ينظر الأعلام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي النمشقي (المتوفى: ١٣٩٦ هـ) دار العلم للملايين - الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م، ج ٦، ص ٣١٣.

الضرورة الحاصلة لهم بلا اكتسابات، والعقل الغريزي الذي استعدوا به لإدراك دقائق المعلومات، وأهلهم للنظر والاستدلال، والارتقاء في مدارج الكمال، ثم أمرهم على ألسنة الرسل بالتفكر في المخلوقات، والتدبر في المصنوعات ليؤدي بهم ذلك التفكير والتدبر إلى العلم بوجود صانع قديم قيوم حكيم واحد احد فرد صمد منزه عن الأشباه والأمثال، متصف بصفات الجلال والكمال^(١).

والصلاة والسلام على من تأدب بأدب ربه فكان كمالاً في الأدب والخلق، وعلى آله وأصحابه الذين عزروه أكمل ما يكون التعزيز، ووقروه أتم ما يكون التوقير، واتبعوا النور الذي أنزل معه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد

أنزل الكتاب العزيز على قلب النبي ﷺ منجماً في ثلاث وعشرون عاماً بين مكة والمدينة، نزلت بمكة ست وثمانون سورة تسمى بالسور المكية ونزل بالمدينة ثمانية وعشرون سورة تسمى بالسور المدنية، ومن ضمن السور المكية اختصت هذه الرسالة بأحد تلك السور، وهي سورة الروم والتي بلغت آياتها ستون آية عدا الآية سبعة عشر فهي مدنية قال تعالى: ﴿هُنَّ بَحْنَ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾^(٢)، وقد نزلت تلك السورة بمكة بين سورتي الإنشقاق والعنكبوت.

والقرآن الكريم بحر لا يدرك غوره، ولا تنفذ درره ولا تنقضي عجائبه فما أحق الأعمار أن تقنى فيه، والأزمان أن تشغل به^(٣)، وكل ساعة يقضيها الباحث في النظر

(١) ينظر: شرح معالم أصول الدين للإمام فخر الدين الرازي، تأليف: الإمام شرف الدين عبد الله بن محمد الفهري المصري المعروف بالتلمساني، تحقيق: نزار حمادي، دار القلم للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، ص ٥.

(٢) سورة الروم، آية (١٧).

(٣) ينظر: جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ج ١، ص ١

في كتاب الله، والتأمل فيه، أو في البحث فيما يتصل به فهو في سبيل الله ونصرة لدينه.

كما أنه كتاب الله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ بلفظه العربي المبين، نقل إلينا بالتواتر المفيد للقطع واليقين، أحكمه فأتقن إحكامه، وفصله فأحسن تفصيله كما قال تعالى: ﴿الرَّكْبُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ وَنُفُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^(١) لا يتطرق إليه نقض ولا باطل، وقال أيضًا: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۖ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٢).

والقرآن العظيم هو المعجزة العظمى التي أوتيها نبينا ﷺ، وهو الحجة البالغة الباقية على مر الدهور والعصور تحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثله، أو ببعضه فباؤوا بالعجز.

ومن هنا فإن أحق ما يشتغل به الباحثون، وأفضل ما يتسابق فيه المتسابقون - مدارس كتاب الله، ومداومة البحث فيه، والغوص عن لآئله والكشف عن علومه وحقائقه، وإظهار إعجازه وتجلية محاسنه، والدفاع عن ساحته ونفي الشكوك والريب فيه، والقرآن بحر لا يدرك غوره، ولا تنفذ درره، ولا تنقضي عجائبه، فما أحق الأعمار أن تنفنى فيه، والأزمان أن تشغل به، وكل ساعة يقضيها الباحث في النظر في كتاب الله، والتأمل فيه أو في البحث فيما يتصل به، في سبيل الله، وفي سبيل الإسلام^(٣).

وبما أن القرآن الكريم مازال ولا يزال . مكنون محفوظ بحفظ الله تعالى فقد وفقني الله تعالى بأن اغترفت من فيضه الغزير، موضوعًا لتناول وعرض قضايا

(١) سورة هود: آية رقم (٢).

(٢) سورة فصلت الآيات: ٤١. ٤٢.

(٣) ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، مكتبه السنة -

العقيدة^(١) فهو علم جليل الشأن، عظيم القدر، والشرف فهو علم منسوب إلى الله

(١) تعريف العقيدة في اللغة: يقول صاحب مقياس اللغة: (عَقَدَ) الْعَيْنُ وَالْقَافُ وَالْدَّالُّ أَصْلًا وَاجِدًا يُدُلُّ عَلَى شَيْءٍ وَشِدَّةٌ وَثُوقٌ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ فَرْوُجُ الْبَابِ كُلُّهَا. وَالْعُقْدَةُ: الصَّبِيغَةُ، وَالْجَمْعُ عُقْدٌ. يُقَالُ اعْتَقَدَ فُلَانٌ عُقْدَةً، أَيْ اتَّخَذَهَا. وَاعْتَقَدَ مَالًا وَأَخًا، أَيْ اقْتَنَاهُ. وَعَقَدَ قَلْبُهُ عَلَى كَذَا فَلَا يَنْزِعُ عَنْهُ. وَاعْتَقَدَ الشَّيْءَ: صَلَّبَ. وَاعْتَقَدَ الْإِحَاءُ: ثَبَّتَ. [مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: (٤ / ٨٦)].

ويقول ابن منظور: «وعقدت الحبل والعهد فانعقد، والعقد: العهد، والجمع عقود، وهي أوكد العهود. ويقال عاهدت إلى فلان في كذا وكذا: وتأويله ألزمته ذلك. فإذا قلت عاقفته أو عقدت عليه فتأويله أنك ألزمته ذلك باستيثاق والمعاقدة: المعاهدة. وعاقده عهده وتعاقد القوم تعاهدوا، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَيْتَةً عَلَيْكُمْ غَيْرُ مُحْلٍ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [سورة المائدة: من الآية ١] قيل هي العقود وقيل هي الفرائض التي ألزموها» [لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري الأفريقي، دار صادر، بيروت، ط ١، (٣ / ٢٩٦)].

قال الزبيدي: «والذي صرح به أئمة الاشتقاق: أن أصل العقد نقيض الحل، عقده يعقده عقدا وتعقدا، وعقده، وقد انعقد، وتعقد، ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات، والعقود وغيرها، ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات، والعقود وغيرها، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم» [ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي دار الهداية، باب عقد: ٨ / ٣٩٤].

وخلاصته: أن ما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به فهو عقيدة سواء كان حقاً أم باطلاً، [مقاييس اللغة للرازي: ٤ / ٨٦، ٨٧].

والعقيدة اصطلاحاً: عرّفها صاحب المواقف بقوله: «علم العقائد هو علم يقتدر معه إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبهة والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل والدينية المنسوبة إلى دين محمد ﷺ، [ينظر: المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، تحقيق: د / عبد الرحمن عميرة: ١ / ٣١].

ويعرفها الشيخ / شلتوت بقوله: «والعقيدة هي الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولاً وقبل كل شيء إيماناً لا يرقى إليه شك ولا تؤثر فيه شبهة»، [ينظر: الإسلام عقيدة وشريعة، للإمام الأكبر / محمود شلتوت، دار الشروق، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٩].

تعالى، فهو أشرف العلوم الشرعية، وذلك لتعلقه بأشرف المعلومات وهي ذات الله تعالى، وصفاته، والنبوات وفيها حاجة الإنسان الضرورية للنبوة والأنبياء، والمعاد وما فيه ليرى كل إنسان ما قدمت يداه، لذا فهو أساس غيره من العلوم الدينية ورائدتها.

والحق أن علم العقيدة من العلوم التي وجد المسلمون أنفسهم أن يتسلحوا به خاصة عندما تكلم الناس في المحكم والمتشابه، والذات والصفات، هل الذات عين الصفات، أم ليست هي، وأيضًا مسألة مرتكب الكبيرة التي كانت سببًا في انعزال مذهب الاعتزال، وغيرها من المسائل، ومن هنا فالعقيدة الصحيحة، تحارب في كل زمان ومكان، فإذا عرف الإنسان عقيدته الصحيحة، فإنه يقف على أرض صلبة في ميادين الغزو الفكري، وبالتالي يذب عن هذه العقيدة الشبهات والدعاوي التي تنثار حولها.



الفصل الأول

الإلهيات في ضوء سورة الروم

ويشمل ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: أدلة وجود الله - تعالى - من خلال سورة الروم.
- المبحث الثاني: الصفات الإلهية الواردة في سورة الروم.
- المبحث الثالث: أسماء الله الحسنى الواردة في سورة الروم.

المبحث الأول

أدلة وجود الله - تعالى - من خلال سورة الروم

تمهيد:

إن وجود الله - تعالى - حقيقة لا شك فيها، بل إن وحدانيته - تعالى - من القضايا التي تناولها الإثبات والنفي، وبالتالي فقد شغلت تلك القضية عقول المفكرين قديماً وحديثاً.

يقول الدكتور/ إبراهيم مذكور: «تعد قضية الألوهية من أهم القضايا التي شغلت فكر المتكلمين والفلاسفة قديماً وحديثاً، خصوصاً وأنها متشعبة الجوانب متعددة الفروع، كما أنها مركز الثقل في قضايا العقيدة جميعها، والموضوع الأساسي الذي تدور معه بقية القضايا الإيمانية، بل هي الأصل الأول لكل ما يتناول بعد ذلك من مختلف قضايا الفكر الإسلامي بصفة عامة، إذ بها يتحدد المسار، وتتضح هوية^(١) التوجه، وتظهر حقيقة المعالم.

والحق أن قضية الألوهية لها تعلق لازم بالإنسان لوجود تضائيف^(٢) بين الانسانية والالوهية فالله تعالى معبود، والإنسان عابد والله تعالى رب، والإنسان مربوب، ومشكلة الألوهية من الغيبيات فهي من أعقد القضايا الميتافيزيقية^(٣) وأقدمها، عالجهما الإنسان

(١) الهوية: الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، الهوية السارية في جميع الموجودات: ما إذا أخذ حقيقة الوجود لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء، ينظر: التعريفات، للجرجاني: ١ / ٢٥٧، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

(٢) التضائيف: كون الشئيين بحيث يكون تعلق كل واحد منهما سبباً بتعلق الآخر به، كالأبوة والبنوة. والتضائيف: هو كون تصور كل واحد من الأمرين موقوفاً على تصور الآخر، ينظر: السابق، ص ٦٠.

(٣) الميتافيزيقا: العلم بالموجود بما هو موجود»، وهذا الرأي ينسب للفارابي، =

أولاً على الفطرة، ثم أخذ يتعمق فيها ويفلسفها، فأضحت موضع بحث متصل من رجل الدين والأخلاق، ومن العالم والفيلسوف، وأساسها فكرة الألوهية، وهي فكرة سامية بسمو موضوعها، وتعد قطعاً من أسمى الأفكار التي وصل إليها الإنسان، وقد هداه إليها مجتمعه وبيئته، أو نظره وتأمله، أو ما أنزل عليه من وحي وإلهام^(١).

يقول الدكتور/ الفندي: «وليس وجود الله عند أرسطو^(٢) وأمثاله مسألة دينية، أو مسألة غيبية، يختلف فيها بين الإثبات والنفي كاختلاف الهدى والضلال، ولكنها حقيقة عقلية كالحقائق الهندسية التي يتم بها تصور الحركات والأشكال في الأفلاك والسموات^(٣).

= ينظر: المعجم الفلسفي، الدكتور /جميل صليبا: ٢ / ٣٠٠، ويعاب على من عرف الميتافيزيقا بأنها تطلق على ما وراء الطبيعة: عالم الغيب، لأن أول من اطلق عليها هذا الإسم هو احد تلاميذ ارسطو الذي انتهى من تصنيف كتب أرسطو الخاصة بالفيزياء ثم كتب وراء ذلك أو بعد ذلك ما يسمى بالميتافيزيقا أي الأبحاث المتعلقة بالوجود بما هو موجود أي العلوم الإنطولوجيا وهذا هو الصحيح.

(١) ينظر: د / إبراهيم مدكور، الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ط سميع كو للطباعة والنشر، د ت: ٢١/٢.

(٢) هو: أرسطوطاليس بن نيقوماخس الجراسني الفيثاغوري وتفسير نيقوماخس قاهر الخصم وتفسير أرسطوطاليس تآم الفضيلة، حكي ذلك أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، كان نيقوماخس فيثاغوري المذهب وله تأليف مشهور في الأرثماطقي، قال سليمان بن حسان المعروف بابن ججل في كتابه عن أرسطوطاليس: إنه كان فيلسوف الروم وعالمها وجهبذها ونحريها وخطيبها وطبيبها، قال: وكان أوحده في الطب وغلب عليه علم الفلسفة، ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة، تحقيق: الدكتور / نزار رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت: ٨٦ / ١.

(٣) ينظر: الإسلام وقوانين الوجود، د / محمد جمال الفندي، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٢م، ص ٣١ - ٣٢.

وخاتمة المطاف أن الحس^(١)، والعقل، والوعي^(٢) جميعاً تستقيم على استواء الخلق حين تستقيم على (الإيمان بالذات الإلهية)، وهذا الإيمان الرشيد هو خير تفسير لسر الخليفة، يعقله المؤمن، ويدين به المفكر، ويتطلبه الطبع السليم، ولذلك تجد أن المنكرين على ملتهم وشذوذهم كان لهم وجود في جميع العصور، وكان لهم تأثير يسود المجتمعات إلى مظاهر معترضة على شريعة الله، وخاصة في العصر الحاضر، حيث تجد أن هذا الإنكار في أغلب المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة مثل: الماركسية^(٣)، والوضعية^(٤)، والوضعية المنطقية، وبعض الاتجاهات في الوجودية^(٥)

(١) الحس المشترك: هو القوة التي ترسم فيها صور الجزئيات المحسوسة، فالحواس الخمسة الظاهرة، كالجواسيس لها، فتطلع عليها النفس من ثمة فتدركها، ومحلّه مقدم التجويف الأول من الدماغ، كأنها عين تتشعب منها خمسة أنهار، ينظر: التعريفات، للجرجاني: ١ / ٨٦.

(٢) وعي: وعى العلم يعيه وعياً، وفي التنزيل: ﴿وَعَيَّهَا أَذْنٌ وَعِيَةً﴾ [سورة الحاقة: ١٢]. وأوعى المتاع يوعيه إيعاء إذا جمعه في وعاء، وفي التنزيل: ﴿وَجَمْعًا وَاعِيَةً﴾ [سورة المعارج: ١٨]، وسمعت واعية القوم أي أصواتهم، وكذلك وعاهم، ينظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م: ١ / ٢٤٣.

(٣) الماركسيّة: تعتبر الماركسية أكمل تعبير عن المذهب الإشتراكي ولها النفوذ الأكبر في الحركات العمالية، وأيضاً يرجع لها الأفكار السياسيّة والاقتصاديّة لكارل ماركس وفريدريك إنجلز، وهي تحديداً مذهب يلعب فيه مفهوم نزاع الطبقات الاجتماعيّة دوراً كبيراً في تحليل المجتمع، ينظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، ط٦، ص ٤٠١ وانظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د / أحمد مختار عبد الحميد عمر، باب (أركس): ٣ / ٢٠٦١

(٤) الوضعية هي بناء واسع الانتشار في الفلسفة في القرن التاسع عشر والعشرين، وهي الفلسفة التي تقول إن المعرفة الحقيقية هي فقط المعرفة العلمية، وأن هذه المعرفة يجب أن تأتي من التأكيد الإيجابي للنظريات، من خلال المنهج العلمي الصارم، ينظر: المعجم الفلسفي، د/مصطفى حسيبة، دار أسامة للنشر، الأردن - عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص ٦٩٢.

(٥) الوجودية بالمعنى العام إبراز قيمة الوجود الفردي، وهي مذهب (كيجارد)، و(ياسبر)، و(هيدجر) و(شتوف)، و(برديائف) وغيرهم، ولهذا المذهب خصائص عامة، منها =

وهؤلاء لهم نفوذ واضح في الثقافة المعاصرة في مختلف أنحاء العالم إذاً مسألة وجود الله مطروحة بعنف وإلحاح على العقل المعاصر سواء أردنا أم لم نرد، ولا يستفيد من تجاهل هذه الحقيقة إلا أعداء الدين، ومن هنا يصبح من الواجب أن نتصدى لقضية وجود الله إثباتاً للعقيدة، ودفاعاً عنها^(١).

من خلال ما تقدم نرى أن وجود الله تعالى ظاهر وواضح رغم إنكار هذه القضية من التيارات الفكرية الحديثة التي تتعمد إنكار وجود الله تعالى، لذا فإن المسؤولية تتحتم أن نرد هذه الأفكار، وندافع عن هذه القضية ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاً؛ فبإغفالنا عن هذه الأفكار، وعدم التصدي لها تسود الفوضى بين الناس، وبالتالي تنزعزع

= القول بوجوب الرجوع الى الوجود الواقعي، والشعور بما يلبس المذاهب الوثوقية والقطعية الصارمة من الغرور، وقياس البعد بين التجريد النظري والتجربة المشخصة، وجماع ذلك ملاحظة الوجود وجهاً لوجه، من جهة ما هو وسط نعيش فيه، ونفكر فيه تفكيراً فعلياً. والوجودية بالمعنى الخاص هي المذهب الذي عرضه (ج. ب. سارتر) في كتاب الوجود والعدم erte'L tnaen el te ونشره في الجمهور بواسطة مسرحياته، ورواياته، ومقالاته، وخلاصة هذا المذهب قول (سارتر): إن الوجود متقدم على الماهية، وأن الانسان مطلق الحرية في الاختيار، يصنع نفسه بنفسه، ويملاً وجوده على النحو الذي يلائمه، وهذا مضاد لقول القدماء: إن الماهية متقدمة على الوجود، وأن الوجود أمر زائد على الماهية، ولا يمكن فهم مذهب (سارتر) على حقيقته إلا بالرجوع إلى (هيدجر)، فسارتر يقول: إن الوجود متقدم على الماهية، و(هيدجر)، فسارتر يقول: إن الوجود متقدم على الماهية، و(هيدجر) يعلن أن ماهية الإنسان هي الوجود الذي يخصه أي (الدازين)، وهو كيفية وجوده في العالم. والوجودية المسيحية هي المذهب الذي عرضه (غبريل مارسل) في مجلة علم ما بعد الطبيعة، والأخلاق عام ١٩٢٥ وشرحه في بعض كتبه، الوجود والملك (1935) riova te ertE، وسر الوجود، ينظر: المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية) الدكتور /جميل صليبا الشركة العالمية للكتاب - بيروت، تاريخ الطبع: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م: ٢ / ٥٦٥. والوجودية تنادي بالشعور الداخلي الفردي بعيداً عن الواقع الخارجي المحيط بالإنسان.

(١) ينظر: د / يحيى هاشم حسن فرغل، مداخل إلى العقيدة الإسلامية، ط ١٩٨٥م، ص ١٣٢ -

العقائد في قلوب الناس، وخاصة قلوب الضعفاء أعني ضعفاء الإيمان، وعلى هذا فإن مسألة وجود الله من المسائل المطروحة على الساحة الفكرية في كل وقت، وخاصة في هذه الأزمنة التي ظهرت فيه الشيوعية، والماركسية، وأيضًا الفرق اليهودية والمنتشرة في البلاد الإسلامية والعربية على حد سواء، والناظر في القرآن الكريم يجد كثيرًا من السور التي تثبت وجود الله خاصة السور المكية، التي تتحدث عن العقيدة، والآيات الكونية ^(١) خير شاهد على ذلك، ومن السور المكية التي تحدثت عن وجود

(١) والآيات الكونية هي: المنسوبة إلى الكون الذي هو الخلق الذي كونه الله تعالى فكان، وذلك السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من سائر المخلوقات، وهذه الآيات الكونية هي مناط الاستدلال العقلي على وجود الإله، انظر: الآيات الكونية دراسة عقدية، رسالة: مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، عبد المجيد بن محمد الوعلان إشراف: عبد الكريم بن محمد الحميدي، الأستاذ المشارك، العام الجامعي: ١٤٣٢ هـ / ١٤٣٣ هـ، ج ٢٤.

(ومن الآيات الكونية التي تشير إلى هذا المعنى من سورة الروم والتي هي محل الدراسة: قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الروم: ٢٤]، وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ مَاءً مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ﴾ [سورة الروم: ٤٨-٥٠] يقول ابن القيم «ثم تأمل الحكمة البالغة في نزول المطر على الأرض من علو ليعم بسقيه وهادها وتلويها وظرابها وأكامها ومنخفضها ومرتفعها ولو كان ربها تعالى إنما يسقيها من ناحية من نواحيها لما أتى الماء على الناحية المرتفعة إلا إذا اجتمع في السفلى وكثر، وفي ذلك فساد فاقتضت حكمته أن سقاها من فوقها، فينشئ سبحانه السحاب وهي روايا الأرض، ثم يرسل الرياح فتحمل الماء من البحر وتلقحها به، كما يلحق الفحل الأنثى، ولهذا تجد البلاد القريبة من البحر كثيرة الأمطار، وإذا بعدت من البحر قلَّ مطرها، وفي هذا المعنى يقول الشاعر يصف السحاب:

شربن بماء البُحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهنَّ نثيج

وفي الموطأ مرفوعا وهو أحد الأحاديث الأربعة المقطوعة إذا نشأت سحابة بحرية، ثم =

الله سورة (الروم) والتي هي موضوع هذه الدراسة، ومن خلالها أتناول في هذا المبحث أدلة وجود الله تعالى.

أولاً - مسلك السورة في إثبات وجود الله :

وجود الله حقيقة بديهية^(١) لا يختلف فيها اثنان، فوجوده تعالى ظاهر، ووجوده تعالى أيضاً حقيقة لا شك في أمرها، ولا مجال لإنكارها، فهو ظاهر كالشمس باهر كفلق الصبح، وكل ما في الكون شاهد على هذا الوجود الإلهي، ومواد الطبيعة وعناصرها تؤكد أن لها خالقاً ومديراً^(٢).

ولقد سلكت سورة الروم عدة أدلة لإثبات قضية وجود الله تعالى، والحق أن وجود الله تعالى لا يحتاج إلى دليل؛ لأنه واضح من خلال آثاره الكونية، أما المعاندين والمجادلين في تلك القضية وبخاصة وحدانية الله فقد أمر الله تعالى رسوله بالنظر في أكثر من آية في القرآن، وجاء الأمر بالنظر في هذه السورة الكريمة . موضع البحث .

= تشاءمت فتلك عين غديقة، فالله سبحانه ينشئ الماء في السحاب إنشاء تارة، يقلب الهواء ماء، وتارة يحمله الهواء من البحر فيلقح به السحاب، ثم ينزل منه على الأرض للحكم التي ذكرناها، ولو أنه ساقه من البحر إلى الأرض جارياً على ظهرها لم يحصل عموم السقي إلا بتخريب كثير من الأرض ولم يحصل عموم السقي لأجزائها فصاعدة سبحانه إلى الجو بلطفه وقدرته، ثم أنزله على الأرض بغاية من اللطف والحكمة التي لا اقتراح لجميع عقول الحكماء فوقها فأنزله ومعه رحمته على الأرض، ينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت، ١ / ٢٠٢.

(١) البديهي هو: ما لا يحتاج إلى نظر واستدلال، سواء أكان محتاجاً إلى تنبيه أم لم يكن محتاجاً إليه، وهو على ضربين، الأول: البديهي الجلي، والثاني: البديهي الخفي، أما البديهي الجلي فأربعة أنواع؛ لأنه إما أن يكون أولياً، وإما أن يكون فطرياً، وإما أن يكون تجريبيّاً، وإما أن يكون مشتركاً بين عامة الناس»، ينظر: رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، د/محمد محي الدين عبد الحميد، ص٤٦، مكتبة الإيمان، ط الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

(٢) ينظر: العقائد الإسلامية سيد سابق، دار الكتاب العربي بيروت بدون ط، ٣٩/١.

في قول الله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُعْجِزٌ أَلْمَوْذِبُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)، وفي هذه الآية السابقة يقول الإمام القرطبي^(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ «يعني المطر، أي انظروا نظر استبصار واستدلال، أي استدلووا بذلك على أن من قدر عليه قادر على إحياء الموتى»^(٣).

أولاً - أدلة وجود الله تعالى من خلال سورة الروم:

معنى الوجود^(٤):

في اللغة: يقول الزمخشري: «وجد الشيء وجوداً خلاف عدم، ووجدت الضالة،

(١) سورة الروم، الآية (٥٠).

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين صالح متعبد من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسبوط، بمصر) وتوفي فيها، من كتبه «الجامع لأحكام القرآن - ط عشرون جزءاً، يعرف بتفسير القرطبي، و«قمع الحرص بالزهد والقناعة» و«الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى توفي سنة ٦٧١هـ - ٢١٧٣م ينظر: الأعلام للزركلي: ٥ / ٣٢٢.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م: ١٤ / ٧٥.

(٤) يقول الإمام الرازي: وجود واجب الوجود إما أن يكون مساوياً لوجود ممكن الوجود في مفهوم الوجود أو لا يكون، فالأول إما أن يكون ذلك الوجود مقارناً لماهية أخرى في حق واجب الوجود، وإما أن لا يكون فهذه أقسام ثلاثة: أحدها: أن يكون ذلك الوجود مقولاً على الواجب، والممكن بالاشتراك الاسم، وهذا مذهب أبي الحسن الأشعري وأبي الحسين البصري، والثاني: أن يكون الوجود مقولاً على الواجب، والممكن بالاشتراك المعنوي، وذلك المشترك في واجب الوجود يكون مقارناً لماهية مغايرة له وهذا مذهب أبي هاشم وأصحابه، الثالث: أن لا يكون ذلك المشترك مقارناً لماهية أخرى في حق واجب الوجود بل حقيقة واجب الوجود هي نفس الوجود، ويكون امتياز هذا الوجود عن وجود غيره بقيد سلبى وهو كونه مجرداً عن الماهيات غير مقارن لشيء، وهو مذهب الفلاسفة، ينظر: نهاية العقول في دراية الوصول، الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق، د/سعيد عبد اللطيف فوده، دار الذخائر - بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، ص ٤٣٧ - ٤٣٨.

وأوجدنيه الله»^(١).

وجاء في المصباح المنير: «الوجود خلاف العدم، وأوجد الله الشيء من العدم، فوجد فهو موجود»^(٢).

وفي الاصطلاح:

يقول الإمام البياضي^(٣): «الوجود عين الموجود كالوجوب فإنه المتبادر من التمثيل، وأنه معلوم بداهة، وقد ينبه عليه بأنه التحقق حقيقة مخصوصة، وأنه ثابت العين، وأنه ما يعلم ويخبر عنه، وأنه المنقسم إلى فاعل ومنفعل»^(٤).

ويعرفه الدكتور/ جميل صليبا فيقول: «الوجود مقابل للعدم، وهو بديهي، فلا

(١) يراجع: أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٣٢٠/٢.

(٢) يراجع: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت ٢ / ٦٤٨.

(٣) هو: أحمد بن حسن بن الشيخ سنان الدين البياضي الرومي الحنفي قاضي العسكر، وأحد صدور الدولة العثمانية من أجلاء علماء الروم، وأجمعهم لفنون العلم، وكان صدرا عالما وقورا جسيما عليه رونق العلم، ومهابة الفضل، واشتهر بالفقه، وفصل الأحكام، وشاعت فضائله وذاعته، وقد أخذ عنه جماعة منهم شيخ الإسلام يحيى بن عمر المنقاري، وحج مع والده، وحضر دروس الشمس البابلي بمكة لما كان أبوه قاضيا بها، وأجازه في عموم طلبته ونبل ودرس بالروم، وأفاد وولي قضاء حلب في سنة سبع وسبعين وألف واعتنى به أهلها بالغوافي توقيره وتعظيمه له تأليف بالعربية، منها (إشارات المرام من عبارات الإمام في الأزهرية باسم (إرشاد المرام في فقه الحنفية)، و(سوانح العلوم) في ستة فنون، لعله (سوانح المطارحات)، وتوفي سنة ١٠٩٨ هـ - ١٦٨٧ م، ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي، دار صادر بيروت: ١/ ١٨١، الأعلام: ١/ ١١٢.

(٤) ينظر: إشارات المرام من عبارات الإمام، للقاضي كمال الدين أحمد البياضي الحنفي، تحقيق: د / يوسف عبد الرازق الشافعي، زمزم ببلشنز، ط ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ٩٤.

يحتاج إلى تعريف إلا من حيث إنه مدلول للفظ دون آخر، فيعرف تعريفاً لفظياً يفيد فهمه من ذلك اللفظ، لا تصوره في نفسه»، مثال ذلك تعريف الوجود بالكون، أو الثبوت، أو التحقق، أو الحصول، أو الشيئية، أو بما به ينقسم الشيء إلى فاعل ومنفعل، وإلى حادث وقديم^(١)، أو بما به يصح أن يعلم الشيء، ويخبر عنه، فهذه كلها تعريفات لفظية^(٢) أخفى من الشيء المعروف، ولا معنى لتعريف الشيء بما هو أخفى منه.

وإذا أردنا توضيح معنى الوجود^(٣)، فإننا نستطيع أن تميزه عن غيره بما يلي:

الوجود هو: «الحقيقة الواقعية الدائمة، أو الحقيقة التي نعيش فيها، وهو بهذا المعنى مقابل للحقيقة المجردة، والحقيقة النظرية، وقد يراد بالوجود مصدر وجد أو

(١) القديم: يطلق على الموجود الذي لا يكون وجوده من غيره، وهو القديم بالذات . وهو الله .، ويطلق القديم على الموجود الذي ليس وجوده مسبقاً بالعدم، وهو القديم بالزمان، أي العالم عند الفلاسفة . والقديم بالذات يقابله المحدث بالذات؛ وهو الذي يكون وجوده من غيره، أي . العالم - كما أن القديم بالزمان يقابله المحدث بالزمان؛ وهو الذي سبق عدمه وجوده سبقاً زمانياً، وكل قديم بالذات . أي الله . ليس قديماً بالزمان، وليس كل قديم بالزمان قديماً بالذات . ينظر: التعريفات، للجرجاني: ١ / ١٧٢.

(٢) التعريف اللفظي: هو أن يكون اللفظ واضح الدلالة على معنى فيفصل بلفظ أوضح؛ دلالة على ذلك المعنى، كقولك: الغضنفر الأسد، وليس هذا تعريفاً حقيقياً يراد به إفادة تصور غير حاصل، وإنما المراد تعيين ما وضع له لفظ الغضنفر من بين سائر المعاني، ينظر: التعريفات: ١ / ٦٢.

(٣) الوجود: كلمة مألوفة جداً في جميع اللغات تعبر عن مصدر لفعل (وجد) بمعنى أن يكون له مكان وكيونة، وغالب ما تترافق كلمة وجود أو فعل (وجد) مع أشياء حقيقية . أي لها كيونة بمعنى أنها ليست خيالية . أو افتراضية، وأيضاً غير لا (موجودة)، ويعتبر البعض أن الشيء يمكن أن يوجد بمجرد حصول صورته في ذهن أي بدون أن يصبح محسوساً حقيقياً، وهناك الأشياء لها وجود حقيقي ولا نستطيع إدراكه إلا بآثاره مثل الجازية أو المغناطيسية، أو الكهرباء... ينظر: المعجم الفلسفي، د/ مصطفى حسيبة، ص ٦٨٠، مرجع سابق.

كان فيكون معناه الوجود الحقيقي أو الواقعي، وقد يراد به معنى أعم من ذلك فيطلق على وجود الشيء في ذاته، أو على وجود الشيء بالشيء أو للشيء^(١).

وعرف الوجود- أيضًا - الإمام البيجوري^(٢) في حاشيته على الجوهرة فقال: (الوجود) أي الذاتي بمعنى أن وجوده لذاته لا لعلّة، أي أن الغير ليس مؤثراً في وجوده تعالى، وليس أن المراد أن الذات أثرت في نفسها، إذ لا يقول به عاقل، وأما الوجود غير الذاتي كوجودنا فهو بفعله تعالى^(٣). إذاً وجوده تعالى لا يحتاج لعلّة توجده وذلك أن وجوده تعالى ذاتياً.

ومعنى أن وجوده تعالى لا علة له، فهذا ظاهر كما يقول ابن سينا^(٤)، ثم يعلل

(١) ينظر: المعجم الفلسفي، الدكتور /جميل صليبا: ٥٥٨/٢، وما بعدها.

(٢) هو: إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري: شيخ الجامع الأزهر، من فقهاء الشافعية، نسبته إلى الباجور من قرى المنوفية، بمصر ولد ونشأ فيها، وتعلم في الأزهر، وكتب حواشي كثيرة منها حاشية على مختصر السنوسي في المنطق، والتحفة الخيرية حاشية على الشنشورية في الفرائض، وتحفة المريد على جوهرة التوحيد وتحقيق المقام حاشية على كفاية العوام للفضالي، في علم الكلام، وحاشية على أم البراهين والعقائد للسنوسي، ينظر: الأعلام للزركلي: ١ / ٧١.

(٣) ينظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد، تحقيق: د/على جمعة محمد، ص ١٠٥.

(٤) هو: الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب، والمنطق، والطبيعات، والإلهيات، أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخاري، ونشأ وتعلم في بخاري، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتواري، ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه، وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض في الطريق، ومات بها.. وقال ابن تيمية: «تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات، والنبويات، والمعاد، والشرائع، لم يتكلمها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم، ولا بلغت علومهم، فإنه استفادها من المسلمين، ومن تصانيفه: المعاد - رسالة في الحكمة، والشفاء - في الحكمة، أربعة أجزاء، والسياسة وأسرار الحكمة المشرقية ثلاث مجلدات، وأرجوزة في المنطق، ورسالة حي بن يقظان، توفي سنة ٤٢٨هـ - ١٠٣٧م، ينظر: الأعلام للزركلي: ٢ / ٢٤١.

ابن سينا عن قوله إن واجب الوجود لا علة له، فيقول: لأنه إن كانت لواجب الوجود علة في وجوده وكان وجوده بها وكل ما وجوده بشيء دون لم يجب له وجوده وكل ما إذا اعتبر بذاته دون غيره ولم يجب له وجود فليس واجب الوجود بذاته فتبين أنه إن كان لواجب الوجود بذاته في ذاته علة لم يكن واجب الوجود بذاته فقد ظهر أن واجب الوجود لا علة له»^(١)

قال الإمام الرازي^(٢): «الوجود غير الوجود ضرورة مغايرة الصفة الموصوف، وعليه فقد عرفوا الوجود بأنه: الحال الواجبة للذات»^(٣) ما دامت الذات حال كون تلك الحال غير معللة بعلة»^(٤).

وبذلك نرى أن الوجود معناه الثبوت، والتحقق، أي متحقق وجوده في الذهن والخارج معاً، وأيضاً من معنى الوجود (الشيئية)، أي الموجود وكل هذه الألفاظ مترادفات^(٥) تدل على معنى واحد.

(١) ينظر: الإلهيات من كتاب الشفاء، الشيخ الرئيس/ ابن سينا، تحقيق: آية الله حسن زاده، مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الإسلامي، الطبعة الاولى، ١٤١٨هـ، ١٣٧٦ ش، ص ٥٠.

(٢) هو: إبراهيم بن علي بن محمد السلمي، المعروف بالقطب المصري: طبيب، مغربي الأصل، أقام مدة بمصر ورحل إلى خراسان فتتلمذ للفخر الرازي، وصنف كتباً في الطب والفلسفة، وشرح (الكليات من كتاب (القانون) لابن سينا، يراجع: الاعلام للزركلي: ١ / ٥١.

(٣) الذات: نفس الشيء وجوهره، ينظر: مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة: الثانية، ص ٤٤.

(٤) ينظر: أرجوزة جوهر التوحيد، الإمام / إبراهيم بن حسن اللقاني مع شرحها تحفة المريد على جوهر التوحيد الإمام / إبراهيم بن محمد الباجوري، تقديم لجنة العقيدة والفلسفة القسم الاول ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ١١٨.

(٥) الترادف: عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد. أو الترادف: يطلق على معنيين أحدهما: الاتحاد في الصدق، والآخر: الاتحاد في المفهوم، ومن نظر إلى الأول فرق بينهما، ومن نظر إلى الثاني لم يفرق بينهما، ينظر: التعريفات، باب التاء: ١١ / ٥٦.

وبالتالي فوجود الله ثابت ومتحقق، والثبوت معناه عدم التغير؛ لأن التغير من صفات الممكنات، وليس من صفات واجب الوجود، وذلك لأن وجوده تعالى وجودًا ذاتيًا أي غير مفتر إلى علة^(١) توجده، وكذلك وجوده تعالى حقيقة لا شك فيها، ولا ينكرها إلا من غاب عقله وحسه عن إدراك وجوده تعالى وذلك من خلال آثاره.

والدليل على وجوده تعالى أنه قد ثبت بالبراهين القطعية وجوده تعالى يقول الفخر الرازي^(٢): «الدليل على أنه موجود، هو أنه لا واسطة بين النفي والإثبات في بديهية العقل؛ لأن وجود الباري إن كان منفيًا فهي نفي الصانع، وقد ثبت بالبراهين^(٣) القاطعة

(١) العلة: هي ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجًا مؤثرًا فيه، وعلة الشيء: ما يتوقف عليه ذلك الشيء، ينظر: التعريفات للجرجاني: ١ / ١٥٤.

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر. أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الري) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه مفاتيح الغيب ثمانى مجلدات في تفسير القرآن الكريم، ولوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات ومعالم أصول الدين ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين توفي سنة ٦٠٦هـ، ١٢١٠م، ينظر: الأعلام للزركلي: ٦/٣١٣.

(٣) البرهان: هو القياس المؤلف من اليقينيات، سواء كانت ابتداءً؛ وهي الضروريات، أو بواسطة؛ وهي النظريات، والحد الأوسط فيه لا بد أن يكون علةً لنسبة الأكبر إلى الأصغر؛ فإن كان مع ذلك علةً لوجود تلك النسبة في الخارج أيضًا، فهو برهان لمي، كقولنا: هذا متعفن الأخلاط، وكل متعفن الأخلاط محموم، فهذا محموم، فتعفن الأخلاط، كما أنه علة لثبوت الحمى في الذهن، كذلك علة لثبوت الحمى في الخارج، وإن لم يكن كذلك كان لا يكون علة للنسبة إلا في الذهن، فهو برهان إنّي، كقولنا: هذا محموم، متعفن الأخلاط، فهذا متعفن الأخلاط، فالحمى، وإن كانت علةً لثبوت تعفن الأخلاط في الذهن، إلا أنها ليست علة له في الخارج، بل الأمر بالعكس، وقد يقال على الاستدلال من العلة إلى المعلول: برهان لمي، ومن المعلول إلى العلة: برهان إنّي، يراجع: التعريفات، ص ٤٤.

ثبوت البارئ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإذا بطل النفي وثبت أن لا واسطة بين النفي والإثبات لزم الإثبات، فثبت أن البارئ موجود ثابت^(١)، ووجوده تعالى ليس مفتقراً إلى علة توجده؛ لأن المفتقر إلى علة إنما هو الناقص الذي يكون وجوده مستمداً من الغير، وليس من ذاته.

ويقول الدكتور/ البوطي: «وينبغي أن نعلم أن (الوجود) ينقسم إلى قسمين: وجود كامل، ووجود ناقص، أو بتعبير آخر وجود ذاتي، ووجود تبعي، فأما وجود الله تعالى . فهو وجود كامل ذاتي بمعنى أنه موجود لذاته لا لعلّة مؤثّرة فيه، ومن خصائص الوجود الذاتي أنه لا يقبل العدم، وأما وجود من عداه فوجوده ناقص وتبعي، بمعنى أنه مستمد من غيره، وأنه متوقف على الموجد له، ومن خصائص هذا النوع الثاني من الوجود أنه لا بد أن يقوم بين عدمين سابق، ولاحق، وعلى هذا الوجود الذاتي الكامل المطلق هو وجود الله تعالى»^(٢).

أدلة وجود الله من خلال السورة الكريمة:

لقد سلكت سورة الروم في إثبات وجود الله أدلة متعددة متعاضدة، أسوق منها (دليل الفطرة، دليل الحدوث، دليل العناية، دليل الاختراع، دليل الغاية، تعدد مزايا كل آية، برهان المثل الأعلى، من خلال السورة).

(١) ينظر: المسائل الخمسون في أصول الدين، للفخر الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٢٩.

(٢) ينظر: كبرى اليقينيّات، د/ محمد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م، الطبعة الثانية، ص ١٠٩.

الدليل الأول^(١): دليل^(٢) الفطرة:

فمن أدلة وجود الله من خلال سورة الروم (دليل الفطرة):

(١) يرى الباحث: أن أكثر العلماء يجعلون دليل الفطرة في الصدارة وهذا ما فعلته في هذه الرسالة لأنها خاصة بسورة الروم، بينما هناك بعض العلماء من يجعل دليل (الفطرة) هو الدليل الثاني بعد دليل آية الميثاق الخاص بذرية آدم وإشهادهم على الربوبية وأنا أريد ذلك، وتكون الأدلة على النحو الآتي:

١ - دليل الميثاق من سورة الأعراف والدليل على ذلك قول تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَيَّ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٣٠﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [سورة الأعراف].

٢ - دليل الفطرة الخاص بسورة الروم والدليل على ذلك قول الله تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

٣ - دليل العقل وهو الرشد بمعرفته الربوبية والدليل على ذلك قول الله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: ١٥]، ٤ دليل إرسال الرسل وإقامة الحجة عليهم.

(٢) الدليل: هو الذي يلزم من العلم به العلم بوجود المدلول، ينظر: محصل افكار المتقدمين والمتأخرين للرازي، ص ٥١، ويقول الباقلاني: ومعنى الدليل والاستدلال: هو المرشد إلى معرفة الغائب عن الحواس وما لا يعرف باضطرار وهو الذي ينصب من الأمارات، ويورد من الإيماء والإشارات، مما يمكن التوصل به إلى معرفة ما غاب عن الضرورة والحس، ومنه سمي دليل القوم دليلاً وصمت العرب أثر اللصوص دليلاً عليهم لما أمكن معرفة مكانهم من جهته، ومنه وسمت الأميال والعلامات المنصوبة والنجوم الهادية أدلة لما أمكن أن يتعرف بها ما يلتبس علمه، ينظر: كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم أبو بكر الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م: ١ / ٣٣ - ٣٤.

أولاً - معنى الفطرة في اللغة:

جاء في معجم الصحاح أن الفطرة معناها «الخلقة بالكسر: الفِطْرَةُ، ورجلٌ خَلِيقٌ وَمُخْتَلَقٌ، أي تامُّ الخلقِ معتدلٌ. وفلانٌ خَلِيقٌ بكذا، أي جدير به، وقد خُلِقَ لذلك بالضم، كأنه ممن يُقَدَّرُ فيه ذلك وتُرى فيه مُخَائِلُهُ، وهذا مَخْلَقَةٌ لذلك، أي مَجْدَرَةٌ له، ونشأت لهم سحابةٌ خَلَقَةٌ وَخَلِيقَةٌ، أي فيها أثر المطر»^(١).

وجاء في لسان العرب: «الفطرة الخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه؛ قال وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾^(٢) أي خلقتني؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي﴾^(٣) قال: وقول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة»^(٤)، يعني الخلقة التي فطر عليها في الرحم من سعادة أو شقاوة»^(٥).

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي:

دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م: ٤ / ١٤٧١.

(٢) سورة الزخرف من الآية: ٢٧.

(٣) سورة يس، الآية: ٢٢.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى

عليه، ج ٢، ص ٩٥، رقم الحديث: (١٣٥٩)، رقم الحديث (١٣٨٥) ومسلم كتاب (٤٦) ح (٢٢)،

(٢٥) وأبو داود، كتاب ٣٩، وباب (١٧) والترمذي، كتاب (٣٠) باب (٥) ومسنند أحمد ص

٢٣٣، ٢٥٣، ٢٧٥، ٢٨٢، ومسنند الطيالسي، ح (٢٣٩٥، ٢٤٣٣) ومعاذ الواقدي، ص

٣٦١. ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه =

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن

ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)

الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ، ٢ / ١٠٠.

(٥) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منطور الأنصاري

الرويفعي الإفريقي، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ: ٥ / ٥٦.

ثانياً: معنى الفطرة في الاصطلاح:

فهي كما يعرفها السيد الشريف الجرجاني فيقول الفطرة: «هي الجِبْلَةُ المتهيئة لقبول الدين»^(١) ومن هنا فالفطرة غريزة موجودة في كل إنسان قابلة للتدين ومتهيئة لقبوله.

الآيات التي تشير إلى دليل الفطرة من سورة الروم:

من المعلوم أن دليل الفطرة برهان واضح على وجود الله تعالى، ولقد ورد هذا الدليل في سورة الروم والتي هي موضع الدراسة، حيث يقول الله تعالى: ﴿فَأَقْوَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

أقوال العلماء في دليل الفطرة:

يقول ابن عطية^(٣) في هذا الدليل «أمر تعالى نبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ بإقامة وجهه للدين المستقيم وهو دين الإسلام، وإقامة الوجه هي تقويم المقصد والقوة على الجد في أعمال الدين، وذكر الوجه؛ لأنه جامع حواس الإنسان وأشرفه، وحَنِيفًا، معناه معتدلاً مائلاً عن جميع الأديان المحرفة المنسوخة، وقوله فِطْرَتَ اللَّهِ نصب على المصدر،

(١) يراجع: التعريفات: السيد الشريف الجرجاني، باب الفاء، ١ / ١٦٨.

(٢) سورة الروم: الآية (٣٠).

(٣) هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث، له شعر، ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش المثلثين، وتوفي بلورقة، له (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز في عشر مجلدات، في خزانة الرباط (المجموع ١٣٠١ ك) في ذكر مروياته وأسماء شيوخه، وقيل في تاريخ وفاته سنة ٥٤١ هـ أو ٥٤٦ هـ، ينظر: الأعلام: ٢٨٢/٣، وينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان. صيدا: ٢٨٢/٣.

كقوله ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾^(١) واختلف الناس في (الفطرة)، والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أنها: الخلقة والهيئة في نفس الطفل التي هي معدة مهياة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى، ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه، ويؤمن به، فكأنه قال: فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الَّذِي هُوَ الْحَنِيفُ، وهو فِطْرَتُ اللَّهِ الَّذِي عَلَى الْإِعْدَادِ له فطر البشر لكن تعرضهم العوارض»^(٢)، وعلى ذلك فإن الفطرة معناها الخلقة التي خلق الله الناس عيها، أو الجبلية التي خلق الله الخلق عليها، فلا تبديل ولا تغيير لخلق الله تعالى.

ويشير إلى ذلك الشيخ / محمد رشيد رضا^(٣) حيث يقول: «الحنيف صفة من الحنف (بالتحريك) وهو الميل عن العوج إلى الاستقامة، وعن الضلالة إلى الهدى، وعن الباطل إلى الحق، ويقابله الزيغ، وهو الميل عن الحق إلى الباطل إلخ، وفطرة الله التي فطر الناس عليها هي الجبلية الإنسانية، الجامعة بين الحياتين: الجسمانية الحيوانية، والروحانية الملكية، والاستعداد لمعرفة عالم الشهادة وعالم الغيب فيهما، وما

(١) سورة البقرة: جزء من الآية (١٣٨).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ: ٤ / ٣٣٦ بتصرف.

(٣) هو: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس. وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض به قبل ذلك في بيروت، ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ، فلزم الشيخ محمد عبده وتلمذ له. من أشهر آثاره مجلة (المنار) أصدر منها ٣٤ مجلدًا، وتفسير القرآن الكريم اثنا عشر مجلدًا منه، ولم يكمله، وتاريخ لأستاذ الإمام الشيخ/ محمد عبده ثلاثة مجلدات، والوحي المحمدي ويسر الإسلام وأصول التشريع العام، توفي سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م، ينظر: الاعلام، للزركلي: ١٢٦/٦.

أودع فيها من غريزة الدين المطلق، الذي هو الشعور الوجداني بسلطان غيبي فوق قوي الكون والسنن والأسباب التي قام بهما نظام كل شيء في العالم، فرب هذا السلطان هو فاطر السماوات والأرض وما فيهما، والمصدر الذاتي للنفع والضرر المحركين لشعور التعبد الفطري، وطلب العرفان الغيبي، فالعبادة الفطرية هي التوجه الوجداني إلى هذا الرب الغيبي في كل ما يعجز الإنسان عنه من نفع يحتاج إليه ويعجز عنه بكسبه، ودفع ضرر يمسه أو يخافه ويرى أنه يعجز عن دفعه بحوله وقوته، وفي كل ما تشعر فطرته باستعدادها لمعرفته والوصول إليه مما لا نهاية له^(١).

ويشير الإمام القرطبي في بيان هذا الدليل قول الله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ﴾^(٢) فأقم وجهك «لأن معنى ذلك اتبعوا دين الله الذي خلق الناس له»، وسميت الفطرة ديناً؛ لأن الناس يخلقون له، قال (ﷺ): ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) ويقال: «عليها» بمعنى لها، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾^(٤).

والخطاب بـ (أقم وجهك) للنبي ﷺ، أمره بإقامة وجهه للدين المستقيم، كما قال: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾^(٥) وهو دين الإسلام، وإقامة الوجه هو تقويم المقصد والقوة على الجد في أعمال الدين، وخص الوجه بالذكر؛ لأنه جامع حواس الإنسان وأشرفه،

(١) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب

سنة النشر: ١٩٩٠ م، باب ٢، ١١ / ٢٠١.

(٢) سورة الروم: من الآية (٣٠).

(٣) سورة الذاريات: من الآية (٥٦).

(٤) سورة الإسراء: من الآية (٧).

(٥) سورة الروم: من الآية (٤٣).

ودخل في هذا الخطاب أمته باتفاق من أهل التأويل»^(١).

وعلى هذا فإن حواس الإنسان كلها تشهد بفطرها وخالقها، ومن هنا فإن كل إنسان يشهد على نفسه بأنه حادث، والذي دل على ذلك، تلك الفطرة المغروسة في كل إنسان؛ «لأن عقل كل واحد يدل على أنه حادث يفتقر إلى محدث، ولا دلالة على الافتقار إلى متعدد أبدأ، فالقول بتعدده تغيير للفطرة، لكن لا تبديل لخلق الله أي لا تغيير لأمر العقل الذي خلقه الله للاستدلال، ذلك أي الدين المأمور بإقامة الوجه له، أو الفطرة الدين القيم أي المستقيم الذي لا عوج فيه»^(٢).

فكل إنسان يُقر بالفطرة، حتى ولو كان هذا الإنسان لا يدين بدين الإسلام؛ لأنه خُلِقَ عليها، ولكن التغيير يأتي عندما يكون الأبوين (يهودين، أو نصرانيين أو مجوسيين)، كما ورد ذلك في الحديث الصحيح^(٣).

يقول أبو الحسن المعروف بالخازن^(٤): «فكل مولود في العالم على ذلك الإقرار

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤ / ٢٤.

(٢) ينظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ، ٨ / ١٤.

(٣) الحديث بنصه كما ورد في صحيح البخاري «أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»، ثم يقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَأَفَرُّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم: ٣٠]. والحديث قد سبق تخريجه في ص ١٣.

(٤) هو: علي بن محمد بن إبراهيم الشحي علاء الدين المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية، بغدادي الأصل، نسبته إلى «شيحة» بالحاء المهملة، من أعمال حلب، ولد ببغداد، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميانية فيها، وتوفي بحلب، =

وهي الحنيفية التي وضعت الخلقة عليها وإن عبد غير الله قال الله تعالى ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(١).

ولكن لا اعتبار بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا، وإنما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به المكتسب بالإرادة والفعل^(٢).

ويقول الإمام النسفي^(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان هذا الدليل الوارد في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾^(٤) «فقوم وجهك له، وعد له غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه، واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه، وسدد إليه نظره وقوم له وجهه ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ﴾ أي الزموا فطرة الله والفطرة الخلقية، ألا ترى إلى قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ فالمعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد والإسلام غير نائين عنه، ولا منكبين له، لكونه مجاباً للعقل مساوفاً^(٥) للنظر

= له تصانيف، منها «لباب التأويل في معاني التنزيل»، في التفسير يعرف بـ «تفسير الخازن»، توفي سنة ٧٤١ هـ - ١٣٤١ م، ينظر: الأعلام: ٥/٥.

(١) سورة الزمر، من الآية: (٣٨).

(٢) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تحقيق وتصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ٣ / ٣٩١.

(٣) هو: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيدج (من كور أصبهان) ووفاته فيها. نسبته إلى «نسف» ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند. له مصنفات جليلة، منها «مدارك التنزيل ثلاثة مجلدات، في تفسير القرآن، و«كنز الدقائق في الفقه، و«المنار في أصول الفقه و«كشف الأسرار، توفي سنة ٧١٠ هـ، ١٣١٠ م، ينظر: الأعلام للزركلي: ٦٤/٤.

(٤) سورة الروم: من الآية (٣٠).

(٥) ساوفاً = تابعه وسايره، وجاراه، المعجم الوجيز، ط، خاصة بوزارة التربية والتعليم ١٤١٦ - ١٩٩٥ م، ص ٣٢٩.

الصحيح، حتى لو تركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الجن والإنس، ومنه قوله ﷺ: «كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري»^(١) وقوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه»^(٢).

وقال الزجاج: معناه أن الله تعالى فطر الخلق على الإيمان به على ما جاء في الحديث أن الله (ﷻ) أخرج من صلب آدم كالذر، وأشهدهم على أنفسهم بأنه خالقهم فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْكَ﴾ إلى قوله: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٣)، وكل مولود هو من تلك الذرية التي شهدت بأن الله تعالى خالقها، فمعنى فطرة الله دين الله ﴿أَلَمْ يَفْطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أي خلق لا تَبْدِيلَ لِمَخْلُوقِ اللَّهِ، أي ما ينبغي أن تبدل تلك الفطرة أو تغير، وقال الزجاج: معناه لا تبديل لدين الله ويدل عليه ما بعده وهو قوله: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي المستقيم

(١) الحديث بنصه كاملاً «عن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبداً حلال، وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان، وإن الله أمرني أن أحرق قریشاً، فقلت: يا رب! إذا يثلغوا رأسي، فیدعوه خبزة، قال: استخرجهم كما أخرجوك وأعزهم نغزك، وأنفق فسنفق عليك. وأبعث جيشاً نبعت خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عساک» أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنة والنار، رقم الحديث (١٢٧٣) ينظر: المُلُغم بفوائد مسلم، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي، تحقيق: فضيلة الشيخ / محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨ م، والجزء الثالث صدر بتاريخ ١٩٩١ م، ج ٣، ص ٣٦٢.

(٢) سبق تخريجه ص ١٣ في الرسالة.

(٣) سورة الأعراف، جزء من الآية (١٧٢).

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة ذلك»^(١).

أهمية دليل الفطرة:

مما لا شك فيه أن دليل الفطرة له أهمية الصدارة في مقدمة الأدلة الأخرى، لاسيما لأنه مغروس في غريزة كل إنسان على حد سواء، وعليه تتبني باقي الأدلة الأخرى، الدالة على وجود الله تعالى والتي سأذكرها بعد دليل الفطرة في هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.

يقول الشيخ القاسمي^(٢) في كتابه دلائل التوحيد «ودليل الفطرة يؤثره كثير على

(١) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرّج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج ٢، ص ٦٩٩، وينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، ج ٣، ص ٤٧٩.

(٢) هو: جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعا من فنون الأدب. مولده ووفاته في دمشق. كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد. انتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في القرى والبلاد السورية، فأقام في عمله هذا أربع سنوات (١٣٠٨ - ١٣١٢ هـ ثم رحل إلى مصر، وزار المدينة. ولما عاد اتهمه حسدته بتأسيس مذهب جديد في الدين، سموه (المذهب الجمالي) فقبضت عليه الحكومة من مصنفاته: (دلائل التوحيد - و(ديوان خطب)، و(الفتوى في الإسلام)، و(إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق)، و(شرح لقطة العجلان)، و(نقد النصائح الكافية)، و(مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن)، و(موعظة المؤمنين اختصر به إحياء علوم الدين للغزالي)، و(شرف الأسباط)، و(تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب و(جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، ينظر: الأعلام للزركلي: ١٣٥/٢، وينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، حققه ونسقه وعلّق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار - من أعضاء مجمع اللغة العربية، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ١/١٦٢٧.

غيره من الأدلة ويجعله أولاهاً وأولاهاً^(١)، لا لأن الجبله لها السبق طبعاً فتقدم وضعاً؛ لأن ذلك من نكت المؤلفين، بل لأن الشعور بوجود الله تعالى والإذعان لخالق قادر فوق المادة محيط من وراء الطبيعة أمر غريزي في الإنسان مفطور عليه لا يضره ريب المرتابين، ولا تزلزله شكوك المشككين؛ لأنه عقد في المرء طبع عليه جنانه وتأثره لسانه وبيانه، ومن أثره ما يرى من انطلاق الألسنة في الكوارث، وما تتدفع إليه في الحوادث من اللجوء إليه والتضرع في دفع ما يمسها^(٢)، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى معروف، وذلك لأن معرفته مغروسة في الخلق لا تزلزلها شكوك المشككين.

ويقول الراغب الأصفهاني^(٣) في كتابه الذريعة «فمعرفة الله تعالى

(١) الأولوية الذاتية: هي عند الحكماء تطلق على معنيين: الأول أن يكون أحد طرفي الممكن أليق بالنسبة إلى ذاته، والثاني أن يقتضي ذاته أحد طرفيه على سبيل الأولوية على قياس ما قال الحكماء والمتكلمون في الواجب بالذات، وكل منهما يتصور على وجهين: أحدهما: أن يكون الأولوية بالنسبة إلى ذات الممكن ضرورية، والثاني: أن يقتضي ذاته أولوية أحد الطرفين على سبيل الأولوية، وهكذا أولوية الأولوية وأولوية أولويتها حتى تتقطع الاعتبار، كذا ذكر مرزا زاهد في حاشية شرح المواقف في خاتمة أبحاث الممكن، ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د/ رفيق العجم، تحقيق: د/ علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د/ عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د/ جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م: ١ / ٢٨٩.

(٢) ينظر: دلائل التوحيد، للشيخ محمد جمال الدين القاسمي، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م، ص ٢٢٠، ٢٢٣.

(٣) هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه محاضرات الأدباء مجلدان، والذريعة إلى مكارم الشريعة و(الأخلاق) ويسمى أخلاق الراغب وجامع التفسير كبير، طبعت مقدمته، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و(المفردات في غريب القرآن) و(حلّ متشابهات القرآن) و(تفصيل النشاطين)، توفي سنة ٥٠٢ هـ - ١١٠٨ م، ينظر: الأعلام للزركلي: ٢ / ٢٥٥.

العامة^(١) مركوزة في النفس، وهي معرفة كل أحد أنه مفعول وأن له فاعلاً فعله، ونقله في الأحوال المختلفة، وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ إِلَيَّ فَطَرُ النَّاسِ عَلَيْهَا﴾^(٢)، وقوله: ﴿صَبَغَةَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(٤)، فهذا القدر من المعرفة في نفس كل أحد، ويتنبه الغافل عنه إذا نُبِّه عليه فيعرفه كما يعرف أن ما هو مساوٍ لغيره، فذلك الغير مساوٍ له، وأما معرفة الله تعالى المكتسبة فمعرفة توحيده وصفاته، وما يجب أن يثبت له من الصفات، وما يجب أن ينفي عنه، وهذه المعرفة هي التي دعا الأنبياء عليهم السلام لها وحثوا عليها^(٥)، فلا يقر الإنسان بخالق هذا الكون، ولا يعترف بوجوده إلا عن طريق الفطرة الإلهية التي غرسها الله تعالى في خلقه، وأرسل الرسل من أجل أن يذكرها بها، وليكشفوا عنها الحجب، التي حالت بينها وبين بارئها.

ولأهمية الفطرة فإن الله تعالى قد أخذ العهد والميثاق^(٦) من جميع البشر على التزام

(١) (العامة) لغة العامة وهي خلاف الفصحى، ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) دار الدعوة، ج ٢، ص ٢٢٩

(٢) سورة الروم، من الآية: ٣٠.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ١٣٨.

(٤) سورة الأعراف، من الآية: ١٧٢.

(٥) ينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: د/ أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام - القاهرة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م: ١ / ١٥٣.

(٦) الميثاق والمواثقة: المعاهدة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا نَعْمَةً اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [سورة المائدة: ٧] =

أحكامه، وذلك قبل أن يخلقهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(١).

يقول أبو حامد الغزالي^(٢): ولهذا بعث الأنبياء - صلوات الله عليهم - لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا (لا إله إلا الله) وما أمروا أن يقولوا لنا إله وللعالم إله، فإن ذلك كان مجبولاً في فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم، وفي عنفوان شبابهم، ولذلك قال (عليه السلام): ﴿وَلَيْن سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾^(٣)، وقال تعالى ﴿فَأَنزَلَ مِنْهُمْ نَبِيًّا فَبَيَّنَّ لِلَّذِينَ خَلَقُوا النَّاسَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلِئَلَّامُ الْغُفَّارِ﴾

= وأوثقه في الوثاق، أي شده، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسٍ وَأَغْصَيْنَاهُمْ أَفْئِدَةً يَوْمَ يُنْفَخُ الصُّورُ فَهُمْ عَلَىٰ سَبِيلٍ سُجَّدٍ﴾ [سورة محمد: ٤]. والوثاق بكسر الواو لغة فيه، والوثيق: الشيء المحكم، والجمع وثاق. وقد وثق بالضم وثاقة، أي صار وثيقاً. ويقال: أخذ بالوثيقة في أمره، أي بالثقة. وتوثق في أمره مثله، وتوثقت الشيء توثيقاً فهو موثق، وثاقة موثقة الخلق، أي محكمته. وتوثقت فلانا، إذا قلت إنه ثقة واستوثقت منه، أي أخذت منه الوثيقة، ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي: ٤ / ١٥٦٣.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) هو: أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، أبو الفتوح، مجد الدين الطوسي الغزالي: واعظ، هو أخو الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. درّس بالنظامية نيابة عن أخيه لما ترك التدريس زهادة فيه. أصله من طوس، ووفاته بقزوين. وشهرته بالغزالي - كأخيه - بتشديد الزاي نسبة إلى الغزال على عادة أهل خوارزم وجرجان فإنهم ينسبون إلى القصار (قصارى) وإلى العطار (عطاري) أو بتخفيفها. نسبة إلى غزالة من قرى طوس. قال صاحب اللباب: والتخفيف خلاف المشهور له (الذخيرة في علم البصيرة) تصوف، و(لباب الإحياء) اختصر فيه إحياء علوم الدين لأخيه، و(التجريد في كلمة التوحيد)، توفي سنة ١١١١م، يراجع: الأعلام للزركلي: ٢١٤/١.

(٣) سورة الزخرف، من الآية: ٩.

الَّذِينَ آمَنُوا^(١) فإذا كان في فطرة الإنسان وشواهد القرآن ما يغني عن إقامة البرهان على سبيل الاستظهار والافتداء بالعلماء النظار^(٢).

وتظهر أهمية الفطرة أيضًا في أن الله تعالى جعل الغرض من بعثة الأنبياء والمرسلين هو إيقاظ الفطرة، في نفوس أصحابها وتصحيحها، ودعوتهم لإحياء الفطر في قلوب أصحابها، إنما هو من باب التذكير بها، يقول الإمام الشهرستاني^(٣) «والرسل مبعثون لتذكير وضع الفطرة، وتطهيرها عن تسويل الشيطان، فإنهم باقون على أصل الفطرة، فقال: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۖ سَيَذَكِّرْ مَنْ يَحْشَى﴾^(٤)، ومن رحل إلى الله قربت مسافته، حيث رجع إلى نفسه أدنى رجوع فعرف احتياجه إليه في تكوينه، وبقائه، وتقلبه في أحواله وأنحائه، ثم استبصر في آيات الآفاق، إلى آيات الأنفس، ثم استشهد

(١) سورة الروم، من الآية: ٣٠.

(٢) ينظر: قواعد العقائد، أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: موسى محمد علي . عالم الكتب . لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م: ١ / ٢٩.

(٣) هو: أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني المتكلم على مذهب الأشعري؛ كان إمامًا مبرزًا فقيهاً تفقه على أحمد الخوافي - المقدم ذكره - وعلى أبي نصر القشيري وغيرهما، وبرع في الفقه، وقرأ الكلام على أبي القاسم الأنصاري وتقرّد فيه، وصف كتباً منها كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام، وكتاب الملل والنحل، والمناهج والبيئات، وكتاب المضارعة، وتلخيص الإقسام، لمذاهب الأنام، وكان كثير المحفوظ حسن المحاورة يعظ الناس، ودخل بغداد سنة عشر وخمسمائة وأقام بها ثلاث سنين، وظهر له قبول كثير عند العوام، وسمع الحديث من علي بن أحمد المديني بنيسابور ومن غيره، وكتب عنه الحافظ أبو سعد عبد الكريم السمعاني، وذكره في كتاب «الذيل»، توفي سنة ٥٤٨هـ - ١١٥٣م، ينظر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧١م: ٤ / ٢٧٣، والأعلام للزركلي: ٦ / ٢١٥.

(٤) سورة الأعلى، الآيتان: ٩. ١٠.

بالملكوت عليه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١) عرفت الأشياء بربي، وما عرفت ربي بالأشياء»^(٢)، ومعنى ذلك أن الإنسان قد عرف ربه تعالى من خلال آثاره ومخلوقاته في الكون الفسيح^(٣)، وتظهر أهمية الفطرة أيضاً في أنها موافقة للعقل الإنساني فلا يوجد بينهما تناقض^(٤).

ويشير إلى ذلك صاحب المنار حيث يقول «ومعنى كون الإسلام دين الفطرة؛ لأنه شرع لتكميل استعداد البشر للرفي في العلم والحكمة، ومعرفة الله (ﷻ) المعدة إياهم لسعادة الآخرة، فليس فيه شيء يصادمها، فهذا الدين التعلّيمي حَاجَةٌ مِنْ حَاجَاتِ الْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ لَا يَتِمُّ كَمَالُهَا التَّوَعُّيُّ بِدُونِهِ، فَهُوَ لِنَوْعِ الْإِنْسَانِ كَالْعَقْلِ لِأَفْرَادِهِ»^(٥).

ومن خلال ذلك يتبين أن أهمية الفطرة تظهر بوضوح وذلك إذا عرف الإنسان أن دين الإسلام، ما شرعه الله تعالى لعباده إلا من أجل سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة وذلك عندما يحافظ الإنسان على فطرته، وكذلك العهد أو الميثاق الذي أخذه

(١) سورة فصلت، من الآية: ٥٣.

(٢) ينظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، للإمام / عبد الكريم الشهرستاني، حرّره وصححه: ألفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ٢٢١.

(٣) والدليل على ذلك من سورة الروم قول الله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُعْجَى الْمَوْثُوتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الروم: ٥٠] ورغم أن هذه الآية تتحدث عن البعث إلا أنني سأفصل ذلك في الفصل الثالث من الرسالة بإذن الله تعالى.

(٤) التناقض وهو اختلاف قضيتين بالإيجاب والسلب بحيث يقتضي لذاته صدق إحداها وكذب الأخرى، مثل كل حديد معدن، وبعض الحديد ليس معدنًا، والأولى منهما صادقة، والثانية كاذبة، ولا يجوز أن يصدق معا، وإلا لزم اجتماع النقيضين وهو باطل، ولا يجوز أن يكذبا معا، وإلا لزم ارتقاع النقيضين، وهو باطل فبقى أن إحداها صادقة والأخرى كاذبة، ينظر: المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، د/عوض الله جاد حجازي، دار الطباعة المحمدية بالأزهر . القاهرة . الطبعة الرابعة، ص ١١٩.

(٥) ينظر: تفسير المنار، باب ٢: ١١ / ٢٠١.

الله عليه، وهو في عالم الذر، في الإعراف به وعدم الإشراك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعلى هذا فالدين الإسلامي من أيسر الأديان ولذلك تكمن أهميته في احتياج الإنسان إليه، وذلك باعتباره حاجة من حاجات النوع الإنساني، فلا تكتمل سعادة المرء إلا به وذلك عن طريق إتباع الفطرة التي خلقه الله عليها؛ لأنه هو القائل: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(١).

وجه الدلالة في قوله تعالى ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(٢):

أما المعنى العجيب الجديد فهو المتمثل في الجملة المتمثلة في قوله تعالى ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(٣)، يقول الفخر الرازي في بيان وجه الدلالة من الآية السابقة: «أي الوجدانية مترسخة فيهم لا تغير لها حتى إن سألتهم من خلق السموات والأرض يقولون الله، لكن الإيمان الفطري غير كاف، ويحتمل أن يقال خلق الله الخلق لعبادته، وهم كلهم عبيده لا تبديل لخلق الله أي ليس كونهم عبيدًا مثل كون المملوك عبدًا لإنسان، فإنه ينتقل عنه إلى غيره ويخرج عن ملكه بالعتق بل لا خروج للخلق عن العباداة والعبودية، وهذا لبيان فساد قول من يقول العباداة لتحصيل الكمال والعبد يكمل بالعبادة فلا يبقى عليه تكليف، وقول المشركين: إن الناقص لا يصلح لعبادة الله، وإنما الإنسان عبد الكواكب، والكواكب عبيد الله، وقول النصارى إن عيسى كان يحل الله فيه وصار إلهًا، فقال: لا تبديل لخلق الله بل كلهم عبيد لا خروج لهم عن

(١) سورة الروم، جزء من الآية: ٣٠.

(٢) سورة الروم، جزء من الآية: ٣٠.

(٣) التبديل هو التغيير، يقال: أبدلت الشيء بالشيء إذا بدلت عينا بعين، ينظر: معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، باب الإبدال والتبديل: ١/١١٣.

ذلك»^(١).

فلا يستطيع أحد أن يغير هذا الخلق عما جُبلوا عليه، ومعنى لا تبديل لخلق الله كما يقول الشيخ رشيد رضا «أنها لا تتبدل ولا تتحول، كما قال الله في كتابه الذي ختم به الوحي، على لسان نبيه الذي ختم به النبيين، فانتهى بذلك زمن المعجزات،^(٢) ودخل الإنسان بدين الإسلام في سن الرشد، فلم تعد مدهشات الخوارق^(٣) هي الجاذبة له إلى الإيمان وتقويم ما يعرض للفطرة من الميل عن الاعتدال في الفكر، والأخلاق، والأعمال، كما كان في سن الطفولية (النوعية) بل أرشده - تعالى -

(١) يراجع: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي: ٢٥ / ٩٩.

(٢) المعجزات جمع معجزة والمعجزة اللغة: الآية التي لا يطيقها الا الأنبياء، وفي الشرع أمر خارق للعادة من ترك، أو فعل مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة، وإنما أخذ أحد الأمرين؛ لأن المعجزة كما تكون إتيانا بغير المعتاد، كذلك قد تكون منعا عن المعتاد، مثل أن يمسك عن القوت مدة غير معتادة مع حفظ الصحة والحياة، والتحدي هو طلب المعارضة في شاهد دعواه من النبوة، فلا بد أن يكون الخارق موافقا للدعوى إذ لا شهادة بدون الموافقة فخرج الدهانة كنطق الجماد بأنه مفتر كذاب لأنها لا تكون موافقة للدعوى، وكذا خرج الإرهاص والكرامة لعدم اقترانهما بالدعوى، وأما قولهم كرامة الولي معجزة لنبيه مع عدم كونها مقرونا بالدعوى فمبني على التشبيه لا على أنها معجزة حقيقة، إذ يشترط في المعجزة أن تكون ظاهرة على يد مدعي النبوة، ينظر: معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، باب: مفعول: ١ / ٢٩٥، وينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د/ رفيق العجم، تحقيق: د/ علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د/ عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د/ جورج زيناني، : مكتبة لبنان ناشرون - بيروت . الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م: ١٥ / ١٥٧٥.

(٣) الخارق: يقال سيف خارق قاطع و(عند المتكلمين) ما خالف العادة وهو معجز إن قارن التحدي، ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، باب الخاء: ١ / ٢٢٩.

بالوحي الأخير (القرآن) إلى استعمال عقله في تحصيل الإيمان بالله وبالوحي، ثم جعل له كل إرشادات الوحي مبينة معللة مدللة حتى في مقام الأدب، فإيماننا بما أيدَّ الله - تعالى - به الأنبياء من الآيات لجذب قلوب أقوامهم الذين لم ترتق عقولهم إلى فهم البرهان، لا ينافي كون ديننا هو دين العقل والفطرة، وكونه حتم علينا الإيمان بما يشهد له العيان، من أن سننه - تعالى - في الخلق لا تبديل لها ولا تحويل^(١) ويقصد بزمان المعجزات أن يرتبط الأمر المعجز بظهوره مقترباً بدعوى إدعاء النبوة أي أن الأمر المعجز يكون مصاحباً لدعوى النبوة في الآن والحال، وألا يظهر الأمر المعجز في زمن خرق العادات وهو قرب يوم القيامة وظهور أشراتها وأما الفطرة فيجب أن تكون متناسبة مع دعوة الأنبياء والرسول؛ لأنهم ما جاءوا إلا لتصحيحها.

كما يشير الإمام البيضاوي في بيان هذه الدليل السابق فيقول: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ لا يقدر أحد أن يغيره، أو ما ينبغي أن يغير، ذلك إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له^(٢). ومن هنا فالدين الإسلامي أوجب على الإنسان أن يقصد به وجه الله تعالى فلا يُغيره وما ينبغي أن تبدل تلك الفطرة، أو تغير؛ لأنها ثابتة في جبهة كل إنسان كما ذكر النبي ﷺ في حديثه.

ويقول الإمام الألوسي^(٣) في معنى (التبديل) ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ «تعليل

(٢) يراجع: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، باب ٥٠: ١ / ٢٦١.

(٢) يراجع: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي: ٤ / ٢٠٦.

(٥) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهداً. تقلد الإفتاء ببغداد سنة ١٢٤٨ هـ وعزل، فانقطع للعلم. ثم سافر (سنة ١٢٦٢ هـ) إلى الموصل، فالأستانة، ومرت بماردين وسواس، فغاب ٢١ شهراً وأكرمه السلطان عبد المجيد. وعاد إلى بغداد يدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر إلى أن توفي. من كتبه (روح المعاني في التفسير، تسع مجلدات كبيرة، و(نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول - رحلته إلى =

للأمر بلزوم فطرته تعالى، أو لوجوب الامتثال به، فالمراد بخلق الله فطرته المذكورة أولاً، ففيه إقامة المظهر مقام المضمّر من غير لفظه السابق، والمعنى لا صحة ولا استقامة لتبديل فطرة الله تعالى بالإخلال بموجبها، وعدم ترتيب مقتضاها عليها باتّباع الهوى، وقبول وسوسة الشياطين»^(١)، ومن هنا لا ينبغي للإنسان أن يتبع هواه فيغير فطرة الله التي خلق عليها.

يقول الشيخ / رشيد رضا: «والدين الفطري الذي هو من خلق الله وآثار قدرته ليس هو مجموع الأحكام التي جاء بها الرسل عليهم السلام، فإن هذه الأحكام من كلام الله الذي أوحاه إليهم ليبلغوه ويبينوه للناس، لا مما خلقه في أنفس الناس وفطرهم عليه، وقد بيّنا الدين الفطري في غير هذا الموضع، ومعنى كون الإسلام دين الفطرة، وحديث «كل مولود يولد على الفطرة»^(٢)، وكون الإنسان فطر على طلب الحق، والاستدلال، والأخذ بما يظهر له بالدليل أنه الحق أو الخير، إن لم يكن ظاهراً بالبداهة، ومن أصول الدين وأساسه الفطرية العبودية للسلطة الغيبية التي تنتهي إليها الأسباب، وتقف دون اكتناه حقيقتها العقول، أي: لمصدر هذه السلطة والتصرف في الكائنات كلها وهو الله (ﷻ)، وكان أكبر وأشدّ مفسدات الفطرة حصر تلك السلطة العليا في بعض المخلوقات التي يستكبرها الإنسان، ويعيا في فهم حقيقتها بادي الرأي، وإن كان فهمها وعلمها ممكناً في نفسه لو جاءه طالبه من طريقه، وهذا هو أصل الشرك»^(٣).

= الأستاذة، و(نشوة المدام في العود إلى دار السلام، توفي سنة ١٢٧٠هـ، ١٨٥٤م، ينظر: الأعلام للزركلي: ١٧٦/٧.

(١) يراجع: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ: ١١ / ٤١.

(١) الحديث قد سبق تخريجه في ص ١٣.

(٣) يراجع: تفسير المنار، للشيخ / رشيد رضا، باب ١١٩، ٥ / ٣٥٠ بتصرف.

ومن هنا تظهر قمة العظمة في هذين الحرفين (لا تبديل) فلا تبديل لفطرة الإنسان، قال الأستاذ/ محمد الغمراوي: «فالجبال والجمال والكمال كله يتمثل في هذين الحرفين، فما خلق الله إنما خلقه على سنن كاملة لا تبديل لها ولا تحويل، فليس في الوجود قدرة غير قدرة الله تتحكم فيه، وإرادة الله التي شاءت للكون أن يكون، فكان على مقتضى حكمته ورحمته، لا تتغير أو تتبدل بتغير الأزمان، كما تقول الأديان الأخرى غير الإسلام.

والعلم الحديث يقوم وجوده رغم الفلسفة وشكوكها على هذا القانون الإلهي، قانون ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ إذ العلم وطريقته النظرية العلمية التجريبية متوقفة على اتساق الفطرة، واتصاف سننها بالاطراد والثبوت»^(١).

ومما سبق نرى أن الفطرة التي أوجدها الله تعالى في الغرائز الإنسانية، لا تبديل لها ولا تغيير، وذلك لأن القدرة الإلهية، وكذا الإرادة الربانية، هما اللتان تتحكمان فيها، فلا دخل للقوانين ولا النظريات العلمية فيها أيضاً، بل كل القوانين والنظريات العلمية متوقفة على اتساق^(٢) الفطرة الإلهية التي خلقها الله، وأضافها إلى نفسه، فهي ثابتة وليس لها علاقة بتغير الأزمان، كما تقول الأديان الوضعية^(٣) التي تحارب تلك الفطر

(١) ينظر: الإسلام في عصر العلم، تأليف الأستاذ/ محمد الغمراوي، دار الكتب الحديثة، مطبعة السعادة، بدون تاريخ، ص ٢٢. ٢٣ بتصرف.

(٢) الاتساق: الانتظام، و(أوسق) البعير حمله. فذكر النظام بعده مبني على تجريده، والمراد بالمتسق النظام في الفلكيات الشيء الذي يكون نظامه على نهج واحد، ينظر: دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ج ٣، ص ١٤٢، ومختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، باب (و س ق): ١ / ٣٣٨.

(٣) الأديان الوضعية المتعددة في الشرق؛ فالديانات الوضعية المتعددة وراءها نزعة الخوف الناشئة من عدم تعقل الوجود. فالإفراط في المظهر التقديسي للأشياء مظهر من مظاهر الخوف. =

من حين لآخر.

العلاقة بين الإسلام والفطرة:

إذا كانت الفطرة معناها الإسلام، أو التوحيد الخالص، فتجد أنَّ هناك علاقة وطيدة بين الإسلام والفطرة وهذه العلاقة نسميها علاقة لزومية أي (لازم وملزوم)^(١)، فالله سُبحانَهُ وتعالى يقول: ﴿فَأَقْوَصْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

يقول الأستاذ / محمد الغمراوي: وذلك الوصف على حسنه مقصر، كما ترى عن مدلول الآية من وجهين:

الوجه الأول: أن الفطرة أولاً مضافة في الآية إلى الله فاطرها سبحانه، وفي هذا ما فيه من تشريفها، وتوكيد تمامها وكمالها، تمام الدين المعبر بها عنه وكمالها. وهذا يعني أن الفطرة لها من الكمال والتمام ما لها، وذلك لإضافتها إلى الله تعالى في الآية الكريمة.

= والتوسع في مفهوم المقدس: فيه راحة لوجدان الشرقي، وإلغاء لعقله وإلا فلماذا توسع في المقدس وهو يعلم أن التوسع ليس من مصلحة العقل، لذلك نقول -ومن غير إفراط- فيما نقول: إن الشرقي عندما يعجز عن فهم الشيء يخافه، ثم لا ينصرف عنه حتى يخلع عليه أثرا من آثاره النفسية، وهو التقديس، ومن خلال نزعة الخوف الكامنة في نفسه من الوجود تسهل قيادته، كذلك يتميز الشرقي بالإسراف في فهم ذاته، وذلك من خلال نصوص مقدساته فلا يكف عن نجوى ذاته بها، يراجع: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، محمد إبراهيم الفيومي، دار الفكر العربي، الطبعة: الرابعة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م: ١ / ٢٢.

(١) اللازم: ما يمتنع انفكاكه عن الشيء. والملزوم هو: كون الشيء مقتضياً للآخر في الذهن، أي متى ثبت تصور الملزوم في الذهن ثبت تصور اللازم فيه، كلزوم البصر للعمى، فإنه كلما ثبت تصور العمى في الذهن ثبت تصور البصر فيه، يراجع: التعريفات، للجرجاني: ص ١٩٠، ٢٣٠.

(٢) سورة الروم، آية: ٣٠.

الوجه الثاني: أنه لا بد من تطبيق هذه الفطرة في حياة الإنسان، فالفطرة التي فطر الناس عليها، والإسلام وإن شمل علاقة الإنسان بالكون كله، وبالفطرة على إطلاقها، بدلالة الآيات الكثيرة في القرآن الكريم، إلا أنه كدين يتعلق بفطرة الإنسان نفسه، وبالسنن التي فطر الناس عليها^(١)، وأتى لا راحة ولا سعادة له إلا في تحقيقها، وتطبيقها كاملة غير منقوصة..»^(٢).

والمعنى أنه لا سعادة للإنسان إلا بتطبيق الفطرة في حياته، وذلك بإتباعه تلك السنن في حياته، وبهذا يحظى الإنسان بالسعادة في الدنيا والآخرة.

ارتباط دليل الفطرة بالإنسان:

أما عن دليل الفطرة فهو مرتبط تمام الارتباط بالإنسان منذ أن كان الإنسان في

(١) سنن الفطرة المشار إليها في هذا الحديث وهو: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس من الفطرة: الاستحداد، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط وتقليم الأظفار»، رواه الجماعة، ينظر: نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحقيق: عصام الدين الصبابي، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ج، ص ١٤١ «ومها ما رواه البخاري» عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت النبي ﷺ يقول: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الأبباط» أخرجه البخاري، باب: تقليم الأظفار، ج ٧، ص ١٦٠ رقم الحديث (٥٨٩١)، ومنها عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رهبة ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت مت على الفطرة فاجعلن آخر ما تقول» «فقلت أستذكرهن: وبرسولك الذي أرسلت. قال: لا، «وبنبيك الذي أرسلت» أخرجه البخاري، باب: إذا بات طاهراً وفضله، رقم الحديث (٦٣١١)، ج ٨، ص ٦٨

(٢) ينظر: الإسلام في عصر العلم، تأليف المرحوم الاستاذ الكبير، محمد الغمراوي، دار الكتب الحديثة مطبعة السعادة، بدون تاريخ، ص ٢١ بتصرف.

عالم (الذَرَّ)، ثم بعد وجوده بالفعل في هذه الحياة، بدأ يتعرف على الله تعالى، ويسأل نفسه من الذي خلقه؟ ومن الذي أوجده من العدم، ومما يؤكد أن هذا الدليل مرتبط بالإنسان شهادة الخلق على أنفسهم بالفطرة وهم في عالم الذَرَّ، يقول الدكتور / عبد العزيز الدبور: «وإذا كان الله تعالى قد فطر خلقه على معرفته، فإنه سبحانه قد أشهد جميع الخلق على أنفسهم، وقررهم بهذه المعرفة، منذ أن كانوا في عالم الذر (١)».

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (٢)، فلذلك ليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن ربه الله، ولا مشرك إلا وهو يقول: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ (٣)، فلذلك قول الله (ﷻ): ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ (٤) الآية، وذلك حين يقول: ﴿وَلَهُوَ أَسْمَرُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوَّعًا وَكَرْهًا﴾ (٥) وذلك حين يقول: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٦) قال: يعني يوم أخذ عليهم الميثاق (٧).

يقول الخازن في بيان هذه الآية: «إن الله سبحانه وتعالى قال لهم جميعاً، اعلموا أنه لا إله لكم غيري، وأنا ربكم لا رب لكم غيري، فلا تشركوا بي شيئاً، فإني سأنتقم ممن أشرك بي، ولم يؤمن بي، وإني مرسل إليكم رسلاً يذكرونكم عهدي، وميثاقي ومنزل

(١) ينظر: د/عبد العزيز الدبور، دراسات في العقيدة الإسلامية، الطبعة الأولى - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ص ١٣٤.

(٢) سورة الأعراف الآية: (١٧٢).

(٣) سورة الزخرف من الآية: (٢٢).

(٤) سورة الأعراف الآية (١٧٢).

(٥) سورة آل عمران من الآية (٨٣).

(٦) سورة الأنعام الآية: (١٤٩).

(٧) ينظر: أحكام أهل الذمة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية:

رمادي للنشر - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ - ١٩٩٧ م، ٢ / ٩٩٦.

عليكم كتبًا فتكلموا جميعًا، وقالوا شهدنا أنك ربنا لا رب لنا غيرك، فأخذ بذلك مواثيقهم، ثم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم فنظر إليهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فرأى منهم الغني والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: رب هلا سويت بينهم، فقال: إني أحب أن أشكر، فلما قرره بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعاده إلى صلبه، فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق^(١) ومن خلال النص السابق أرى أن الله تعالى لا تضره معصية العباد ولا تنفعه طاعتهم وهذا النص السابق فيه نظر.. فتدبر، ومن هنا فإن الله تعالى قد أخذ عليهم الميثاق وهم في عالم الذر وأقروا بوحدانيته وربوبيته، واعترفهم بعقولهم أن كل حادث لابد له من محدث، وهذا معنى أن فوق العوالم الممكنة سلطاناً أعلى.

وإلى هذا يقول الشيخ / رشيد رضا: «فخلقهم الله على فطرة الإسلام، وأودع في أنفسهم غريزة الإيمان، وجعل من مدارك عقولهم الضرورية أن كل فعل لا بد له من فاعل، وكل حادث لا بد له من محدث، وأن فوق العوالم الممكنة القائمة على سنة الأسباب والمسببات، والعلل والمعلولات، سلطاناً أعلى على جميع الكائنات، هو الأول والآخر هو المستحق للعبادة وحده»^(٢).

ما الحكمة في هذا الإيجاد في عالم الذر؟

وتظهر الحكمة في أن الله تعالى أوجدنا في عالم الذر، وذلك لأخذ العهد علينا بالإيمان به وعدم الإشراك به، فحكمته سبحانه تظهر في أخذ الميثاق عليهم، هذا الميثاق لا يذكره بنو آدم في دار الدنيا، وإنما أخذه الله، لئلا تدعى الغفلة عن الربوبية يوم القيامة، كما صرحت به الآية.

فلقد اقتضت حكمة الله أن ينسي العباد ذلك العهد في هذه الدار، ويخلفه بالأدلة الدالة على مثله حتى كأنهم مخاطبون بذلك الخطاب في كل آن، ثم قد صار مذكوراً

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن: ٢ / ٢٦٧.

(٢) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، للشيخ / رشيد رضا، باب ١٧١، : ٩ / ٣٢٥.

الآن بإخبار الله تعالى لنا، وإخبار رسوله ﷺ، فيذكرون العهد يوم القيامة، كما يذكرون دقيق أعمالهم وجليلها مع نسيانهم الآن لأكثرها، كما قال تعالى ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾^(١).

فيذكر هذا العهد وهذا العهد أقر كل بني آدم أن الله خالقه وخالق السموات، ومنزل الغيث ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِهِمْ يَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٢)، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَقُولُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾^(٣)، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ نَّزْلِ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَالْحَيَاءِ الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ مَوْنَهَا يَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٤)، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾^(٥).

وهذه هي فطرة الله التي فطر الناس عليها^(٦) والفطرة السليمة، التي لم تتلوث ببراشن الشرك والتي دائماً وأبداً تستعين بالله في السراء والضراء، وفي الغنى والفقر، وفي كل الأحوال تتجه إلى خالقها وبارئها؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده بيده مقاليد الأمور.

يقول الشهرستاني: «يعتبر أوضح الأدلة على وجود الله هو دليل الفطرة، وذلك لما يلي:

(١) سورة الإنفطار: الآية: (٥).

(٢) سورة الزخرف: من الآية (٨٧).

(٣) سورة الزخرف: الآية (٩).

(٤) سورة العنكبوت: الآية (٦٣).

(٥) سورة يونس: من الآية: ٣١.

(٦) ينظر: التَّحْبِيرُ لِإِيضَاحِ مَعَانِي التَّيْسِيرِ: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، مَكْتَبَةُ الرُّشْد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، باب: سورة الأعراف، ٢ / ١٤٠، وما بعدها بتصرف يسير.

أولاً: شهادة الفطرة السليمة بضرورة فطرتها، وبديهية فكرتها على صانع حكيم عالم قدير هو منتهى الحاجات.

ثانياً: الفطرة السليمة ترغب إلى الله، ولا تستغني عنه أبداً، فيرغب إليه ولا يرغب عنه، ويستغني به ولا يستغني عنه، ويتوجه إليه ولا يعرض عنه، ويفزع إليه في الشدائد والمهمات، فإن احتياج نفسه أوضح له من احتياج الممكن الخارج إلى الواجب والحادث إلى المحدث.

ثالثاً: الفطرة السليمة تتعرف عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من خلال النظر في الآفاق والأنفس، وعن هذا كانت تعريفات الخلق سبحانه في التنزيل على هذا المنهاج ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾، ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)، والرسول مبعثون لتذكير وضع الفطرة، وتطهيرها عن تسويل الشيطان فإنهم الباقون على أصل الفطرة فقال: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّبَعْتَ الذِّكْرَى ۝ سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْشَى﴾^(٢)، ومن رحل إلى الله قربت مسافته، حيث رجع إلى نفسه أدنى رجوع فعرف احتياجه إليه في تكوينه وبقائه، وتقلبه في أحواله وأنحائه^(٣).

موقفات الفطرة كما تصورها سورة الروم:

لقد احتوت سورة الروم على آيات تشير إلى ما يسمى (بموقفات الفطرة)، ومعناها ظهور الفطرة عند الوقوع في الشدائد في صورة التجاء إلى الله وحده، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾^(٤)، وقوله ﴿وَإِذَا آذَيْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ لِّمَا قَدَّمَتْ

(١) سورة النمل: الآيات: (٦٢-٦٤).

(٢) سورة الأعلى: الآيتان ٩-١٠.

(٣) ينظر: نهاية الإقدام، الشهرستاني: ٤٢.

(٤) سورة الروم، الآية: ٣٣.

أَيَّدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿١﴾.

المعنى الإجمالي في هاتين الآيتين:

إن النفس البشرية تحب الخير وتقترب منه وتكره الشر وتفر منه؛ لأنها جبلت على حب المنفعة والمصلحة، حتى إذا ما وقعت في كرب، أو ضر، أو مرض فإنها تستيقظ عندئذ، وفي هذه الحالة تتكشف عنها الحجب، وتفر إلى الله الذي خلقها.

المعنى التفصيلي في هذا الدليل عند العلماء:

يقول ابن عطية في الدليل الأول، وهو قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِمَّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾^(١): «هذا ابتداء إنحاء على عبدة الأصنام المشركين بالله (ﷻ) غيره، بين الله تعالى لهم أنهم كسائر البشر في أنهم إذا مسهم ضرٌّ دَعَوْا الله وتركوا الأصنام مطرحة ولهم في ذلك الوقت إنابة وخضوع»^(٢).

كما يشير القاسمي في بيان هذا الدليل فيقول: «﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ﴾ أي شدة، دعوا ربهم منيبين إليه: أي راجعين إليه وحده دون شركائهم، ثم إذا أذاهم منه رحمة: أي خلاصاً من تلك الشدة، إذا فريق منهم بربهم يشركون، ليكفروا بما آتيناهم: أي بالسبب الذي آتيناهم الرحمة من أجله، وإذا أذقنا الناس رحمة: أي نعمة من صحة وسعة، فرحوا بها: أي بطراً وفخراً، لا حمداً وشكراً، وإن تصبهم سيئة: أي شدة بما قدمت أيديهم: أي من المعاصي والآثام، إذا هم يقنطون: أي ييأسون من روح الله»^(٣).

(١) سورة الروم، من الآية: ٣٦.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٣.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد: ٤ / ٣٣٧.

(٤) ينظر: محاسن التأول، للقاسمي: ٨ / ١٥.

ثم يوضح الفخر الرازي معنى هذا الدليل مبيناً أن الناس يلجأون إلى الله تعالى عند وقوع الخطر، وهذا هو دأبهم «لما بين التوحيد بالدليل وبالمثل، بين أن لهم حالة يعرفون بها، وإن كانوا ينكرونها في وقت وهي حالة الشدة، فإن عند انقطاع رجائه عن الكل يرجع إلى الله، ويجد نفسه محتاجة إلى شيء ليس كهذه الأشياء، طالبة به النجاة، ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون، يعني إذا خلصناه يشرك بربه، ويقول تخلصت بسبب اتصال الكوكب الفلاني بفلان، وبسبب الصنم الفلاني، لا.. بل ينبغي أن لا يعتقد أنه تخلص بسبب فلان إذا كان ظاهراً فإنه شرك خفي، مثاله رجل في بحر أدركه الغرق فيهيئ له لوحاً يسوقه إليه ريح فيتعلق به وينجو، وهذا هو دأبهم فيقول: تخلصت بلوح، أو رجل أقبل عليه سبع فيرسل الله إليه رجلاً فيعيّنه، فيقول خلصني زيد، فهذا إذا كان عن اعتقاد فهو شرك خفي، وإن كان بمعنى أن الله خلصني على يد زيد فهو أخفى»^(١).

ويقول أبو البركات النسفي في معنى هذا الدليل: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾^(٢)، أي شدة من هزال أو مرض، أو قحط، أو غير ذلك ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾ أي خلاصاً من الشدة ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ في العبادة، وفي قوله تعالى ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾^(٣) ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا﴾ أي نعمة من مطر، أو سعة، أو صحة ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾ بطروا بسببها، ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي بلاء من جذب، أو ضيق، أو مرض، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب شؤم معاصيهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ من الرحمة^(٤).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: ٢٥ / ١٠٠.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٣.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٦.

(٤) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٧٠٠/٢ - ٧٠١.

ويقول أبو منصور الماتريدي^(١) في هذا الدليل: «وأصل الإنابة: الرجوع، أي: راجعين إليه عما كانوا فيه من الشرك؛ فالإنابة هي التوحيد، وإن كان الإنابة الإخلاص، فهو رجوع عن الإشراك في العبادة، وإن كان عن العصيان فهو الطاعة، وأصله: الرجوع عما كانوا فيه؛ ففيه وجوه من الاحتجاج على أولئك، وتنبية وعظة للمؤمنين. أما الاحتجاج عليهم: فإنه معلوم؛ لأنهم كانوا لا يركبون السفن والبحار مع المؤمنين، ولكن كانوا يركبون بأنفسهم، ثم أخبر عما أخلصوا له والدعاء له والتضرع، دل أنه بالله عرف ذلك؛ فذلك يدل على رسالته.

والثاني: فيه دلالة أنهم قد عرفوا وحدانية الله وألوهيته، حيث فزعوا عند الشدائد والبلايا إلى الله، وأخلصوا له الدين، ثبت أنهم قد عرفوا سفه أنفسهم في عبادتهم الأصنام وتركهم عبادة الله، تعالى.

والثالث: تصديقاً لقوله ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَانُهَا عَنْهُمْ﴾^(٢)؛ لأنهم كانوا يسألون الرد إلى الدنيا ليؤمنوا به، كقولهم: ﴿يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكْذَبُ بِعَايَتِ رَبِّنَا﴾^(٣)، فأخبر أنهم يعودون إلى ما كانوا؛ كما عادوا إذا كشف عنهم الضر^(٤).

(١) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي: من أئمة علماء الكلام. نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند) من كتبه (التوحيد) و(أوهام المعتزلة) و(الرد على القرامطة) و(مآخذ الشرائع) في أصول الفقه، وكتاب (الجدل) و(تأويلات القرآن) و(تأويلات أهل السنة الأول منه، و) شرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة. مات بسمرقند توفي سنة ٣٣٣هـ، ٩٤٤م، ينظر الأعلام: ١٩/٧

(٢) سورة الأنعام، من الآية: ٢٨.

(٣) سورة الأنعام، من الآية: ٢٧.

(٤) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م، ٨ / ٢٧٤ وما بعدها.

وقال الإمام البيضاوي^(١) في بيان هذا الدليل: «وإذا مس الناس ضر: شدة، دعوا ربهم، منيبين إليه: راجعين إليه من دعاء غيره، ثم إذا أذاقهم منه رحمة: خلاصًا من تلك الشدة. إذا فريق منهم بربهم يشركون: فاجأ فريق منهم بالإشراك بربهم الذي عافاهم»^(٢).

وبعد عرض أقوال العلماء سابقى الذكر في بيان هذه الآيات التي تشير إلى أن الإنسان إذا أصيب بمصيبة، فإنه يلجأ إلى الله تعالى وهذا اللجوء يسمى (ببقطة الفطرة) وفي هذه الحالة: تجد الإنسان لا يذكر في شدته هذه إلا خالقه تعالى؛ لأنه تعالى هو الذي ينقله من مرضه هذا، إلى صحة وعافية ومن حالة الضراء إلى حالة السراء التي يرجوها من الله وحده دون غيره.

يقول الدكتور/ عبد العزيز الدبور: «إن الشعور الفطري قد يختفي في ساعات العافية، والغنى الذي يطغي الإنسان، فإذا نزل بالإنسان شدائد قاهرة، ولا يرى فيما يقع عليه حسه طريقًا للخلاص منها، وتعصف به الكروب، ذاب الطلاء الكاذب الذي غشى الفطرة الأصلية، ورجع الإنسان إلى ربه ضارعًا داعيًا، منيبًا إليه، مستجدًا به، فالذي يعبد الصنم أو الوثن.. ساعة الشدة والخطر لم يتجه بتضرعه واستغاثته إلى الصنم أو الوثن، بل يتجه إلى الله ربه ورب كل شيء»^(٣) ومن هنا فإن الفطرة تسيقظ

(١) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (بفارس -قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها. من تصانيفه «أنوار التنزيل وأسرار التأويل - «يعرف بتفسير البيضاوي، و«طوالع الأنوار - «في التوحيد، توفي سنة ٦٨٥هـ - ١٢٨٦ م، ينظر: الأعلام للزركلي: ١١٠/٤.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ: ٤ / ٢٠٧.

(٣) ينظر: د/ عبد العزيز الدبور، دراسات في العقيدة الإسلامية، الإلهيات: ١٤٤.

عند الشدائد والمحن وتعود إلى بارئها وخالقها والدليل على ذلك ما حدث لفرعون وقت غرقه ولمن في عرض البحار وتعرض إلى شدة وذلك مفصلاً في معظم آيات القرآن.

يقول ابن تيمية ^(١) «فإن الفطرة السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها، وبديهة فكرتها - على صانع حكيم، قادر عليم ^(٢) أفي الله شك، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ^(٣)، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ ^(٤) قال: وإن هم غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء، فلا شك أنهم يلوذون إليها في حال الضراء: ﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ^(٥)، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ﴾ ^(٦)».

وهكذا فإن دليل الفطرة من أقوى الأدلة على وجود الله، لا سيما وقد وردت آيات

(١) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام، ولد في حران، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها، فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية، ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان، وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء، واستدل وبرع في العلم والتفسير، توفي سنة ٧٢٨ هـ - ١٣٢٨ م، ينظر: الأعلام للزركلي: ١ / ١٤٤.

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين ابو العباس بن عبد الحليم بن الصلاح بن محمد بن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م: ٢ / ٣٩٧، ٣٩٨.

(٣) سورة الزخرف: من الآية (٨٧).

(٤) سورة الزخرف: من الآية (٩).

(٥) سورة العنكبوت: من الآية (٦٥).

(٦) سورة الإسراء: من الآية (٦٧).

كثيرة في كتاب الله تعالى، وكذا أحاديث كثيرة تؤكد دليل الفطرة، وورد الحديث عن هذا الدليل في سورة الروم والتي هي محور الرسالة.

حيث إن هذا الدليل يؤكد أن الإقرار بوجود الله أمر مركوز في الفطرة، بحيث يستحيل اجتثاثها، مهما بُذل من جهود، وإنما كل الذي يجري عليها هو تحريفها عن مسارها، ولو تركت الفطرة على سجيته وأصالتها لاتجهت إلى خالقها ورزقها؛ لأن الغريزة في الإنسان تشهد بذلك، وهذا الدليل يرتبط تمام الارتباط بالدليل الذي يليه، ألا وهو دليل الحدوث في تحديد الغاية، الهدف الأسمى من القضية وهو إثبات وجود الله عند بلوغ الإنسان سن الرشد واستعمال عقله وهذه هي المرحلة الثالثة بعد الفطرة وقبلها آية الميثاق كما سبق ذكره.

الدليل الثاني: من أدلة وجود الله من خلال سورة الروم: (دليل الحدوث):

ويمكن أن نصوغ هذا الدليل صياغة منطقية في استدلال من الشكل الأول فنقول: العالم حادث؛ لأنه متغير، هذه مقدمة صغرى بديهية لا تحتاج إلى دليل، وكل متغير لا بد له من محدث مقدمة كبرى نظرية تحتاج إلى دليل، فالنتيجة العالم يحتاج إلى محدث، وهذا المحدث هو الله تعالى، وهذا كما يعرف عند المناطقة قياس من الشكل الأول، وهو ما كان الحد الاوسط فيه محمولاً في الصغرى، موضوعاً في الكبرى^(١).

معنى الحدوث في اللغة: (الحادث) ما يجّد، ويحدث وضد القديم^(٢).

(١) الشكل الأول: إن كان الحد الاوسط فيه، محمولاً في الصغرى، وموضوعاً في الكبرى نحو كل ج ب، وكل ب أ، والشكل الثاني: إن كان الحد الاوسط محمولاً فيهما نحو كل ج ب، وكل أ ب، والشكل الثالث إن كان موضوعاً فيهما نحو كل ج ب، وكل ج د، والشكل الرابع إن كان الحد الأوسط موضوعاً في الصغرى محمولاً في الكبرى نحو ك ب ج، وكل (ا ب)، ينظر: المطلع شرح إيساغوجي، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، دار الطباعة العامة ببولاق ١٢٨٢هـ: ١ / ٢٠.

(٢) ينظر: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مادة (حدث): ١٣٨.

وفي الاصطلاح:

كما يقول الإيجي صاحب المواقف^(١): «الممكن ما لا يجب وجوده ولا عدمه، أو ما لا يمتنع وجوده ولا عدمه»^(٢).

ويعرفه الشيخ سعد الدين التفتازاني^(٣)، فيقول «الحدوث هو: المسبوقية بالغير ويسمى ذاتياً»^(٤)، ويقول: السيد الشريف الجرجاني: «الحادث هو ما يكون مسبوقاً بالعدم، ويسمى: حدوثاً زمانياً، وقد يعبر عن الحدوث بالحاجة إلى الغير، ويسمى: حدوثاً ذاتياً»^(٥).

وعلى هذا فإن العالم وما فيه محتاج لمن يوجده من العدم إلى الوجود، وهذا

(١) هو: عبد الرحمن بن أحمد ابن عبد الغفار القاضي عضد الدين الإيجي، ولد بایج من نواحي شیراز بعد السبعمئة وأخذ عن مشايخ عصره ولزم الشيخ زين الدين الهنكي تلميذ الإمام البيضاوي، من تصانيفه المواقف في علم الكلام، والعقائد العضدية والرسالة العضدية في علم الوضع، وجواهر الكلام مختصر المواقف، وشرح مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه، والفوائد الغياثية في المعاني والبيان، توفي سنة ٧٥٦هـ، ١٣٥٥م، ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر آباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م: ١١٠/٣، والأعلام: ٢٩٥/٣.

(٢) ينظر: كتاب المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م: ٢ / ٣٢٦.

(٣) هو: مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتقازان. من بلاد خراسان، وأقام بسرخس، وأبعده تيمور لك إلى سمرقند، فتوفي فيها، ودفن في سرخس. كانت في لسانه لكمة. من كتبه تهذيب المنطق والمطول في البلاغة، والمختصر اختصر به شرح تلخيص المفتاح، ومقاصد الطالبين في الكلام، وشرح مقاصد الطالبين، توفي سنة ٧٩٣هـ ١٣٩٠م، ينظر: الأعلام: ٧ / ٢١٩.

(٤) ينظر: شرح المقاصد، للإمام مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني، تحقيق وتعليق د/عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب. بيروت. لبنان. ط. ٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، : ٧/٢.

(٥) ينظر: التعريفات، للجرجاني، باب الحاء: ١ / ٨١.

الاحتياج هو علة حدوثه فالعالم ممكن، وكما نعلم أن الممكن ما استوى طرفاه وجوداً وعدمًا، وما يطرأ عليه التغير فهو محدث، وهذا الحدث علامة واضحة على أن له محدثاً أحدثه من العدم إلى الوجود أو العكس وهذا المحدث هو الله تعالى.

ولقد حفلت سورة الروم بالكثير من الأدلة الواضحة لإثبات وجود الله تعالى ومن هذه الآيات آيات الخلق والإيجاد الواردة في السورة الكريمة، ومن هذه الآيات قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ٥٠ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ ٥١ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقُ السِّنِّكَمُ وَالْوَنِّكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ٥٢﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ كُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ٥٣﴾^(٢)، وقوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ٥٤﴾^(٣).

أقوال بعض العلماء في بيان هذه الأدلة السابقة:

يقول الإمام القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾^(٤) أي من علامات ربوبيته ووحدانيته أن خلقكم من تراب، أي خلق أباكم منه والفرع كالأصل»^(٥).

قال البيضاوي في معنى هذا الدليل ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ «ومن آياته أن خلقكم من تراب: أي في أصل الإنشاء؛ لأنه خلق أصلهم منه، ثم إذا أنتم

(١) سورة الروم: الآيات (٢٠-٢٢).

(٢) سورة الروم: آية ٤٠.

(٣) سورة الروم: آية ٥٤.

(٤) سورة الروم: آية ٢٠.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: ١٤ / ١٧.

بشر تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم بشرًا منتشرين في الأرض»^(١).

ثم يوضح الإمام النسفي في بيان هذا الدليل أن المراد من الخلق إنما هو علامة على قدرته تعالى، فيقول: «ومن آياته: ومن علامات ربوبيته وقدرته، أَنْ خَلَقَكُمْ: أي أباكُم مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ: أي آدم وذريته، تَنْتَشِرُونَ: تتصرفون فيما فيه معاشكم»^(٢).

ومن الآيات التي تشير إلى الإيجاد من العدم، ثم الانتقال من العدم إلى الوجود هي: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٣).

قال الزمخشري في هذا الدليل: «الذي خلقكم: أي الله هو فاعل هذه الأفعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها أحد غيره، ثم قال: هل من شركائكم الذين اتخذتموهم أندادا له من الأصنام وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك الأفعال، حتى يصح ما ذهبتم إليه، ثم استبعد حاله من حال شركائهم»^(٤).

ويقول الماتريدي في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُكُمْ شَيْئًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٥): «وقوله: الله الَّذِي خَلَقَكُمْ، ولم تكونوا شيئا، وأنتم تعلمون ذلك، ثُمَّ رَزَقَكُمْ، وأنتم تعلمون ذلك، أن لا يقدر الأرزاق لكم غيره، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ وأنتم تعلمون ألا يملك أحد غيره ذلك، فعلى ذلك يملك إحياءكم ولا يملك أحد ممن تعبدون دونه من الأصنام ذلك؛ فكيف تعبدون

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ٤ / ٢٠٤.

(٢) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٢ / ٦٩٥.

(٣) سورة الروم: آية ٤٠.

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد،

الزمخشري: ٣ / ٤٨٢.

(٥) سورة الروم: آية ٤٠.

دونه»^(١).

ومن هنا فإن الله تعالى هو القادر على الإيجاد وحده وهو الرزاق وهو المحيي وهو المميت فلا يستطيع أحد أن يفعل من ذلك شيئاً وبالتالي فهو المستحق للإلهوية وحده.

ومن الآيات التي تشير إلى دليل الحدوث من عدم إلى وجود، أو من ضعف إلى قوة، ومن قوة إلى ضعف كل هذه التغيرات، دليل على أن هناك قوة خفية لا تدرك هي التي غيرت حال الإنسان من حال إلى حال أي من قوة إلى ضعف، ومن ضعف إلى قوة، والآيات التي تشير إلى ذلك هي قول الله تعالى من سورة الروم ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٢).

قال الفخر الرازي في هذا الدليل: «لما أعاد من الدلائل التي مضت دليلاً من دلائل الآفاق، وهو قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾^(٣)، وذكر أحوال الريح من أوله إلى آخره أعاد دليلاً من دلائل الأنفس، وهو خلق الأدمي وذكر أحواله، فقال: خلقكم من ضعف أي ميناكم على الضعف، كما قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٤)، ومن هاهنا كما تكون في قول القائل فلان زين، فلاناً من فقره، وجعله غنياً أي من حالة فقره، ثم قال تعالى: ثم جعل من بعد ضعف قوة، فقوله من ضعف إشارة إلى حالة كان فيها جنيئاً وطفلاً مولوداً ورضيعاً ومفطوماً فهذه أحوال غاية الضعف، وقوله: ثم جعل من بعد ضعف قوة، إشارة إلى حالة بلوغه وانتقاله وشبابه واكتهاله، وقوله: ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير،

(١) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) أبو منصور الماتريدي: ٨ / ٢٨٢.

(٢) سورة الروم: آية ٥٤

(٣) سورة الروم: آية ٤٨

(٤) سورة الأنبياء من الآية: ٣٧

إشارة إلى ما يكون بعد الكهولة من ظهور النقصان، والشيبة هي تمام الضعف، ثم يبين بقوله يخلق ما يشاء أن هذا ليس طبعًا، بل هو بمشيئة الله تعالى»^(١).

كما يشير النسفي في بيان هذا الدليل، بقوله «﴿خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾»^(٢) يعني حال الشباب وبلوغ الأشد «﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾» يعني حال الشيخوخة والهرم «﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾» من ضعف وقوة وشباب وشيبة «﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾» بأحوالهم «﴿الْقَدِيرُ﴾» على تغييرهم وهذا الترديد في الأحوال أبين دليل على الصانع العليم القدير»^(٣).

فالتأمل في هذه الآيات السابقة يجد أنها تدل دلالة واضحة على وجود الله وتفرده بالخلق، والإيجاد، وما يستلزمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من صفات الكمال والجلال، كما تناولت في سياق الاستدلال على وجود الخالق، وتفرده بالخلق والتكوين، وتناولت الإنسان في خلقه، وخلق فكره - غرائزه، وفطرته، ولقد وردت كلمة (الخلق) في هذه السورة أكثر من مرة، دلالة على أن لهذا الخلق من خالق، وهذا الخالق قديم غير حادث؛ لأنه لو كان حادثًا، لكان مماثلًا للحوادث، لكنّه تعالى قديم قدمًا ذاتيًا^(٤) ويجب أن يعلم أن الله فوق الزمان والمكان والحركة، حيث إن الزمان هو عداد الحركة وتلك الأشياء مخلوقة بقدره متناهية وبعلم إلهي وإرادة حرة.

(١) يراجع: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي: ١١١/٢٥.

(٢) سورة الروم، من الآية: ٥٤.

(٣) يراجع: تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٧٠٧ / ٢.

(٤) القديم في اللغة: ما مضى على وجوده زمان طويل، ويطلق في الفلسفة العربية على الموجود الذي ليس لوجوده ابتداء، ويرادفه الأول يقال قديم للشيء إما بحسب ذاته، وإما بحسب الزمان، فالقديم بحسب الذات هو الذي ليس لذاته مبدأ هي به موجودة، والقديم بحسب الزمان هو الذي لا أول لزمانه، ينظر: المعجم الفلسفي: د / جميل صليبا: ١٨٩ / ٢. والزمان

معنى الخلق الوارد في سورة الروم:

معنى الخلق كما جاء في المعجم الفلسفي: يقال خلق الله العالم صنعه وأبدعه، ويقال خلق فلان الشيء أبدعه، وخلق القول افتراه، وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾^(١)، والخلق أيضًا التقدير بمعنى المساواة بين الشئيين، يقال: خلقت النعل إذا قدرته قبل أن أقطعه، فأطلق على إيجاد شيء على مقدار شيء سبق له الوجود، والخلق أيضًا المخلوق، ويطلق على الجمع، ومنه الخليقة، وهي الطبيعة. أو ما خلقه الله. والخلق هو الإيجاد، وقد يكون من مواد مخصوصة، وصور وأشكال معينة، كخلق الأشياء الصناعية، وقد يكون مجرد إيجاد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق، وليس الخلق الذي هو إيجاد الشيء من لا شيء إلا لله تعالى، ويطلق عليه اسم الإبداع^(٢).

وقد استدل المتكلمون بهذا الدليل الحدوث أي حدوث الخلق دليل على وجود (الخالق) قال السفاريني^(٣): «وقد استدل به جمع محققون من علماء الكلام وغيرهم، وهو مبني على مقدمتين، إحداهما: أن الحوادث موجودة، والثاني: أن الحادث لا يوجد إلا بقديم، وبعضهم يعبر أن الممكنات موجودة، وأن الممكن لا يوجد إلا بواجب.

فأما المقدمة الأولى فدليلها ما يشاهد من حدوث الحوادث، فإننا نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن، وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك، وهذه الحوادث

(١) سورة العنكبوت من الآية: ١٧

(٢) ينظر: المعجم الفلسفي: ١ / ٥٤١.

(٣) هو: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد في سفارين (من قرى نابلس)، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها، وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفي فيها، من كتبه (الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات عند يوسف زخور بدمشق)، و(كشف اللثام)، و(شرح عمدة الأحكام في الظاهرية بدمشق)، وعلى النسخة إجازة بخطه ذكر فيها مؤلفاته إلى سنة ١١٦٩ هـ و(القول العلي لشرح أثر الإمام علي في الرباط)، توفي سنة ١١٨٤ هـ - ١٧٧١م، ينظر: الأعلام: ١٤/٦.

ليست ممتعة - فإن الممتع لا يوجد - ولا واجبة الوجود بنفسها - فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم - وهذه كانت معدومة ثم وجدت، فعدمها ينفي وجودها، ووجودها ينفي امتناعها.

وهذا دليل قاطع واضح بيّن على ثبوت الممكنات، وأوضح من ذلك أن حدوث الحوادث نفسها دليل على إثبات المحدث لها، فإن العلم بأن الحادث لا بد له من محدث أبين من العلم بأن الممكن لا بد له من واجب، فتكون هذه الطريق أبين وأقصر^(١).

وبعد أن بيّنا آراء أهل العلم في توضيح هذا الدليل نرى أن علماء الكلام تحدثوا في هذا الدليل ومنهم الإمام أبي الحسن الأشعري^(٢) يقول مبيّناً التغيرات التي تطرأ على الكائنات ومنها الإنسان من أن إلى آخر، فدلّ ذلك على أن هناك ناقل نقل هذا الكائن من حالة إلى حالة أخرى حيث إنه يستحيل أن ينقل نفسه بنفسه فلا بد من ناقل نقله، فيقول: «ورأيناه طفلاً، ثم شاباً، ثم كهلاً ثم شيخاً، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال الشباب إلى حال الكبر والهرم؛ لأن الإنسان لو جهد أن يزيل عن نفسه الكبر والهرم، ويردها إلى حال الشباب لم يمكنه ذلك، فدل ما وصفناه على أنه ليس هو الذي ينقل نفسه في هذه الأحوال وأن له ناقلاً نقله من حال إلى حال،

(١) ينظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م: ١ / ٤٣، ٤٤.

(٢) هو: علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي موسى الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، ولد في البصرة، وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم، وتوفي ببغداد، قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب، منها «إمامة الصديق والرد على المجسمة ومقالات الإسلاميين جزان، والإبانة عن أصول الديانة، ورسالة في الإيمان ومقالات الملحدين والرد على ابن الراوندي، وخلق الأعمال، والأسماء، والأحكام، واستحسان الخوض في الكلام، توفي سنة ٣٢٤ هـ - ٩٣٦ م، ينظر: الأعلام للزركلي: ٤ / ٢٦٣.

ودبره على ما هو عليه؛ لأنه لا يجوز انتقاله من حال إلى حال بغير ناقل ولا مدبر^(١).

ويقول الإمام الباقلاني^(٢): «ويجب أن يعلم أن العالم»^(٣)، محدث وهو عبارة عن كل موجود سوى الله، والدليل على حدوثه: تغيره من حال إلى حال، ومن صفة إلى صفة، وما كان هذا سبيله ووصفه كان محدثاً، وقد بين النبي ﷺ هذا بأحسن بيان، يتضمن أن جميع الموجودات محدثة مخلوقة، لما قالوا له «يا رسول الله أخبرنا عن بدء هذا الأمر، فقال: نعم كان الله تعالى، ولم يكن شيء ثم خلق الله الأشياء»^(٤).

(١) ينظر: كتاب اللمع، للإمام أبي الحسن الأشعري، صححه وقدم له وعلق عليه الدكتور /حمودة غرابة، مدير المركز الثقافي بلندن، مطبعة شركة مساهمة مصرية، ١٩٥٥م، ص ١٧.

(٢) هو: محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر القاضي المعروف بابن الباقلاني المتكلم على مذهب الأشعري من أهل البصرة، سكن بغداد، وسمع بها الحديث من: أبي بكر بن مالك القطيعي، وأبي محمد بن ماسي، وأبي أحمد الحسين بن علي النيسابوري، من كتبه (إعجاز القرآن)، (الإنصاف)، و(مناقب الأئمة ودقائق الكلام)، و(الملل والنحل)، و(هداية المرشدين)، و(الاستبصار)، و(تمهيد الدلائل)، و(البيان عن الفرق بين المعجزة والكرامة، وكشف أسرار الباطنية والتمهيد، في الرد على الملحدة والمعتلة والخوارج والمعتزلة، ينظر: تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور /بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م: ٣ / ٣٦٤، والأعلام: ١٥٧/٦.

(٣) العالم: لغةً: عبارة عما يعلم به الشيء، واصطلاحاً: عبارة عن كل ما سوى الله من الموجودات؛ لأنه يعلم به الله من حيث أسمائه وصفاته، ينظر: التعريفات: ١ / ١٤٥.

(٤) الحديث كاملاً كما ورد في البخاري عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: دخلت على النبي ﷺ، وعقلت ناقتي بالباب، فأثاء ناس من بني تميم فقال: «اقبلوا البشرى يا بني تميم، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم»، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر؟ قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق =

فأثبت أن كل موجود سوى الله محدث مخلوق، وكذلك الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما استدل على حدوث الموجودات بتغيرها، وانتقالها من حالة إلى حالة^(١)، فعلم أن هذه لما تغيرت، وانتقلت من حال إلى حال دلت على أنها محدثة مفضرة مخلوقة وأن لها خالقاً^(٢).

ويقول صاحب المواقف: «وقد يستدل على إثبات الصانع بكل واحد منهما إما بإمكانه^(٣)، أو بحدوثه بناء على أن علة الحاجة عندهم، إما الحدوث وحده، أو الإمكان

= السموات والأرض، فنادى مناد: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت، فإذا هي يقطع دونها السراب، فو الله لوددت أنني كنت تركتها»، أخرجه البخاري، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: ٤ / ١٠٥، رقم الحديث (٣١٩١).

(١) الآيات التي تشير إلى ذلك هي: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ بَاقًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَرَبِّهِدِي رَبِّي لَا كُؤُونَ مِنَ الْقَوْمِ الصَّالِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُعْقِمُ بَرِيءٍ وَمَا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٧٦-٧٩].

(٢) ينظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للقاضي أبي بكر الطيب الباقلائي البصري، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الزهرية للتراث، الطبعة الثانية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ص ٢٩.

(٣) الإمكان: عدم اقتضاء الذات الوجود والعدم، الإمكان الذاتي: هو ما لا يكون طرفه المخالف واجباً بالذات وإن كان واجباً بالغير، الإمكان الاستعدادي: ويسمى: الإمكان الوقوعي، أيضاً، وهو ما لا يكون طرفه المخالف واجباً، لا بالذات ولا بالغير، ولو فرض وقوع الطرف الموافق لا يلزم المحال بوجه، والأول أعم من الثاني مطلقاً، الإمكان الخاص: سلب الضرورة عن الطرفين، نحو: كل إنسان كاتب؛ فإن الكتابة وعدم الكتابة ليس بضرورة له، الإمكان العام: سلب الضرورة عن أحد الطرفين، كقولنا: كل نار حارة؛ فإن الحرارة ضرورية بالنسبة إلى النار، وعدمها ليس بضروري، وإلا لكان الخاص أعم مطلقاً. الامتناع: ضرورة اقتضاء الذات عدم الوجود الخارجي، ينظر: التعريفات، للرجاني، باب الألف: ١ / ٣٦.

مع الحدوث شرطاً^(١)، أو شرطاً^(٢)، فهذه وجوه أربعة:

منها: الأول: الاستدلال بحدوث الجواهر، قيل هذه طريقة الخليل - صلوات الرحمن وسلامه عليه - حيث قال: لا أحب الأقلين، وهو أن العالم الجوهري أي المتحيز^(٣) بالذات حادث كما مر، وكل حادث فله محدث، كما تشهد به بديهة العقل، فإن من رأى بناءً رفيعاً حادثاً جزم بأن له بانياً^(٤).

ومن خلال النص السابق نرى أن هذه المخلوقات التي أوجدها الله من العدم دليل على وجود الله تعالى الخالق المدبر لهذا الكون وهذا ما أجمع عليه أهل الملل، يقول الشهرستاني: «مذهب أهل الحق من أهل الملل، وأهل الإسلام أن الموجد لجميع

(١) الشرط: تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني، وقيل: الشرط: ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجاً عن ماهيته، ولا يكون مؤثراً في وجوده، وقيل: الشرط: ما يتوقف ثبوت الحكم عليه، ينظر: المرجع السابق، ص ١٢٥.

(٢) شطر الشيء: نصفه «الشرط: نصف الشيء، شطرته: جعلته نصفين، شاطره ماله: ناصفه، ومن هذا «شطر بصره» (كجلس): صار كأنه ينظر إليه وإلى آخر» (كأنه قسم نظره بين اثنين (ب)، ومن اعتبار أن الانقسام إلى جهات - كل جهة ذات حال: الشطر: الجهة (شطر الشيء ناحيته. شطر كل شيء نحوّه وقصده، قصدت شطره أي نحوّه، ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، د/ محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م: ٤ / ٢٣٤٨.

(٣) المتحيز: هو الحاصل في الحيز. وبعبارة أخرى القابل بالذات أو بالتبعية للإشارة الحسية. فعند المتكلمين لا جوهر إلا المتحيز بالذات أي القابل للإشارة بالذات، وأما العرض فمتحيز بالتبع، وعند الحكماء قد يكون الجوهر متحيزاً بالذات، وقد لا يكون متحيزاً أصلاً كالجواهر المجردة، ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي تقديم وإشراف ومراجعة: د/ رفيق العجم، تحقيق: د/ علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د/ عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د/ جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦ م: ٢ / ١٤٣٦.

(٤) ينظر: المواقف، للإيجي، الموقف الخامس: ٣ / ١٢.

الكائنات هو الله سبحانه، فلا موجد ولا خالق إلا هو، والفلاسفة جَوَّزوا صدور موجود غير الله، بشرط أن يكون وجود ذلك الغير، مستندًا إلى وجود آخر ينتهي إلى واجب الوجود بذاته»^(١).

ومن يتأمل في سورة الروم يجد أن الله تعالى خلق أشياء كثيرة، مثل خلق الإنسان، وقيام السماء والأرض بأمر الله وأيضاً آية البرق والرعد... الخ، وهذه الأشياء لم تخلق وحدها دون أن يكون هناك خالق لها وصانع.

يقول الإمام البيضاوي: «إن دلالة الموجودات الحادثة على وجود محدث لها ضرورية، قد ينبه عليها بأن من رأى بناءً رفيعاً جزم بأن له بان»^(٢).

ويقول الباقلاني: «يجب أن يعلم أن العالم محدث، وهو عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى، والدليل على حدوثه: أن الحوادث متقدمة ومتأخرة مع صحة تأخر المتقدم، وتقدم المتأخر، ولا يجوز أن يكون ما تقدم منها وتأخر متقدماً، ومتأخر لنفسه؛ لأنه ليس التقدم بصحة تقدمه أولى من المتأخر بصحة تأخره فوجب أن يدل على فاعل فعله، وصرفه في الوجود على إرادته، وجعله مقصوراً على مشيئته يقدم منها ما يشاء، ويؤخر ما شاء»^(٣).

فالحوادث تقدمها وتأخرها ليس من نفسها، وإنما من قديم ليس بحادث، والتغيرات أيضاً في المخلوقات دليل على حدوثها، ومما يؤكد أن هذا الكون وما فيه يدل على أن له موجدًا أوجده، وخالقًا خلقه، فطالما آمناً بوجود الكون فلا بد أن نؤمن بوجود خالقاً لهذا الكون.

(١) ينظر: نهاية الاقدام في علم الكلام، للشهرستاني: ٤٩.

(٢) ينظر: إشارات المرام من عبارات الإمام، للقاضي كمال الدين البيضاوي، تحقيق: يوسف عبد الرازق الشافعي، ص ٩٦.

(٣) ينظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للقاضي أبي بكر الطيب الباقلاني البصري، ص ١٧، وغاية المرام في علم الكلام، للآمدي المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: ١.

يقول وحيد الدين خان: «إن الإنسان العادي، والعالم العادي يؤمن على كل حال بأن له وجودًا، وبأن للكون وجودًا، وعلى هذا الأساس من العلم والإيمان تقوم جميع ألوان النشاط العلمي والحيوي، فإذا آمنّا بوجود هذا الكون، فلا بد أن نؤمن بإله هذا الكون منطقيًا.. إذ لا معنى؛ لأن نؤمن بالمخلوق، ونرفض وجود خالقه، ونحن لا نعلم شيئًا جاء إلى الوجود من العدم بدون أن يخلق، فكل شيء مهما بلغ حجمه، عظم أو صغر، جلّ أو دقّ، وراءه علة، فكيف بنا نؤمن بأن كونًا عظيمًا، مثل كوننا جاء ذاتيًا دون خالق^(١)؟»

والإنسان هو أسمى الكائنات المعروفة، فهل هو الذي خلق نفسه من مادة التراب، أو هو الذي خلق مادة التراب؟، أو هل هي التي خلقت الإنسان؟، وإذا كان الإنسان وهو خالق نفسه فلماذا لم يخلقها من مادة ثمينة؟، ولماذا لم يخلق نفسه أقوى وأكمل مما هو الآن؟، ولماذا لا يجدد خلق نفسه فيفوز بالخلود؟، ولماذا لا يخلق لنفسه كل ما ينقصه وتشتهيه نفسه في هذه الحياة؟ إن الإجابة الحتمية الوحيدة هي أن الإنسان وجميع الكائنات من خلق إله عظيم القدرة محيط بكل شيء لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء^(٢) ففي هذه الآية أي آية الروم (٥٤) تكررت كلمتي الخلق والجعل أما الأولى وهي (الخلق) فهي الإبداع والإنشاء والإنفطار من عدمه وبالنسبة لخلق الله للإنسان من ضعف أي صفة الضعف متوفرة فيه كما خلقنا سبحانه من صفة التعجل أي التسرع والتعجل في الآراء والأحكام. أما كلمة الجعل فهي التحويل والتسير كما نقول صار الدقيق خبزاً أي جعلته وحولته إلى صورة الخبز فالله سبحانه

(١) ينظر: الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، مراجعة الدكتور /عبد الصبور شاهين، دار البحوث

العلمية الطبعة الأولى، ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م، ص ٧٥.

(٢) ينظر: البحوث التربوية الثقافية الاجتماعية والعقائدية، لمجمع البحوث الإسلامية، القاهرة،

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، ج ٢، ص ٣٦٩ والجامع لأحكام

القرآن: (تفسير القرطبي) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرج الأنصاري شمس الدين القرطبي،

دار الكتب المصرية، القاهرة بدون ط، ٢/ ٢٠٢.

يجعل الليل نهاراً والعكس بعد خلقه السموات والأرض قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾^(١) فتنين الفرق بين الخلق والجعل ولذلك لم يخلق الله رجلاً ولا امرأة عقيم بل جعلهم كذلك ليتمكن تحويلهما من العقم إلى الإنجاب لأنهما لم يخلقهما كذلك قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾^(٢) فالخلق دليل الاختراع والإبداع والحدوث من عدم وهذا عند المتكلمين، أما الجعل فهو دليل العناية والقيومية من الله على خلقه، فالكون وما فيه مخلوق، ومحدث أحدثه الخالق من لا شيء، وهذا يؤكد على أن لهذا الكون خالقاً ومدبراً، ومن هنا نجد أن كل حادث لابد له من محدث وهذا أمر بدهي، لاستحالة وجوده من نفسه.

يقول السفاريني: «إن الحادث لا بد له من محدث، فلاستحالة حدوثه بنفسه، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾»^(٣)، يقول الله تعالى: أحدثوا من غير محدث أم هم أحدثوا أنفسهم، ومعلوم أن المحدث لا يوجد بنفسه، وطريق العلم بذلك أن يقال: الموجود إما حادث وإما قديم، والحادث لا بد له من قديم، فيلزم ثبوت القديم على كل حال، وذلك أن الفقر والحاجة لكل حادث، وممكن وصف لازم لها، فهي مفتقرة إليه دائماً حال الحدوث وحال البقاء، ومن زعم من أهل الكلام أن افتقارها إليه في حال الحدوث فقط، كما يقوله من يقوله من المعتزلة وغيرهم، أو في حال البقاء فقط، كما يقوله من يقوله من المتفلسفة القائلين بمساواة العالم له»^(٤).

ومن خلال ما سبق فإن العالم وما فيه محتاج إلى موجد يوجده، أو محدث يحدثه هذا الموجد ليس حادثاً؛ لأنه لو كان كذلك لاحتاج إلى محدث، وتمتد سلسلة

(١) سورة الأنعام آية (١)

(٢) سورة الشورى جزء من الآية (٥٠)

(٣) سورة الطور، الآية: ٣٥.

(٤) ينظر: لوامع الأنوار البهية، وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، للسفاريني، ١/ ٤٤.

الاحتياج إلى ما لا نهاية وهذا باطل، ومن هنا فالمحدث للكون وما فيه قديم؛ لأنه غني عن الاحتياج، والاحتياج وصف لازم للممكنات، فدل ذلك على أن وجود المخلوقات دليل على وجود خالقها.

والى هذه الإشارة يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ومعلوم أن افتقار الشيء إلى بعض أشد من افتقاره إلى نفسه، فإذا كان الممكن لا يوجد بنفسه، ولا يكون موجودًا بنفسه، فكيف يكون موجودًا ببعضه، وكيف يتصور أن يكون مجموع الممكنات موجودة بممكن من الممكنات، وهي لا يكفي في وجودها مجموع الممكنات، والعقل لا يخرجها عن الإمكان الذي هو علة الافتقار، أو دليل الافتقار»^(١).

الدليل الثالث على وجود الله تعالى من خلال سورة الروم: (دليل العناية) العناية في اللغة:

يقول صاحب جمهرة اللغة: «عنيت بالشيء أعني به من العناية، فأنا معني به، وتقول: لتعن بكذا وكذا، إذا أمرت الرجل بالعناية به، والعين المعروفة: عين الإنسان وغيره، والجمع عيون وأعيان»^(٢).

وفي الاصطلاح:

يعرفها الدكتور/ جميل صليبا فيقول: «العناية: هي علم الله بما ينبغي أن يكون عليه الوجود، حتى يكون على أحسن نظام وأكملة.

وهي عند ابن سينا: كون الأول عالمًا لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير، وعلة لذاته للخير والكمال بحسب الإمكان، وراضيًا به على النحو المذكور، فيعقل

(١) شرح العقيدة الأصفهانية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٥هـ، ١ / ٥٣.

(٢) ينظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م: ٢ / ٩٥٥.

نظام الخير على الوجه الأبلغ في الإمكان، فيفيض عنه ما يعقله نظاماً وخيراً على الوجه البالغ الذي يعقله فيضاً على أتم تأدية إلى النظام بحسب الإمكان، ولكن عناية الله ليست مجرد علمه بما ينبغي أن يكون عليه الوجود، وإنما هي حفظه وتوجيهه نظام هذا الوجود بإرادته، ولذلك قيل إن الله عقل، وإرادة، ومحبة»^(١).

الأدلة على دليل العناية من سورة الروم:

لقد احتوت سورة الروم على آيات كثيرة تشير إلى دليل (العناية)، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقَ السِّنِّكِ وَالْوَنَكِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ٢٣ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ٢٤ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّل مِّن السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٥﴾^(٢).

وقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَيَكُونُ الْوَدْقُ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ٢٦ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِّن قَبْلِهِ لَمُبْسِلِينَ ٢٧ فَأَنظِرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمَخِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٨﴾^(٣).

ومعنى الدليل الأول إجمالاً فإن من رحمة الله تعالى على عباده أن جعل الليل لباساً، والنوم سباتاً، وجعل النهار نشوراً، وهذا إن دل فإنما يدل على عناية الله تعالى لخلقه، ونرى في الآية الكريمة الحكمة الإلهية في تقديم المنام على العمل والسعي؛ لأن كلاً منهما مطلوباً لذاته، كما يقول النيسابوري: «وقدم المنام على الابتغاء؛ لأن الاستراحة مطلوبة لذاتها والطلب لا يكون إلا لحاجة، ومن الأشياء ما يحتاج الفكر فيه إلى إعانة مرشد كالمنام والابتغاء، فإنهما لزوالهما في بعض الأوقات، قد يرفعان

(١) ينظر: المعجم الفلسفي د/ جميل صليبا: ١١٠ / ٢.

(٢) سورة الروم: الآيتان: ٢٢-٢٤.

(٣) سورة الروم، الآيات: ٤٨-٥٠.

لوازمهما، فلهذا قال لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ويجعلون بالهم إلى كلام المرشد، ومن هنا ذهب بعضهم إلى أن معنى يَسْمَعُونَ هاهنا يستجيبون لما يدعون إليه ^(١).

أقوال العلماء حول هذه الأدلة :

يقول ابن عطية في الدليل الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ^(٢) وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْنِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ^(٣): «ذكر تعالى النوم بالليل والنهار وعرف النوم إنما هو بالليل وحده، ثم ذكر الابتغاء مِنْ فَضْلِهِ كأنه فيهما، وإنما معنى ذلك أنه عم بالليل والنهار فسمى الزمان، وقصد من ذلك تعديد آية النوم، وتعدد آية ابتغاء الفضل، فإنهما آيتان تكونان في ليل ونهار، والعرف يحيز كل واحدة من النعمتين، أي محلها من الأغلب» ^(٤).

ويقول الإمام الألوسي في بيان الدليل الوارد في قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ﴾ أي نومكم بالليل والنهار لاستراحة القوى النفسانية وتقوي القوى الطبيعية وابتغائكم أي طلبكم مِنْ فَضْلِهِ أي بالليل والنهار، وحذف ذلك لدلالة ما قبل عليه، والنوم بالليل والابتغاء من الفضل أي الكسب بالنهار أمران معتادان، وأما النوم بالنهار فكنوم القيلولة، وأما الكسب بالليل فكما يقع من بعض المكتسبين، وأهل الحرف من السعي والعمل ليلاً لاسيما في أطول الليالي، وعدم وفاء نهارهم بأغراضهم، ومن ذلك حراسة الحوانيت بالأجرة وكذا قطع البراري في الأسفار ليلاً للتجارة ونحوها» ^(٥) وبكل أسف اصبحنا لا نعترف بنعمة الليل كسكن وآية من آيات الله بسبب المستحذات

(١) ينظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان، للنيسابوري: ٥ / ٤٠٨.

(٢) سورة الروم الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ٤ / ٣٣٣.

(٤) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: ١١ / ٣٣.

والتقدم الذي نعيش فيه على سبيل المثال (مدينة القاهرة التي ليس ليل بل تواصل الليل بالنهار كما قال الشاعر: بنت المعز القاهرة. الصباح ساهرة.

قال الإمام الماتريدي في توضيح هذا الدليل في قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآبِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾^(١)؛ لأن النوم يأخذهم من غير أن يعرفوا أنه من أين مأتاه ومأخذه، ثم يأخذ منهم جميع منافع الأحياء: من السمع، والنطق، والفهم، والرؤية، وجميع ما تنتفع به قبل ذلك، ثم يرد ذلك إليهم من غير أن عرفوا بذلك فيعودون إلى ما كانوا من المنافع والأكساب»^(٢).

وفي الدليل الثاني الدال على (العناية) قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَيُرِي الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(٣) وإن كانوا من قبل أن يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمْ يَبْلِسِيَتْ^(٤).

قال البيضاوي في هذا الدليل: «الله الذي يرسل الرياح فتثير سحباً، فيبسطة متصلاً تارة، في السماء في سمتها، كيف يشاء سائراً، أو واقعاً مطبقاً وغير مطبق من جانب دون جانب إلى غير ذلك، ويجعله كسفاً قطعاً تارة أخرى، فترى الودق المطر، يخرج من خلاله في التارتين، فإذا أصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم وأراضيهم، إذا هم يستبشرون لمجيء الخصب»^(٤).

ويعضد ذلك أبو البركات النسفي في بيان هذا الدليل الوارد في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَيُرِي الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(٥) «أي السحاب في السماء، أي في سمت

(١) سورة الروم: الآية ٢٣.

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٨ / ٢٦٢.

(٣) سورة الروم: الآيتان: ٤٨. ٤٩.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ٤ / ٢٠٩.

(٥) سورة الروم: الآية ٤٨.

السماء وشقتها، كقوله ﴿وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ كَيْفَ يَشَاءُ من ناحية الشمال، أو الجنوب، أو الدبور، أو الصبا، وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا: قطعاً، جمع كسفة، أي يجعله منبسطاً يأخذ وجه السماء مرة، ويجعله قطعاً متفرقة غير منبسطة، فَتَرَى الودق: المطر يَخْرُجُ في التارتين جميعاً مِنْ خِلَالِهِ وسطه، فَإِذَا أَصَابَ بِهِ بالودق مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يريد إصابة بلادهم، وأراضيهم، إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ: يفرحون^(١)

وبعد عرض هذه الأقوال السابقة يرى الباحث أن دليل العناية متمثل في رعاية الله لخلقه بأن خلقهم وسخر لهم كل ما في الكون لخدمتهم ورعايتهم، فدل ذلك على أن هناك قوة خفية تدير هذا الكون بنظام وإتقان بديع تعجز عنه قوي البشر مهما بلغت من القوة، وبهذا تشهد الفطرة السليمة بوجوده تعالى، ومن ينكر وجوده تعالى فهو الإنسان الذي فقد عقله وحواسه التي تشهد بذلك، ولذلك أمر الله تعالى بالتدبر والتفكر بجميع المدركات حتى ندرك وجوده تعالى.

وعن دليل العناية يحدثنا أبو الوليد بن رشد^(٢)، فيقول: «إذا استقرئ الكتاب العزيز، وجدت الطريقة الشرعية البرهانية التي ينبه القرآن عليها تنحصر في جنسين^(٣)

(١) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٢ / ٧٠٥.

(٢) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، أبو الوليد: الفيلسوف. من أهل قرطبة. يسميه الإفرنج Averroes عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة. وصنف نحو خمسين كتاباً، منها «فلسفة ابن رشد وتسميته حديثة، وهو مشتمل بعض مصنفاته، و«التحصيل» في اختلاف مذاهب العلماء، والحيوان» و«فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال والضروري» في المنطق ومنهاج الأدلة «في الأصول، والمسائل» في الحكمة، «وتهافت التهافت في الرد على الغزالي وبداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه، و«جوامع كتب أرسطاطاليس في الطبيعيات والإلهيات، وتلخيص كتب أرسطو وعلم ما بعد الطبيعة والكليات بالتصوير الشمسي، في الطب، ترجم إلى اللاتينية والإسبانية والعبري، توفي سنة ٥٩٥هـ، ١١٩٨م، ينظر: الأعلام للزركلي: ٥ / ٣١٨ وما بعدها.

(٣) الجنس كلي مقول على كثيرين مختلفين في الحقيقة في جواب ما هو.. مثل حيوان.. فإنه يقال على أفراد كثيرة مختلفة الحقيقة واقعة في جواب ما هو.. فإذا قلت ما الفرس =

أحدهما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان وخلق الموجودات من أجله، ولنسمي هذا بدليل العناية^(١).

فإذا نظرنا لهذا الكون من عرشه لفرشه . ويقصد بعرشه السماء وما فوقها وما بينها من عوالم يعلمها الله، والعرش وما حوله وما احتوى، أما فرشه فأقصد بها العوالم الأرضية وما بها من مخلوقات لا يعلم إحصائها إلا الله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(٢) ومن هنا نجد ان هذ التناسق العظيم، وهذا الصنع العجيب المنقن، كما قال تعالى ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرُ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾^(٣)، دليل عظيم على وجود الصانع الحكيم الذي قال في كتابه: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٤).

وعن دليل العناية يقول الدكتور/ حسن حبنكة: «فمن أعظم ما يدهشنا في أنفسنا، وفي الكون من حولنا، هذا الإلتقان العجيب في الصنع والتركيب، فما ندرك من شيء في الأرض ولا في السماء، إلا وهو في غاية الإلتقان»^(٥)، مركب أحكم تركيب يؤدي به

= والبقر والغزال والإنسان؟ أجيب «حيوان» المحترزات ١- المقول على كثيرين . جنس في التعريف يشمل جميع الكليات. ٢. المختلفة في الحقيقة . فصل اول وقيد في التعريف يخرج به «النوع» لأنه مقول على كثيرين متقنين في الحقيقة لا مختلفين فيها.. ٣. في جواب فصل ثان وقيد في التعريف خرج به العرض العام لأنه لا يقع في جواب سؤال .. ، ٤. ما هو: فصل ثالث وقيد في التعريف خرج به الفصل لأنه يقع في جواب أي شيء هو أو في ذاته. ويخرج به الخاصة؛ لأنها تقال في جواب أي شيء هو في عرضه. ينظر: د/ عبد السلام محمد عبده، المنطق والفكر الإنساني مطبعة الفجر الجديد ط ٣، ١٩٨٥م ص ٨٦، ٨٧

(١) ينظر: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص٧٦.

(٢) سورة الجن من الآية (٢٨)

(٣) سورة النمل من الآية: ٨٨.

(٤) سورة لقمان، الآية: ١١.

(٥) الإلتقان: معرفة الأدلة بعللها، وضبط القواعد الكلية بجزئياتها؛ وقيل: الإلتقان معرفة الشيء بيقين، ينظر: التعريفات، للبرجاني، باب الألف: ١ / ٩.

إلى غايته التي خلق من أجلها، باعتباره جزءًا من وحدته التي هو أحد أجزائها، أو باعتباره فردًا في مجموعة هو واحد من نوعها، أو باعتباره مجموعة هي واحد من جنس مجموعات كثيرة، كل ذلك في جملة هذا الكون الذي تنظمه وحدة مهيمنة، لا يستطيع أي جزء منه أن يتحرر منها، أو يفلت من قانونها.

أليس من الإتقان العجيب هندسة هذا الكون في مخطط كواكبه ونجومه، بحيث إن أي تغيير فيه يؤدي به إلى الخلل والنقص، أو الخراب والفساد؟

ثم إننا لا نرى ترتيبًا متقنًا محكمًا في أي مركب من المركبات إلا استدعى في أذهاننا التفكير بمن ألقنه ورتبه هذا الترتيب المتقن الحكيم، إن إتقان الصنعة في هذا العالم الزاخر بالمتقنات، دليل واضح على الصانع المتقن الحكيم العليم، يشهده من الناس العالم والجاهل الغبي والعاقل، الصغير والكبير، ويحكم به بداهة^(١) بأن الله حق، وهو على كل شيء قدير، وليس فوق حكم البداهة حكم لعاقل^(٢).

ومن خلال النص السابق: نرى أن الله تعالى أوجد أشياء لا تعد ولا تحصى، وهذا إن دل فإنما يدل على عناية الله تعالى بهذا الخلق، ويوضح ابن رشد فيلسوف قرطبة أن دليل العناية مبني على مقدمتين^(٣):

(١) ب د هـ: (بداهه) أمر فجأه وبابه قطع، وبداهه بأمر إذا استقبله به، و(باداهه) فاجأه، والاسم (البداهة) و(البديهة)، ينظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م: ١ / ٣١.

(٢) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم - دمشق، الطبعة الثامنة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م: ١ / ١٢٩-١٣١.

(٣) المقدمة: تطلق تارة على ما يتوقف عليه الأبحاث الآتية، وتارة تطلق على قضية جعلت جزء القياس، وتارة تطلق على ما يتوقف عليه صحة الدليل، مقدمة الكتاب: ما يذكر فيه قبل الشروع في المقصود لارتباطها، ومقدمة العلم، ما يتوقف عليه الشروع، فمقدمة الكتاب أعم من مقدمة العلم، بينهما عموم وخصوص مطلق، والفرق بين المقدمة والمبادئ: أن المقدمة أعم من المبادئ، وهو ما يتوقف عليه المسائل بلا واسطة، والمقدمة ما يتوقف عليه المسائل بواسطة، أو بلا واسطة، ينظر: التعريفات للرجاني، باب الميم: ١ / ٢٢٥.

إحدهما: أن جميع التي هاهنا موافقة لوجود الإنسان، والأخرى: أن هذه الموافقة هي ضرورة من فعل فاعل قاصد لذلك مريد، والنتيجة^(١) وجود فاعل مريد جعل الموجودات موافقة للإنسان، وهذا الفاعل المريد هو الله^(٢).

وكما رأينا أن الفاعل، والمريد لهذا الكون هو الله تعالى، والذي دلنا على هذا هو حكم العقل وبداهته.

يقول الشيخ/ جمال الدين القاسمي: «فكما إذا رأينا مسكنًا مهينًا للسكنى فيه على القوانين الموافقة لتوالى الفصول والأمطار علمنا أن حكيمًا هياؤه وأعدده للسكنى، وكما إذا رأينا مركبًا سائرًا بالبخار نحو نقطة مقصودة علمنا أن قائدًا يقوده، فهكذا قلّ من نظر إلى هذه الدنيا، وشاهد ما هي عليه من النظام والترتيب المحكم، وارتباط العلل بمعلولاتها وخدمة بعضها بعضًا علم أن العالم مجموع مبدعات فائقة المدارك والمشاعر أبدعها قادر حكيم، وحي قيوم، وإلا فلو جاز أن يكون مثل هذا بغير صانع، ولا موجد لجاز أن يصبح دور معمورة، وأسفار مكتوبة، وثياب منسوجة، حلي مصنوعة بغير بان، ولا كاتب، ولا ناسج، ولا صانع، وهو محال ببداهة العقل»^(٣).

إن دليل العناية هو أحد الأدلة على وجود الله تعالى الذي خلق الإنسان وأمهده بجميع ما يتطلبه الإنسان في حياته، ولذلك يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ۖ أَمَدَّكُمْ بِأَعْيُنٍ وَبَيْنَ ۖ وَجَّهَتْ وَغَيَّرَ﴾^(٤) وعناية الله تعالى تظهر في أن الكون وما فيه مسخر لخدمة الإنسان وايضاً عناية الله تعالى في خلق الإنسان وتنقله من

(١) النتيجة: ما ينتج من مقدمتين كقولك كل إنسان حي وكل حي نام فنتيجة ما بين المقدمتين: كل إنسان نام ويسمى: الردف أيضاً، القرينة: المقدمتان إذا جمعتا، ينظر: مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة: الثانية: ١ / ١٧١.

(٢) ينظر: مناهج الأدلة، لابن رشد، ص ٨٠.

(٣) ينظر: دلائل التوحيد، للشيخ / جمال الدين القاسمي: ص ٣٤.

(٤) سورة الشعراء الآيات: ١٣٢-١٣٤.

حال إلى حال أي من القوة إلى الضعف والعكس ولضمان استمرار حياة الإنسان والعناية به سخر له كل ما يضمن استقرار حياته سواء كان هذا الإنسان طائعاً لله أو متمرداً عاصياً لله وكافراً بنعمائه ونعمه.

الدليل الرابع - دليل الاختراع:

من أدلة وجود الله تعالى من خلال سورة الروم (دليل الاختراع).

والاختراع في اللغة: يرادف الإبداع، كما أشير إليه في الإشارات^(١).

وجاء في معجم متن اللغة أن «الخرعة: الاسم من الاختراع بمعنى الابتداء»^(٢)، وعلى هذا فالاختراع بمعنى الإبداع، كما هو واضح من المعاجم اللغوية.

وفي الاصطلاح:

يعرفه الإمام الرازي يعرف بقوله: «هو أن لا يتوقف صدور المعلول^(٣) عن العلة على توسط الآلة^(٤) والزمان^(٥)، فالإبداع أعلى رتبة من التكوين، إذا الإبداع عبارة عن

(١) ينظر: دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ١ / ٣٩.

(٢) ينظر: معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة . أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق) دار مكتبة الحياة - بيروت، عام النشر: [١٣٧٧ - ١٣٨٠ هـ] ج ١ و ٢ / ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م، ص ٢٥٧.

(٣) المعلول الأخير: هو ما لا يكون علّةً لشيء أصلاً، ينظر: التعريفات، للجرجاني: ١ / ٢٢٢.

(٤) الآلة: الوساطة بين الفاعل والمنفعل في وصول أثره إليه، كالمنشار للنجار، والقيد الأخير لإخراج العلة المتوسطة، كالأب بين الجد والابن، فإنها واسطة بين فاعلها ومنفعلها، إلا أنها ليست بواسطة بينهما في وصول أثر العلة البعيدة إلى المعلول؛ لأن أثر العلة البعيدة لا يصل إلى المعلول، فضلاً عن أن يتوسط في ذلك شيء آخر، وإنما الواصل إليه أثر العلة المتوسطة؛ لأنه الصادر منها، وهي من البعيدة، ينظر: التعريفات: ١ / ٣٤.

(٥) الزمان: هو مقدار حركة الفلك الأطلس عند الحكماء، وعند المتكلمين: عبارة عن متجدد =

تكوين الشيء من غير سبق مثال، ولذلك فإن من أتى في فن من الفنون بطريقة لم يسبقه غيره فيها يقال إنه أبدع فيه»^(١)، ونفهم من التعريفات السابقة أن المبدع للكون، وما فيه هو الله تعالى، والإنسان مخلوق من مخلوقات الله تعالى، فلقد خلقه الله في أحسن تقويم، وصوّره فأحسن تصويره، وذلك من لا شيء، أي من عدم عند المتكلمين، بخلاف الفلاسفة الذين ذهبوا إلى أن المادة الخام أي العلة المادية كانت موجودة بوجود الله فصورها الله وأبدعها واخترعها واطفأ عليها علة الصورة ولقد ورد دليل الإختراع في سورة الروم، فجاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾^(٢).

أقوال العلماء حول هذا الدليل:

يقول الإمام النسفي: «ومن آياته ومن علامات ربوبيته وقدرته ﴿أَنْ خَلَقَكُمْ﴾ أي أباككم من تراب، ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ أي آدم وذريته تَنْتَشِرُونَ تتصرفون فيما فيه معاشكم»^(٣).

كما يقول صاحب الكشف في هذا الدليل السابق «خلقكم من تراب؛ لأنه خلق أصلهم منه، وإذا للمفاجأة، وتقديره: ثم فاجأتم وقت كونكم بشرًا منتشرين في الأرض»^(٤).

= يقدر به متجدد آخر موهوم، كما يقال: آتيك عند طلوع الشمس؛ فإن طلوع الشمس معلوم ومجيئه موهوم، فإذا قرن ذلك الموهوم بذلك المعلوم زال الإيهام، ينظر: المرجع السابق نفسه، ص ١١٤.

(١) ينظر: موسوعة مصطلحات الإمام فخر الدين الرازي، د/سميح دغيم، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م: ص ١ وما بعدها.

(٢) سورة الروم الآية: ٢٠.

(٣) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٢ / ٦٩٥.

(٤) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣ / ٤٧٢.

كما يقول القرطبي في توضيح هذه الآية: «قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾^(١) أي من علامات ربوبيته ووحدانيته أن خلقكم من تراب، أي خلق أباكم منه والفرع كالأصل، ثم إذا أنتم بشر تنتشرون، ثم أنتم عقلاء ناطقون تتصرفون فيما هو قوام معاشكم، فلم يكن ليخلقكم عبثاً»^(٢).

وبعد عرض أقوال العلماء في الآية السابقة نرى أن دليل الاختراع مبني على قاعدة (العلة والمعلول)، أو (السبب والمسبب)، حيث يقول فيلسوف قرطبة: إن هذا الدليل (الاختراع) مبني على أصليين:

أحدهما: أن موجودات العالم مخترعة، والثاني: أن كل مخترع لا بد له من مخترع، والنتيجة أن الوجود فاعلاً مخترعاً له، وهذه النتيجة صادقة يقينية؛ لأن المقدمتين صادقتين يقينيتين كذلك؛ لأنهما عبارة عن أصليين موجودين بالقوة في جميع قطر الناس، والقرآن قد نبّه على هذين الأصليين في غير ما آية»^(٣).

وعلى هذا نجد سورة الروم قد جاء الحديث فيها عن الإبداع في خلق العالم العلوي، والسفلي، وأيضاً إعادة هذا الخلق مرة ثانية، كل ذلك من عناية الله تعالى لهذا الكون البديع.

إن ابن رشد يوضح دليل الاختراع في أنه ينسجم مع فكرة الوجود من عدم وهذه العملية تدل دلالة حقيقية على الإبداع.

فيقول «إن هذا الدليل ينسجم مع فكرة الصنعة لا الخلق من عدم»^(٤)، ذلك أن

(١) سورة الروم الآية: ٢٠.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: ١٤ / ١٧.

(٣) ينظر: مناهج الأدلة، لابن رشد: ٨٠.

(٤) العدم: فقدان الشيء وذهابه، والعدم لغة. إذا أرادوا التثقيل فتحوا العين، وإذا أرادوا التخفيف ضموها. عدمت فلانا أعدمه عدما، أي: فقدته أفقده فقدا وفقدانا، أي: غاب عنك بموت أو فقد لا يقدر عليه. وأعدمه الله مني كذا، أي: أفاته. ورجل عديم لا مال له، وقد عدم ماله وفقده وذهب عنه. والعديم: الفقير، لأنه فقد الغنى، وأيس منه، ويجوز جمعه على: عدماء، =

الاختراع هنا اختراع الصورة في المادة، صورة الكرسي في مادة الخشب مثلاً، وكل مادة تحمل صورة هيئة الخشب قبل أن يصير كرسيًا»^(١).

وكأن ابن رشد يصور الاختراع في العلل الأربع المعروفين عند أرسطو وهي العلة المادية وهي الخشب، والعلة الصورية وهي الكرسي، والعلة الفاعلية وهي النجار، والعلة الغائية وهي الجلوس على هذا الكرسي^(٢).

والعلم الحديث يحدثنا حول هذا الدليل، يقول (كلود. م. هاثاواي) مستشار هندسي «وعلى ذلك فإنه مما لا يتفق مع العقل والمنطق أن يكون ذلك التصميم البديع للعالم من حولنا إلا من إبداع إله اعظم لا نهاية لتدبيره وإبداعه وعبقريته، حقيقة أن هذه طريقة قديمة من طرق الاستدلال على وجود الله، ولكن العلوم الحديثة قد جعلتها أشد بياناً، وأقوى حجة منها في أي وقت مضى.

إن المهندس يتعلم كيف يمجّد النظام، وكيف يقدر الصعاب التي تصاحب التصميم عندما يحاول المصمم أن يجمع بين القوى والمواد، والقوانين الطبيعية في تحقيق هدف معين، إنه يقدر الإبداع بسبب ما واجهه من الصعاب والمشكلات عندما يحاول أن يضع تصميمًا جديدًا»^(٣).

= ينظر: كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د / مهدي المخزومي، وآخرون، دار ومكتبة الهلال: ٢ / ٥٦.

(١) ينظر: مناهج الأدلة، لابن رشد: ٨١.

(٢) العلة الصورية، وعلة الوجود إما أن يوجد منها المعلول، أي يكون مؤثرًا في المعلول موجودًا له، وهي العلة الفاعلية، أو لا، وحينئذ إما أن يكون المعلول لأجلها، وهي العلة الغائية، أو لا، وهي الشرط إن كان وجوديًا، وارتقاع الموانع إن كان عديمًا.

العلة التامة: ما يجب وجود المعلول عندها، وقيل: العلة التامة جملة ما يتوقف عليه وجود الشيء، وقيل: هي تمام ما يتوقف عليه وجود الشيء، بمعنى أنه لا يكون وراءه شيء يتوقف عليه، ينظر: التعريفات للجرجاني: ١ / ١٥٤.

(٣) ينظر: الله يتجلى في عصر العلم، تأليف: نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة =

ومن خلال ما سبق نستنتج أن دليل الاختراع معناه الإبداع أي أن الله تعالى هو المبدع لهذا الكون، وما فيه فكل المخلوقات التي يعج بها الكون دليل على وجود الصانع المبدع لا من شيء أي عن غير مثال سابق، أو مادة قديمة، فالكون وما فيه مخلوق لغاية ألا وهي معرفة الخالق أو الصانع.

الدليل الخامس - من خلال سورة الروم: (دليل الغاية):

معنى الغاية في اللغة:

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي «الغاية: مدى كل شيء وقصاره، وألفه ياء، وهو من تأليف غين وياءين، وتصغيرها: غيبة، وكذلك كل كلمة مما يظهر فيه الياء بعد الألف الأصلية، فألفها ترجع في التصريف إلى الياء، ألا ترى أنك تقول: غيبت غاية، ويقال: اجتمعوا وتغايوا عليه فقتلوه، ولو اشتق من الغاوي لقالوا: تغاؤوا، غوغ: الغوغاء: الجراد، وبه سميت سفلة الناس: غوغاء، والغاغة: نبات يشبه (الهنوى)»^(١).

وفي الاصطلاح:

كما يقول الدكتور/ جميل صليبا: «تطلق الغاية على كل مصلحة، أو حكمة تترتب على الفاعل من حيث إنها على طرف الفعل ونهايته، وتسمى فائدة أيضًا، فهما أي الغاية والفائدة متحدتان ذاتًا، مختلفتان اعتبارًا»^(٢).

كما يعرفها السيد الشريف الجرجاني بقوله: «الغاية: ما لأجله وجود الشيء»^(٣).

= الدولية لطبيعيات الأرض، أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسيما، ترجمة: الدكتور / الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: الدكتور محمد جمال الدين الفندي، دار القلم، بيروت، لبنان: ١ / ٩٥.

(١) ينظر: كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د / مهدي المخزومي، وآخرون، دار ومكتبة الهلال، باب العين والقاف: ٤ / ٤٥٧.

(٢) ينظر: المعجم الفلسفي، د/جميل صليبا: ٢ / ١٢١.

(٣) ينظر: التعريفات، للجرجاني، باب الغين: ١ / ١٦١.

ومن خلال التعريفات السابقة فإن الغاية هي الهدف من الشيء، كما أنها هي المصلحة المترتبة على وجود الشيء.

ولقد احتوت سورة الروم على آيات كثيرة تشير إلى هذا الدليل، وهي قول الله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

ومعنى الغاية في الآية السابقة، كما يقول القاسمي «فإن المجانسة من دواعي التضام والتعارف، وجعل بينكم مودة ورحمة: أي توادًا وتراحمًا بعصمة الزواج، بعد أن لم يكن لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون: أي في بدائع هذه الأفاعيل المتينة المبنية على الحكم البالغة»^(٢).

والغاية من الزواج دليل على قدرة الله تعالى الذي جمع الزوجين تحت رباط المودة والرحمة، ونسأل من الذي جمع الزوجين؟ ومن الذي جعل السكن والمودة والرحمة؟ يقول أبو الحسن الخازن في معنى هذا الدليل «خلق حواء من ضلع آدم لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا: أي لتميلوا للأزواج وتألفوهن، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً: أي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة، ولا سبب يوجب التعاطف، وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير تراحم بينهما إلا الزوجان، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ أي في عظمة الله وقدرته»^(٣).

المعنى التفصيلي في هذا الدليل، كما يقول العلماء:

يقول ابن عطية في هذا الدليل، (المودة والرحمة) على بابها المشهور من التواد والتراحم، هذا هو البليغ»^(٤).

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٢) ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي: ٨ / ٩.

(٣) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، لأبي الحسن الخازن: ٣ / ٣٩٠.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ٤ / ٣٣٣.

وقال النسفي في بيان هذه الدليل الوارد في قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾^(١) ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ أي جعل بينكم التواد والترحم بسبب الزواج، وقيل المودة والرحمة من الله، والفرك من الشيطان أي بغض المرأة زوجها، وبغض الزوج المرأة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فيعلمون أن قوام الدنيا بوجود التناسل^(٢)، ونلاحظ أن لفظ امرأة إذا ذكر في القرآن فإن دلالاته تحمل النفور وعدم التوافق الروحي بين الزوجين كما قال تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾^(٣) وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(٤).

أما لفظ الزوجية فيقترب بالتوافق الروحي والإنجذاب بين الزوجين كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٥).

وذلك واضح في العلاقات الطيبة بين الزوجين مثل: إصلاح الزوجة لنبي الله زكريا، وأيضاً أزواج النبي ﷺ في سورة الاحزاب إذاً من سمات العلاقة الزوجية هي المودة والرحمة والسكن.

كما يشير لذلك الإمام الزمخشري حيث قال «وجعل بينكم التواد والترحم بعصمة الزواج، بعد أن لم تكن بينكم سابقة معرفة، ولا لقاء، ولا سبب يوجب التعاطف من

(١) سورة الروم من الآية: ٢١.

(٢) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٢ / ٦٩٥.

(٣) سورة التحريم الآيتان (١٠ - ١١)

(٤) سورة التحريم الآيتان (١٠ - ١١)

قربة أو رحم وعن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: المودة كناية عن الجماع، والرحمة عن الولد، كما قال ﴿وَرَحْمَةً مِّمَّا﴾^(١) وقال: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ وَزَكَرِيَّا﴾^(٢) ويقال: سكن إليه، إذا مال إليه، كقولهم: انقطع إليه، واطمأن إليه - ومنه السكن، وهو الإلف المسكون إليه، فعل بمعنى مفعول، وقيل: إن المودة والرحمة من قبل الله وإن الفرق من قبل الشيطان»^(٣).

إن دليل الغاية في الآية الكريمة، هو أن الغاية من الزواج (المودة والرحمة)، كما أن الغرض من الزواج استقرار الحياة، وإنجاب الذرية التي بها يعمر الكون. فهذا دليل على أن الذي حدد الغاية وجعلها بين الزوجين هو الله تعالى.

الدليل الثاني من الأدلة التي تشير إلى دليل (الغاية) من خلال سورة الروم: قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٤).

أقوال العلماء حول هذا الدليل:

قال أبو منصور الماتريدي في بيان الغاية من ظاهرة البرق «قيل فيه بوجهين: أحدهما: يريكم البرق للخوف والطمع: تخافون سلطانه وقدرته أن يصيبكم ذلك البرق فيذهب بأبصاركم، وطمعاً ترجون رحمته بصرفه عنكم.

والثاني: (خَوْفًا وَطَمَعًا) أي: يريكم البرق فتخافون وتطمعون، يخاف المسافر قطع مسيره ومنعه عنه، وتطمعون، أي: يكلمع المقيم رحمته ما يكثر به أنزاله ومعاشه. والثاني: تخافون الصواعق، وتطمعون المطر»^(٥).

(١) سورة مريم من الآية: ٢١.

(٢) سورة مريم من الآية: ٢.

(٣) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: ٣ / ٤٧٢ وما بعدها.

(٤) سورة الروم الآية: ٢٤.

(٥) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٨ / ٢٦٣.

وقال البيضاوي في بيان الغرض من نزول الماء من السماء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْنِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١) «وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد، فيحيي به الأرض: بالنبات بعد موتها ويبسها، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون: يستعملون عقولهم في استنباط أسبابها، وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته»^(٢).

وبعد عرض أقوال العلماء في توضيح المراد من الآيات يرى الباحث أن دليل الغاية من أدلة وجود الله تعالى لا سيما وأن ختام الآيات في سورة الروم تشير إلى ذلك، ومن هذا المنطلق نجد أن القرآن الكريم له عناية خاصة بلفت أنظار العقول إليه.

يقول الإمام الأكبر الدكتور / أحمد الطيب «وبعضهم يسميه: «دليل القرآن»، إذ كثير من آياته الكريكات تدور حوله ويعنى الدليل الغائي أن النظر في تركيب العالم يقتضي تحقيق حكمة أو غاية يعمل من أجلها الكون، كما يقتضي إثبات صانع حكيم مدبر لهذا النظام، ويعد الفيلسوف الألماني كانت^(٣) أن دليل الغاية من أوضح الأدلة وأقواها في البرهنة على وجود الله تعالى، والغائية واحدة من العلل الأربع^(٤) المعروفة

(١) سورة الروم الآية: ٢٤

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ٤ / ٢٠٥.

(٣) كانت فيلسوف وعالم الماني برز في المجالات التالية (فيزياء فلكية . رياضيات . جغرافية علم الإنسان من بروسيا اعتبر عموماً أحد أكثر المفكرين المؤثرين في المجتمع الغربي الأوروبي الحديث، والفيلسوف الأخير لعصر التنوير، عرف (كانت) التنوير في مقالته الفائزة ما هو التنوير؟ على أنه عصر يشكل تحت الجراءة من أجل المعرفة مما نمى نمط من التفكير الداخلي خالي من قواعد السلطة الخارجية كان (كانت) تأثير حاكم على الرومانية والمثالية فلسفات القرن التاسع عشر، كما شغل عمله نقطة بداية لفلسفة القرن العشرين، توفي سنة ١٢ فبراير، ١٨٠٤م، ينظر: المعجم الفلسفي، د/مصطفى حسيبة، ص ١٠٨.

(٤) علة الشيء: ما يتوقف عليه ذلك الشيء، وهي قسمان: الأول: ما تقوم به الماهية من أجزائها، وتسمى: علة الماهية، والثاني: ما يتوقف عليه اتصاف الماهية المتقومة بأجزائها =

في الفكر الفلسفي، والمأخوذة من النظر في علاقة «الاحتياج» بين الشيء وغيره، وهي علاقة ضرورية ويقصد به أن لكل عمل هدف وغاية، وهو يتفق مع الدليل السابق في أنه يتخذ من المخلوقات دليلاً على وجود الخالق^(١).

ويزيد على ذلك أنّ هذه المخلوقات تدل على قصد في تكوينها وحكمة في تسييرها وتبويرها، فكل ما يحيط بنا من الكائنات يتسق في نظام وانسجام؟ لا ينحرفان ولا يتخلفان، فالذرة^(٢) التي تبلغ حدًا من الصغر، بحيث لو اجتمع بضعة ملايين منها لم يجاوز حجمها جميعاً رأس دبوس هذه الذرة هي مجموعة شمسية مصغرة تقوم النواة «البروتون» فيها مقام الشمس، وتقوم الإلكترونات^(٣) فيها مقام الكواكب، وهي تدور بسرعة فائقة حول النواة كما تدور الكواكب حول الشمس ومادة النجوم (الشموس) هي

= بالوجود الخارجي، وتسمى علة الوجود، وعلة الماهية؛ إما لأنه لا يجب بها وجود المعلول بالفعل بل بالقوة، وهي العلة المادية، وإما لأنه يجب بها وجوده، وهي العلة الصورية؛ وعلة الوجود إما أن يوجد منها المعلول، أي يكون مؤثراً في المعلول موجوداً له، وهي العلة الفاعلية، أو لا، وحينئذ إما أن يكون المعلول لأجلها، وهي العلة الغائية، أو لا، وهي الشرط إن كان وجودياً، وارتفاع الموانع إن كان عدمياً.

العلة التامة: ما يجب وجود المعلول عندها، وقيل: العلة التامة جملة ما يتوقف عليه وجود الشيء، وقيل: هي تمام ما يتوقف عليه وجود الشيء، بمعنى أنه لا يكون وراء شيء يتوقف عليه، العلة الناقصة: بخلاف ذلك، ينظر: التعريفات للجرجاني: ١ / ١٥٤.

(١) يقصد بذلك الاستدلال من المعلول إلى العلة: برهان إنّي، ينظر: التعريفات، ج ١، ص ٤٤
(٢) الذرة في الأصل هي الجزء الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ، ويطلق المحدثون لفظ الذرة على أصغر جزء من عنصر مادي ما، يصح أن يدخل في التفاعلات الكيماوية، وهذه الأجزاء المادية ثابتة الكيفيات، منها الذرة الكيماوية، وهي أصغر جزء في العنصر الكيماوي. ينظر: المعجم الفلسفي د/جميل صليبا: ١ / ٥٨٨.

(٣) علم الإلكترونيات: فرع من الفيزياء يتناول الإلكترونات وآثارها واستخدام الأدوات الإلكترونية البرمجة الإلكترونية - البريد الإلكتروني - البطاقة الإلكترونية - التقنيات الإلكترونية - إلخ، ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د / أحمد مختار عبد الحميد عمر، باب، ا، ل، ك، ت، رون، : ١ / ١١١.

مادة الكواكب وكل منها سابح في فلكه إلى مستقر له يعلمه الله»^(١).

الدليل السادس من أدلة وجود الله (دليل تعدد مزايا كل آية):

لقد تحدثت السورة الكريمة عن آيات عديدة وكل هذه الآيات تدل دلالة مطابقة^(٢) على وجود الخالق - جلا وعلا - ولقد وردت آيات عديدة في سورة الروم تبين مزايا كل آية من هذه الآيات قول الله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتَلَفَ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّوْنَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ٥٥ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ٥٦﴾^(٣).

أقوال العلماء حول هذا الدليل:

يقول الإمام فخر الدين الرازي: «لما بين دلائل الأنفس ذكر دلائل الآفاق، وأظهرها خلق السموات والأرض، فإن بعض الكفار يقول في خلق البشر وغيره من المركبات إنه بسبب ما في العناصر من الكيفيات، وما في السموات من الحركات، وما فيها من الاتصالات، فإذا قيل له فالسماء والأرض لم تكن لامتزاج العناصر واتصالات الكواكب، فلا يجد بداً من أن يقول ذلك بقدرة الله وإرادته، ثم لما أشار إلى دلائل الأنفس والآفاق، ذكر ما هو من صفات الأنفس بالاختلاف الذي بين ألوان الإنسان، فإن واحداً منهم مع كثرة عددهم وصغر حجم خدودهم وقودودهم لا يشتبه بغيره والسموات مع كبرها وقلة عددها مشتبهات في الصورة والثاني: اختلاف كلامهم، فإن عربيين هما أخوان إذا تكلموا بلغة واحدة، يعرف أحدهما من الآخر، حتى إن من

(١) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . مصر . مقال للإمام الأكبر ا د / أحمد الطيب: ١ / ٤٧٣ .

(٢) الدلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له، من حيث إنه تمام ما وضع له، وذلك مثل دلالة المثلث على السطح المستوي المحوط بثلاثة خطوط مستقيمة، يراجع: المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، د/عوض الله جاد حجازي، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، ط٤، ص ٤٤ .

(٣) سورة الروم: الآيتان: ٢٢ - ٢٣ .

يكون محجوبًا عنهما لا يبصرهما، يقول هذا صوت فلان، وهذا صوت فلان الآخر، وفيه حكمة بالغة، وذلك لأن الإنسان يحتاج إلى التمييز بين الأشخاص، ليعرف صاحب الحق من غيره، والعدو من الصديق، ليحترز قبل وصول العدو إليه، وليقبل على الصديق قبل أن يفوته الإقبال عليه، وذلك قد يكون بالبصر فخلق اختلاف الصور وقد يكون بالسمع فخلق اختلاف الأصوات، وأما اللمس والشم والذوق، فلا يفيد فائدة في معرفة العدو والصديق، فلا يقع بها التمييز، ومن الناس من قال المراد اختلاف اللغة كالعربية والفارسية، والرومية وغيرها، والأول أصح، ثم قال تعالى: ﴿لَا يَكُنِ لِلْعَالَمِينَ﴾ لما كان خلق السموات والأرض لم يحتمل الاحتمالات البعيدة التي يقولها أصحاب الطبائع، واختلاف الألوان كذلك، واختلاف الأصوات كذلك قال: للعالمين لعموم العلم بذلك»^(١).

ويقول الإمام الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقُ الْإِنسَانِ وَالْأَنْعَامِ وَالْأَنْبِيَاءِ﴾^(٢) أن المراد بالأسنة الأصوات والنغم، ونصّ على أنه أصح من المحكي، ولأنكم بياض الجلد وسواده وتوسط فيما بينهما، أو تصوير الأعضاء وهيئاتها، ولوانها وحلاها بحيث وقع التمايز بين الأشخاص حتى إن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما، والأمور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة، وإن كانا في غاية التشابه، فالألوان بمعنى الضروب والأنواع، كما يقال: ألوان الحديث ولوان الطعام، وهذا التفسير أعم من الأول، وإنما نظم اختلاف الأسنة والألوان في سلك الآيات الأفاقية من خلق السماوات والأرض مع كونه من الآيات الأنفسية الحقيقة بالانتظام في سلك ما سبق من خلق أنفسهم وأزواجهم للإيذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من متممات خلقهم إن في ذلك أي فيما ذكر من خلق السماوات والأرض واختلاف الأسنة والألوان

(١) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي: ٢٥ / ٩٢.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٢.

لآيات عظيمة كثيرة للعالمين أي المتصفين بالعلم»^(١).

فآية الله واضحة جلية في إبراز القدرة الإلهية في اختلاف الألوان يقول الاستاذ الدكتور / جمال سعيد «ومهما توافق جنس أو قبيلة أو جمال، فلا بد وأن الله يفرق بينهم، وبخاصة لون بشرتهم، ولا يقتصر اختلاف الألوان على الإنسان وحسب، بل إن جميع المخلوقات من نبات وجماد وحيوان يختلف ألوانهم أيضاً، وهذه آية الله في خلقه قال تعالى: ﴿الْمَرْتَرَانِ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۗ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، وَكَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝﴾^(٢) ينبيه الله عز وجل عباده على كمال قدرته في خلقه، اختلاف ألوان النباتات مع أن أصل سقياه وتغذية واحد وهو الماء الذي ينزله الله عز وجل من السماء، فنجد الثمار مختلفاً ألوانها فيكون منها الأخضر والأصفر والأحمر والأبيض كما هو مشاهد من اختلاف ألوانها وطعومها وروائحها. وأيضاً خلق الله الجبال مختلفة الألوان كذلك، فمنها الأبيض ومنها الأحمر وفي بعضها مختلفة الألوان»^(٣).

والحكمة تظهر في تعدد مزايا الآيات في اختلاف الألوان، والأصوات، كما يقول الخازن: «والحكمة في اختلاف الأشكال والأصوات للتعارف، أي ليعرف كل واحد بشكله وحيثيته، وصوته، وصورته فلو اتفقت الأصوات، والصور، وتشاكلت، وكانت ضرباً واحداً لوقع التجاهل والالتباس، ولتعطلت مصالح كثيرة، وليعرف صاحب الخلق

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي: ١١ / ٣٢.

(٢) سورة فاطر، الآيتان (٢٧، ٢٨).

(٣) ينظر: الأستاذ الدكتور / جمال محمد سعيد عبد الغني، فلسفة الألوان في الإسلام، بحث

منشور في حولية كلية أصول الدين بالمنوفية، العدد ١٥، سنة ١٩٩٥م ص ٤٢٢ وانظر: د/

جمال محمد سعيد عبد الغني، طأملات بين الألوان والغرائز والشيخوخة، مكتبة زهراء الشرق

. القاهرة، ١٩٩٨م ص ٨.

من غيره، والعدو من الصديق والقريب من البعيد، فسبحان من خلق الخلق على ما أَرَادَ، وكيف أَرَادَ.

وفي ذلك دليل على سعة القدرة، وكمال العظمة (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ): أي لعموم العلم فيهم^(١).

وبعد عرض أقوال العلماء في بيان تعدد مزايا الآيات البيّنات الواضحة في الدلالة على وجود الله تعالى يرى الباحث أَنَّ الحقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر عددًا من الآيات في تلك السورة، وما ذلك إلا ليلفت الأنظار إلى معرفته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن تلك الآيات (خلق الإنسان من التراب)، ومنها أيضًا (أَن خلق لنا من أنفسنا أزواجًا للسكن)، و منها أيضًا (آية المنام)، (و اختلاف اللسنة والألوان)، كل هذا يدلنا على وجود الله تعالى الذي بيده الأمور فكل ما نراه من مظاهر الكون إنما هو من الله وحده، ولذلك نرى في ختام الآيات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢) دلالة على تعدد مزايا كل آية، وهذا إن دلّ فإنما يدل على أَنَّ هذا مظهرًا من مظاهر التقدير في الآفاق، ونرى إذاً اختلاف الألسنة والألوان إنما هو دليل على وجود الله.

يقول ابن القيم موضحًا أَنَّ هذا الاختلاف ليس من الطبيعة وإنما هو من الله تعالى: «هذا الاختلاف والفرق الحاصل في النوع الإنسان بين صورهم فقل ان يرى اثنان متشابهان من كل وجه وذلك من اندر ما في العالم بخلاف اصناف الحيوان كالنعم والوحوش والطير وسائر الدواب فإنك ترى السرب^(٣) من الظباء، والثلة من

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن: ٣ / ٣٩٠.

(٢) ختام الآيات من سورة الروم (من الآية: ٢٢، ٢٣، ٢٤)

(٣) السرب: قطع من الظباء والجواري والقطا، والسربة: الطائفة من السرب، ينظر: كتاب العين:

للخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، باب السين والراء والباء، ٧ / ٢٤٨.

الغنم، والذود من الإبل والصور^(١) من البقر تتشابه، حتى لا يفرق بين واحد منهما وبين الآخر، إلا بعد طول تأمل أو بعلامة ظاهرة والناس مختلفة صورهم وخلقتهم، فلا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة، وخلقة واحدة، بل ولا صوت واحد، وحجرة واحدة، والحكمة البالغة في ذلك أن الناس يحتاجون إلى أن يتعارفوا بأعينهم، وحلاهم لما يجرى بينهم من المعاملات، فلولا الفرق والاختلاف في الصور لفست أحوالهم وتشتت نظامهم، ولم يعرف الشاهد من المشهود عليه ولا المدين من رب الدين، ولا البائع من المشتري، ولا كان الرجل يعرف عرسه من غيرها للاختلاط، ولا هي تعرف بعلها من غيره، وفي ذلك أعظم الفساد، والخلل فمن الذي ميّز بين حلاهم وصورهم وأصواتهم، وفرّق بينها بفروق لا تتألفها العبارة، ولا يدركها الوصف فسل المعطل أهدا فعل الطبيعة؟ وهل في الطبيعة اقتضاء هذا الاختلاف والافتراق في النوع؟ وأين قول الطبائعين إن فعلها متشابه؛ لأنها واحدة في نفسها لا تفعل بإرادة ولا مشيئة فلا يمكن اختلاف أفعالها فكيف يجمع المعطل بين هذا وهذا؟ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٢)، وربما وقع في النوع الإنساني تشابه بين اثنين لا يكاد يميز بينهما فتعظم عليهم المؤنة في ملتهما^(٣)، وتشتد الحاجة إلى تمييز المستحق منهما والمؤاخذ بذنبه ومن عليه الحق وإذا كان هذا يعرض في التشابه في الأسماء كثيراً ويلقى الشاهد والحاكم من ذلك ما يلقي فما الظن لو وضع التشابه في الخلقة

(١) الصور: جماعة البقر، وجمعه صيران. ينظر: الجراثيم، ينسب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، حققه: محمد جاسم الحميدي، قدم له الدكتور /مسعود بوبو، وزارة الثقافة، دمشق، ٢ / ٢٧٣.

(٢) سورة الحج من الآية: ٤٦

(٣) يقول الراغب الأصفهاني في مفردات غريب القرآن: الملة كالدين، وهو اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله، ينظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق - الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ، باب ملل: ١ / ٧٧٣.

والصورة، ولما كان الحيوان البهيم والطير والوحوش لا يضرها هذا التشابه شيئاً لم تدع الحكمة إلى الفرق بين كل زوجين منها ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(١) الذي وسعت حكمته كل شيء^(٢) إذاً الاختلاف في الألسنة والألوان إنما هو من صنع الله، وذلك لكي يتعرف الناس على خالقهم، ولهذا حثهم على النظر والتفكير في ذلك.

«والتعرف إلى الله عن طريق هذه الفطرة أمر سهل ميسور لا يحتاج إلى علم غزير أو نظر فلسفي، وإنما تكفي فيه النظرة الخالصة في صفحات هذا الوجود، نظرة في الأرض أو السماء.. في الليل أو في النهار.. في عالم الحياة أو الموت.. في النبتة الصغيرة، أو الشجرة الباسقة.. نظرة واحد إلى أية صورة من صور هذا العالم وإلى أي لون من ألوانه ترى أن العقل وشواهد ناطقة بقدرة الخالق العظيم، وتحمل إلى القلب شواهد ناطقة بقدرة الخالق العظيم، وتحمل إلى القلب فيضاً من الإجلال والإكبار لهذا الصانع المبدع ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾^(٣).

فإذا يبلغ البصر من هذا المحيط العظيم الذي لا تضمه قيود ولا حدود؟ أولى له، ثم أولى أن يقف عند حده، وأن يرضى من النظرة الأولى بما يتكشف له من عجائب وأسرار. تلك هي طريقة الإسلام في معرض الهداية إلى الله والدعوة إليه.. إنه يوقظ العقل أولاً.. يوقظه في رفق ويسر حين يلفته إلى مظاهر الكون المحيط به، والواقعة تحت سمعه وبصره، يريد أن يلتفت إليها لفتة حاملة شاعرة، لا أن يغوص في أعماقها يطلب عللها وأسبابها ويلتمس عناصرها وأجزءها»^(٤).

(١) سورة المؤمنون، من الآية: ١٤.

(٢) ينظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة . محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- دار الكتب العلمية . بيروت . بدون ط: ١ / ٢٦٧ وما بعدها.

(٣) سورة الملك: الآيتان: ٣، ٤.

(٤) العلم يدعو للإيمان - كريسي موريسون، ت: محمود صالح الفلكي بدون ط، ولا دار نشر

الدليل السابع من أدلة وجود الله من خلال السورة (برهان المثل الأعلى) :

نجد أن المولى - تبارك وتعالى - بتفرده بالمثل الأعلى في السماوات والأرض، وجعله أساساً لما يجب له من الإثبات والتنزيه، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝﴾^(١).

تعريف المثل الأعلى :

في اللغة: يقول صاحب مقاييس اللغة «المَثَلُ، والمِثْلُ أيضاً، كشبه وشبهه، والمثل المضروب مأخوذ من هذا»^(٢).

المَثَلُ، والمِثْلُ، يستعمل حقيقة في ثلاثة معان:

الأول: الشبيه والنظير، يقال: هذا مثل هذا، أي نظيره، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾^(٣)، أي أن قول مشركي العرب نظير، وشبيه قول من قبلهم من اليهود والنصارى في العتو والمكابرة^(٤).

الثاني: المثل المضروب، وهو القول السائر الممثل مضربه بمورده غالباً، أي أن

(١) سورة الروم الآيتان: ٢٧ . ٢٨.

(٢) ينظر في معاني المثل لغة: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، باب الميم والثاء وما يثلثهما: ٥ / ٢٩٦، ٢٩٧، مختار الصحاح للرازي مادة م ث ل: ٤ / ٢٩٠.

(٣) سورة البقرة من الآية: ١١٣.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ.

ما ضرب فيه ثانيًا جعل مثلًا لما ورد فيه أولاً^(١).

الثالث: الصفة، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾^(٢)، أي: صفة الجنة التي وعد المتقون، وقوله: ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾^(٣)، أي صفتهم في التوراة والإنجيل^(٤).

قد رأى الزمخشري ومن وافقه أن لفظ المثل استعمل في هذه المعاني تدريجيًا، ووفق مراحل زمنية محددة، فكان أولاً بمعنى الشبيه، ثم أطلق على المثل المضروب، ثم استعير لكل صفة فيها غرابة المثل من غير اعتبار تشبيه، ولهذا اعتبروا المعنى الأول أصل اللفظ لغة، والثاني معناه في عرف اللغة، والثالث معناه في مجاز اللغة^(٥).

وهذا الرأي مبني على وجود مواضعة متقدمة على استعمال اللفظ، وهو أمر يعسر إثباته، ويستلزم أن تكون اللغات اصطلاحية، والحق أنها إلهامية، بمعنى أن الله تعالى ألهم الإنسان أن يعبر عما يتصوره ويريده من غير مواضعة متقدمة^(٦).

المراد بالمثل الأعلى:

اختلف العلماء في بيان معنى المثل الأعلى على أربعة أقوال:

الأول: أن المثل الأعلى بمعنى الصفة العليا، وهو قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

(١) ينظر: الكشف للزمخشري: ٤ / ٦٥٢، روح المعاني للألوسي: ٦ / ٢٣٥.

(٢) سورة الرعد من الآية: ٣٥.

(٣) سورة الفتح من الآية: ٢٩.

(٤) ينظر: تفسير القرطبي: ١٦ / ٢٢٤.

(٥) ينظر: الكشف للزمخشري: ٤ / ٦٥٢، روح المعاني للألوسي: ٦ / ٢٣٥.

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق:

عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية،

المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥: ٧ / ٩٠-٩٧.

وكثير من أئمة التفسير^(١)، والمراد بالصفة الجنس فتعم جميع صفات الكمال^(٢).. والتفرد بصفات الكمال يستلزم بطلان التمثيل، ولهذا قال ابن القيم: «المثل الأعلى.... هو الكمال المتضمن للأمور الوجودية، والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان أعلى من غيره، ولما كان الرب تعالى هو الأعلى، ووجهه الأعلى، وكلامه الأعلى، وسمعه الأعلى، وبصره وسائر صفاته عليا كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان؛ لأنهما إن تكافأ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافأ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده، يستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير، وهذا برهان قاطع من إثبات صفات الكمال على استحالة التمثيل والتشبيه»^(٣)... تحليل معه المثل، والله أعلم، الثاني: أن المثل الأعلى بمعنى: شهادة أن لا إله إلا الله، أو التوحيد، أو الإخلاص والتوحيد، أو ما يكون في قلوب أولياء الله من معاني الإيمان، أو ما ضربه الله للتوحيد والشرك من الأمثال، وتؤثر هذه الأقوال ونحوها عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقتادة، ومجاهد، ومحمد بن المنكدر، وغيرهم^(٤)... وجمعها

(١) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ: ٣ / ٥٧٦، زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ، ٣ / ٤٢١، تفسير القرطبي: ١٤ / ٢٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٤ / ٥٧٨، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ١ / ٤٤٢.

(٣) الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ: ٣ / ١٠٣٣.

(٤) ينظر: تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ٢٢، تفسير ابن كثير: ٦ / ٣١٢، تفسير البغوي: ٥ / ٢٥، جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري: ١٧ / ٢٣٠، الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي دار الفكر - بيروت: ٥ / ١٣٩.

تفسير المثل الأعلى بكلمة التوحيد، أو بما دلت عليه من معاني الإيمان، أو بما يدل على التوحيد من الأمثال، ومؤدّاها شيء واحد؛ لأن مقصود المثل الدعوة للتوحيد، والتوحيد على قواعد أهل السنة والجماعة قول وعمل، لا يقبل أحدهما دون الآخر.

وقد رأى القرطبي ومن وافقه أن المراد من تفسير المثل الأعلى بالشهادة الوصف بالوحدانية، أي وحدانية الذات والصفات^(١).

وهذا غير مسلم؛ لأن الشهادة إنما تدل مطابقة على أفراد الرب بالعبادة؛ لأن الإله بمعنى المعبود، كما نص على ذلك علماء السلف وعلماء اللغة^(٢).

والظاهر أن تفسير المثل الأعلى بكلمة التوحيد، أو بمعناها وما يدل عليها من باب تفسير اللفظ بمقتضاه؛ لأن التفرد بالكمال المطلق يستلزم أفراد الموصوف به بجميع أنواع العبادة، وعلى ذلك يكون مرادهم أنه المعبود في السماوات والأرض، لما تفرد به من الكمال المطلق.

الثالث: أن المثل الأعلى بمعنى النزاهة عن المثل إما مطلقاً، كما يؤثر عن ابن عباس^(٣)، أو مقيداً بصفة الولد، كما ذهب إليه ابن الجوزي ومن وافقه^(٤)، اعتماداً على سباق المثل الأعلى في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٥) نفي المثل محقق لإثبات الكمال المطلق، كما أن إثبات الكمال المطلق

(١) ينظر: تفسير القرطبي: ٢٢/١٤، روح المعاني للأوسى: ٣٨/ ١١، تفسير أبي السعود =

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى،

دار إحياء التراث العربي - بيروت: ٥٨/٧.

(٢) تفسير الطبري: ٢٣٠/١٧، ومقاييس اللغة لابن فارس: ١٢٧/ ١.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠ / ٩٤، الدر المنثور: ٦ / ٤٩١.

(٤) زاد الميسر لابن الجوزي: ٣ / ٤٢١، الصواعق المرسلّة لابن القيم: ٣ / ١٠٣٣.

(٥) سورة النحل الآيات: ٥٧. ٦٠.

محقق لنفي المثل، ولذلك أثر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تفسير المثل الأعلى بالصفة العليا، كما تقدم في القول الأول وأثر عنه أيضا تفسيره بانتفاء المثل كما في هذا القول، وذلك لأن نفي المثل وما في معناه، كالكفاء والند، إذا ورد في سياق المدح والثناء دل على التفرد بصفات الكمال المطلق.

يقول الإمام الدرامي^(١) «قولنا: ليس كمثله شيء، أنه أعظم الأشياء، وخالق الأشياء، وأحسن الأشياء، نور السماوات والأرض، وقول الجهمية: ليس كمثله شيء يعنون: أنه لا شيء»^(٢).

وفي هذه القاعدة رد على من فسر المثل الأعلى بالنزاهة عن صفات المخلوقين من المعتزلة والأشاعرة ومن وافقهم^(٣)؛ لأن مرادهم نفي الصفات كلياً أو جزئياً؛ لأن إثباتها في نظرهم يستلزم التمثيل الممنوع^(٤).

الرابع: أن المثل الأعلى بمعنى الصفة العليا وما تستلزمه من معاني الإيمان قولاً وعملاً، يقول ابن القيم^(٥): «المثل الأعلى يتضمن الصفة العليا، وعلم العالمين بها،

(١) هو: عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني، أبو سعيد: محدث هراة. له تصانيف في الرد على الجهمية، منها «النقض على بشر المريسي - ط «سماء ناشره» رد الامام الدرامي عثمان بن سعيد، على بشر المريسي العنيد»! وله «مسند» كبير توفي في هراة سنة ٢٨٠هـ، ٨٩٤م، الأعلام: ٤/ ٢٠٥

(٢) نَقَضَ الْإِمَامُ أَبِي سَعِيدٍ عُثْمَانَ بْنَ سَعِيدٍ عَلَى الْمَرْيَسِيِّ الْجَهْمِيِّ الْعِنْدِ فِيمَا افْتَرَى عَلَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) النَّوْجِي، أَبُو سَعِيدٍ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ السَّجِسْتَانِيُّ، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ص ٣٥١.

(٣) تفسير الكشف: ٢ / ٦١٣، تفسير أبو السعود: ٥ / ١٢٢، روح المعاني للألوسي: ٧ / ٤٠٩، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي: ٢ / ٢١٨.

(٤) شرح المقاصد، للعالم الإمام مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني: ٤ / ٤٣-٤٧.

(٥) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعِيُّ الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: =

ووجودها العلمي، والخبر عنها وذكرها، وعبادة الرب سبحانه بواسطة العلم والمعرفة القائمة^(١).. فمن نظر منهم لحقيقة المثل الأعلى، فسره بالصفة العليا التي يستحيل معها وجود المثل، أو بانتفاء المثل المستلزم للتفرد بصفات الكمال المطلق، ومن نظر لأثر المثل الأعلى، ومقتضاه فسرهُ بالتوحيد، وما يكون في قلوب المؤمنين من حقائق الإيمان ومعاني التوحيد.

إنَّ الباري - جلا وعلا - تعالى عن الشريك، والمثيل، فهو المتفرد بصفات الجلال والإكرام ليس كمثله شيء، فليس هناك ذات تشبه ذاته، ولا فعل يشبه أفعاله، ولا صفة تشبه صفاته، ومن هنا فإنَّ الباريء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واحد في ذاته وواحد في أفعاله وواحد في صفاته، وهذا الدليل يدل دلالة واضحة على وحدانية وانفراده بدون مثيل فهو وحده المتفرد بالخلق والإيجاد والرزق والإحياء والإماتة... الخ فهذا إنَّ دل فإنما يدل على وجوده ووحدانيته تعالى.



= من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصى. وأطلق بعد موت ابن تيمية وألف تصانيف كثيرة منها (إعلام الموقعين والطرق الحكمية في السياسة الشرعية) و(شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، توفي سنة ٧٥١هـ، ١٣٥٠م، الأعلام: ٥٦/٦

(١) ينظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ / ٣ / ١٠٣٤، شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، دار السلام، الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ١ / ١٣٨.

المبحث الثاني

الصفات الإلهية الواردة في سورة الروم

الناظر في سورة الروم يجد أنها قد تحدثت، عن إثبات الوجدانية لله تعالى ونفي ما عدها من الشريك^(١) أو المثل^(٢) أو الند^(٣)، وبالتالي ثبت لله تعالى صفة الوجدانية، وقبل أن نبدأ في الحديث عن عرض الآيات الدالة على إثبات الصفات الإلهية من خلال السورة الكريمة، لابد أن نقسم الصفات على وجه العموم، ثم نتحدث عن الصفات الواردة في السورة الكريمة بالتفصيل.

أولاً - تعريف الصفة:

يعرفها السيد الشريف الجرجاني بقوله: «الصفة: هي الاسم الدال على بعض

(١) الشريك يجمع على شركاء وأشراك، مثل شريف وشرفاء وأشراف. والمرأة شريكة، والنساء شركاء. وشاركت فلاناً: صرت شريكه، واشتركنا وتشاركنا في كذا، وشركته في البيع والميراث أشركه شركة، والاسم الشرك، قال الجعدي: وشاركنا قريشا في تقاها وفي أحسابها شرك العنان والجمع أشراك، مثل شبر وأشبار، قال لبيد:

تطير عداثد الأشراك شفعاً ووترًا والزعامة للغلام

قال الأصمعي: يقال رأيت فلاناً مشتركاً، إذا كان يحدث نفسه كالمهموم، والشرك أيضاً: الكفر، وقد أشرك فلان، ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، باب شرك: ٤/١٥٩٣.

(٢) المثل: بفتح فسكون جمع أمثال ومثل، النظير المشابه في كل شيء، ينظر: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م: ١/٤٠٤.

(٣) الند: ما كان مثل الشيء يضاده في أموره، والنديد والند سواء، وجمع الند أنداد، ينظر: كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي: ٨/ ١٠.

أحوال الذات، وذلك نحو طويل وقصير وعادل وأحمق، وغيرها. وهي الأمانة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها»^(١).

وجاء في تعريفها أيضًا: بأنها هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات، أو الحالة التي يكون عليها الشيء: كالسواد، والبياض، والعلم، والجهل الخ..»^(٢).

فالصفة من خلال التعريفات السابقة معناها الحالة التي يكون عليها الشيء، والمقصود بالشيء (الموجود) فلا توجد ذات بدون صفات والعكس، وأيضًا لا يوجد موصوف بدون صفة.

ثانيًا - أقسام الصفات:

وتنقسم الصفات الإلهية إلى أقسام؛ لأن هناك صفات، يطلق عليها الصفات النفسية، وهي صفة الوجود، وهناك ما يسمى بالصفات السلبية، وأيضًا هناك ما يسمى بصفات المعاني، والمعنوية، وحول هذه الإشارة يقول الإمام الباقلاني^(٣) «اعلم أن صفاته سبحانه منها نفسية، ومنها معنوية، ثم يعرف صفات النفس بالتعريف الحقيقي^(٤)، فيقول: «وحقيقة صفات النفس كل صفة إثبات لنفس لازمة ما بقيت

(١) ينظر: التعريفات للجرجاني، باب الصاد: ١ / ١٣٣.

(٢) ينظر: المعجم الفلسفي، د/جميل صليبا: ١ / ٢٢٨.

(٣) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها. كان جيد الاستنباط، سريع الجواب. وجهه عضد الدولة سفيرًا عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها، من كتبه إعجاز القرآن (الإنصاف) و(مناقب الأئمة) و(دقائق الكلام) و(الملل والنحل) و(هداية المرشدين)، و(الاستبصار)، و(تمهيد الدلائل)، توفي سنة ٤٠٣ هـ. ١٣١٠ م، ينظر: الأعلام: ٦ / ١٧٦.

(٤) التعريف الحقيقي: هو الذي يكون للماهية التي علم وجودها وعرف ما تركبت منه وذلك مثل تعريف الإنسان، والفرس، والغزال، ومن هذا النوع تعريفات العلوم التي علمت وحددت مسائلها، كعلم النحو، وعلم الأحياء، وغير ذلك، يراجع: المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، د / عوض الله حجازي، ص ٧٢.

النفس غير معللة بعلل قائمة بالموصوف.

ويعرف الصفات المعنوية بقوله: «والصفات المعنوية هي الأحكام الثابتة للموصوف بها معللة بعلل قائمة بالموصوف»^(١).

كما يقسم الصفات الإمام البيجوري في حاشيته على جوهر التوحيد فيقول: «الصفات على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما لا يصح الاستدلال^(٢) عليه إلا بالدليل العقلي، وهو ما توقفت عليه المعجزة من الصفات كوجوده تعالى، وقدرته، وبقائه، وقيامه بنفسه، ومخالفته للحوادث، وقدرته، وإرادته، وعلمه، وحياته.

القسم الثاني: ما لا يصح الاستدلال عليه إلا بالدليل السمعي، وهو كل ما لا تتوقف المعجزة عليه من الصفات كالسمع، والبصر، والكلام.

القسم الثالث: ما اختلف فيه، وهو الوجدانية، والأصح أن دليلها عقلي^(٣).

وقد قسّمها السيد الشريف الجرجاني إلى أربعة أقسام وهي:

- (١) الصفات الذاتية: هي ما يوصف الله بها، ولا يوصف بضدها، نحو القدرة، والعزة، والعظمة، وغيرها.
- (٢) الصفات الفعلية: هي ما يجوز أن يوصف الله بضده، كالرضا، والرحمة، والسخط، والغضب، ونحوها.
- (٣) الصفات الجمالية: ما يتعلق باللفظ، والرحمة.

(١) ينظر: التمهيد للباقلاني: ٢٥.

(٢) الاستدلال: هو تقرير الدليل لإثبات المدلول، سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثر أو العكس، أو من أحد الأثرين إلى الآخر، ينظر التعريفات، للجرجاني: ١ / ١٧.

(٣) ينظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهر التوحيد، دار السلام للطباعة والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م: ٧٢.

(٤) الصفات الجلالية: هي ما يتعلق بالقهر، والعزة، والعظمة، والسعة^(١).

قال الإمام أبو البركات النسفي مبيِّناً تقسيم الصفات فيقول: «إنما الصفات على جهتين (صفات الذات، وصفات الفعل) ثم يبين رَحْمَةُ اللَّهِ هذه الصفات فيقول «وأما صفات الذات كالحياة، والقدرة، والسمع، والعلم، والكلام، والمشئنة، والإرادة، وأما صفات الفعل كالخلق والترزيق، والإفضال، والإنعام، والإحسان، والرحمة، والمغفرة، والهداية، ثم يقول: «الله تعالى بجميع صفاته وأسمائه واحد، وبجميع صفاته وأسمائه قديم أزلي من غير تفصيل فصفات الله وأسمائه لا هو ولا غيره كالواحد من العشرة، ولو قلنا إن هذه الصفات هو الله يؤدي إلى أن يكون إلهين اثنين، والله تعالى واحد لا شريك له، ولو قلنا إن هذه الصفات غير الله تعالى لكانت هذه الصفات محدثة وهذا لا يجوز»^(٢).

بينما يذكر الإمام أبو الحسن الأشعري أن علاقة الذات بالصفات: لا هو هي. ولا هي غيره وهي قائمة بالذات زائدة على الذات وهي قديمة^(٣).

ومن خلال التقسيم^(٤) السابق للصفات نرى أن الصفات منها ما يطلق عليه

(١) ينظر: التعريفات، للسيد الشريف الجرجاني: ١ / ١٣٣.

(٢) ينظر: بحر الكلام، للإمام أبي البركات النسفي، تحقيق: محمد السيد البرسيحي، دار الفتح للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ص ١٠٦.

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري عنى بتصحيحه: هلموت ريتز، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا) الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ج ١، ص ٤٠.

(٤) التقسيم: هو عبارة عن تحليل ما صدق عليه الاسم الكلي، وبيان الأنواع التي تدخل تحته، بحيث يمكن تمييز بعضها عن بعض، ينظر: المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، د/ عوض الله حجازي، ص ٨٣.

الصفات النفسية^(١) وهي صفة (الوجود)^(٢)، ومنها ما يطلق عليه الصفات السلبية وهي القدم، والبقاء، والقيام بالنفس، والمخالفة للحوادث، والوحدانية، ومنها ما يطلق عليه، صفات المعاني وهي صفات سبع المعروفة عند الأشاعرة: (القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة والسمع، والبصر، والكلام)، وقد حصرها الأشاعرة في سبع؛ لأن الناظر في الكون يجد أن الكون خُلق بقدرة وعلى مقتضى علم وغير مكره فثبت أنه خالق الكون بقدرة، وإرادة، وعلم وتلك مسببات لسبب صفة (الحياة) ومعلولات لهذه الصفة التي هي علة لهم، والسمع والبصر والكلام صفات كمال في المخلوق والخالق أولى بها^(٣).

(١) الموجود له أربعة ثبوتات:

- ١ - ثبوت في الأعيان.
- ٢ - ثبوت في الأذهان.
- ٣ - ثبوت في الألفاظ.
- ٤ - ثبوت في النفوس.

والأحوال لها ثبوتات ثلاثة: وهي ما عدا الأول، والصفات النفسية لها ثبوتان:

- ١ - ثبوت في الألفاظ.
- ٢ - ثبوت في النفوس.

يراجع: حاشية الإمام البيجوري على الجوهرة: ص ١٠٥.

(٢) الوجود صفة نفسية وهي واحدة وليس لله صفات نفسية أخرى؛ لأن معنى كونها نفسية أن الذات لا توجد إلا بها، فإذا تعددت لزم أن تكون الذات مركبة من أجزاء بحيث يقوم بكل جزء صفة نفسية من تلك الصفات، ولا يخفى مساره، ينظر: المرجع السابق نفسه.

(٣) حقيقة الوجود: هو الذي لا تعقل الذات بدونه. وحقيقة القدم: هو سلب العدم السابق على الوجود. وحقيقة البقاء: هو سلب العدم اللاحق للوجود. وحقيقة المخالفة: هي سلب المماثلة في الذات والصفات والأفعال. وحقيقة القيام بالنفس: هو سلب الافتقار إلى المحل والمخصص. وحقيقة الوحدانية: هي سلب التعدد في الذات والصفات والأفعال. وحقيقة القدرة: هي صفة يتأتى بها إيجاد الممكن وإعدامه على وفق الإرادة. وحقيقة الإرادة: هي صفة يتأتى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه. والذي يجوز على الممكن سمة تقابلها سمة =

أما الصفات المعنوية، فهي كونه تعالى عالمًا، وكونه تعالى، قادرًا مريدًا، متكلمًا، سميعًا، بصيرًا، وهي صفات أزلية لا أول لها وليست قديمة لأنها غير موجودة فلا يطلق بأنها قديمة لأن القديم مالا أول لوجوده وهي عند بعض المعتزلة تعد من الأحوال.

يقول الإمام أبو البركات النسفي: «وإذا ثبت أن صانع العالم قديم ومن شرط القدم التبرؤ عن النقائص ثبت أنه حي قادر سميع بصير عالم إذ لو لم يكن كذلك كان موصوفًا بالموت والعجز والجهل والعمى والصمم، إذ هذه الصفات متعاقبة لتلك الصفات، إذ لو لم تكن هذه الصفات ثابتة لله تعالى، لثبت ما يعاقبها وهي صفات نقص، ومن شرط القدم الكمال، فدل أنه موصوف، كما بيّنا لضرورة انتفاء اضدادها التي هي من سمات الحدوث لكونها نقائص»^(١).

الآيات التي تثبت الصفات الإلهية من خلال سورة الروم:

أما عن الآيات الدالة على هذه الصفات من خلال السورة فمنها: قول الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

= الوجود والأزمنة والأمكنة والمقادير والجهات والصفات. وحقيقة العلم: هي صفة ينكشف بها المعلوم على ما هو به، انكشافاً لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه، والوجوه ثلاثة: الشك، والوهم، والظن. حقيقة الشك: هو استواء طرفاه، وحقيقة الحياة: هي صفة تصح لمن قامت به أن يتصف بالإرادة، وحقيقة السمع: هي صفة ينكشف بها الموجود على ما هو به، انكشافاً يباين سواه ضرورة. والبصر مثله، ينظر: الحقائق في تعريفات مصطلحات علم الكلام، للإمام المتكلم الفقيه، أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني المالكي، اعتنى بها أبو عبد الرحمن المالكي، بدون نشر ولا ط، ص ٧.

(١) ينظر: تبصرة الأدلة في أصول الدين، للإمام أبي بركات النسفي: ص ٣٥٣.

(٢) سورة الروم من الآية: ٢٧.

أقوال العلماء حول هذا الدليل

قال أبو منصور الماتريدي موضحاً: ان هذه الآية تثبت لله تعالى الصفات الإلهية الواجبة له تعالى فقال: «وقوله: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) أي: له الصفات العالية، ثم هو يخرج على وجوه:

أحدها: أن كل موصوف بالعلو، والرفعة من دونه، فهو الموصوف به في الحقيقة.

والثاني: له الصفة العالية مما يخالف صفات الخلق وشبههم، كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢)، لا تشبه صفاته صفات المخلوقين، ولا اشتبهت صفات الخلق صفاته، وهو ما قاله بعض أهل التأويل^(٣) الذي لا مثل له ولا شبه، لا إله إلا هو، واحد لا شريك له.

ثم يثبت رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ اللَّهُ تَعَالَى الصفات العالية أي الواجبة فقال: «وله الصفات العالية مما لا يضاد بعضها بعضاً: (عالم) لا جهل فيه، (قادر) لا عجز فيه، (عزيز) لا ذل فيه، وأمثال ذلك مما لا يدخل في ذلك نقصان، أو عيب بوجه من الوجوه، ليس كالخلق أنهم يوصفون بالعلم بجهة وبشيء، وبالجهل بجهة أخرى وبشيء آخر، وبالقدرة بجهة أخرى وبشيء آخر، وبالعجز بجهة أخرى وبشيء آخر، وبالعز بجهة أخرى وبشيء آخر، وبالذل بجهة أخرى وبشيء آخر، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى موصوف

(١) سورة الروم من الآية: ٢٧.

(٢) سورة الشورى من الآية: ١١.

(٣) والتأويل: الإخبار بغرض المتكلم بكلام، وقيل التأويل استخراج معنى الكلام لا على ظاهره بل على وجه يحتمل مجازاً أو حقيقة ومنه يقال تأويل المتشابه، ينظر: معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: الشيخ / بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ

بصفات لا يضاد بعضها بعضًا، ولا يدخل في ذلك نقصان بجهة من الجهات، وفي حال من الأحوال؛ لأنه بذاته موصوف بذلك لا بغيره، ولا بسبب، وأما غيره فإنما يوصفون بذلك بأسباب وباعتبار يكون لهم؛ لذلك كان ما ذكر، ولا قوة إلا بالله.

وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: الذي لا يلحقه الذل والضرر بمخالفة خلقه إياه وعصيائهم له، ليس كملوك الأرض إذا خالفهم أتباعهم وحواشيهم ورعيّتهم يذلون ويلحقهم الضرر بإعراضهم عنهم؛ لأن عزهم كان بهم، فبإعراضهم عنهم ومخالفتهم إياهم يذلون، فأما الله - سبحانه - فهو عزيز بذاته، لا يلحقه الضرر والذل بمخالفة الخلق إياه^(١).

ويقول الإمام القرطبي في توضيح هذا الدليل الوارد في قول الله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾^(٢) أي ما أراده (عَلَى) كان.. وعن مجاهد: «المثل الأعلى» قول لا إله إلا الله، ومعناه: أي الذي له الوصف الأعلى، أي الرفع الذي هو الوصف بالوحدانية^(٣).

ومن خلال قول القرطبي أرى أن المراد بالمثل الأعلى أي (الوحدانية) وهي أحد أقسام الصفات السلبية المعروفة عند الأشاعرة.

قال الإمام البيضاوي في بيان هذا الدليل: إن هذا الدليل يثبت لله تعالى جميع الصفات الواجبة لله تعالى «﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾»^(٤) وله المثل الوصف العجيب الشأن (كالقدرة العامة والحكمة التامة، ومن فسره بقول لا إله إلا الله أراد به الوصف بالوحدانية، الأعلى الذي ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه، في السماوات والأرض يصفه به ما فيها دلالة ونطقًا، وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن إبداء ممكن وإعادته،

(١) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٨ / ٢٦٧.

(٢) سورة الرعد من الآية: ٣٥.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: ١٤ / ٢٢.

(٤) سورة الروم من الآية: ٢٧.

الحكيم الذي يجري الأفعال على مقتضى حكمته^(١).

فالله تعالى موصوف بصفات الكمال والإكرام التي لا يختص أحد من الخلق بها. قال أبو البركات النسفي في توضيح هذا الدليل: «وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(٢) أي الوصف الا على الذي ليس لغيره، وقد عرف به ووصف في السموات والأرض على السنة الخلاق، والسنة الدلائل، وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدرات، ويدل عليه قوله «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» أي القاهر لكل مقدور {الحكيم} الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المثل الأعلى «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^(٣)، وعن مجاهد هو قول (لا إله إلا الله) ومعناه: وله الوصف الأرفع الذي هو الوصف بالوحدانية^(٤).

ثم يبين الإمام فخرالدين الرازي أن هذه الآية تثبت لله الصفات الواجبة وتنفي عنه الشريك فقال «وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(٥) يعني هذا مثل مضروب لكم وله المثل الأعلى من هذا المثل ومن كل مثل يضرب في السموات، وأما على الوجه الثاني فمعناه أن له المثل الأعلى أي فعله وإن شبهه بفعلكم ومثله به، لكن ذاته ليس كمثل شيء فله المثل الأعلى وهو منقول عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقيل المثل الأعلى أي الصفة العليا وهي (لا إله إلا الله)، ثم يثبت الإمام الرازي صفات الله تعالى الواجبة له، فقال أيضا: «وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» أي

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ٤ / ٢٠٦.

(٢) سورة الروم من الآية: ٢٧.

(٣) سورة الشورى من الآية: ١١.

(٤) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٢ / ٦٩٧.

(٥) سورة الروم من الآية: ٢٧.

كامل القدرة على الممكنات، شامل العلم بجميع الموجودات، فيعلم الأجزاء في الأمكنة، ويقدر على جمعها وتأليفها»^(١).

ومن هنا فقد أثبت الرازي في الآية الكريمة صفة (العلم، والقدرة) الواجبتين لله تعالى.

ومن الآيات الدالة على إثبات صفات الأفعال لله تعالى من خلال السورة قوله ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢).

أقوال العلماء في الدليل السابق:

يقول ابن عطية في بيان هذا الدليل: «فمن ذلكم - بمعنى من أفعاله، ظاهراً فكأنه» ثم كرر مخاطبة الكفرة في أمر أوثانهم، فذكر أفعال الله تعالى التي لا شريك له فيها وهي: الخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، ولا يمكن أن ينكر ذلك عاقل»^(٣).

فصفات الأفعال الواردة في هذا الدليل لا يختص بها أحد سوى الله تعالى كما وضَّح ابن عطية، وجاء الإمام الألويسي ليعضد ما سبق من الأقوال في إثبات الصفات الإلهية فيقول في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٤) «فمن ذلكم بمعنى من أفعاله، ظاهراً فكأنه قيل: الله (الخالق الرازق المميت المحيي) لا يشاركه شيء ممن لا يفعل أفعاله هذه»^(٥)، فالشريك لا يفعل (الإحياء، ولا الإماتة، ولا يملك رزقا لنفسه، وبالتالي فإنه عاجز عن أن يملك لغيره رزقاً؛ لأن الرزق من أفعال الله وحده.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي: ٩٧ / ٢٥.

(٢) سورة الروم الآية: ٤٠.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: ٤ / ٣٣٩.

(٤) سورة الروم الآية: ٤٠.

(٥) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألويسي: ١١ / ٤٦.

قال الإمام الماتريدي في بيان أن الله تعالى وحده هو المستحق للعبودية، وهو المستحق لجميع صفات الأفعال: «وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾...: ولم تكونوا شيئاً، وأنتم تعلمون ذلك، ﴿تُرْزَقُكُمْ﴾: وأنتم تعلمون ذلك أن لا يقدر الأرزاق لكم غيره، ﴿يُمِيتُكُمْ﴾: وأنتم تعلمون ألا يملك أحد غيره ذلك، فعلى ذلك يملك إحياءكم، ولا يملك أحد ممن تعبدون دونه من الأصنام ذلك، فكيف تعبدون دونه؟!..

وقوله: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ﴾، هذا يحتمل وجهين:

أحدهما: هؤلاء الذين تعبدون شركاؤكم فيما ذكر من الخلق والرزق، فكيف تعبدون وتتخذون آلهة دونه؟!..

والثاني: هل من شركائكم الذين أشركتموها في عبادة الله وألوهيته تملك ما ذكر، يقول: لا تملك شيئاً مما ذكر، على علم منكم أنها لا تملك ذلك، فيقول: فكيف تشركونها في ألوهيته؟!، ثم نزه نفسه وبرأها عن جميع العيوب التي وصفه الملحدون، فقال: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ لأن كلمة (سُبْحَانَ) لفظ تنزيه عن جميع العيوب، والتعالي: هو وصف وتبرئة عن أن يغلبه شيء أو يقهره، هو من العلو، متعال عن أن يغلبه شيء أو يقهره»^(١).

ويقول صاحب مفاتيح الغيب في بيان هذا الدليل: «جمع في هذه الآية بين إثبات الأصلين (الحشر والتوحيد)، أما الحشر فبقوله: ﴿تُرْزَقُكُمْ﴾، والدليل قدرته على الخلق ابتداءً، وأما التوحيد فبقوله: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ﴾، ثم قال تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، فقوله ﴿سُبْحَنَهُ﴾: أي سبّحه تسبيحاً، أي نزهه ولا تصفوه بالإشراك، وقوله: ﴿وَتَعَالَى﴾: أي لا يجوز عليه ذلك، وهذا لأن من لا يتصف بشيء قد يجوز عليه، فإذا قال (سبحوه) أي لا تصفوه بالإشراك، وإذا قال

(١) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٨ / ٢٨٢ وما بعدها

(وتعالى)، فكأنه قال: ولا يجوز عليه ذلك^(١).

ومن خلال ما سبق نرى أن الله تعالى قد اتصف بجميع الصفات الواجبة له تعالى كالقدرة، والعلم، والسمع، والبصر.... الخ من الصفات التي تسمى عند علماء الكلام بصفات المعاني، وأيضاً قد تحدثت السورة عن صفة الوجدانية لله تعالى ونفي ما عدّه من الشريك، كما يقول أبو البركات النسفي في توضيح هذه الآية «﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾»^(٢) أي الوصف الأعلى الذي ليس لغيره وقد عُرف به، ووصف في السموات والأرض على ألسنة الخلائق، وألسنة الدلائل، وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاء وإعادة وغيرهما من المقدورات، ويدل عليه قوله «﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾» أي القاهر لكل مقدور، «﴿الْحَكِيمُ﴾» الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته، وعلمه وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المثل الأعلى «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾»^(٣)، وعن مجاهد هو قول (لا إله إلا الله) ومعناه وله الوصف الأرفع الذي هو الوصف بالوجدانية^(٤).

من الصفات التي ذكرت في سورة الروم (صفة الوجدانية، ونفي الشريك):

ومعناها كما يقول التلمساني^(٥): «والمراد بإله العالم خالقه ومدبره، وهو واحد في

(١) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي: ٢٥ / ١٠٤.

(٢) سورة الروم من الآية: ٢٧.

(٣) سورة الشورى، من الآية: ١١.

(٤) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ج ٢، ص ٦٩٧.

(٥) هو عبد الله بن محمد بن علي، أبو محمد، شرف الدين الفهري التلمساني: فقيه أصولي شافعي، أصله من تلمسان اشتهر بمصر، وتصدر للإقراء، وصنف كتباً، منها «شرح المعالم في أصول الدين» في شستريتي (٣٩٥١) و«شرح التنبيه» في فروع الفقه، سماه «المغني» ولم يكمله، و«شرح خطب ابن نباتة توفي سنة ٦٤٤ هـ - ١٢٤٦ م، ينظر: الأعلام: ٤ / ١٢٥.

ذاته لا إنقسام فيه وواحد في صفاته لا مثيل له وواحد في ملكه لا شريك له ولا ربّ غيره»^(١)، والمعنى أن البارئ -جلّ ذكره- لا شريك له في فعله، ولا شريك له في ذاته، ولا شريك له في صفاته.

يقول الدكتور/ سميح دغيم: «أما الأحدية والواحدية فإن الأحدية صفة الذات، والواحدية صفة الفعل، فيقال أحد بذاته، وواحد بفعاله، ثم إن أحديته ووجدانيته ليست من جهة العدد محتملة بالزيادة والنقصان، والشركة والمثال، فيقال العدد أحد، وآحاد، وواحد، ووجدان، حتى قيل فلان وحيد زمانه وفريد أوانه، وأما وحدانية الرب -جلا وعلا- فمن جهة نفي الأمثال والأنداد عنه، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢).

ويقول إمام الحرمين الجويني^(٣) والتوحيد لفظة مشتركة^(٤) فقد يُراد بها فصل شيء

(١) شرح معالم أصول الدين للإمام فخر الدين الرازي . تأليف شرف الدين عبد الله بن محمد الفهري

المصري التلمساني، تحقيق: نزار حمّادي، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ٤١٨.

(٢) سورة الشورى من الآية: ١١، وينظر: موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، د/سميح

دغيم، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م: ١ / ٣٢.

(٣) هو: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب

بإمام الحرمين: أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعي. ولد في جوين (من نواحي نيسابور)

ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين، وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، جامعاً طرق

المذاهب. ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية فيها، وكان

يحضر دروسه أكابر العلماء، له مصنفات كثيرة، منها «غياث الأمم والتياث الظلم، والعقيدة

النظامية في الأركان الإسلامية والبرهان في أصول الفقه، نهاية المطلب في دراية المذهب في

فقه الشافعية، اثنا عشر مجلداً، والشامل في أصول الدين، على مذهب الأشاعرة، و«الإرشاد

في أصول الدين، توفي سنة ٨٧٨هـ - ١٠٨٥م، ينظر: الأعلام ٤/ ١٦٠.

(٤) المشترك: ما وضع لمعنى كثير بوضع كثير، كالعين؛ لاشتراكه بين المعاني، ومعنى الكثرة ما

يقابل القلة، فيدخل فيه المشترك بين المعنيين فقط، كالقرء، والشفق، فيكون مشتركاً بالنسبة إلى

الجميع، ينظر: التعريفات، للرجاني، باب الميم، ج ١، ص ١١٥.

من شيء وإفراده عنه بعد انضمامه إليه فيقال الفرق بين جوهريين^(١)، فقد وجد كل واحد منهما، وقد يراد بالتوحيد الإتيان بالفعل على التقرير^(٢)، وقد يراد بالتوحيد اعتقاد الوجدانية وهو مراد المتكلمين إطلاقه لقوة اللفظة^(٣).

وعلى هذا فإن الوجدانية عند المتكلمين معناها أنه واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله^(٤)، لا ند له، ولا شريك له.

(١) الجوهر قد يراد به واحد من أمور الآتية:

- ١ - إنه المتحيز الذي لا يقبل القسمة، وهو بناء على إثبات الجوهر الفرد.
- ٢ - الجوهر أنه الذي يصح جريان الأعراض عليه، فإذا دللنا على أن واجب الوجود لذاته يجب أن يكون واجب الوجود في جميع صفاته كان ذلك دليلاً على امتناع التغير عليه.
- ٣ - الجوهر هو الذي يضاف إليه شيء آخر فيحصل مع تركيبه مع غيره شيء ثالث، ينظر: المطالب العالية من العلم الإلهي، فخر الدين الرازي، دار الكتاب العربي: ٢ / ٣٥. والآراء في ذلك متعددة فمنهم من يقول بالجوهر الأحادي بين «الله» والعالم إتحاد، وبين العقل والجسد قال: بذلك الحلاج وابن عربي والسهورودي وباروخ اسبينوزا في الفلسفة الحديثة. ومنهم من قال بالجوهر الثنائي وفرق بين جوهر الله وجوهر العالم أو بين جوهر العقل والجسد مثل المتكلمين وديكارن في الفلسفة الحديثة. أما من قال بالجواهر المتعددة الروحية وعلى رأسها جوهر «الله» أفلاطون وليبنتر الألماني في الفلسفة الحديثة.

(٢) التقرير: وهو تأكيد الكلام بما يرفع احتمال المجاز والتخصيص كقوله تعالى: ﴿مَسْجِدَ الْمَلِكَةِ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [سورة الحجر: ٣٠، وسورة ص: ٧٣]، فقرّر معنى العموم من الملائكة بذكر الكل حتى صار بحيث لا يحتمل التخصيص، يراجع: التعريفات للجرجاني: ٤٧.

(٣) ينظر: الشامل في أصول الدين، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق د/سامي النشار، مكتبة المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٩م، بدون ط، ص ٣٥٤.

(٤) فالوجدانية ثابتة له تعالى في الذات والصفات والأفعال، أما ما يتعلق بالذات فالمولى منفي عنه الكم المتصل، وهو تركيب ذاته تعالى من أجزاء، ومنفي عنه الكم المنفصل، وهو أن تكون شمة ذات مماثلة لذاته تعالى، أما ما يتعلق بالصفات فصفاته تعالى منفي عنها الكم المتصل، وهو تعدد كل صفة من صفاته، كأن يكون له علمان أو قدرتان مثلاً ومنفي عنها =

و يقول الإمام الغزالي: «إن الوجدانية معناها: العلم بأن الله (عز وجل) واحد لا شريك له، فرد لا ند له، انفرد بالخلق والإبداع، واستبد بالإيجاد والاختراع لا مثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١)، وبيانه أنه لو كان اثنين وأراد أحدهما أمراً، فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهوراً عاجزاً ولم يكن إلهاً قادراً، وإن كان قادراً على مخالفته ومدافعته، كان الثاني قوياً قاهراً، والأول ضعيفاً قاصراً ولم يكن إلهاً قادراً^(٢).

ومن شرط الإله أن يكون قادراً وليس عاجزاً، فالسورة الكريمة قد أثبتت لله تعالى الوجدانية في الإيجاد، وأنه وحده المنفرد بالرزق، والإحياء، والإماتة.

ويقول الآمدي^(٣): «وأما المتكلمون أنهم قالوا لو قدرنا وجود الإلهين، وقدرنا أن أحدهما أراد تحريك جرم^(٤) ما، والآخر أراد تسكينه، فإما أن تنفذ إرادة كل واحد منهما،

= الكم المنفصل، وهو أن يكون لغيره مثل صفاته، أما ما يتعلق بالأفعال أن يكون غيره مشاركاً له في فعل من أفعاله، فهو المنفرد وبالإيجاد والتدبير بلا واسطة ولا معالجة ولا مؤثر سواء في شيء من الأشياء، ينظر: حاشية البيجوري على جوهر التوحيد: ص ١١٤.

(١) سورة الأنبياء من الآية: ٢٢.

(٢) ينظر: قواعد العقائد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: موسى محمد علي،

عالم الكتب - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م: ١ / ١٧٢ وما بعدها

(٣) هو: علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي: أصولي، باحث، أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها، وتعلم في بغداد والشام. وانتقل إلى القاهرة، فدرّس فيها واشتهر، وحسده بعض الفقهاء فتعصبوا فيها واشتهر، وحسده ببعض الفقهاء، فتعصبوا عليه، ونسبوه إلى فساد القعيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة، فخرج مستخفياً إلى «حماة»، ومنها إلى «دمشق» فتوفي بها، له نحو عشرين مصنفاً، منها «الإحكام في أصول الأحكام أربعة أجزاء ومختصره، منتهى السؤل، وأبكار الأفكار في علم الكلام، توفي سنة ٦٣١ هـ - ١٢٣٣ م، ينظر: الأعلام: ٤ / ٣٣٢.

(٤) حقيقة الجرم: هو الذي أخذ قدره من الفراغ، ينظر: الحقائق في مصطلحات علم الكلام للتلسماني، ص ١٢.

أو لا تنفذ ولا لواحد منهما أو لأحدهما دون الآخر، فإن نفذت إرادتهما أفضى ذلك إلى اجتماع الحركة والسكون في شيء واحد، في حالة واحدة، وذلك محال، وإن لم تنفذ إرادتهما أفضى إلى عجز كل واحد منهما، وإلى أن يكون الجرم الواحد يخلو من الحركة والسكون معاً، وهو محال أيضاً، وإن نفذت إرادة أحدهما دون الآخر أفضى إلى تعجيز أحدهما، ولو عجز أحدهما لكان عاجزاً بعجز قديم، والعجز لا يكون إلا عن معجوز عنه، وذلك يفضي إلى قدم المعجوز عنه وهو ممتنع^(١).

وعلى هذا فإن إله العالم واحد؛ لأن العالم محدث فدل أن هناك صانع صنعه وأحدثه، يقول الإمام النسفي: «وإذا ثبت أن للعالم محدثاً أحدثه، وصانعاً صنعه كان الصانع واحد إذ لو كان له صانعان لثبت بينهما تمانع^(٢)، وذلك دليل حدوثهما، أو

(١) ينظر: غاية المرام في علم الكلام، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الأمدي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة، ١٣٩١هـ، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، بدون ط، : ١ / ١٥١ وما بعدها.

(٢) برهان التمانع: لإثبات توحيد واجب الوجود مشهور بين المتكلمين. يقول العلامة القاضي كمال الدين أحمد البياضي الحنفي «وبرهان التمانع المشار إليه بقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٩١]، وبقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢]، وبقوله ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [سورة الملك: ٣٠]، ويقرره بوجه: الأول: أن الإله لو تعدد فقدره كل منهما وإرادته كافية في الحدوث والتغير أولاً؟، وعلى الأول يلزم اجتماع علتين التامتين على معلول واحد، وعلى الثاني يلزم العجز المنافي للألوهية، ولا يمكن التوارد والاتفاق على الإيجاد بالاشتراك مع القدرة بالاستقلال؛ لأن تعلق إرادة كلا منهما إن كان كافياً لزم المحذور الأول، وإلا لزم الثاني، الوجه الثاني: أنه لو تعدد الإله لكان العالم محتاجاً إلي كلا منهما، ومستغنيا عنهما لكونهما مبدئين مستقلين له واللازم باطل بالضرورة، الثالث من الوجوه أنه لو تعدد لجاز أن يريد أحدهما شيئاً، والآخر ضده الذي لا ضد له غيره كحركة زيد وسكونه فيمتنع وقوع المرادين، وعدم وقوعهما لامتناع ارتفاع الضدين واجتماعهما، ووقوع أحدهما فيكون مريده هو الإله دون الآخر =

حدوث أحدهما، فإن أحدهما لو أراد أن يخلق في شخص حياة، والآخر أراد أن يخلق فيه موتاً، وكذا في جميع المتضدين^(١) كالحركة^(٢)، والسكون^(٣)، والاجتماع^(٤)، والافتراق^(٥)، والسود، والبياض وغير ذلك، أما إن حصل مرادهما ووجد في المحل المتضادين وهو محال^(٦) في شخص واحد في حالة واحدة، وإن بطلت إرادتهما ولم ينفذ ولم يحصل في المحل لا هذا ولا ذاك، وهو تعجزهما، وإما إن نفذت إرادة أحدهما دون الآخر وفيه تعجز من لم تنفذ إرادته والعجز من أمارات الحدث، فإذا لم

= لعجزه فلا يكون الإله إلا واحد، ينظر: إشارات الإمام من عبارات الإمام، للعلامة القاضي كمال الدين احمد البياضي، زمزم ببلشرز، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ص ٩٧، وينظر: دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ١ / ١٦٤.

(١) وحد الضدين: هو ما تنافيا فيه في الوجود، وحد النقيضين: القولان المتنافيان في المعنى دون الوجود وكل متضادين متنافيان وليس كل متنافيين ضدين عند أبي علي كالموت والإرادة وقال أبو بكر هما ضدان لتمانعهما وتدافعهما أقل، ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر: ١ / ٤٣ وما بعدها

(٢) الحركة: الخروج من القوة إلى الفعل على سبيل التدريج، ينظر: التعريفات، للجرجاني، باب الحاء: ١ / ٨٤.

(٣) السكون: هو عدم الحركة عما من شأنه أن يتحرك، فعدم الحركة عما ليس من شأنه الحركة لا يكون سكوتاً، فالموصوف بهذا لا يكون متحركاً ولا ساكناً، ينظر: السابق: ١ / ٢١.

(٤) الاجتماع: تقارب أجسام بعضها من بعض. اجتماع الساكنين على حدة، ينظر: المرجع السابق، باب الألف: ١ / ١٠.

(٥) الافتراق: كون الجوهريين في حيزين بحيث يمكن التفاضل بينهما، ينظر: المرجع السابق، باب الألف: ١ / ٣٢.

(٦) المحال: ما يمتنع وجوده في الخارج، كاجتماع الحركة والسكون في جزء واحد، ينظر: التعريفات للجرجاني، باب الميم: ١ / ٢٠٥.

يتصور إثبات صانعين قديمين للعالم فكان الصانع واحد ضرورة»^(١).

فهذه الصفة واجبة لله تعالى، فهو واحد في الذات، والصفات، والأفعال، كما قال الإمام محمد عبده^(٢): «ومما يجب له صفة الوحدة ذاتًا ووصفًا ووجودًا، وفعلاً أما الوحدة الذاتية فقد أثبتناها فيما تقدم بنفي التركيب في ذاته خارجًا وعقلًا، وأما الوحدة في الصفة أي أنه لا يساويه في صفاته الثابتة له موجود، فلما بيّنا من أن الصفة تابعة لمرتبة الوجود، وليس في الموجودات ما يساوى واجب الوجود في مرتبة الوجود، فلا يساويه فيما يتبع الوجود من الصفات، وأما الوحدة في الوجود، وفي الفعل ونعني بها التفرد بوجوب الوجود، وما يتبعه من إيجاد الممكنات فهي ثابتة؛ لأنه لو تعدد واجب الوجود لكان لكل من الواجبين تعين يخالف تعين الآخر بالضرورة والألم يتحصل معنى التعدد»^(٣).

ومن خلال ما سبق نرى أن الوجدانية من الصفات السلبية التي تسلب النقص عن الله تعالى، وهو الشريك له في الذات، أو الصفات، أو الأفعال، فليس هناك ذات

(١) ينظر: التمهيد لقواعد التوحيد، للإمام أبي المعين النسفي، تحقيق: حبيب الله بن أحمد: ١٣٠، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ونهاية الأقدام للشهرستاني: ٩٠، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين: ١٩٣، ١٩٤، وشرح المقاصد للتقازاني: ٢ / ٤٥، والتمهيد للباقلاني: ٢٥، والمسائل الخمسون في أصول الدين، للرازي، تحقيق: أحمد السقا، دار الجيل - بيروت. ط ٢، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ص ٥٨.

(٢) محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. ولد في شنرا من قرى الغربية بمصر، ونشأ في محلة نصر (بالبحيرة)، وتعلم بالجامع الأحمدى. بطنطا، ثم بالأزهر. وتصوف وتقليد، وعمل في التعليم، وكتب في الصحف ولا سيما جريدة (الوقائع المصرية) وقد تولى تحريرها. وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين. من مؤلفاته: رسالة التوحيد، في الفلسفة والتصوف، وحاشية على شرح الدواني للعقائد العنصرية، شرح نهج البلاغة، وشرح مقامات البديع الهمداني، توفي سنة ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م، ينظر: الأعلام: ٦ / ٢٥٢.

(٣) ينظر: رسالة التوحيد، محمد عبده بن حسن خير الله، دار الكتاب العربي: ١ / ٢٣.

تشبه ذاته، وليس هناك صفة تشبه صفات الله تعالى، وأيضًا ليس هناك أفعالًا تشبه أفعاله تعالى، من (الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة) وغيرها من الأفعال، وبالتالي فصفة الوجدانية، ثابتة لله تعالى، وهذا ردا على من يقول بالاثنيينية^(١)، والتركيب في الذات العلية تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا^(٢).

(١) هي كون الطبيعة ذات وحدتين ويقابلها كون الطبيعة ذات وحدة أو وحدات. والاثنتان هما الغيران. وقال بعض المتكلمين ليس كل اثنتين بغيرين، وعلم أن الأمم قد اختلفوا في أنه هل يجوز أن يتحد موجودان بحث لا تبقى الاثنيينية بينهما أم لا؟، فذهب تحقيقون أن امتناعه ومال إليه طائفة من متأهية الفلاسفة فقال بعضهم باتحاد النفس مع البدن، وذهب بعضهم إلى اتحاد النفس مع العقل الغول، وزعم قوم من المشائين أن النفس إذا عقلت شيئًا اتحدت مع الصورة المعقولة، وإليه ذهب أبو علي، وذهب قوم من متصوفة الإسلام إلى أن المنقطع عن الدنيا المتوجه إلى الله تعالى قد يتحد مع الله تعالى، وزعم قوم من النصاري أن الاتحاد هو الممازجة بحيث لا يتميز أحدهما عن الآخر كممازجة الماء مع اللبن، وهذا غير متنازع فيه، إلا إذا ادعوا ذلك في الله سبحانه والمشهور عند العلماء في إبطال الاتحاد هو أنهما بعد الاتحاد إن بقيا موجودين فهما اثنان وإن عدما أو أحدهما فلا اتحاد؛ لأن المعدوم لا يتحد بالمعدوم ولا بالموجود وفيه أن الاثنيينية في صورة كونها بوجودين وتعيينين، ولم لا يجوز أن يكونا بعد الاتحاد موجودين بوجود واحد وتعيين واحد كما في الجنس والفصل فإنهما حقيقتا مغايرين موجودتان بوجود واحد وتعيين واحد، وهذا ما اتفق عليه الحكماء، وفيه مناظرة لبعض الفضلاء جرت ببعض النصاري فهناك ملخصه، ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ج ١، ص ٣٧.

(٢) وهذا رد على المجوس الذين إن صانع العالم اثنان (يزدان) و(أهرمن)، فما كان من الخير يخلقه، يزدان، وما مان من الشر يخلقه «أهرمن»، ويزدان هو الله، وأهرمن هو المسيح، وردا على المانوية والديسانية، أن صانع العالم اثنان، نور، وظلمة، فما كان من الخير فهو النور، وما كان من الشر فهو الظلمة، وردا على النصاري، صانع العالم ثلاثة، كما قال الله تعالى مخبرًا عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٧٣]، =

صفات المعاني الواردة في سورة الروم:

لقد تحدث القرآن الكريم عن الصفات الواجبة لله تعالى إجمالاً وتقصيلاً، ومن السور التي تحدثت عن صفات الله تعالى سورة (الروم) ففي هذه السورة، نرى أن الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد ذكر صفة القدرة في أكثر من آية في هذه السورة، وصفة القدرة من صفات المعاني السبعة المعروفة عند علماء الاشاعرة وهي: (القدرة، والإرادة، والعلم، والسمع، والبصر، والكلام، والحياة) وعند الماتريدية أضافوا صفة التكوين، وعند المعتزلة أنكروا (القدرة والعلم والحياة) وقالوا هو قادر بذاته عليم بذاته حي بذاته وأنكروا حدوثها ولم يقولوا بقدمها تنزيهاً لله بتعدد القدماء.

الآيات الدالة على صفة القدرة من سورة الروم:

لقد وردت صفة القدرة في قول الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾^(١)، وفي قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾^(٢)، وفي قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرَجُونَ﴾^(٣)، وفي قوله: ﴿فَانْظُرْ إِلَى ثَأْنِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

= ولكن بعضهم قالوا هم ثلاثة أشخاص . الله المسيح الروح، وبعضهم قال شخصان وصفة . الله . المسيح . العلم، ينظر: أصول الدين، للإمام أبي اليسر محمد البزدوي، تحقيق د/هانز ليبنتز لنس، علق عليه د/أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م: ص ٣١.

(١) سورة الروم: الآية رقم: ١٩.

(٢) سورة الروم: الآيات: رقم: ٢٠.

(٣) سورة الروم: الآية رقم: ٢٥.

(٤) سورة الروم: الآية رقم: ٥٠.

أقوال العلماء حول هذه الآيات:

يقول أبو منصور الماتريدي في بيان قول الله تعالى ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾^(١) يخبر عن قدرته في إنشاء الأشياء مبتدئاً، لا من أصل؛ لأنه قال: (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) والميت ليس فيه الحياة، والميت من الحي، وليس في الحي موت، ولكنه يخرج هذا من هذا على ابتداء الحياة فيه، وابتداء الموت فيه من غير أن كان فيه ما ذكر^(٢).

ثم يوضح الإمام القرطبي الدليل ويعضده فيقول: «بين كمال قدرته، أي كما أحيا الأرض بإخراج النبات بعد همودها، كذلك يحييكم بالبعث»^(٣).

كما يبين أبو البركات النسفي قدرة الله تعالى التي لا يعجزها شيء في إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي فيقول: «﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾»^(٤) تخرجون: أي ومثل ذلك الإخراج تخرجون من قبوركم، والمعنى أن الإبداء والإعادة يتساويان في قدرة من هو قادر على إخراج الميت^(٥).

ومن الآيات التي تشير إلى صفة القدرة الإلهية قول الله تعالى ﴿فَأَنْظِرْ آلَ إِدْرِيسَ إِذِ احْتَمَسَ اللَّهُ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٦). قال الإمام الزمخشري في بيان صفة (القدرة) الإلهية: «إن ذلك يعني أنه القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها، وهو الذي يحيي الناس بعد موتهم، وهو على كل

(١) سورة الروم: الآية: رقم ١٩.

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٨ / ٢٥٨، وما بعدها.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: ١٤ / ١٦.

(٤) سورة الروم: من الآية: رقم ١٩.

(٥) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٢ / ٦٩٤، بتصرف.

(٦) سورة الروم: الآية: ٥٠.

شيء من المقدورات قادر، وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء»^(١).

وأرى أن الزمخشري له فهم خاص اعتزالي لصفة القدرة فهو يثبتها ولكن ليس كما يثبتها الأشاعرة فيذكر أن الله قادر بذاته أي بعين ذاته وليست القدرة زائدة على الذات قائمة بالذات كما يقول الأشاعرة.

قال أبو منصور الماتريدي مبيناً أن النظر في جنبات الكون، والتفكر فيه وفي آثار رحمت الله يجد أن هذا الكون، وما فيه إنما هو من صنع القدرة الإلهية فيقول في معنى قول الله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) «أن يأمر الله بالنظر إلى ذلك المطر، وأنه كيف يحيي هذه الأرضين الموات، وينبت فيها من ألوان النبات؟! وهذه الأشجار اليابسة كيف تخضر بعد يبوستها بهذه الأمطار؟! ليعرفوا أن من ملك هذا، وقدر على ذلك، وهو خارج عن وسعهم وتقديرهم لقادر على إحياء الموتى وبعثهم بعد الممات، وإن كان خارجاً عن تقديرهم ووسعهم، وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء»^(٣) فأثبت لله القدرة ونفى عنه ضدها، وهو العجز؛ لأنه محال على الله تعالى.

ويقول الإمام أبو المعين النسفي مبيناً أن الله تعالى قادر على إحياء الموتى، وذلك أن إحيائهم في حيز الإمكان والقدرة الإلهية تتعلق بالممكن دون الواجب، والمستحيل رغم أن ابن حزم وابن عربي قالوا بأن القدرة تتعلق بالمستحيل واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَخْطَفَنِي مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾^(٤) ولكن الله قيّد قدرته بالإرادة فهو لم يرد ذلك رغم قدرته على فعل المستحيل يقول الإمام ابن حزم «وكذلك من سأل هل يقدر الله تعالى على أن يجعل شيئاً موجوداً معدوماً معاً في

(١) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣ / ٤٨٥.

(٢) سورة الروم: الآية: ٥٠.

(٣) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٨ / ٢٨٩.

(٤) سورة الزمر من الآية (٤)

وقت واحد أو جسماً في مكانين أو جسمين في مكان وكل ما أشبه هذا فهو سؤال صحيح والله تعالى قادر على كل ذلك لو شاء أن يكونه لكونه ومن البرهان على ذلك ما نراه في منامنا مما لا شك فيه أنه محال في حل اليقظة ممتنع يقينا ونراه في منامنا ممكناً محسوساً مرئياً ببصر النفس مسموعاً بسمعها فبالضرورة يدري كل ذي حس أن الذي جعل المحال ممكناً في النوم كان قادراً على أن يوجد ممكناً في اليقظة وكذلك من سأل هل الله تعالى قادر على أن يتخذ ولداً فالجواب أنه تعالى قادر على ذلك»^(١)

يقول أبو المعين النسفي في حصر تعلق القدرة بالممكنات فقط: ﴿لَمْ يَحْيِ الْمَوْتَى﴾^(٢)، يعني أن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم، فهذا استدلال بإحياء الموات على إحياء الأموات ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي وهو على كل شيء من المقدورات قادر، وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء^(٣).

وكما أن القدرة واجبة لله تعالى؛ لأنها لو لم تكن كذلك لاتصف بضدها وضدها محال على الله تعالى، قال الباقلاني: «ويجب أن يعلم: أنه تعالى قادر على جميع المقدورات. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾»^(٤).

ولأننا نعلم قطعاً استحالة صدور الأفعال من عاجز لا قدرة له، ولما ثبت أنه فاعل الأشياء ثبت أنه قادر^(٥).

وعلى هذا فالعجز مناف للقدرة وهو محال على الله تعالى؛ لأنه تعالى موصوف

(١) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي

القرطبي الظاهري مكتبة الخانجي - القاهرة، ج ٢، ص ١٣٨

(٢) سورة الروم جزء من الآية: ٥٠.

(٣) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٢ / ٧٠٦.

(٤) سورة الروم من الآية: ٥٠.

(٥) ينظر: الإنصاف، للباقلاني: ١ / ٩.

بالقدرة على وجود الأشياء أعني الممكنات؛ لأنه يستحيل أن تصدر تلك الممكنات من عاجز.

وبعد عرض أقوال العلماء في بيان القدرة الإلهية والتي ورد ذكرها في سورة الروم نرى أن (القدرة) تتعلق بالممكن؛ لأنه يقبل الوجود، تارة، والعدم تارة أخرى فالله تعالى أوجد الخلق من العدم، أو من مادة سابقة أعنى التراب، كما ورد ذكر هذا في قول الله تعالى: ﴿أَنَّ خَلْقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾^(١) الآية، ثم بعد هذا الإنشاء يصير الإنسان إلى عدم، ثم إلى وجود مرة أخرى، هكذا تقتضي حكمة الله تعالى، كما ورد ذكر هذا في السورة الكريمة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا سُبْحَانَهُ وَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢).

قال الفخر الرازي: «الله الذي خلقكم أي أوجدكم، ثم رزقكم: أي أبقاكم، فإن العرض مخلوق، وليس بمبقى، ثم يميتكم، ثم يحييكم، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء؟ جمع في هذه الآية بين إثبات الأصلين الحشر والتوحيد، أما الحشر فبقوله: (ثم يحييكم)، والدليل قدرته على الخلق ابتداء»^(٣).

فالقدرة واجبة كباقي الصفات الأخرى الواجبة لله تعالى^(٤)، وهي تتعلق بالغير، ولا

(١) سورة الروم من الآية: ٢٠.

(٢) سورة الروم الآية: ٤٠.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: ٢٥ / ١٠٤.

(٤) وهذا رد على من نفى صفات البارئ حيث «قالوا إن الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، لا صفات له وأنه لا علم له ولا قدرة ولا حياة له ولا سمع له، ولا بصر له، ولا عز له، ولا جلال له، ولا عظمة له، ولا كبرياء له، وكذلك قالوا في سائر صفات الله (ﷻ) التي يوصف بها لنفسه، وهذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون، أن للعالم صانعاً لم يزل ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير ولا قديم وعبروا عنه بأن قالوا: نقول عين لم يزل ولم يزدوا على ذلك غير أن هؤلاء الذين وصفنا قولهم من المعتزلة في الصفات لم يستطيعوا أن يظهروا من ذلك ما كانت الفلاسفة تظهره فأظهروا معناه بنفيهم أن يكون للبارئ علم وقدرة وحياة =

تتعلق به تعالى؛ لأنه سبحانه واجب الوجود لذاته، وهي لا تتعلق به؛ لأنه واجب الوجود، وتعلقها بالواجب تحصيل حاصل، وتحصيل الحاصل محال على الله تعالى.

قال الإمام محمد عبده: «ومما يجب له القدرة وهي صفة بها الإيجاد والإعدام، ولما كان الواجب هو مبدع الكائنات على مقتضى علمه وإرادته، فلا ريب يكون قادراً بالبدهة^(١)؛ لأن فعل العالم المرید فيما علم وأراد إنما يكون بسلطة له على الفعل، ولا معنى للقدرة إلا هذا السلطان»^(٢).

وهذه الصفة أزلية قديمة قدم الذات فهي ملازمة لها لا تتفك عنها.

يقول الصاوي^(٣) في شرحه على جوهر التوحيد: «وتعبرنا بأزلية دون قديمة، إما بناء على أن القديم، والأزلي مترادفان، أو على أن الأزلي أعم من القديم؛ لأنه يشمل

= وسمع وبصر ولولا الخوف؛ لأظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره من ذلك، ولأفصحوا به غير أن خوف السيف يمنعهم من إظهار ذلك، ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، ١ / ٤٨٣. ويجب أن ننوه ونشير أن المعتزلة لهم فهم خاص في صفات المعاني فهم لم ينكروها على الإطلاق بل أنهم فهموها أن الصفات عين الذات نوحجتهم هي الدفاع عن الصفات الإلهية بتعدد الشراكة لله تعالى فهو قدير بذاته عالم بذاته حي بذاته، وتلك الصفات قال بها الأشاعرة أنها قديمة والله قديم فيتعدد القدماء وهذا لا تقبله الفطر السليمة ولا العقل.

(١) البديهي: هو الذي لا يتوقف حصوله على نظر وكسب، سواء احتاج إلى شيء آخر من حدس، أو تجربة، أو غير ذلك، أو لم يحتج، فيرادف الضروري، وقد يراد به ما لا يحتاج بعد توجه العقل إلى شيء أصلاً، فيكون، ينظر: التعريفات: ج ١، باب الباء، د ١، ص ٤٣.

(٢) ينظر: رسالة التوحيد، محمد عبده، ص ٢٢.

(٣) هو: أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي: فقيه مالكي، نسبته إلى (صاء الحجر) في إقليم الغربية، بمصر. توفي بالمدينة المنورة. من كتبه (حاشية على تفسير الجلالين وحواش على بعض كتب الشيخ أحمد الدردير في فقه المالكية و) (الفرائد السنية شرح همزية البوصيري، في دار الكتب توفي سنة ١٢٤١ هـ - ١٨٢٥ م، ينظر: الأعلام: ١/ ٢٤٦).

الذات، والصفات المعدم، والموجود وتخصيص القديم بالذات يوجبه الوجوب»^(١).
 إنّ قدرة الله تعالى تعم جميع المقدورات، فهي صفة تستلزم كون الفاعل مختاراً
 يفعل ما يشاء، وذلك لقول الله تعالى ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾^(٢)، وهذا رد على
 المعتزلة القائلين بنفي الصفات لله تعالى لمن قال بذلك من الاشاعرة والماتريدية بينما
 ذهب المعتزلة بهذا الفهم للصفات لأسباب تنزيهية للباري عز وجل^(٣).
 والفلاسفة^(٤) أيضاً القائلين بالإيجاب أي كون العالم قديماً لقدم علته، فعندهم وجود

(١) ينظر: شرح الصاوي على جوهر التوحيد، الشيخ / أحمد بن محمد المالكي الصاوي، تحقيق
 د/عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير . دمشق . بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ١٦٩.

(٢) سورة القصص من الآية: ٦٨.

(٣) لقد نزه المعتزلة الذات بإنكار الصفات الخاصة بالقدرة والعلم والحياة لسببين وجهين وهما: ١-
 أن الله تعالى قادر بذاته عالم بذاته حي بذاته ولو كانت تلك الصفات قديمة لتعدد القدماء
 ولتشبهنا بالنصاري القائلين بالأقانيم الثلاثة (الوجود . العلم . الحياة) أي الأب والإبن والروح
 القدس، وهم متساون في القدم حسب زعمهم، أما الإرادة والكلام عند المعتزلة فحادثين لا في
 محل بالنسبة للكلام مثل (كن) وفي محل مثل تحيز . ومحل الملاك والشجرة والكتب السماوية.
 ٢. نزه المعتزلة الذات الإلهية بقولهم لو كانت الصفات معاني لكانت عرض، ولو كانت كذلك
 لتعلقت تلك العوارض بالجواهر (الذات الإلهية) ولأصبح هناك حامل ومحمول وهذا تشبيهه
 بالحوادث وهذا باطل ومرفوض عقلاً وشرعاً.

(٤) يقول صاحب المواقف: «وأما الفلاسفة فإنهم قالوا إيجاده للعالم على النظام الواقع من لوازم
 ذاته، فيمتنع خلوه عنه، فأنكروا القدرة بالمعنى المذكور لاعتقادهم أنه نقصان، وأثبتوا له
 الإيجاب زعماً منهم أنه الكمال التام، وأما كونه تعالى قادراً بمعنى إن شاء فعل، وإن لم يشأ لم
 يفعل، فهو متفق عليه بين الفريقين، إلا أن الحكماء ذهبوا إلى أن مشيئة الفعل الذي هو
 الفيض والوجود لازمة لذاته، كلزوم العلم وسائر الصفات الكمالية له، فيستحيل الانفكاك بينهما،
 فمقدم الشرطية الأولى واجب صدقه، ومقدم الثانية ممتنع الصدق، وكلتا الشرطيتين صادقتان
 في حق الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأشار المصنف إلى الاحتجاج على كونه قادراً بقوله: وإلا أي وإن لم يكن قادراً بل موجباً
 بالذات لزم أحد الأمور الأربعة، إما نفي الحادث بالكلية، أو عدم استناده إلى المؤثر، =

العلة يستلزم وجود المعلول ونفي العلة يستلزم نفي المعلول، فإذا وجدت المشيئة عندهم وجد العالم وهذا يجعل الله مكرها على الفعل، لكن القدرة الإلهية صفة؛ لأنها صفة إيجاب من العدم إلى الوجود، فهي تأتي بعد إرادة الله تعالى مع أن القدرة والإرادة تعلقهما واحد، وهو (الممكن) إلا أن القدرة صفة إيجاب والإرادة صفة تخصيص، والعلم صفة كشف، فالعلم كشف، والإرادة تخصص، والقدرة تبرز من العدم إلى الوجود.

= أو التسلسل، أو تخلف الأثر عن المؤثر الموجب التام، وبطلان هذه اللوازم كلها دليل بطلان الملزوم، أما بيان الملازمة فهو أنه على تقدير كونه تعالى موجبا، إما أن لا يوجد حادث، أو يوجد، فإن لم يوجد فهو الأمر الأول في الحوادث سواء كانت مجتمعة، أو متعاقبة فيلزم الرابع، وهو التخلف عن المؤثر الموجب التام ضرورة تخلف ذلك الحادث الصادر بلا واسطة عن القديم الذي يوجبه بذاته، وأما بطلان اللوازم، فالأول بالضرورة والثاني بما علمت من أن الممكن الحادث محتاج إلى مؤثر، والثالث بما مر في مباحث التسلسل، والرابع بأن الموجب التام ما يلزمه أثره وتخلف اللازم عن الملزوم محال، وبأنه يلزم الترجيح بلا مرجح من فاعل موجب، فإن وجود ذلك الحادث منه في وقته ليس أولى من وجوده فيما قبله قيل هذا الدليل برهان بديع لا يحتاج إلى إثبات حدوث العالم، وقد تفرد به المصنف رَحِمَهُ اللهُ، وإن شئت قلت في إثبات كونه قادراً لو كان الباري تعالى موجباً بالذات لزم قدم الحادث، والتالي باطل بطلاناً ظاهراً، وأما بيان الملازمة فهو أن أثر الموجب القديم يجب أن يكون قديماً إذ لو حدث لتوقف على شرط حادث كيلا يلزم التخلف عن الموجب التام، وذلك الشرط الحادث يتوقف أيضا على شرط آخر حادث، وحينئذ تسلسل أي لزم التسلسل في الشروط الحادثة متعاقبة أو مجتمعة، وإن وجد فإما أن لا يستند ذلك الحادث الموجود إلى مؤثر موجد أو يستند، فإن لم يستند فهو الثاني من تلك الأمور، وإن استند فإما أن لا ينتهي إلى القديم أو ينتهي فإن لم ينته فهو الثالث منها؛ لأنه إذا استند إلى مؤثر لا يكون قديماً ولا منتهياً إليه، فلا بد هناك من مؤثرات حادثة غير متناهية مع كونها مترتبة مجتمعة، وهو تسلسل محال اتفاقاً وإن انتهى فلا بد هناك من قديم يوجد حادثاً بلا واسطة من الحوادث دفعا للتسلسل، ينظر: كتاب المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي: ٣ / ٧٩، ٨٠.

صفة (الإرادة) كما تصورها سورة الروم:

الآيات الدالة على صفة (الإرادة) من خلال سورة الروم:

أما عن الآيات التي وردت في سورة الروم الدالة على صفة الإرادة الإلهية، فقد وردت في قول الله تعالى: ﴿وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾^(١) وفي قوله: ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، وفي قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمُ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾^(٣).

أقوال العلماء في الأدلة السابقة:

قال الفخر الرازي في بيان صفة الإرادة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾^(٤)، وهم من بعد غلبهم أية فائدة في ذكره مع أن قوله: سيغلبون بعد قوله: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾، لا يكون إلا من بعد الغلبة؟ فنقول الفائدة فيه إظهار القدرة وبيان أن ذلك بأمر الله؛ لأن من غلب بعد غلبه لا يكون إلا ضعيفا، فلو كان غلبتهم لشوكتهم لكان الواجب أن يغلبوا قبل غلبهم، فإذا غلبوا بعد ما غلبوا، دل على أن ذلك بأمر الله، فذكر من بعد غلبهم ليتفكروا في ضعفهم، ويتذكروا أنه ليس بزحفهم، وإنما ذلك بأمر الله تعالى»^(٥)، وعلى هذا فمرد الأمور إلى من بيده الأمر، فالروم قد انتصروا على أعدائهم الفرس بإرادة الله التي تقول للشيء كن فيكون.

قال القاسمي: «لله الأمر من قبل أي من قبل غلبة فارس على الروم ومن بعد أي من بعد غلبة الروم على فارس، ويقال: لله العلم والقدرة والمشئنة من قبل إبداء الخلق، ومن بعد إفناء الخلق، والمعنى: أن كلا من كونهم مغلوبين أولا، وغالبين آخرًا، ليس

(١) سورة الروم، الآية ٣.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٥.

(٤) سورة الروم، الآية: ٣.

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي: ٢٥ / ٨٠.

إلا بأمره وقضائه، وعلمه ومشيتته^(١).

قال الفخر الرازي مبيِّناً أن الأمر لله: أي مرده له سبحانه وتعالى وحده، فيقول في معنى قول الله تعالى: ﴿فِي يَضْعُ سَيِّئٌ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢): «ثم قال تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أي من قبل الغلبة ومن بعدها، أو من قبل هذه المدة ومن بعدها، يعني إن أراد غَلَبَهُمْ غَلَبَهُمْ قبل بضع سنين، وإن أراد غَلَبَهُمْ غَلَبَهُمْ بعدها، وما قَدَّرَ هذه المدة لعجز، وإنما هي إرادة نافذة»^(٣).

كما يقول الإمام القرطبي في بيان صفة الإرادة الواردة في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(٤) أخبر تعالى بانفراده بالقدرة، وأن ما في العالم من غلبة وغيرها إنما هي منه وبإرادته وقدرته، فقال: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾ أي إنفاذ الأحكام»^(٥).

فالله تعالى هو المريد، وهو الفَعَّال، فلا يقع شيء في الكون صغر أم عظم إلا بمراد الله أي بإرادته تعالى.

قال أبو منصور الماتريدي في بيان هذه الصفة - أي الإرادة الواجبة لله تعالى في قوله سبحانه: ﴿فِي يَضْعُ سَيِّئٌ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٦) - : «حيث زعموا أنه أراد ألا يفي بما وعد أنه يكون، وإن قالوا: نعم، قيل: دل أنه أراد ما فعلوا، وإن كان الفعل منهم فعل معصية وخلاف، إذ محاربة كل فريق أصحابهم معصية، إذ لم يؤمروا بذلك، وإنما أمروا بالإسلام، فدل أن الله مريد لما

(١) ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي: ٨ / ٥.

(٢) سورة الروم الآية: ٤.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي: ٢٥ / ٨١.

(٤) سورة الروم الآية: ٤.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: ١٤ / ٦.

(٦) سورة الروم الآية: ٤.

يعلم أنه يكون منهم، وإن كان ما يكون منهم معصية»^(١).

فالله تعالى قد صدق وعده بأن جعل النصر حليفاً للمؤمنين، وبالتالي كل ما حدث من نصر وهزيمة وغير ذلك فإنما هو بمراد الله تعالى أعني إرادته ومشيئته.

قال الإمام النسفي: «إن كل شيء في الكون بمراد الله» ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(٢) أي من قبل كل شيء، ومن بعد كل شيء، أو حين غلبوا وحين يغلبون، كأنه قيل من قبل كونهم غالبين، وهو وقت كونهم مغلوبين، ومن بعد كونهم مغلوبين، وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين أولاً، وغالبين آخراً، ليس إلا بأمر الله وقضائه ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٣) وَيَوْمَئِذٍ: ويوم تغلب الروم على فارس، ويحل ما وعد الله من غلبتهم»^(٤) فهم من بعد الغلبة ومن قبلها، أو كونهم غالبين، أو مغلوبين كل ذلك بمشيئته، وإرادته، ويشير إلى هذا المعنى أبو الحسن الخازن حيث يقول: «أي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها، فمن غلب فهو بأمر الله تعالى وقضائه وقدره»^(٥).

الدليل الثاني من سورة الروم الذي يثبت لله تعالى (صفة الإرادة) قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾^(٦) المعنى الإجمالي لهذا الدليل وهو أن قيام السماء بلا عمد، والأرض في استقرارها، يعني بإرادة الله تعالى النافذة في الكون، فلا يقع في كونه شيء إلا بمراده وأمره.

(١) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٨ / ٢٤٩ وما بعدها.

(٢) سورة الروم الآية: ٤.

(٣) سورة الروم الآية: ٤.

(٤) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٢ / ٦٩٠.

(٥) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، أبو الحسن الخازن: ٣ / ٣٨٧.

(٦) سورة الروم الآية: ٢٥.

ويشير إلى هذا المعنى الإمام القنوجي^(١) حيث يقول في معنى الدليل السابق «بأمره أي: قيامهما واستمساكهما بإرادته سبحانه، وقدرته بلا عمد يعمدهما، ولا مستقر يستقران عليه، قال الفراء: يقول إن تدوما قائمتين بأمره»^(٢).

أقوال العلماء في توضيح هذا الدليل:

قال الفخر الرازي: «ومن آياته قيام السماوات والأرض واستمساكهما بغير عمد بأمره أي بقوله: كونا قائمتين، والمراد بإقامته لهما: إرادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال»^(٣).

ويعضد هذا الكلام السابق الإمام البيضاوي في بيان هذه الآية الكريمة: «﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾»^(٤) قيامهما بإقامته لهما، وإرادته لقيامهما في حيزيهما المعينين من غير مقيم محسوس، والتعبير بالأمر للمبالغة في كمال القدرة، والغنى عن الآلة.

ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون عطف على أن تقوم على تأويل مفرد كأنه قيل: ومن آياته قيام السماوات والأرض بأمره، ثم خروجكم من القبور إذا دعاكم دعوة واحدة فيقول: «أيها الموتى اخرجوا، والمراد تشبيهه سرعة ترتب حصول

(١) هو: حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي: من مشايخ العلم في الهند. من أهل قنوج. وهو والد العلامة صديق حسن خان. تعلم في دهلي، وعاد إلى بلده قنوج، له تصانيف باللغات الثلاث: العربية والنهدية والفارسية، منها (الاختصاص في الحدود والقصاص) توفي سنة ١٢٥٣ هـ - ١٨٣٧ م، ينظر: الأعلام، للزركلي: ٢ / ٢٠٦.

(٢) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، عني بطبعه وقدّم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ج ١٠، ص ٢٤٠.

(٣) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣ / ٤٧٥.

(٤) سورة الروم الآية: ٢٥.

ذلك على تعلق إرادته، بلا توقف واحتياج إلى تجشم عمل بسرعة ترتب إجابة الداعي المطاع على دعائه»^(١)، فالإرادة الكونية هي التي تتحكم في الكون، والتعبير بالأمر للمبالغة في وقوع الأشياء وفق علمه وإرادته تعالى.

ويقول الآمدي: «مذهب أهل الحق أن الباري تعالى مريد بإرادة قائمة بذاته قديمة أزلية وجودية واحدة لا تعدد فيها متعلقة بجميع الجائزات غير متناهية بالنظر إلى ذاتها، ولا بالنظر إلى متعلقاتها»^(٢).

فالله تعالى مريد لما يقع في الكون على وفق علمه تعالى؛ لأن جميع الأفعال مستندة إلى مشيئته تعالى وحده.

يقول الإمام الغزالي: «العلم بكونه تعالى مريدًا لأفعاله، فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته، وصادر عن إرادته فهو المبدئ المعيد، والفعل لما يريد، وكيف لا يكون مريدًا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده؟ وما لا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده، والقدرة تناسب الضدين، والوقتتين مناسبة واحدة، فلا بد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد المقدورين، ولو أغنى العلم عن الإرادة في تخصيص المعلوم حتى يقال إنما وجد في الوقت الذي سبق بوجوده، لجاز أن يغني عن القدرة حتى يقال بغير قدرة؛ لأنه سبق العلم بوجوده فيه»^(٣).

فالإرادة تخصص الشيء الممكن، فهي صفة قديمة زائدة على الذات قائمة به

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤ / ٢٠٥.

(٢) ينظر: أبحاث الأفكار في أصول الدين، للإمام سيف الدين الآمدي، تحقيق د/أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية. الإدارة المركزية للمراكز العلمية. مركز تحقيق التراث، ط ٢، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ١ / ٢٩٨، ولإيضاح مذهب أهل الحق: ينظر: التمهيد للباقلاني: ٤٧، ٤٩، ٥٢، الإنصاف للباقلاني: ٣٦، والإرشاد للجويني: ٦٣، ٧١، والاقتصاد في الاعتقاد: ٤٧، ونهاية الأقدام للشهرستاني: ٢٣٨.

(٣) ينظر: قواعد العقائد، للغزالي: ١ / ٥٦.

تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الممكنات المتقابلات الستة^(١).

ومعنى هذا أن الإرادة تخصص الممكن على وفق العلم، وذلك لأن وجود الممكنات يعترضها الأمور الستة المتقابلة^(٢)، وبالتالي فإن واجب الوجود مادام عالمًا فإنه بالضرورة^(٣) يكون مريدًا مختارًا^(٤).

ولقد أبدع الخالق ومن عظمة إبداعه قيام السماء والأرض بأمره تعالى، فهذا إن دل فإنما يدل على إرادته تعالى التي أحكمت وخصصت الممكن على النحو الذي نراه يقول إمام الحرمين الجويني في الإرشاد: «كما أن الاتساق، والانتظام، والإتقان، والإحكام يدل على كون المتن عالمًا، فكذا الاختصاص يدل على كونه قاصدًا إلى

(١) الأمور الستة هي: الممكنات، المتقابلات، وجودنا، والعدم، والصفات، أزمنة أمكنة جهات، كذا

المقادير روى الثقات، ينظر: حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد: ص ١٢٢.

(٢) ومعنى كونها متقابلات أنها متافيات.

١ - الوجود يقابل العدم وبالعكس.

٢ - وبعض الصفات يقابل بعض فكونه أبيض يقابل كونه أسود.

٣ - وبعض الأزمنة يقابل بعض فكونه في زمن الطوفان يقابل كونه في زمن سيدنا

محمد ﷺ.

٤ - وبعض الأمكنة يقابل بعض فكونه في مكان كذا في مصر يقابل مكان في غيره كبولاق.

٥ - وبعض الجهات يقابل بعض فكونه في جهة المشرق يقابل كونه في المغرب.

٦ - وبعض المقادير يقابل بعض فكونه طويلًا يقابل كونه قصيرًا.

ينظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ص ١٢٢.

(٣) الضرورة تشمل الوجوب، والاستحالة؛ لأن الضرورة إما أن تكون ضرورة الثبوت وهي الوجوب،

أو ضرورة النفي وهي الاستحالة، فالضروريات هي ما كانت نسبتها للضرورة (أي الوجوب)

ينظر: المرشد السليم في المنطق، د/عوض الله حجازي، ص ١٠٣.

(٤) والله سبحانه مريد: أي أنه يخص الشيء الممكن ببعض ما يجوز عليه، فيجعله طويلًا أو

قصيرًا؛ حسنًا أو قبيحًا، عالمًا أو جاهلًا، في هذا المكان، أو في غيره، وهو سبحانه له أن

يتصرف في الكون حسب مشيئته وإرادته وحكمته، ينظر: العقائد الإسلامية، سيد سابق، دار

الكتاب العربي، بيروت: ١ / ٦٦.

التخصيص»^(١).

وذلك المخصص كما يقول الفخر الرازي ليس هو القدرة؛ لأن القدرة تأثيرها في الإيجاد وهو لا يختلف باختلاف الاوقات، ولأن العلم يتبع المعلوم، وهذه الصفة مستتبعة^(٢).

صفة (الإرادة) تأتي بعد العلم مباشرة وتخصص هذا الممكن الذي هو أحد تعلقاته، أعنى أن الممكن من تعلقات العلم فهو مشترك بين الصفات الثلاث (العلم، والإرادة، والقدرة) وإذا كانت الصفات الثلاث يتفقن في هذا التعلق فإنهن يختلفن في إيجاده، وذلك لأن العلم كشفه، والإرادة خصصته، والقدرة أبرزته من العدم إلى الوجود، فهي - أي الإرادة - مغايرة للعلم.

يقول البيجوري في شرحه على جوهر التوحيد «وغيبرت الإرادة العلم، بمعنى أنها ليست عين العلم ولا مستلزمة له لتعلق العلم بالواجب، والمستحيل، كالجائز، ولا تتعلق الإرادة إلا بالجائز»^(٣).

إن صفة الإرادة هي: صفة لتخصيص الممكن ببعض الأمور المتقابلة وهذه الصفة لا تتعلق بالواجب؛ لأنه موجود فتعلقها به إنما هو تحصيل لحاصل، فإذا تعلق بالمستحيل فهو المعدوم الذي لا وجود له أصلاً إذا فهو منفي، فإذا تعلق به لإيجاده، فإن هذا من قلب الحقائق، وتحصيل الحاصل وقلب الحقائق محال إذا الإرادة لا تتعلق إلا بالممكن الذي يستوي طرفاه وجوداً وعدمًا.

(١) ينظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للجويني، ص ٦٤، والتمهيد لقواعد التوحيد للنسفي: ١٦٦.

(٢) ينظر: شرح معالم أصول الدين، للإمام فخر الدين الرازي، شرف الدين بن عبد الله التلمساني: ٣١٢.

(٣) ينظر: شرح البيجوري على الجوهر: ١٢٦.

صفة العلم^(١) الإلهي الواردة في سورة الروم:

لقد تحدثت سورة الروم - محل البحث - عن صفة العلم الإلهي، وذلك لأن الباري جلا وعلا قادر، ومريد وبالتالي لابد أن يكون عالما بما خلق من مخلوقاته التي لا تعد ولا تحصى؛ لأنه هو القائل في كتابه تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢).

الآيات الدالة على صفة العلم من خلال السورة:

لقد ذكرت هذه الصفة (العلم) في قول الله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٣) والناظر في الآية السابقة يجد أن هذه المراحل التي يمر بها الإنسان تستلزم أن يكون الخالق عالماً بها، وإلى هذا يشير القاسمي بقوله عن صفة العلم «﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾: أي الواسع العلم والقدرة، كيف؟ وهذا الترديد في الأحوال المختلفة، والتغيير من صفة إلى صفة، أظهر دليل على علم الصانع سبحانه وقدرته، المستتبع انفراده بالألوهية»^(٤).

(١) العلم: ينقسم إلى قسمين: قديم، وحادث، فالعلم القديم هو القائم بذاته تعالى، ولا يشبه بالعلوم المحدثه للعباد، والعلم المحدث ينقسم إلى ثلاثة أقسام: بديهي، وضروري، واستدلالي. فالبديهي: ما لا يحتاج إلى تقديم مقدمة، كالعلم بوجود نفسه، وأن الكل أعظم من الجزء، والضروري، ما لا يحتاج فيه إلى تقديم مقدمة، كالعلم بثبوت الصانع وحدوث الأعراض، ينظر: التعريفات، للجرجاني، باب العين: ١ / ١٥٥.

(٢) سورة الملك آية: ١٤.

(٣) سورة الروم الآية: ٥٤.

(٤) ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي: ٨ / ٢٢، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، للنيسابوري:

أقوال العلماء في هذا الدليل:

قال الفخر الرازي في بيان صفة العلم الإلهي في الآية السابقة ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(١): «لما قدم العلم على القدرة؟ وقال من قبل ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢)، فالعزة إشارة إلى تمام القدرة، والحكمة إلى العلم، فقدّم القدرة هناك، وقدّم العلم على القدرة هاهنا فنقول هناك المذكور الإعادة بقوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣)؛ لأن الإعادة تكون بكن فيكون، فالقدرة هناك أظهر وهاهنا المذكور الإبداء، وهو أطوار وأحوال والعلم بكل حال حاصل، فالعلم هاهنا أظهر، ثم إن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٤) تبشير وإنذار؛ لأنه إذا كان عالماً بأعمال الخلق كان عالماً بأحوال المخلوقات، فإن عملوا خيراً علمه، وإن عملوا شراً علمه، ثم إذا كان قادراً فإذا علم الخير أثاب وإذا علم الشر عاقب، ولما كان العلم بالأحوال قبل الإثابة والعقاب الذين هما بالقدرة قدم العلم، وأما في الآخرة فالعلم بتلك الأحوال مع العقاب فقال: وهو العليم الحكيم، وإلى مثل هذا أشار في قوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٥) عقيب خلق الإنسان، فنقول أحسن إشارة إلى العلم لأن حسن الخلق بالعلم»^(٦).

ويقول الإمام البيضاوي في توضيح صفة العلم الإلهي في قول تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٧) «يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشبية وشيبة، وهو العليم

(١) سورة الروم آية: ٥٤.

(٢) سورة الروم من الآية: ٥٤.

(٣) سورة الروم آية: ٢٧.

(٤) سورة الروم من الآية: ٥٤.

(٥) سورة المؤمنون من الآية: ١٤.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي: ٢٥ / ١١١.

(٧) سورة الروم من الآية: ٥٤.

القدير فإن التردد في الأحوال المختلفة مع إمكان غيره دليل العلم والقدرة»^(١)، فكون الإنسان ينتقل من حال إلى حال ومن قوة إلى ضعف والعكس، فإن هذه التقلبات يعلمها الله تعالى ولا يخفى عليه شيء منها؛ لأنه هو الخالق، والخالق لا يخفى عليه شيء من خلقه.

قال الفخر الرازي مبيّنًا صفة العلم في الإتيان والإحكام الذي جعله الله تعالى في خلق الإنسان، وانتقاله من طور إلى طور، وهذا الانتقال لا يكون إلا من إله قادر عليم بما يصنع فقال في قوله تعالى ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾^(٢): «كقوله ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٣)» يعني أن أساس أمركم وما عليه بلكم وبنيتكم^(٤) الضعف، وخلق الإنسان ضعيفا: أي ابتدأنكم في أول الأمر ضعافًا، وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغت وقت الاحتلام والشبيبة^(٥)، وتلك حال القوة إلى الاكتهال^(٦) وبلوغ الأشد، ثم رددتم

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ٤ / ٢١٠.

(٢) سورة الروم من الآية: ٥٤.

(٣) سورة الأنبياء من الآية: ٣٧.

(٤) ورجل ضعيف المنة إذا كان ضعيف البنية والقوة، ينظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، ج ١، ص ١٧٠.

(٥) شببت النار: رفعتها، وشبّ الصبي شابًا، وقوم شبّان وشباب وشببة، وسقى الله تعالى عصر الشبيبة وعصور الشبائب، وتقول: كان عصر شبابي، ألقى من العسل الشبابي؛ منسوب إلى بني شبابة من أهل الطائف. وأشبهه الله تعالى. وشب الفرس شابًا وشبيبًا. وتقول: المرء في شبابه، كالمهر في شبابه، ينظر: أساس البلاغة، للزمخشري: ١ / ٤٩٠.

(٦) الاكتهال: اكتهل الرجل: إذا صار كهلاً. والكهولة هي من سن الثلاثين إلى الأربعين، وقيل من الأربعين حتى الستين والأول أصح، انظر: ا- د / جمال محمد سعيد عبد الغنى، الشيخوخة بين العلم والدين، بحث منشور بحولية كلية أصول الدين بالمنوفية، العدد ٢٢ سنة ٢٠٠٣م ص ٨٣٣، ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميري اليمني، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - =

إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهزم، وقيل: من ضعف من النطف، كقوله تعالى: ﴿مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾^(١) وهذا الترديد في الأحوال المختلفة، والتغيير من هيئة إلى هيئة، وصفة إلى صفة: أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر^(٢).

فهذا دليل على علمه تعالى؛ لأن الإتيان في الصنعة دليل على العلم بها، ومن ثم دليل على علمه تعالى بما صنع وبما خلق، فالإنسان يمر بتلك المراحل: الضعف، ثم القوة، ثم الضعف، فكل هذه المراحل يعلمها الله، ولا يخفى عليه شيء من أمرها وتقلبها.

قال الإمام الألوسي في هذا الدليل وهو بيان صفة العلم الإلهي الواضحة في سورة الروم في قول الله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٣): «﴿الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ المبالغ في العلم والقدرة، فإن الترديد فيما ذكر من الأحوال المختلفة مع إمكان غيره من أوضح دلائل العلم والقدرة»^(٤).

وعلى هذا فإن علم الله تعالى يتعلق بالأشياء على وجه الإحاطة والشمول، فلا يغيب عن سمعه وبصره شيء، ولذلك ختم الله تعالى الآية الكريمة بقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٥) فهو عليم، كما يقول الماتريدي بأحوالهم، والقدير على إنشاء الأشياء لا من أشياء، وعلى البعث بعد الموت»^(٦).

= د / يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م: ٩ / ٥٩٢١

(١) سورة السجدة من الآية: ٨، وسورة المرسلات الآية: ٢٠.

(٢) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: ٣ / ٤٨٦.

(٣) سورة الروم من الآية: ٥٤.

(٤) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: ١١ / ٥٨.

(٥) سورة الروم من الآية: ٥٤.

(٦) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٨ / ٢٩٢.

والدليل على علمه تعالى لخلق الأشياء إتقانها وإحكامها، وكل من كان فعله كذلك فهو عالم، وارتباط العالم العلوي بالسفلي، وكل ذلك يحتاج إلى تأمل.

يقول صاحب المواقف: «إن فعله تعالى متقن وكل من فعله متقن فهو عالم، أما الأول فظاهر لمن نظر في الآفاق والأنفس، وتأمل ارتباط العلويات بالسفليات سيما في الحيوانات وما هديت إليه من مصالحها، وأعطيت من الآلات المناسبة لها، ويعين على ذلك علم التشريح ومنافع خلقة الإنسان وأعضائه التي قد كسرت عليها المجلدات وأما الثاني فضروري وينبئ عليه أن من رأى خطأ حسناً يتضمن ألفاظاً عذبة رشيقة تدل على معانٍ دقيقة مؤنقة علم بالضرورة أن كاتبه عالم لها ^(١) فالإتقان دليل على علمه كما فهمنا من قول الإيجي وهذا أمر بدهي، لا يحتاج إلى كسب ولا نظر، فهو معلوم لدى كل عاقل.

يقول الغزالي إشارة إلى العبارة السابقة «والدليل على ذلك الإنسان حينما يرى خطأ حسناً يشهد بالبداهة أن كاتب هذا الخط عالم، فإن من رأى خطوطاً منظومة تصدر على الاتساق من كاتب ثم استراب ^(٢) في كونه عالماً بصناعة الكتابة كان سفيهاً في استرابته، فإذا قد ثبت أنه عالم بذاته وبغيره» ^(٣).

قال الإمام فخر الرازي: «لأن أفعاله محكمة متقنة والملاحظة تدل عليه وفاعل الفعل المحكم المتقن يجب أن يكون عالماً وهو معلوم بالبديهة، وأيضاً أنه فاعل بالاختيار والمختار هو الذي يقصد إلى إيجاد النوع المعين، والقصد إلى إيجاد النوع

(١) ينظر: المواقف، الموقف الخامس: ٣ / ٩٦.

(٢) استراب به رأى منه ما يريبه (الريب) الظن، والشك، والتهمة، والحاجة، وصرف الدهر، وريب المنون حوادث الدهر (الريبة) الظن، والشك، والتهمة (ج) ريب (الرياب) من الأمور المفزع، ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى وآخرون) دار الدعوة، باب الرء: ١ / ٣٨٤، وينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني: ١٣ / ٢٧١٣.

(٣) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي: ٣٠.

المعين مشروط بتصور تلك الماهية^(١).

فثبت أنه تعالى متصور لبعض الماهيات، ولا شك أن الماهيات لذواتها تستلزم ثبوت أحكام، وعدم أحكام، وتصور الملزوم يستلزم تصور اللازم، فيلزم من علمه تعالى بتلك الماهيات علماً بلوازمها وآثارها، فثبت أنه تعالى عالماً؛ لأن أفعاله متقنة، وكل فعل محكم متقن ففاعله عالم، فإن صانع العالم حي، فثبت أنه تعالى قادر عالم حي^(٢)، فصفة العلم صفة كشف أي كشف المعلومات دون سبق خفاء أو جهل، فيعلم الله تعالى ما كان، وما يكون وما هو كائن في علمه المكنون.

قال شارح الجوهرة: «فالعالم صفة لله تعالى تتكشف بها المعلومات عند تعلقها بها»^(٣)، فصفة (العلم) تتعلق بالواجبات، والجائزات، والمستحيلات على وجه الإحاطة. ويقول الدكتور/ مصطفى الخن: «صفة العلم متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات على وجه الإحاطة على ما هي عليه من غير سبق خفاء، فيعلم (ﷻ) الأشياء أزلاً على ما هي عليه، وكونها وجدت في الماضي، أو موجودة في الحال، أو موجودة في المستقبل فهو يعلم الأشياء إجمالاً وتفصيلاً»^(٤).

(١) ينظر: الماهية: تطلق غالباً على الأمر المتعقل، مثل المتعقل من الإنسان، وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجي، والأمر المتعقل، من حيث إنه مقول في جواب ما هو، يسمى: ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج، يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازها عن الأغيار، هوية، ومن حيث حمل اللوازم له: ذاتاً، ومن حيث يستتبط من اللفظ، مدلولاً، ومن حيث إنه محل الحوادث: جوهرًا، ينظر: التعريفات، باب الميم: ١ / ١٩٥.

(٢) ينظر: الإشارة في علم الكلام، للإمام فخر الدين الرازي، تحقيق: هاني محمد حامد محمد، رسالة ماجستير في العقيدة والفلسفة جامعة الأزهر . كلية أصول الدين، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون ط، ص ١١٠، ١١٢، والمواقف: ٣ / ١٠٠.

(٣) ينظر: شرح البيجوري على الجوهرة: ص ١٢٧.

(٤) ينظر: د/ مصطفى سعيد الخن، العقيدة الإسلامية . أركانها . حقائقها . مفسداتها، دار الكلم الطيب، الطبعة الثالثة، ص ٢٤٨.

ويقول صاحب المواقف: «إن علمه تعالى يعم المفهومات كلها الممكنة والواجبة والممتعة، فهو أعم من القدرة؛ لأنها تختص بالممكنات دون الواجبات والممتعات لمثل ما مر في القدرة، وهو أن الموجب للعلم ذاته، والمقتضي للمعلومية ذوات المعلومات ومفهوماتها ونسبة الذات إلى الكل سواء^(١)، وإذا كان الله تعالى عالماً بذاته وصفاته، وهذا معنى تعلق علمه بالواجبات، فإنه بالتالي عالماً بالممكنات بل والمستحيلات، على وجه الإحاطة، لا يغيب عنه شيء منها كبر أم صغر، فالكل يعلمه لا يخفى عليه شيء منها.

ويقول الإمام الغزالي: «ندعي أن الله تعالى عالم بجميع المعلومات الموجودات والمعدومات، فإن الموجودات منقسمة إلى قديم وحادث، والقديم ذاته وصفاته، ومن علم غيره فهو بذاته وصفاته أعلم، فيجب ضرورة أن يكون بذاته عالماً وصفاته إن ثبت أنه عالم بغيره^(٢).

والعلم من الصفات الوجودية التي تعد كمالات في الوجود؛ لأنها لو لم تكن واجبة لله تعالى لكان في الممكنات من هو أكمل منه، وهذا بديهي البطلان؛ لأنه تعالى واهب العلم للممكنات، فكيف يهب علمه للممكنات دون أن يعلمها ولا يخفى عليه شيء من أمرها؟ والفرق شاسع وبين. بين علم الواجب وعلم الممكن. أي بين علم الله وعلم الإنسان فالأول علمه ثابت والآخر متغير، والأول علمه ذاتي والآخر غيري، والأول علمه قديم، والآخر علمه حادث، والأول علمه محيط، والآخر محدود، والأول علمه علة، والآخر معلول والأول علمه سبب، والآخر مسبب.

يقول الإمام محمد عبده: «ومما يجب له صفة العلم ويراد به ما به انكشاف شيء عند من ثبتت له تلك الصفة أي مصدر ذلك الانكشاف منه؛ لأن العلم من الصفات الوجودية التي تعد كمالات في الوجود، ويمكن أن تكون كل ما كان كذلك وجب أن

(١) ينظر: المواقف: ٣ / ٩٦.

(٢) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي: ص ٣٠.

يثبت له فواجب الوجود عالم، البدهة قاضية بأن العلم كمال في الموجودات الممكنة، ومن الممكنات من هو عالم فلو لم يكن الواجب عالمًا لكان في الموجودات الممكنة ما هو أكمل من الموجود الواجب وهو محال - كما قدمنا - ثم هو واهب العلم في عالم الإمكان، ولا يعقل أن مصدر العلم يفقده»^(١).

وعلمه تعالى يشمل الكليات والجزئيات خلافًا للفلاسفة القائلين بأنه لا يعلم الجزئيات المتغيرة^(٢)، فهو سبحانه يعلمها، ولا يخفى عليه شيء من أمرها، ويعلمها

(١) يراجع: رسالة التوحيد محمد عبده: ١ / ١٩، ٢٠.

(٢) يقول صاحب المواقف: «الخامسة منها من قال وهم جمهور الفلاسفة لا يعلم الجزئيات المتغيرة، وإلا فإذا علم مثلاً أن زيدًا في الدار الآن ثم خرج زيد عنها، فإما أن يزول ذلك العلم، ويعلم أنه ليس في الدار ويبقى ذلك العلم بحاله، والأول: يوجب التغير في ذاته من صفة إلى أخرى، والثاني: يوجب الجهل وكلاهما نقص يجب تنزيهه تعالى، قالوا: وكذا لا يعلم الجزئيات المتشكلة، وإن لم تكن متغيرة كأجرام الأفلاك الثابتة على أشكالها؛ لأن إدراكها إنما يكون بآلات جسمانية.

وكذا الحال في الجزئيات المتشكلة المتغيرة إذ قد اجتمع فيها المانعان بخلاف الجزئيات التي ليست متشكلة ولا متغيرة، فإنه يعلمها بلا محذور كذاته تعالى، وذوات العقول، والجواب منع لزوم التغير فيه، بل التغير إنما هو في الإضافات؛ لأن العلم عندنا إضافة محضة، أو صفة حقيقية ذات إضافة، فعلى الأول يتغير نفس العلم، وعلى الثاني يتغير إضافاته فقط، وعلى التقديرين لا يلزم تغير في صفة موجودة بل في مفهوم اعتباري، وهو جائز وإدراك المتشكل إنما يحتاج إلى آلة جسمانية، إذا كان العلم حصول الصورة وأما إذا كان إضافة محضة، أو صفة حقيقة ذات إضافة بدون الصورة، فلا حاجة إليها، وقد أجاب عنه مشايخ المعتزلة، وكثير من الأشاعرة بأن العلم بأنه وجد الشيء، والعلم بأنه سيوجد واحد، فإن من علم أن زيداً سيدخل البلد غداً، فعند حصول الغد يعلم بهذا العلم أنه دخل البلد الآن إذا كان علمه هذا مستمراً بلا غفلة مزيلة له، وإنما يحتاج أحدهما إلى علم آخر متجدد يعلم به، أنه دخل الآن لطريان الغفلة عن الأول، والباري تعالى يمتنع عليه الغفلة، فكان علمه بأنه وجد عين علمه بأنه سيوجد، فلا يلزم من تغير المعلوم من عدم إلى وجود تغير في علمه، وهذا الذي ذكره مأخوذ من قول الحكماء علمه تعالى ليس علماً زمانياً أي واقعا في زمان كعلم أحدنا بالحوادث =

على جهة العموم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض.

يقول الإمام البيضاوي: «كان الله عالمًا في الأزل بالأشياء من الموجودات، ومما هو منشأ الوجود في الجملة قبل كونها أي وجودها، فأشار إلى علم الله تعالى ثابت في الأزل بالكليات والجزئيات، وكذا المعدومات والمستحيلات»^(١).

وهذه السورة الكريمة قد ذكرت هذه الصفات الثلاث (القدرة، والإرادة، والعلم) وهذه الصفات من صفات المعاني، فالصفات الثلاث بينهما مغايرة يقول الجويني «الإرادة في هذا التصور ليست هي القدرة، ولا هي العلم، بل هي صفة مغايرة^(٢) لهما، فمن الواضح أن القدرة القديمة، فكلما يمكن لها أن توقع هذا الضد يمكن أن توقع نظيره، وكما يمكن أن توجد في هذا الوقت يمكن أن توجد في غيره، فالقدرة إذن وحدها غير صالحة للتخصيص، وكذلك الأمر في العلم، إذ العلم تابع للإرادة، فالعلم بأن الشيء سيوجد بدلا من أن يقوم تابع للإرادة لتخصيص الإرادة له بهذا دون ذاك، فالعلم إذن وحده غير صالح للتخصيص، ولابد من وجود صفة أخرى غيرها أي غير القدرة والعلم صالحة له، وليس ذلك سوى الإرادة^(٣) فكل صفة مع الأخرى لا هي ولا هي غيرها، فليست القدرة هي الإرادة ولا هي غير الإرادة؛ لأنها كلها تشترك في الذات.

= المختصة بأزمنة متعينة، فإنه واقع في زمان مخصوص، فما حدث منها في ذلك الزمان كان حاضرا عنده، وما حدث قبله أو بعده كان ماضيا، أو مستقبلا، ينظر: المواقف، الموقف الخامس: ٣ / ١٠٨، ١٠٩.

(١) ينظر: إشارات المرام من عبارات الإمام، للبيضاوي: ١٢٥.

(٢) حقيقة الغيرين: الموجودان اللذان يجوز مفارقة أحدهما الثاني بزمان أو مكان أو وجود أو عدم، وهذا أمثل من قال الغيران كل شيئين يجوز وجود أحدهما مع عدم الثاني، فإن معتقد قدم الجواهر واستحالة عدمها يقطع جسمين مع ذهوله عن تجويز عدم أحدهما، ولا يتحقق العلم بتحقيق دون درك الحقيقة، ينظر: الإرشاد للجويني، ص ١٣٧.

(٣) ينظر: هوامش على العقيدة النظامية، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق: د/ محمد عبد الفضيل القوصي، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م، ص ٢٢٥، الأمدي غاية المرام: ٥٦.

يقول الكلبي^(١): «الحياة صفة لله تعالى، والقدرة صفة لله تعالى، والقدرة ليست هي الحياة ولا هي غير الحياة، وكذلك في سائر الصفات كل صفة مع صفة أخرى، نقول لا هي ولا هي غيرها»^(٢).

إن صفة العلم تكشف الموجودات سواء الموجودة أم المعدومة، أو وجدت بالفعل أو لم توجد، والإرادة تخصص هذا الممكن، والقدرة تخرجه من العدم إلى الوجود، أو العكس فكل صفة من هذه الصفات الثلاث تختلف عن الأخرى من حيث التعلق، ومن هنا فإن سورة الروم ذكرت تلك الصفات الثلاث (القدرة . العلم . الإرادة) وهي صفات معلولة لعلّة صفة (الحياة) ومسببة من صفة الحياة التي هي سبب للقدرة والعلم والإرادة يقول ابن القيم «أن الاسم من أسمائه له دلالات: دلالة على الذات والصفة بالمطابقة، ودلالة على أحدهما بالتضمن، ودلالة على الصفة الأخرى، اللزوم كاسم «الحي» مثلاً، فإنه دال على الذات وعلى صفة الحياة بالمطابقة، ودال على الذات وحدها وعلى صفة الحياة وحدها بالتضمن، ودال على القدرة والسمع والبصر والعلم وغيرها من الصفات باللزوم، ودلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على كامل معناه، ودلالة التضمن هي دلالة اللفظ على بعض معناه، ودلالة اللزوم هي دلالة اللفظ على أمر خارج عن معناه»^(٣).

(١) هو: إسماعيل بن مصطفى بن محمود، أبو الفتح الكلبي الرومي، ويعرف بشيخ زاده: قاض حنفي عثماني. اشتهر بالرياضيات والمنطق. نسبته إلى بلدة (كلنبه) من ولاية (أيدين) ووفاته في تسالية (من يني شهر) وكان قاضياً فيها، له تصانيف، منها (دقائق البيان في قبلة البلدان - خمسة مجلدات، في فقه الحنفية، والبرهان رسالة في المنطق، وحاشية على البرهان، ورسالة في (الربع المحيبي)، ينظر: الأعلام، للزركلي: ١ / ٣٢٧.

(٢) ينظر: حاشية الشيخ إسماعيل الكلبي على شرح جلال الدين الدواني الصديقي، دار سعادات المركز الثقافي العربي، ١٣١٦هـ، بدون ط: ٢ / ٢٩٦.

(٣) ينظر: ينظر: فائدة جليّة في قواعد الأسماء الحسنی: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، غراس، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م: ١ / ٢٥.

وقد ذكرت سورة الروم صفة الحياة ضمناً في أربع آيات وهن قول الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾، وقوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) والتأمل في تلك الآيات يجد أن الله سبحانه من أفعاله الإحياء لمخلوقاته الممكنة وفاد الشيء لا يعطيه أي أن الله سبحانه لا يهب الحياة لغيره وهو ليس حياً.

يقول الإمام أبو منصور الماتريدي «يخبر عن قدرته في إنشاء الأشياء مبتدئاً، لا من أصل؛ لأنه قال: (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) والميت ليس فيه الحياة، وكذلك يخبر عن قدرته في إنشاء الأشياء مبتدئاً، لا من أصل؛ لأنه قال: (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) والميت ليس فيه الحياة، وكذلك الميت من الحي، وليس في الحي موت، ولكنه يخرج هذا من هذا على ابتداء الحياة فيه، وابتداء الموت فيه من غير أن كان فيه ما ذكر»^(٢).

ويعرف الإمام السنوسي صفة الحياة تعريفاً يشمل الحياة القديمة والحادثة حيث قال: هي صفة تصح لمن قامت به ان يتصف بصفات الإدراك . أي تصح لمن قامت به ان يتصف بصفات الإدراك - ولا يضره الجمع بين حقيقتين مختلفتين، القدم والحدوث - لأنه رسم لا حد . فالحياة صفة تقتضي صحة الإتيان بالعلم - أي تقتضي صحة الإتيان به، وكما تقتضي صحة الإتيان بغيره - مثل القدرة والإرادة، وإنما اقتصر على العلم لأنه شرط في غيره وشرط الشرط واقم لفظه

(١) سورة الروم الآيات (١٩، ٢٤، ٤٠، ٥٠)

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) أبو منصور الماتريدي، ج ٨، ص ٢٥٩

(صحة)؛ لأن الحياة لا تستلزم العلم بالفعل لكن العلم واجب في حقه تعالى للدليل السابق وأما في حقنا فقد ينتهي العلم مع وجود الحياة كما في المجنون فإنه حي مع إنتقاء العلم عنه^(١).

وعلى ذلك فإن صفة الحياة الواجبة لله تعالى علة وسبب لصفة العلم الذي هو سبب وعلة للقدرة والإرادة، وإذا كان الله حي وفعله فاعل في الممكنات بإحيائهم فلا يمكن أن يستبعد العقل تلك الصفة في الحي القيوم؛ لأن فاقده شيء لا يهبه ولا يعطيه لغيره ممن هو دونه وإذا كان الله حياً فإنه قد اعتنى بإحياء عبادة من الطبع المادي الترابي الطيني بأن يحييوا بأرواحهم إذا استجابوا لنداء الرحمن الحي القيوم بإرسال رسله ومعهم كتبه لكي تحيا أرواحهم وتسموا بإستجابتهم لوحي الله قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٢) فتطلب إرسال الرسل والإيمان بهم لكي يحيا الإنسان بحياة الوحي المستمد من الحي صاحب القدرة والإرادة والعلم وهذا ما سنبينه ونفصله بإذن الله في الفصل القادم من الرسالة.



(١) ينظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، ص ١٩ بتصرف يسير

(٢) سورة الأنفال من الآية (٢٤)

المبحث الثالث

أسماء الله الحسنى الواردة في سورة الروم

إن الناظر في السورة الكريمة يجدها قد تحدثت عن أمور العقيدة الإسلامية، ومن الأمور العقدية التي تحدثت عنها السورة الكريمة قضية (الأسماء والصفات)، فلقد وردت تلك الأسماء في السورة الكريمة في عدة مواضع.

البيان الإجمالي لهذه الأسماء من خلال سورة الروم:

حيث إن اسم (الله) تعالى وهو لفظ الجلالة قد ذكر أكثر من مرة، فقد ذكر في قول الله تعالى: ﴿ فِي يَضْعِ سِينٍ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدٍ وَيَوْمَئِذٍ يَقْرُحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وغيرها من السورة.

وذكر اسم الله تعالى (العزیز)، و(الرحیم) في قول الله تعالى: ﴿ يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٥ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

وذكر اسم الله تعالى (المحيي، والمميت) في قوله: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ٦ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾.

وذكر اسم الله تعالى (المبدء والمعيد) في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْأَمَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

وذكر اسم الله تعالى (الباسط) في قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ٧ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

وذكر اسم الله تعالى (الخالق) في قوله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ كُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

وذكر اسم الله تعالى (المنتقم) في قول الله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)^(١).

ولقد وردت لفظة الأسماء الحسنى في القرآن الكريم بأربعة مواضع هي:

١- قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

٢- وقال أيضًا: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَاتَّبِعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(٢).

٣- وقال عز من قائل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾^(٣).

٤- وقال جل وعلا: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤).

سبب نزول الآية الكريمة الواردة في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٥).

جاء في سبب نزولها «أن رجلاً دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن. فقال أبو جهل: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فأنزل الله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، الرحمن الرحيم، الملك، القدوس ونحوه، فدعا النبي الرجل فقال: «ادعُ الله، أو ادعُ الرحمن رغماً لأنف المشركين»^(٦).

(١) سورة الروم، الآيات: ٤، ٥، ٦، ١٩، ٢٠، ٢٧، ٣٧، ٤٠، على الترتيب.

(٢) سورة الإسراء الآية: ١١٠.

(٣) سورة طه، الآية: ٨.

(٤) سورة الحشر الآية: ٢٤.

(٥) سورة الأعراف من الآية: ١٨٠.

(٦) ينظر: بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، =

أقوال علماء العقيدة في بيان معاني أسماء الله الحسنى :

أولاً : حقيقة الاسم، والمسمى، والتسمية :

قال الفخر الرازي: «المشهور من قول أصحابنا -رحمهم الله تعالى- أن الاسم نفس المسمى وغير التسمية، وقالت المعتزلة: إنه غير التسمية، وغير المسمى، واختيار الإمام الغزالي أن الاسم والمسمى والتسمية -أمور ثلاثة متباينة وهو الحق عندنا^(١).

ولذلك كثر الخوض في هذه المسألة عند المتكلمين وغيرهم، وهي: هل الاسم هو المسمى؟ أم أن الاسم غير المسمى؟، ثم يوضح حجة الإسلام الإمام الغزالي هذه المسألة فيقول رَحِمَهُ اللهُ: «قد كثر الخائضون في الاسم والمسمى وتشعبت بهم الطرق، وزاغ عن الحق أكثر الفرق، فمن قائل إن الاسم هو المسمى، ولكنه غير التسمية، ومن قائل إن الاسم غير المسمى، ولكنه التسمية، ومن ثالث - معروف بالحق في صناعة الجدل والكلام يزعم أن الاسم قد يكون هو المسمى، كقولنا لله تعالى - أنه ذات وموجود، وقد يكون غير المسمى كقولنا: إنه خالق ورازق، فإنهما يدلان على الخلق والرزق وهما غيره، وقد يكون بحيث لا يقال أن المسمى ولا هو غيره كقولنا . إنه عالم وقادر، فإنهما يدلان على العلم والقدرة وصفات لا يقال: إنها هي الله تعالى، ولا إنها غيره»^(٢).

= تحقيق: الشيخ/ على محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ج ١ / ٥٨٤، وينظر: تفسير الكشاف: ٢ / ٤٧٠، عن ابن عباس، وتفسير ابن عطية: ٦ / ١٥٣، وكلهم قد ذكروا سبب نزول آية الأعراف: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾، سورة الأعراف من الآية: (١٨٠).

(١) ينظر لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، لشيخ الإسلام/ فخر الدين الرازي، الطبعة الأولى: ١٣٢٣ هـ، المطبعة الشرفية بمصر، بدون دار النشر، ص ٣.

(٢) ينظر: المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى، حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، بغاية، بسام عبد الوهاب الجاني، الجفان والجاني، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٢٤.

فالنزاع في هذه المسألة هو: هل مدلول الاسم نفس مدلول المسمى أم لا؟ وعلى هذا فقد يكون الاسم عين المسمى، كما في لفظ الجلالة (الله) من غير اعتبار لمعنى آخر، وقد لا يكون مثل باقي الأسماء الأخرى.

يقول صاحب المواقف: «وقد اشتهر الخلاف في أن الاسم هل هو نفس المسمى، أو غيره؟ ولا يشك عاقل في أنه ليس النزاع في لفظة (ف ر س) أنه هل هو نفس الحيوان المخصوص أو غيره، فإن هذا مما لا يشتبه على أحد بل النزاع في مدلول الاسم هو الذات من حيث هي أم هو الذات باعتبار أمر صادق عليه عارض له ينبئ عنه؟، فلذلك قال الشيخ أبو الحسن الأشعري: «قد يكون الاسم - أي مدلوله - عين المسمى - أي ذاته - من حيث هي نحو الله، فإنه اسم علم للذات من غير اعتبار معنى فيه، وقد يكون غيره نحو الخالق والرازق، مما يدل على نسبته إلى غيره، ولا شك أنها أي تلك النسبة غيره، وقد يكون لا هو ولا غيره كالعليم والقدير، مما يدل على صفة حقيقية قائمة بذاته، ومن مذهبه أنها أي الصفة الحقيقية القائمة بذاته لا هو ولا غيره كما مر، فكذا الحال في الذات المأخوذة مع تلك الصفة^(١)».

يقول الحافظ ابن حجر: وإذا تقرر هذا عرف غلط من قال إن الاسم هو المسمى حقيقة كما زعم بعض الجهلة فالزم أن من قال نار احترق فلم يقدر على التخلص من ذلك وأما النحاة فمرادهم بأن الاسم هو المسمى أنه من حيث إنه لا يدل إلا عليه، ولا يقصد إلا هو فإن كان ذلك الاسم من الأسماء الدالة على ذات المسمى دل عليها من غير مزيد أمر آخر وإن كان من الأسماء الدالة على معنى زائد دل على أن تلك الذات منسوبة إلى ذلك الزائد خاصة دون غيره، وبيان ذلك أنك إذا قلت زيد مثلاً، فهو يدل على ذات متشخصة في الوجود من غير زيادة ولا نقصان، فإن قلت العالم دل على أن تلك الذات منسوبة للعلم، ومن هذا عقلاً أن تكثر الأسماء المختلفة على ذات واحدة، ولا توجب تعدداً فيها ولا تكثيراً صحَّ عقلاً قال وقد خفي

(١) ينظر: المواقف، للإيجي، الموقف الخامس: ٣ / ٣٠٢.

هذا على بعضهم ففر منه هرباً من لزوم تعدد في ذات الله تعالى، فقال إن المراد بالاسم التسمية، ورأى أن هذا يخلصه من التكثر، وهذا فرار من غير مفر إلى مفر، وذلك أن التسمية إنما هي وضع الاسم وذكر الاسم فهي نسبة الاسم إلى مسماه، فإذا قلنا لفلان تسميتان اقتضى أن له اسمين ننسبهما إليه فبقي الإلزام على حاله من ارتكاب التعسف في الألفاظ، وهو غير مسمى قطعاً، والذات هي المسمى قطعاً^(١).

وإذا كان الاسم هو المسمى أو أن الاسم غير المسمى، فلا بد أن يكون عند من يطلق هذه الأشياء تصوراً مسبقاً لكل هذه الأشياء، أي معنى الاسم، ومعنى المسمى، يقول الإمام فخرالدين الرازي: «واعلم أن القول بأن الاسم نفس المسمى، أو غيره لابد، وأن يكون مسبقاً ببيان أن الاسم ما هو؟، وأن المسمى ما هو؟، وأن التسمية ماهي؟؛ لأن كل تصديق^(٢).

لابد وأن يكون مسبقاً بتصور ماهية المحكوم عليه، والمحكوم به^(٣)، فالله تعالى له الأسماء الحسنی، فهو متصف بها في الأزل، فليست صفاته وأسمائه غيره، وليست هي نفس الذات، فهناك صفات تسمى بعين الذات، وذلك مثل صفة الوجود.

قال الإيجي مشيراً إلى ما سبق: «فقولك الله قول دال على اسم هو المسمى، وكذا قولك عالم وخالق، فإنه يدل على الرب الموصوف بكونه عالماً وخالقاً، وقال بعضهم: من الأسماء ما هو عين كالموجود والذات، ومنها ما هو غير كخالق، فإن المسمى

(١) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز: ١١ / ٢٢٠.

(٢) التصديق هو: المركب التام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته، وقد سمي قصية، ودعوى، ومدعى، ينظر: رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، د/ محمد محي الدين عبد الحميد: ٤٦.

(٣) ينظر: لوازم البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، للرازي، ص ٣.

ذاته، والاسم هو نفس الخالق وخلقه غير ذاته، ومنها ما ليس عيناً ولا غيراً كالعالم، فإن المسمى ذاته، والاسم علمه الذي ليس عين ذاته ولا غيرها، وذهبت المعتزلة إلى أن الاسم هو التسمية، ووافقهم على ذلك بعض المتأخرين من أصحابنا^(١).

فالله تعالى واحد في ذاته وصفاته، ولا يلزم من تعد الأسماء، أو الصفات تعدد في الذات، فالذات واحدة فهو لم يزل، ولا يزال تعدد بها، أي بصفات الجلال والإكرام. يقول ابن القيم: «ولا ريب أن الله -تبارك وتعالى- لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال المشتقة أسماؤه، منها، فلم يزل بأسمائه وصفاته، وهو إله واحد له الأسماء الحسنى، والصفات العلى وأسمائه، وصفاته داخلة في مسمى اسمه، وإن كان لا يطلق على الصفة أنها إله يخلق ويرزق، فليست صفاته وأسمائه غيره، وليست هي نفس الإله وبلاء القوم من لفظة الغير فإنه يراد بهما^(٢).

فمعظم أسماء الله تعالى موصوفة بأنها حسنى، وهي ثابتة لله تعالى كصفاته التي أثبتها أهل الحق أعني الأشاعرة، ومن صار على منوالهم، فأسماءه تعالى كصفاته الواجبة له يقول السفاريني^(٣)، فأسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (ثابتة) بالنص والعقل، (عظيمة) وصفها بذلك؛ لأنها معظمة موصوفة بأنها حسنى، وأنها قديمة عند أهل الحق

(١) ينظر: بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان: ١/ ١٧.

(٢) ينظر: بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان: ١/ ١٧.

(٣) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين أبو العون عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد في سفارين (من قرى نابلس)، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها، وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفي فيها، من كتبه (الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات عند يوسف زخور بدمشق)، و (كشف اللثام)، و (شرح عمدة الأحكام في الظاهرية بدمشق)، وعلى النسخة إجازة بخطه ذكر فيها مؤلفاته إلى سنة ١١٦٩ هـ و (القول العلي لشرح أثر الإمام علي في الرباط)، توفي سنة ١١٨٤ هـ - ١٧٧١م، ينظر الأعلام: ٦/ ١٤.

كصفاته الذاتية وكذا الفعلية، والمراد بأسمائه -تعالى- ما دل على مجرد ذاته كالله، أو باعتبار الصفة كالعالم والقادر»^(١).

وخلاصة الكلام في هذا المقام أن علماء الإسلام اتفقوا على جواز إطلاق الأسماء والصفات على الباري تعالى إذا ورد بها الإذن من الشارع، وعلى امتناعه إذا ورد المنع عنه»^(٢).

تعريف الاسم:

معنى الأسماء كما يعرفها جلال الدين المحلي^(٣): «هي كل ما دلّ على الذات المقدسة باعتبار صفة (كالعلم، والخلق، والرزق)، ونحوها كما أنه تعالى لم يزل موصوفاً بصفات ذاته وهي: ما دلّ عليها فعله من قدرة وعلم وإرادة، وحياة، أو دلّ عليه التنزيه له عن النقص من سمع، وبصر، وكلام، وبقاء»^(٤).

يقول الإمام الغزالي: «في بيان حد الاسم وحقيقته إن للأشياء وجوداً في الأعيان ووجوداً في الأذهان، ووجوداً في اللسان، أما الوجود في الأعيان فهو الوجود الأصلي

(١) ينظر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م: ١ / ١١٩.

(٢) ينظر: روح المعاني: ٥ / ١١٣.

(٣) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي أصولي، مفسر مولده ووفاته بالقاهرة. عرفه ابن العماد بتقازاني العرب، وكان يقول عنه: محمد بن أحمد المحلي لوحة مستعارة من السيد أحمد عبيد، محمد بن أحمد المحلي عن «منظومة الجوهري» في دار الكتب المصرية «٥٧٠ جغرافية» إن ذهني لا يقبل الخطأ، ولم يكن يقدر على الحفظ: حفظ مرة كراساً وصنف كتاباً في التفسير أتمه الجلال السيوطي، فسمي «تفسير الجلالين»، و «كنز الراغبين» مجلدان، في شرح المنهاج في فقه الشافعية، توفي سنة ٨٦٤ هـ - ١٤٥٩ م، ينظر: الأعلام: ٥ / ٣٣٣.

(٤) ينظر: كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، للإمام العارف الرباني، سيدي عبد الوهاب الشعراني، بدون نشر ولا طبعة، ص ٧٠.

الحقيقي والوجود في الأذهان، هو الوجود العلمي الصوري، والوجود في اللسان هو الوجود اللفظي الدليلي، فإن السماء مثلاً لها وجود في عينها ونفسها ثم لها وجود في أذهاننا ونفوسنا لأن صورة السماء تنطبع في أبصارنا ثم في خيالنا حتى لو عدمت السماء مثلاً وبقينا لكانت صورة السماء حاضرة في خيالنا وهذه الصورة هي التي يعبر عنها بالعلم وهو مثال المعلوم فإنه محاك للمعلوم ومواز له وهي كالصورة المنطبعة في المرآة فإنها محاكية للصورة الخارجة المقابلة لها، وأما الوجود في اللسان فهو اللفظ المركب من أصوات قطعت أربع تقطيعات يعبر عن القطعة الأولى بالسين وعن الثانية بالميم وعن الثالثة بالألف، وعن الرابعة بالهمزة، وهو قولنا سماء، فالقول دليل على ما هو في الذهن، وما في الذهن صورة لما في الوجود مطابقة له، ولو لم يكن وجود في الأعيان لم ينطبع صورة في الأذهان، ولو لم ينطبع في صورة الأذهان لم يشعر بها إنسان، ولو لم يشعر بها الإنسان لم يعبر عنها باللسان، فإذا اللفظ والعلم والمعلوم ثلاثة أمور متباينة لكنها متطابقة متوازية، وربما تلتبس على البليد، فلا يميز البعض منها عن البعض»^(١).

ومن خلال التعريفين السابقين نرى أن أسماء الله تعالى هي التي اتصف بها قبل أن يخلق، ولا يزال موصوفاً بها بعد ما خلق الخلق وهي لا تتفك عن الذات؛ لأنها قديمة، فلا يتصف بصفة الخلق حينما يخلق، فهو موصوفاً بها قبل أن يخلق، وبعدما خلق الخلق ولا يزال موصوفاً بها إلى الأبد، فهو تعالى له الأسماء الحسنى والتي قد وردت في الكتاب والسنة ودلّ عليها العقل.

معنى الحسنی:

أقوال علماء العقيدة في بيان معناها:

واختلفوا في بيان معناها على أقوال منها:

القول الأول: الحسنی تأنيث الأحسن وصفت بها الأسماء؛ لأن حكمها حكم

المؤنث،

(١) ينظر: المقصد الأسني في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للغزالي: ص ٢٦.

كقولك الجماعة الحسنى^(١).

القول الثاني: الحسنى مؤنث الأحسن^(٢).

القول الثالث: الأسماء الحسنى يعني: الصفات العلى فادعوه بها^(٣)، والمراد من الاسم (الصفة) فيكون الأمر بتقديس صفات الله تعالى^(٤).

عدد أسماء الله تعالى: لقد ورد في الحديث الصحيح ما يفيد أن أسماء الله تعالى تسعة وتسعين اسماً، حيث يقول رسول الله ﷺ: ((إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدَةً، مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ))^(٥).

يقول ابن عطية: «ومعنى أحصاها عددا وحفظها وتضمن ذلك الإيمان بها والتعظيم لها والرغبة فيها والعبرة في معانيها، وهذا حديث البخاري والمتحصل منه أن لله تعالى هذه الأسماء مباحاً إطلاقها وورد في بعض دعاء النبي ﷺ: «يا حنان يا منان»^(٦)، ولم يقع هذان الاسمان في تسمية الترمذي^(١)، فهذا العدد الذي ذكر في

(١) ينظر: تفسير الكشاف: ٢ / ٥٣٠، وابن عطية: ٦ / ١٥٤، والنسفي: ٢ / ٣٥٧، وروح المعاني: ٩ / ١٢٠.

(٢) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م: ٩ / ١٨٠.

(٣) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي: ١ / ٥٨٤، ٢ / ٢٨٧، ٣ / ٣٣٧، ٣٤٨، وتفسير النسفي: ٣ / ٤٦٤.

(٤) ينظر لوامع البينات في شرح أسماء الله الحسنى والصفات، للرازي: ص ٨.

(٥) الحديث أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، كتاب: الشروط، باب: ما يجوز من الاشتراط والتثنية في الإقرار رقم (٢٧٣٦)، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الدعوات، رقم (٣٥٠٦).

(٦) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِأَبِي عِيَاشٍ زَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ الزَّرْقِيِّ وَهُوَ يَصْلِي وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ =

الحديث ليس دليلاً على حصر هذا العدد».

يقول الغزالي: «إن الأثبه أن الأسامي زائدة على تسعة وتسعين لهذه الأخبار، وأما الحديث الوارد في الحصر، فإنه يشتمل على قضية واحدة لا على قضيتين، وهو كالمك الذي له ألف عبد مثلاً، فيقول القائل: إن للمك تسعة وتسعين عبداً من استظهر بهم لم يقاومه الأعداء، فيكون التخصيص لأجل حصول الاستظهار بهم، إما لمزيد قوتهم، وإما لكفاية ذلك العدد في دفع الأعداء من غير حاجة إلى زيادة لا لاختصاص الوجود بهم^(٢)، إذ العدد^(٣) لا يتوقف على ما ورد في الحديث السابق، وهذا

= يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، فقال رسول الله ﷺ لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، مسند، مسند الإمام أحمد بن حنبل: مسند أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه: ٣/ ٢٤٥، رقم الحديث: (١٣٥٩٥) تعليق شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد قوي.

(١) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٤٨١.

(٢) ينظر: المقصد الأسنى، للغزالي: ص ١٦٧.

(٣) ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني: «وقد اختلف في هذا العدد هل المراد به حصر الأسماء الحسنى في هذه العدة، أو أنها أكثر من ذلك، ولكن اختلفت هذه بأن من أحصاها دخل الجنة، فذهب الجمهور إلى الثاني ونقل النووي اتفاق العلماء عليه فقال: ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالى، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، ويؤيده قوله ﷺ في حديث ابن مسعود الذي أخرجه أحمد وصححه بن حبان: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»، وعند مالك عن كعب الأحمري في دعاء «وأسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم» وأورد الطبري عن قتادة نحوه ومن حديث عائشة أنها دعت بحضرة النبي ﷺ بنحو ذلك، وسيأتي في الكلام على الاسم الأعظم وقال الخطابي في هذا الحديث إثبات هذه الأسماء المخصوصة بهذا العدد، وليس فيه منع ما عداها من الزيادة وإنما التخصيص لكونها أكثر الأسماء، وأبينها معاني وخبر المبتدأ في الحديث هو قوله من أحصاها لا قوله لله وهو كقولك لزيد ألف درهم أعدها للصدقة، =

دليل على سعة رحمة الله تعالى بعباده فيحتمل كما يقول أبو إسحاق الزجاج^(١) أن يكون معنى قوله ﷺ: (من أحصاها) من أكثر عدّها حتى صارت حصاته لكثرة عدّه إياها، ويجوز أن يكون معناه من أطاقتها أي من أطاق تمييزها وتفهمها، فحذف المضاف من قوله تعالى ﴿عَلِمَ أَنَّ لَنَا خُصُومًا﴾^(٢)... الخ، ويجوز أن يكون معناه من عقلها، وتدبر معانيها من الحصة التي هي العقل^(٣).

أقسام أسماء الله تعالى عند علماء العقيدة:

ولقد قسم علماء العقيدة أسماء الله تعالى إلى ثلاثة أقسام: فمنها ما يرجع إلى

= أو لعمره مائة ثوب من زاره ألبسه إياها، وقال القرطبي في المفهم نحو ذلك، ونقل بن بطال عن القاضي أبي بكر بن الطيب، قال ليس في الحديث دليل على أنه ليس لله من الأسماء إلا هذه العدة، وإنما معنى الحديث أن من أحصاها دخل الجنة، ويدل على عدم الحصر أن أكثرها صفات وصفات الله لا تنتاهي، وقيل إن المراد الدعاء بهذه الأسماء؛ لأن الحديث مبني على قوله ولله الأسماء الحسنى، فادعوه بها فذكر النبي ﷺ أنها تسعة وتسعون فيدعى بها، ولا يدعى بغيرها حكاه بن بطال عن المهلب، وفيه نظر لأنه ثبت في أخبار صحيحة الدعاء بكثير من الأسماء التي لم ترد في القرآن، كما في حديث ابن عباس في قيام الليل أنت المقدم، وأنت المؤخر وغير ذلك، ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز: ١١ / ٢٢٠

(١) هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج عالم بالنحو واللغة، ولد ومات في بغداد، كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد، وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره، من كتبه (معاني القرآن)، و (الاشتقاق)، و (الأمالى) في الأدب واللغة، توفي سنة ٣١١ هـ - ٩٢٣ م، ينظر: الأعلام: ١ / ٤٠.

(٢) سورة المزمل، من الآية ٢٠.

(٣) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: أحمد

تسميتنا له فهذا قسم أول، ومنها ما يرجع معناه إلى ذاته تعالى، أي أن معناه لا يفهم إلا من ذاته تعالى، وهذا قسم ثان، ومن الأسماء الحسنی من يرجع إلى الاشتقاق من صفاته تعالى وهذا هو القسم الثالث، وإلى هذه الإشارة السابقة.

قال الماتريدي في كتابه التوحيد حيث يقول: «القول في أسماء الله (عز وجل) عندنا على أقسام في مفهوم اللغة:

الأول: قسم منها يرجع إلى تسميتنا له بها وهن أغيار؛ لأن قولنا عليم غير قولنا قدير وعلى هذا المروي إن لله تعالى كذا وكذا اسمًا، وذلك نحو ما ذكر من خلق كذا وكذا رحمة لا أنه كان رحيمًا بتلك الرحمة المخلوقة، إذ لا يحتمل أن يكون في أول خلقه غير رحيم، أو كان كذلك غير رحيم حتى خلق تلك الرحمة وجعل واحدة بين خلقه، ولكن بما كانت برحمته سميت به، وكذلك اسم الجنة والمطر ونحوه، وعلى ذلك قيل في العبارات هي أمره، وإنما كانت به لا أنها هو ومثله يتكلم بعلمه وقدرته على إرادة معلومه ومقدوره، إذ ذلك سببه فمثله الأول ولا قوة إلا بالله.

والثاني: يرجع معناه إلى ذاته مما عجز الخلق عن الوقوف على مراد ذاته إلا به وإن كان يتعالى عن الحروف التي بها يفهم، وذلك أيضًا يختلف باختلاف الألسن على إرادة حقيقة ذاته به، وذلك نحو الواحد (الله) الرحمن الموجود والقديم، والمعبود ونحو ذلك.

والثالث: يرجع إلى الاشتقاق عن الصفات من نحو العالم القادر، مما لو كانت في التحقيق غيره لاحتمل التبديل، ولصارت التسمية على غير تحقيق المعنى المفهوم، ولجازت تسميته بكل ما يسمى غيره، إذا لم يرد تحقيق المفهوم من معناه ولا قوة إلا بالله، مع ما يسأل من يجعل هذه الأسماء حادثة ثم لا تحقق لله علمًا في الأزل، إذ كيف كان أمره قبل الخلق أكان يعلم ذاته، أو ما يفعل أو لا، وكذلك أكان يعلم ذاته شيئًا، أو لا يعلمها، فإن كان لا يعلمها فهو إذا جاهل، حتى أحدث العلم له فصار به عالمًا، وإن كان يعلمها فإذا بعلم ذاته عالمًا أو لا، فإن كان بعلم ذاته عالمًا، فلزم

القول بهذا الاسم في الأزل، وفي غيرية الاسم فساد التوحيد^(١).

ويعضد الرأي السابق في تقسيم الأسماء صاحب المواقف فيقول «اعلم أن الاسم الذي يطلق على الشيء، إما أن يؤخذ من الذات بأن يكون المسمى به ذات الشيء من حيث هو، أو من جزئها، أو من وصفها الخارجي، أو من الفعل الصادر عنه، فهذه هي أقسام الاسم على الإطلاق، ثم ننظر أيها يمكن في حق الله تعالى، أما المأخوذ من الذات ففرع تعقلها، وقد تكلمنا فيه فمن ذهب إلى جواز تعقل ذاته جوز أن يكون له اسم بإزاء حقيقته المخصوصة ومن ذهب إلى امتناع تعقلها لم يجز له اسمًا مأخوذًا من ذاته؛ لأن وضع الاسم لمعنى فرع تعقله ووسيلة إلى تفهيمه، فإذا لم يمكن أن يعقل ويفهم فلا يتصور بإزائه^(٢).

وهنا نرى أن الإيجي قد قسم الأسماء كتقسيم الاسم الكلي^(٣) باعتبار ذاته، فهناك

(١) ينظر: التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د/ فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية - الإسكندرية: ١ / ٦٥.

(٢) ينظر: شرح المواقف، الموقف الخامس: ٣ / ٣٠٥، ينظر: المقصد الأسني في شرح معاني أسماء الله الحسنی، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي: ١ / ١٥٨، وينظر: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للرازي: ص ٢٧.

(٣) الكلي الحقيقي: ما لا يمنع نفس تصويره من وقوع الشركة فيه، كالإنسان، وإنما سمي: كلياً؛ لأن كلية الشيء إنما هي بالنسبة إلى الجزئي، والكلي جزء الجزئي، فيكون ذلك الشيء منسوباً إلى الكل، والمنسوب إلى الكل كلي. الكلي الإضافي: هو الأعم من شيء «اعلم» أنه إذا قلنا: الحيوان -مثلاً- كلي، فهناك أمور ثلاثة: الحيوان حيث هو، ومفهوم الكلي والحيوان من حيث إنه يعرض له الكلية، والمجموع المركب منهما: أي من الحيوان والكلي، والتغاير بين هذه المفهومات ظاهر؛ فإن مفهوم الكلي: ما لا يمنع نفس تصويره عن وقوع الشركة فيه ومفهوم الحيوان الجسم النامي الحساس المتحرك بالإرادة، فالأول يسمى: كلياً طبيعياً؛ لأنه موجود في الطبيعة، أي في الخارج والثاني: كلياً منطقياً؛ لأن المنطق إنما يبحث عنه. والثالث: كلياً عقلياً؛ لعدم تحقيقه إلا في العقل والكلي، إما ذاتي، وهو الذي يدخل في حقيقة جزئياته، كالحيوان بالنسبة إلى الإنسان والفرس وإما عرضي وهو الذي لا يدخل في =

أسماء تختص بها الذات مثل (الوجود) فهو يختص بها وحده؛ لأن وجوده عين ذاته، وليس وجوده من غيره أي لا يحتاج إلى علة في وجوده بخلاف غيره من الموجودات فوجودها متوقف على علة توجد لها من العدم إلى الوجود أو العكس أي أنها حادثة، وهناك أسماء تطلق على الذات وعلى غيرها باعتبار الفارق بينهما، مثل (القادرة والعالم والمريد)... الخ، فهذه أسماء تطلق على ذات الله تعالى، وتطلق على البشر أيضاً، ولكن الفرق هنا يظهر في القدم، والحدوث، فهي في حق الواجب قديمة، وفي حقنا حادثة، وهناك أسماء لا يختص بها أحد إلا الله تعالى مثل (المحيي والمميت)، فالذي يحيي ويميت هو الله تعالى وحده دون سواه^(١).

الأسماء الواردة في سورة الروم من حيث مدلولاتها:

معنى الإله الوارد في السورة:

فعلى قولين أحدهما أن أصله (إلاه) فعال ويقال بل أصله (لاه) فعل، ولا تلتفت إلى ما ذكره في كتاب القرآن فإن الصحيح ما ذكره هنا، واختلفوا في هل هو مشتق أم غير مشتق، فذهبت طائفة إلى أنه مشتق وذهب جماعة ممن يوثق بعلمهم إلى أنه غير مشتق، وعلى هذا القول المعول ولا تعرج على قول من ذهب إلى أنه مشتق من

= حقيقة جزئياته، بالألا يكون جزءاً، أو بأن يكون خارجاً، كالضحك بالنسبة إلى الإنسان، ينظر: التعريفات: ١٨٦.

(١) أن الاسم من أسمائه له دلالات دلالة على الذات والصفة بالمطابقة، ودلالة على أحدهما بالتضمن، ودلالة على الصفة الأخرى، اللزوم كاسم «الحي» مثلاً، فإنه دال على الذات وعلى صفة الحياة بالمطابقة، ودال على الذات وحدها وعلى صفة الحياة وحدها بالتضمن ودال على القدرة والسمع والبصر والعلم وغيرها من الصفات باللزوم، ودلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على كامل معناه، ودلالة التضمن هي دلالة اللفظ على بعض معناه، ودلالة اللزوم هي دلالة اللفظ على أمر خارج عن معناه، ينظر: فائدة جلية في قواعد الأسماء الحسنى: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، غراس، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م: ٢٥ / ١.

وله يوله، وذلك لأنه لو كان منه لقليل في تفعل منه توله؛ لأن الواو فيه، أو في توله وفي إجماعهم على أنه (تأله) بالهمز ما يبين أنه ليس من وله^(١).

و(الإله) هو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فقد دخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنی، ولهذا كان القول الصحيح إن (الله) أصله (الإله)، وأن اسم الله هو الجامع لجميع الأسماء الحسنی والصفات العلی^(٢).

يقول صاحب المواقف: «وقيل مشتق وأصله الإله حذفت الهمزة لثقلها وأدغم اللام وهو من إله إذا تعبد، وقيل من الوله وهو الحيرة، ومرجعها صفة إضافية، وقيل هو القادر على الخلق، وقيل من لا يصح التكليف إلا منه فمرجعه صفة سلبية»^(٣).

فالله تعالى هو القادر على الخلق، فهو المستحق بالعبادة دون سواه، وعلى هذا فمرجعه كما يقول الإيجي صفة (سلبية) أي تسلب النقص عن الذات العلية، من الولد أو الفناء، أو المماثلة للحوادث، أو عدم قيامه بنفسه، أو الفناء.

وهذا الاسم مشتق من التأله، ومعناه التعبد، وهو المعبود في الحقيقة دون سواه. قال الفخر الرازي: «إنه مشتق من التأله الذي هو التعبد يقال (إله - يأله - آلاهه) بمعنى عبد عبادة، وكان ابن عباس يقرأ ﴿وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتَكَ﴾^(٤) أي عبادتك، والعرب كانت تسمى الأصنام آلهة؛ لأنهم كانوا يعبدونها والتأله التعبد ولما كان الباري هو المعبود في الحقيقة لا جرم سمي إلهًا»^(٥) والمشهور أنه مشتق من إله يقول

(١) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنی إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ١/ ٢٥.

(٢) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنی، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة:

العدد ١١٢ - السنة ٣٣ - ١٤٢١هـ، ص ١٦٤.

(٣) ينظر: شرح المواقف: ج ٣، ص ٣٠٦.

(٤) سورة الأعراف من الآية: ١٧٢.

(٥) ينظر: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للرازي، ص ٨٩.

القشيري^(١)، والمشهور أن اسم الله تعالى مشتق من إله - أي المتأله المتعالي الذي لا يحكمه أحد، ويحكم جميع ما خلقه، والكل مدين، بوجه يحتاج إليه في كل شأن، أو من الوله، أي الذي يتوله في حبه أهل محبته، أو من الهوية إذ لا يستر جميع من في الكون إلا إليه فلا إله إلا هو، والاعتراض بأن الله كان ولا شيء معه، ولا عابد يعرف المعبود، ولا مألوه يعرف المتأله، فهذا لا يطعن في أن الاسم مشتق، وأن (الله) سمى نفسه به ليعرف أنه المتأله المعبود بعد خلق المخلوقات وأنه منع أن يسمى به مخلوق وعلى هذا يكون اسم الله المكنون لا يعلمه إلا هو^(٢).

فكل اسم من أسماء الله تعالى يدخل تحت لفظ الجلالة (الله) «والله علم دال على المعبود بحق دلالة جامعة لجميع معاني الأسماء الآتية»^(٣).

واسم الله تعالى هو الاسم الجامع لصفات الكمال فهو سبحانه المتفرد بالوجود وكل الوجود مستمد منه وكل شيء في الوجود (فان) إلا هو، فكل الأسماء المعروفة تلي هذا الاسم مباشرة فهو علم.

يقول أبو حامد الغزالي: «فأما قوله الله فهو اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية المنعوت بنعوت الربوبية المتفرد بالوجود الحقيقي، فإن كل موجود سواه غير مستحق الوجود بذاته، وإنما استفاد الوجود منه فهو من حيث ذاته هالك، ومن الجهة

(١) هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوري القشيري من بني قشير بن كعب، أبو القاسم زين الإسلام شيخ خراسان في عصره، زهدًا وعلمًا بالدين، كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها. وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه، من كتبه «التيسير في التفسير»، ويقال له «التفسير الكبير»، توفي سنة ٤٦٥ هـ - ١٠٧٢ م، ينظر: الأعلام: ٤/ ٥٧.

(٢) ينظر: شرح أسماء الله الحسنى لإمام التصوف أبي القاسم عبد الكريم القشيري، دار آزال - بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٦ م، ١٤٠٦ هـ، ص ٥٦.

(٣) ينظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية - بيروت، بدون ط: ٩/ ٣٣٨.

التي تليه موجود فكل موجود هالك إلا وجهه، والأشبه أنه جار في الدلالة على هذا المعنى مجرى أسماء الأعلام، وكل ما ذكر في اشتقاقه وتعريفه تعسف وتكلف فائدة، اعلم أن هذا الاسم أعظم أسماء الله (عز وجل) التسعة والتسعين؛ لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها، حتى لا يشذ منها شيء، وسائر الأسماء لا يدل أحادها إلا على آحاد المعاني من علم، أو قدرة، أو فعل، أو غيره ولأنه أخص الأسماء إذ لا يطلقه أحد على غيره لا حقيقة ولا مجازاً، وسائر الأسماء قد يسمى به غيره كالقادر، والعليم، والرحيم، وغيره، فلهذين الوجهين يشبه أن يكون هذا الاسم أعظم هذه الأسماء دقيقة»^(١).

ويقول أبو البركات النسفي في معنى لفظ الجلالة (الله): «هو (الله) الذي تعرفونه وتقررون بأنه خالق السماوات والأرض، وخالقكم، وهو واحد لا شريك له، وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق، لا يستغنون عنه، وهو الغني عنهم»^(٢).

ويقول الماتريدي عن معنى لفظ الجلالة (الله): «(الله) هو المعبود في لسان العرب لا على الاستحقاق، لكن على وضع ذلك كذلك، دليله تسميتهم كل من عبده، وكل شيء عبده: إلهاً، وإن كان جميع ما سوى إله الحق ممن عبد لا يحتمل شيئاً من تلك المعاني التي زعم من ادعى الاشتقاق عنها من الاحتجاب، أو الالتجاء إليه، ونحو ذلك، فثبت أنه اسم موضوع للمعبود»^(٣).

ومن أسماء الله تعالى التي وردت في سورة الروم (العزیز):

معنى العزيز في اللغة:

يقول أبو بكر الأنباري: «العزيز معناه في كلام العرب: القاهر الغالب، من ذلك قول العرب: قد عزَّ فلان فلاناً يعزّه عزّاً: إذا غلبه.

(١) ينظر: المقصد الأسني في شرح معاني أسماء الله الحسنى للغزالي: ٦١.

(٢) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٣ / ٦٩٤.

(٣) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ١٠ / ٦٤٥.

قال الله (عز وجل): ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخُطَابِ﴾^(١)، فمعناه: غلبني في الخطاب، ويقرأ: ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخُطَابِ﴾ على معنى: وغالبني^(٢).

وقد ورد اسم (العزیز) في القرآن الكريم خمس وتسعون مرة، مرة معرف بآل وأخرى غير معرف، وجاء مرفوعاً ومنصوباً ومجروراً، وجاء في سورة الروم مرتان، وذلك في قوله تعالى: ﴿بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤) ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ يقول: والله الشديد في انتقامه من أعدائه، لا يمنعه من ذلك مانع، ولا يحول بينه وبينهم حائل^(٥).

ويقول القشيري في تعريف اسم الله (العزیز): «هو الذي لا نظير له، والقوى الذي لا غالب له، وذكره يورث العز، والاتكال عليه والنصر»^(٦).

وجاء معنى (العزیز) على أربعة أوجه:

- أ- (العزیز): وهو المنيع الذي لا يرام جنباه.
- ب- (العزیز): وهو القاهر الذي لا يقهر ولا يغلب.
- ج- (العزیز): وهو القوى الشديد.

(١) سورة ص: من الآية: (٢٣).

(٢) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م: ١ / ٧٨. وينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، دار الثقافة العربية: ١ / ٣٣.

(٣) سورة الروم: من الآية ٥.

(٤) سورة الروم: من الآية ٢٧.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠ / ٦٦، ٩٢.

(٦) شرح أسماء الله الحسنى، للقشيري: ص ٨٧.

و (العزیز): بمعنى نفاسة القدر، وأنه سبحانه لا يعادله شيء، ولا مثل له ولا نظير^(١)

«والعزیز أي الغالب القوي الذي لا يغلب، والعزة في الأصل القوة والشدة والغلبة، تقول عز يعز بالكسر إذا صار عزيزاً، وعز يعز بالفتح إذا اشتد»^(٢).

ويقول الغزالي في بيان معنى (العزیز) إنه: «هو الخطير الذي يقل وجود مثله، وتشتد الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه، فما لم يجتمع عليه هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه اسم العزیز، فكم من شيء يقل وجوده، ولكن إذا لم يعظم خطره، ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزاً، وكم من شيء يعظم خطره، ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره، ولكن إذا لم يصعب الوصول إليه لم يسم عزيزاً كالشمس مثلاً، فإنه لا نظير لها، والأرض كذلك، والنفع عظيم في كل واحد منهما، والحاجة شديدة إليهما، ولكن لا يوصفان بالعزة؛ لأنه لا يصعب الوصول إلى مشاهدتهما، فلا بد من اجتماع المعاني الثلاثة، ثم في كل واحد من المعاني الثلاثة كمال ونقصان والكمال في قلة الوجود أن يرجع إلى واحد، إذ لا أقل من الواحد، ويكون بحيث يستحيل وجود مثله، وليس هذا إلا الله تعالى، فإن الشمس، وإن كانت واحدة في الوجود، فليست واحدة في الإمكان، فيمكن وجود مثلها في الكمال، والنفاسة، وشدة الحاجة أن يحتاج إليه كل شيء في كل شيء حتى في وجوده، وبقائه، وصفاته، وليس ذلك على الكمال إلا الله (عز وجل)، والكمال في صعوبة المنال أن يستحيل الوصول إليه على معنى الإحاطة بكنهه، وليس ذلك على الكمال إلا الله (عز وجل)، فإننا قد بينا أنه لا يعرف الله إلا الله، فهو العزیز المطلق الحق لا يوازيه فيه غيره»^(٣).

(١) ينظر: النهج الأسمر في شرح أسماء الله الحسنى، محمد الحمود النجدي مكتبة الإمام الذهبي.

الكويت. ص ١٣٧، ١٣٨.

(٢) ينظر: تحفة الأحوزي: ٣٣٨ / ٩.

(٣) ينظر: المقصد الأسني، للغزالي، ص ٧٣.

ويقول فخر الدين الرازي: «إن اشتقاق معنى اسم الله (العزیز) قد جاء على أربعة أوجه:

الوجه الأول: أن يكون بمعنى أنه لا مثيل له ولا نظير من عز الشيء بكسر العين في المستقبل ومنه يقال عز الطعام في البلد إذ تعذر وجوده عند الطلب.

الوجه الثاني: أن يكون بمعنى الغالب الذي لا يغلب من عز يعز بضم العين في المستقبل أي غلب يغلب.

الوجه الثالث: أن يكون بمعنى الشديد القوي - يقال عز بفتح العين في المستقبل إذا اشتد وقوي - ومنه قول الله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِالشِّمِّ﴾^(١)، أي شددنا وقوينا، وإذا سمى القوي الذي يضعف بالقادر الذي قد يعجز بالعزیز فبأن يسمى القادر الذي يستحيل في حقه العجز عزيزاً أولى.

الوجه الرابع: أن يكون بمعنى المعز فعيل بمعنى مفعول كالأليم بمعنى المؤلم والوجيع بمعنى الموجع^(٢) وجاءت اشتقاق اسم الله (العزیز) على معان متنوعة، وكلها ترجع إلى عزته بخلقه وعفوه عنهم، فهو لا مثل له ولا أب له ولا أم له، فهو منزّه عن الصاحبة والولد، والشريك في الملك فيعذب من يشاء بعدله، ويغفر لمن يشاء برحمته، يقول صاحب المواقف إشارة إلى ما سبق في معنى «العزیز قيل لا أب له ولا أم، وقيل لا يحط عن منزلته، وقيل لا مثل له، وقيل يعذب من أراد، وقيل عليه ثواب العاملين، وقيل القادر والعزة القدرة ومنه المثل من عزیز»^(٣).

ويقول أبو حامد الغزالي مبينا الفرق بين هذا الاسم (العزیز) بالنسبة لله تعالى، وبين ما يطلق عليه البشر (العزیز) من الخلق: «العزیز من العباد من يحتاج إليه

(١) سورة يس من الآية: ١٤.

(٢) ينظر لواضع البيانات شرح أسماء الله والصفات للرازي، ص ١٨٣، وشرح أسماء الله الحسنی، للإمام القشيري، ص ٨٧.

(٣) ينظر: شرح المواقف: ٣/ ٣٠٧.

عباد الله في أهم أمورهم، وهي الحياة الأخروية والسعادة الأبدية، وذلك مما يقل لا محالة وجوده ويصعب إدراكه، وهذه رتبة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين - ويشاركهم في العز من ينفرد بالقرب من درجتهم في عصره، كالخلفاء وورثتهم من العلماء، وعزة كل واحد منهم بقدر علو رتبته عن سهولة النيل، والمشاركة وبقدر عنائه في إرشاد الخلق»^(١).

ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في سورة الروم اسم الله (الرحيم):

يقول الزجاج: «و (الرحيم) خاص في رحمته لعباده المؤمنين بأن هداهم إلى الإيمان وهو يثيبهم في الآخرة الثواب الدائم الذي لا ينقطع»^(٢).

ومرجع اسم (الرحمن)، و(الرحيم) صفة الإرادة التي هي صفة تخصيص الممكن ببعض الأمور المتقابلة المعروفة، كما يقول صاحب المواقف: «(الرحيم) أي مريد الإنعام على الخلق فمراجعهما صفة الإرادة»^(٣).

ومنها ما يدخل في باب الرحمة؛ لأن الإنسان في جميع أطوار حياته بأشد الحاجة إلى من يرحمه ويرأف به، ولا يملك الرحمة الحقيقية به، في دفع الضرر عنه، وجلب الخير له، وإفاضة النعم عليه ظاهرها وباطنها، جليلها ودقيقها، ماديها ومعنويها، عاجلها وآجلها، إلا خالقه وخالق كل شيء في السماوات والأرض، ومن بيده ملكوتها^(٤).

وقد ذكر اسم (الرحيم) بعد اسم الله (الرحمن) للمبالغة في رحمته بخلقه قال الفخر الرازي: «يدل على أن (الرحيم) أكثر مبالغة وهذا اللفظ (الرحيم) أفاد رحمته في

(١) ينظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للإمام الغزالي: ٧٤.

(٢) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج: ٢٨ / ١.

(٣) ينظر: شرح المواقف، الموقف الخامس: ٣ / ٣٠٦.

(٤) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط ٨،

الدنيا والآخرة، فوجب أن يكون اسم (الرحيم) «أبلغ»^(١).

وقد جاء اسم (الرحيم) في سورة الروم متضمنا لتلك المعاني، وقد ذكر اسم (الرحيم) في القرآن خمس وتسعون مرة، وفي سورة الروم، قال تعالى: ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).

«ومعنى (الرحيم): اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الرفيق بالمؤمنين، والعاطف على خلقه بالرزق، والمثيب على العمل»^(٣).

«واسم الرحيم يدل على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل مخلوق، وكتب الرحمة الكاملة للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة المتصلة بالسعادة الأبدية، ومن عداهم محروم من هذه الرحمة الكاملة؛ لأنه الذي دفع هذه الرحمة وأباها بتكذيبه للخبر، وتوليه عن الأمر فلا يلومن إلا نفسه، واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها ما دل عليه الكتاب والسنة من الإيمان بأسماء الله كلها وصفاته جميعها، وبأحكام تلك الصفات، فيؤمنون مثلاً بأنه رحمن رحيم ذو الرحمة العظيمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها من آثار رحمته»^(٤).

ومن أسماء الله تعالى التي وردت في سورة الروم اسم الله (الحكيم):

نحن نعلم علم اليقين أن الله (عز وجل) حي يفعل ما يشاء ويختار، فلا بد أن

(١) ينظر لوامع البينات شرح أسماء الله والصفات، للرازي: ص ١٢٧.

(٢) سورة الروم: من الآية ٣.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر عالم الكتب، الطبعة: الأولى،

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م: ٢ / ٨٧٣.

(٤) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن

حمد آل سعدي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة العدد ١١٢ - السنة ٣٣ -

١٤٢١ هـ، ص ٢٠٠.

تكون جميع أفعاله سبحانه موافقة للحكمة، مطابقة للرشاد، ومن هنا جاء أسماء الله الحسنى (الحكيم)، وقد ذكر اسم (الحكيم) في القرآن سبعاً وسبعون مرة، وذكر في سورة الروم مرة واحدة قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

ومعنى (الحكيم) في اللغة:

ومعنى الحكيم كما يقول الإمام الغزالي: «ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم وأجل الأشياء هو الله سبحانه وقد سبق أنه لا يعرف كنه معرفته غيره فهو الحكيم الحق لأنه يعلم أجل الأشياء بأجل العلوم إذ أجل العلوم هو العلم الأزلي الدائم الذي لا يتصور زواله المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق إليه خفاء ولا شبهة ولا يتصف بذلك إلا علم الله (عز وجل) وقد يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويحكمها ويتقن صنعتها حكيم وكمال ذلك أيضاً ليس إلا الله تعالى فهو الحكيم الحق تنبيه»^(٢).

وقال الجوهري: «الحكيم: الحكمة من العلم، والحكيم العالم، وصاحب الحكمة، وقد حكم ككرم: صار حكيماً»^(٣).

ومعنى (الحكيم)، كما يقول الزجاج: «والحكيم من الرجال يجوز أن يكون فعياً في معنى فاعل، ويجوز أن يكون في معنى مفعول، والله حاكم وحكيم، والأشبه أن تحمل كل واحد منهما على معنى غير معنى الآخر، ليكون أكثر فائدة، فحكيم بمعنى محكم والله تعالى محكم للأشياء متقن لها كما قال تعالى ﴿صُنِعَ اللَّهُ لِدَىٰ أَتَقَنَ كُلَّ

(١) سورة الروم: من الآية ٢٧.

(٢) ينظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى للغزالي، ص ١٢٠.

(٣) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض،

الملقب بمرتضى الزبيدي، مادة (ح ك م)، ج ٣١، ص ٥٢١، دار الهداية.

شَيْءٌ^(١).

وهو تعالى: (الحكيم) الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدر في حكمته مقال^(٢).

ومن أسماء الله تعالى التي ذكرت في سورة الروم اسم الله (الخالق): ولقد ورد ذكر هذا الاسم أكثر من مرة في سورة الروم في آيات الله الكونية والإنسانية دلالة على أنه سبحانه خالق كل شيء فهذا الاسم مختص بالذات العلية.

تعريف الخلق في اللغة:

يقول صاحب تهذيب اللغة: «والخلق في كلام العرب: ابتداء الشيء على مثال لم يسبق إليه»، وقال أبو بكر بن الأنباري: «الخلق في كلام العرب على ضربين، أحدهما: الإنشاء على مثال أبدعه، والآخر: التقدير، وقال في قول الله (عز وجل): ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٣) معناه: أحسن المقدرين، وكذلك قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ﴾^(٤) أي: تقدرون كذبًا، قلت: والعرب تقول: خلقت الأديم إذا قدرته وقسته، لتقطع منه مزادة أو قربة أو خفا^(٥).

(١) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج: ١ / ٥٢

(٢) الثمر المجتنب مختصر شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، د/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير الرياض: ١ / ٢٨-٣٣، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ص ٤٤٢.

(٣) سورة المؤمنون، من الآية: ١٤.

(٤) سورة العنكبوت من الآية: ١٧.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، مادة (خ ل ق): ٧ / ١٦.

ويقول الزجاجي: «الخالق أصل الخلق في الكلام، التقدير يقال: خلقت الشيء خلقاً إذا قدرته، فالخلق في اسم الله تعالى هو ابتداء تقدير النشء، فالله تعالى خالقها، ومنشئها، وهو متممها، ومدبرها»^(١).

ولقد ورد ذكر هذا الاسم أكثر من مرة فلقد ورد هذا الاسم في قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾^(٢).

ورود أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقُ السِّنِّتِ وَالْوَنَكْرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾^(٣).

أقوال العلماء في بيان هذا الاسم:

قال القرطبي في بيان معنى هذا الاسم في الدليل السابق ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾^(٤): «أي من علامات ربوبيته ووحدانيته أن خلقكم من تراب، أي خلق أباكم منه والفرع كالأصل»^(٥)، فالخلق دليل على وجود الخالق وهذا منطق العقل».

وقال الفخر الرازي: «إنه سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق الإنسان عاقلاً فاهماً، متحملاً لأمانة الله تعالى مخاطباً مكلفاً، فلا بد وأن يقدر تركيب ذاته بقدر مخصوص وصفات مخصوصة، ويؤلف أعضائه على وجه مخصوص مطابق للمصلحة، والحكمة على ما يشتمل عليه كتب التشريح، ثم إذا حصل التقدير على هذا الوجه، فلا بد من مادة يتكون بدن الإنسان وهي الأجسام، ولا بد من صورة منها يتكون الإنسان، وهي الأمزجة والقوى والتركيبات، فهو سبحانه خالق؛ لأنه هو الذي قدر كل

(١) يراجع: تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج: ١ / ٣٦، ٣٧

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٠.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٢.

(٤) سورة الروم، الآية: ٢٠.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي: ١٤ / ١٧.

شيء في علمه بالمقدار النافع المطابق للمصلحة»^(١).

فهو سبحانه قدر الأشياء في علمه وخلق كل شيء بقدر، فالإنسان قبل وجوده يحتاج إلى موجد يوجده وخالق يخلقه؛ لأن الإنسان لا يخلق نفسه، يقول الغزالي: «الإنسان وهو أحد مخلوقاته، وهو محتاج في وجوده أولاً إلى أن يقدر ما منه وجوده، فإنه جسم مخصوص، فلا بد من الجسم أولاً حتى يخصص بالصفات، كما يحتاج البناء إلى آلات، حتى يبني، ثم لا يصلح لبنية الإنسان إلا الماء والتراب جميعاً، إذ التراب وحده يابس محض لا ينثني ولا ينعطف في الحركات والماء وحده رطب محض لا يتماسك ولا ينتصب بل ينسبط، فلا بد أن يمتزج الرطب باليابس حتى يعتدل، ويعبر عنه بالطين، ثم لا بد من حرارة طابخة حتى يستحكم مزج الماء بالتراب ولا ينفصل، فلا يتخلق الإنسان من الطين المحض بل من صلصال كالفخار، والفخار هو الطين المعجون بالماء الذي قد عملت فيه النار حتى أحكمت مزاجه، ثم يحتاج إلى تقدير الماء والطين بمقدار مخصوص، فإنه إن صغر مثلاً لم تحصل منه الأفعال الإنسانية بل كان على قدر الذر والنمل فتسفيه الرياح ويهلكه أدنى شيء، ولا يحتاج إلى مثل الجبل من الطين فإن ذلك يزيد على قدر الحاجة، بل الكافي من غير زيادة ونقصان قدر معلوم يعلمه الله (عز وجل)»^(٢).

ومعنى ذلك أن المراد بالخالق هو المبدع من لا شيء أي الإبداع على غير مثال سابق «فالخالق أي الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وأصل الخلق التقدير فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها، وباعتبار الإيجاد على وفق التقدير الخالق الباري أي الذي خلق الخلق لا عن مثال»^(٣).

(١) يراجع: لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات للرازي: ص ١٥٩.

(٢) يراجع: المقصد الأسني في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للغزالي، ص ٧٦.

(٣) يراجع: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري: ٩ / ٣٣٨.

ومن أسماء الله التي وردت في سورة الروم اسم الله (العليم):

معنى العليم في اللغة:

وهو العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولما يكن بعد قبل أن يكون، لم يزل عالمًا، ولا يزال عالمًا بما كان وما يكون، ولا تخفى عليه خافية في الأرض، ولا في السماء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ: باطنها وظاهرها، دقيقها وجليلها، على أتم الإمكان.

وعليم: فعيل في أبنية المبالغة^(١) وقد ورد هذا الدليل في قول الله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٢).

يقول الطبري: «إن الله لا ينسى ولا يتغير علمه، عليم بكل ما كان ويكون، قدير على ما شاء لا يجهل شيئًا، ولا يعجزه شيء أراده، عليم بتدبير خلقه»^(٣).

والعليم معناه: المحيط بكل شيء ولا يخفى عليه شيء فهو عليم بكل شيء، يقول الإيجي: «العليم العالم بجميع المعلومات»^(٤).

وجاء في المعنى السابق نفسه كما يقول الإمام الغزالي: «العليم: معناه ظاهر وكماله أن يحيط بكل شيء علمًا ظاهره وباطنه دقيقه وجليله أوله وآخره عاقبته وفاتحته، وهذا من حيث كثرة المعلومات، وهي لا نهاية لها، ثم يكون العلم في ذاته من حيث الوضوح والكشف على أتم ما يمكن فيه بحيث لا يتصور مشاهدة، وكشف أظهر منه، ثم لا يكون مستفادًا من المعلومات، بل تكون المعلومات مستفادة منه»^(٥).

(١) ينظر: تاج العروس، مادة (ع ل م): ١٣ / ١٣٧.

(٢) سورة الروم: آية ٥٤.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ١٧ / ٢٥١.

(٤) ينظر: شرح المواقف، الموقف الخامس: ٣ / ٣٠٨.

(٥) ينظر: المقصد الأسني في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للغزالي، ص ٨٦.

والعليم له ألفاظ مجانسة»^(١).

يقول الرازي: «واعلم أن هذه الألفاظ المجانسة لهذا الاسم كثيرة»:

أحدها: بمعنى ثبات العلم لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(٣)، وقال: ﴿أَنزَلْنَاهُ وَبَعَلَّمْنَاهُ﴾^(٤).

ثانيها: بمعنى العالم، قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾^(٥)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾^(٦)، وقال (عز وجل): ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٧).

ثالثها: بمعنى (العلام)، قال الله تعالى حكاية عن عيسى (عليه السلام): ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾^(٨).

(١) الجنس كلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب ما هو من حيث هو كذلك، فالكلي جنس، وقوله مختلفين بالحقيقة يخرج النوع، والخاصة، والفصل القريب، وقوله: في جواب ما هو، يخرج الفصل البعيد والعرض العام، وهو قريب إن كان الجواب عن الماهية وعن بعض ما يشاركها في ذلك الجنس، وهو الجواب عنها، وعن كل ما يشاركها فيه كالحيوان بالنسبة إلى الإنسان، وبعيد إن كان الجواب عنها، وعن بعض ما يشاركها فيه غير الجواب عنها وعن البعض الآخر كالجسم النامي بالنسبة إلى الإنسان، ينظر: التعريفات، باب الميم: ١ / ٧٨.

(٢) سورة لقمان من الآية: ٣٤.

(٣) سورة البقرة من الآية: ٢٥٥.

(٤) سورة النساء من الآية: ١٦٦.

(٥) سورة الرعد الآية: ٩.

(٦) سورة الجن الآية: ٢٦.

(٧) سورة فاطر الآية: ٣٨.

(٨) سورة المائدة من الآية: ١١٦.

رابعها: بمعنى الأعلّم: قال تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِن يَشَاءُ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾^(١).

خامسها: بمعنى المعلم، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾^(٢)، وقال أيضًا: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(٣).

ثم يقول الرازي: «وأجمعت الأمة على أنه لا يجوز أن يقال لله تعالى «يا معلم»، وهذا أقوى الدلائل على أسماء الله ليست قياسية، فالعليم الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عن علمه قاصية ولا دانية، وقيل من عرف أنه عليم بحاله صبر على بليته، وشكر على عطيته، واعتذر عن قبيح فعله»^(٤).

ويقول حجة الإسلام مبيّنًا حظ العبد من علم الله تعالى: «للعبد حظ من وصف العليم لا يكاد يخفى ولكن يفارق علمه علم الله تعالى في الخواص الثلاث: إحداها: المعلومات في كثرتها، فإن معلومات العبد وإن اتسعت فهي محصورة في قلبه فأنى يناسب ما لا نهاية له.

والثانية: أن كشفه وإن اتضح فلا يبلغ الغاية التي لا يمكن وراءها، بل تكون مشاهدته للأشياء، كأنه يراها من وراء ستر رقيق، ولا تتكرر درجات الكشف، فإن البصيرة الباطنة كالבصر الظاهر، وفرق بين ما يتضح في وقت الإسفار وبين ما يتضح ضحوه النهار.

والثالثة: أن علم الله سبحانه وتعالى بالأشياء غير مستفاد من الأشياء بل الأشياء مستفادة منه وعلم العبد بالأشياء تابع للأشياء وحاصل بها نعمته».

(١) سورة الإسراء الآية: ٥٤.

(٢) سورة الرحمن الآيتان: ٢١.

(٣) سورة النساء من الآية: ١١٣.

(٤) ينظر لوامع البينات شرح أسماء الله والصفات للرازي، ص ١٧٣، ١٧٦ بتصرف يسير.

وعلى هذا فعلمه تعالى قديم، وليس مكتسبًا؛ لأن كل شيء استفاد علمه منه، وليس العكس؛ لأنه تعالى عليم، وهذه صيغة مبالغة، فدل ذلك كما فهمت من عبارة شيخنا الغزالي، أن الأشياء هي التي استفادت من علمه تعالى وحده دون غيره.

وقد ذكر اسم العليم في القرآن مائتان وخمسة عشر مرة، وذكر في سورة الروم مرة واحدة إن دل هذا، فإنما يدل على سعة علم الله عن كل شيء صغيره وكبيره، سواء في علم الماضي، أو الحاضر، أو المستقبل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١).

إن علم الله شامل ثابت ولا يتغير بتغيير الزمان والمكان، أما علم البشر فيعتريه النقص والجهل، وعلم الغيب لا يعلمه إلا الله، ولم يطلعه الله على نبي ولا رسول مقرب قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢).

وهذه الغيبيات الخمسة ليست شاملة كل أمور الغيب، بل عند الله أمور غيبية كثيرة لا تعد ولا تحصى.

ومن خلال ما سبق نرى أن اسم الله (العليم) غير مستفاد أي ليس كسبياً وإنما علمه تعالى قديم، استمد الخلق كلهم من هذا الاسم، والدليل على ذلك جواب الملائكة حينما سألهن ربهم عن أسماء المخلوقات، فقالوا كما حكى بذلك القرآن: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

يقول الإمام البيضاوي: «﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ اعتراف بالعجز

(١) سورة الأنعام: آية ٥٩.

(٢) سورة لقمان: آية ٣٤.

(٣) سورة البقرة: الآية: ٣٢.

والقصور وإشعار بأن سؤالهم كان استفساراً ولم يكن اعتراضاً، وأنه قد بان لهم ما خفي عليهم من وجود الإنسان والحكمة في خلقه، وإظهار لشكر نعمته»^(١).

ومن الأسماء التي جاء ذكرها في سورة الروم اسم الله (القدير):

ومعنى القدير في اللغة:

(القدير): هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضى الحكمة، لا زائداً عليه، ولا ناقصاً عنه، ولذلك لا يصح أن يوصف به إلا الله تعالى، والمقتدر يقاربه إلا أنه قد يوصف به البشر، ويكون معناه المتكلف والمكتسب للقدرة، ولا أحد يوصف بالقدرة من وجه إلا ويصح أن يوصف بالعجز من وجه، غير أن الله تعالى، فهو الذي ينتقي عنه العجز من كل وجه^(٢).

ومعنى القدير أي (ذو القدرة)، كما قال الغزالي: «ذو القدرة لكن المقتدر أكثر مبالغة والقدرة عبارة عن المعنى الذي به يوجد الشيء متقدراً بتقدير الإرادة والعلم واقعاً على وفقهما، والقادر هو الذي إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل وليس من شرطه أن يشاء لا محالة فإن الله قادر على إقامة القيامة الآن؛ لأنه لو شاء أقامها فإن كان لا يقيمها؛ لأنه لم يشأها ولا يشأها لما جرى في سابق علمه من تقدير أجلها ووقتها، فلذلك لا يقدح في القدرة، والقادر المطلق هو الذي يخترع كل موجود اختراعاً يتقرب به ويستغني فيه عن معاونته غيره وهو الله تعالى وأما العبد فله قدرة على الجملة، ولكنها ناقصة إذ لا يتناول إلا بعض الممكنات ولا يصلح للاختراع، بل الله تعالى هو المخترع لمقدورات العبد بواسطة قدرته، مهما هيأ له جميع أسباب الوجود لمقدوره»^(٣).

فالقادر إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل، فقدوته مطلقة، فيخترع الأشياء دون مساند أو معاون؛ لأنه غني عن الاحتياج.

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ٦٩ / ١

(٢) يراجع: تاج العروس: مادة (ق د ر): ١٣، ص ٣٨٠.

(٣) سورة الروم: من الآية ٥٦.

وقد ذكر اسم (التقدير) في القرآن الكريم أربع وأربعون مرة، وذكر في سورة الروم مرة واحدة في قول الله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(١).

أقوال علماء العقيدة في بيان هذا الاسم:

قال الفخر الرازي «أي الكامل في القدرة، فلأجل كمال علمه يعلم مقادير المصالح والمفاسد، ولأجل كمال قدرته يقدر على تحصيل المصالح ودفع المفاسد، وقدم العلم على القدرة؛ لأن المذكور هاهنا الإبداء وهو أطوار وأحوال، والعلم بكل حال حاصل، فالعلم هاهنا أظهر، ثم إن قوله تعالى: وهو العليم التقدير تبشير وإنذار لأنه إذا كان عالماً بأعمال الخلق كان عالماً بأحوال المخلوقات فإن عملوا خيراً علمه وإن عملوا شراً علمه، ثم إذا كان قادراً فإذا علم الخير أثاب، وإذا علم الشر عاقب، ولما كان العلم بالأحوال قبل الإثابة والعقاب اللذين هما بالقدرة قدم العلم»^(٢).

والتقدير أي ذو قدرة على جميع المقدورات لا يعجزه شيء منها؛ لأن قدرته واحدة.

يقول القشيري «ولله قدرة واحدة يقدر بها على جميع المقدورات لا يخرج مقدور عن قدرته ولا نهاية لمقدوراته والمعدوم يكون مقدوراً، والدليل على كونه استحالة الوصف له بأن يكون عاجزاً، ووجود أفعاله تدل على قدرته»^(٣).

من أسماء الله الحسنى التي وردت في سورة الروم اسم الله تعالى (المبدئ والمعيد):

المبدئ: هو الذي ابتداء الأشياء كلها لا عن شيء فأوجدها، ويقال بدأ وأبدأ، وهو بادئ ومبدئ^(٤).

(١) سورة الروم: من الآية ٥٤.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ٢٥ / ١١١.

(٣) يراجع: شرح أسماء الله الحسنى، للقشيري: ص ٢٢٠.

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج: ١ / ٥٦.

والمعيد في اللغة: هو الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات في الدنيا، وبعد الممات إلى الحياة يوم القيامة^(١).

«ومعناه الموجد لكن الإيجاد إذا لم يكن مسبقاً بمثله سمي إبداء، وإذا كان مسبقاً بمثله سمي إعادة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بدأ خلق الناس ثم هو الذي يعيدهم أي يحشرهم والأشياء كلها منه بدأت، وإليه تعود وبه بدأت وبه تعود»^(٢).

والمعيد كما يقول الزجاج أيضاً: هو الذي أعاد الخلائق كلهم ليوم الحساب، كما أبدأهم^(٣).

وجاء في تعريفهما كما يقول الإيجي: «المبدئ المتفضل بابتداء النعم، والمعيد يعيد الخلق»^(٤)، فهو وحده يبدئ الخلق ثم يعيده، وهذا دليل على وقوع البعث، كما نتحدث عن ذلك في السمعيات الواردة في سورة الروم ومنها البعث، وأدلة وقوعه، وقد جاء اسم المبدئ في القرآن الكريم سبع مرات، وورد في سورة الروم مرتين في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٦).

أقوال علماء العقيدة في بيان هذا الدليل:

يقول النسفي في بيان معنى المبدئ والمعيد في قول الله تعالى ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾^(٧) (ينشئهم) ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ (يحييهم بعد الموت)^(٨) فالبدء والإعادة عليه وحده،

(١) تاج العروس: باب عود: ٨ / ٤٤٩.

(٢) ينظر: المقصد الأسنى، للغزالي: ١٣١.

(٣) يراجع: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج: ١ / ٥٦.

(٤) يراجع: المواقف: ٣ / ٣١٠.

(٥) سورة الروم: آية ١١.

(٦) سورة الروم: آية ٢٧.

(٧) سورة الروم: آية ١١.

وهذا هو المعنى.

ويقول الماتريدي: «لا يحتمل أن يخلقهم وينشئهم لحاجة نفسه، أو لمصلحته؛ لأنه غني بذاته، أو يمتحنهم لمنفعة نفسه، أو يأمره لذلك، ولكن إنما يبدئ ويعيد حاجة أنفسهم، أو يخبر أن من قدر على ابتداء الشيء يملك إعادته»^(٢).

قال الفخر الرازي في كتابه لوامع البيئات شرح أسماء الله والصفات عن معنى (المبدئ، والمعيد) قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيُعِيدُ﴾^(٣)، وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٥)، قال: «هو يبدئ الخلق، واعلم أن مذهب أصحابنا أن الله تعالى يفني الأشياء ثم إنه يعيدها بأعيانها»^(٦).

وهذا ما ذهب إليه أهل السنة في إثبات إعادة المعدوم، ويوضح الإمام القشيري معنى المبدئ والمعيد فيقول إنه سبحانه ابتدأ أن الخلق بمعنى بداء، وهو إظهار الشيء من العدم إلى الوجود فأما الإعادة فهو خلق الشيء بعدما عدم والله تعالى قادر على إعادة الحوادث إذا عدمت جواهرها، وأعراضها خلافاً لمن قال أن الإعادة للشيء على خلق مثله لا إعادة عينه وذلك أنه إذا كان مقدوراً قبل خلقه إعادة إلى ما كان عليه كلما قدر على أن يخلقه ابتداءً وجب أن يكون قادراً على أن يخلقه ثانياً»^(٧).

(١) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٢ / ٦٣٩.

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٨ / ٢٦٦.

(٣) سورة البروج الآية: ١٣.

(٤) سورة الروم: آية ١١.

(٥) سورة الروم الآية: ٢٧.

(٦) ينظر لوامع البيئات شرح أسماء الله والصفات للرازي: ص ٢٢٤.

(٧) ينظر: شرح أسماء الله الحسنی للقشيري: ص ٢٠٣.

ومن أسماء الله تعالى الواردة في السورة الكريمة اسم الله (الباسط) :

ومعنى الباسط: يقول صاحب المواقف معنى (الباسط): «الباسط المختص بالتوسعة^(١)، فهو سبحانه يبسط الرزق لمن يشاء، أي يوسعه».

يقول ابن الأثير: «فالله تعالى: هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء، أي يوسعه عليه بجلوه ورحمته، وقيل يبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة»^(٢).

فالباسط: الفاعل من بسط يبسط فهو باسط، فالله (عز وجل) كما ذكرنا باسط رزق من أراد من عباده أن يوسع عليه ومقتر على من أراد، كما يرى في ذلك من المصلحة لهم، وهو كما قال (عز وجل): ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾، فهذه الآية قد بينت لك معنى الباسط، وبينت أيضًا أنه (عز وجل) إنما يقبض ويبسط على حسب ما يراه (عز وجل) من المصلحة لعباده^(٣).

معنى القبض والبسط:

القبض والبسط: هما حالتان بعد ترقى العبد عن حالة الخوف والرجاء، فالقبض للعارف كالخوف للمستأمن، والفرق بينهما: أن الخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقل مكروه أو محبوب والقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت يغلب على قلب العارف عن وارد غيبي^(٤).

(١) ينظر: شرح المواقف: ٣/ ٣٠٨.

(٢) تاج العروس، مادة (ب س ط): ١٣/ ١٤٣، النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مادة بسط: ١/ ١٢٧.

(٣) اشتقاق أسماء الله، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م: ١/ ٩٩.

(٤) ينظر: التعريفات، للرجزاني: ١/ ١٧٠ - ١٧١.

الآية الدالة على هذا الاسم من سورة الروم الدليل علة ذلك من السورة قول الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

أقوال علماء العقيدة حول هذا الدليل:

يقول القرطبي: «أي يوسع الخير في الدنيا لمن يشاء أو يضيق، فلا يجب أن يدعوه الفقر إلى القنوط»^(٢).

كما أن توسيع الرزق وتضييقه من حكمة الله تعالى المبدع ومن كمال ربوبيته، ومظاهر قدرته أنه ينزل الرزق على العباد بقدر.

يقول الألوسي في معنى (الباسط والقابض): «أي ويضيقه على من يشاء أن يضيقه عليه، وهذا إما باعتبار شخصين أو باعتبار شخص واحد في زمانين، والمراد إنكار فرحهم وقنوطهم في حالتي الرخاء والشدة، أي أو لم يروا ذلك، فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين إنَّ في ذلك المذكور أي البسط وضده، أو جميع ما ذكر لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة»^(٣).

والإنسان يرجو ما عند الله تعالى من الأرزاق؛ لأنه يعلم أن الذي يوسع الأرزاق هو الله، فلذا يرجو رحمته ورضوانه.

يقول ابن عطية في هذا المعنى: «ثم ذكر تعالى الأمر الذي من اعتبره لم ييأس من روح الله على حال، وهو أن الله تعالى يخص من يشاء من عباده ببسط الرزق، ويقدر على من شاء منهم، فينبغي لكل عبد أن يكون راجياً ما عند ربه»^(٤).

والقبض والبسط بيد الله يفعل ما يشاء وبيده أيضاً قبض الأرواح والآجال، إذا

(١) سورة الروم الآية: ٣٧

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي: ١٤ / ٣٥.

(٣) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي: ١١ / ٤٤.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: ٤ / ٣٣٨.

القبض يشمل كل شيء بالنسبة لله تعالى، و«القابض» أي يمسك الرزق وغيره عن العباد بلطفه وحكمته ويقبض الأرواح عند موتهم، ومنه «يقبض» الله الأرض، و«يقبض» السماء، أي يجمعهما، وقبض: إذا توفي وإذا أشرف على الموت^(١).

وعن معنى (القابض والباسط) يقول الغزالي: «من العباد من ألهم بدائع الحكم وأوتي جوامع الكلم فتارة يبسط قلوب العباد بما يذكرهم من آلاء الله (عز وجل) ونعمائه وتارة يقبضها بما ينذرهم به من جلال الله وكبريائه وفنون عذابه وبلائه وانتقامه من أعدائه كما فعل رسول الله ﷺ حيث قبض قلوب الصحابة عن الحرص على العبادة حيث ذكر لهم أن الله (عز وجل) يقول لأدم - عليه الصلاة والسلام - يوم القيامة ابعث بعث النار، فيقول: كم، فيقول: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون، فانكسرت قلوبهم حتى فتروا عن العبادة، فلما أصبح ورآهم على ما هم عليه من القبض والفتور، رَوَّحَ قلوبهم وبسطهم، فذكر أنهم في سائر الأمم قبلهم كشامة سوداء في مسك ثور أبيض»^(٢).

ومن أسماء الله تعالى الواردة في سورة الروم اسم الله (المنتقم):

معنى المنتقم:

يعرف صاحب المواقف هذا الاسم فيقول «المنتقم المعاقب لمن عصاه المنتقم»^(٣).

كما يقول الغزالي في هذا المعنى نفسه أن المنتقم هو الذي يقصم ظهور العتاة وينكل بالجنة ويشدد العقاب على الطغاة وذلك بعد الإعذار والإنذار وبعد التمكين

(١) ينظر: جمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي القنَّي الكجراتي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م: ٤/ ١٩٦.

(٢) ينظر: المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى للغزالي: ١/ ٨٨.

(٣) ينظر: شرح المواقف، الموقف الخامس: ٣/ ٣١١.

والإمهال وهو أشد للانتقام من المعالجة بالعقوبة فإنه إذا عوجل بالعقوبة لم يمعن في المعصية، فلم يستوجب غاية النكال في العقوبة، تنبيهًا لمحمود من انتقام العبد أن ينتقم من أعداء الله تعالى وأعدى الأعداء نفسه وحقه أن ينتقم منها مهما قارفت معصية، أو أخلت بعبادة، كما نقل عن أبي يزيد رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: تكاسلت نفسي علي في بعض الليالي عن بعض الأوراد فعاقبتها بأن منعتها الماء سنة، فهكذا ينبغي أن يسلك سبيل الانتقام^(١).

وجاء في معنى (المنتقم) كما يقول الأحوزي: «المنتقم أي المبالغ في العقوبة لمن يشاء، وهو مفتعل من نقم ينقم إذا بلغت به الكراهة حد السخط»^(٢).

الدليل الوارد في السورة الدال على ذلك الاسم:

قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرُمْ وَأَكَانْ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

أقوال علماء العقيدة حول هذا الاسم:

قال الفخر الرازي: «فهو أنه لما قال فانتقمنا بين أنه لم يكن ظلمًا، وإنما كان عدلاً حقًا، وذلك لأن الانتقام لم يكن إلا بعد كون بقائهم غير مفيد، إلا زيادة الإثم وولادة الكافر الفاجر، وكان عديمهم خيرًا من وجودهم الخبيث»^(٤).

يقول البيضاوي في المعنى نفسه: «فانتقمنا من الذين أجروا: بالتدمير، كان حقًا علينا نصر المؤمنين: إشعار بأن الانتقام لهم، وإظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم»^(٥).

(١) ينظر: المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى، للغزالي: ١/ ١٣٩.

(٢) ينظر: تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري: ٩/ ٣٤٢.

(٣) سورة الروم، الآية: ٤٧.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب - التفسير الكبير: ٢٥/ ١٠٨.

(٥) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: ٤/ ٢٠٩.

وانتقام الله من أهل مكة إنما كان بسبب مكرهم وإجرامهم، وبالتالي تحقق النصر للمؤمنين، حيث أرسل الله الرسل إلى هؤلاء بالحجج والدلائل، جاء في هذا المعنى كما يقول أبو الحسن المعروف بالخازن: «أي بالدلالات الواضحات على صدقهم، انْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا: يعني: يعني أنا عذبنا الذين كذبوهم»^(١).

وهذا واضح ومشاهد كما قص القرآن قصص هؤلاء المعاندين الذين لم يستجيبوا للحق، وبالتالي ينتقم الله منهم.

يقول القرطبي في هذا الدليل: «انتقمنا أي فكفروا فانتقمنا ممن كفر»^(٢)، والمعنى المستفاد من هذا الاسم أن الله تعالى ينتقم من الكفرة الفجرة، وذلك حينما كذبوا الرسل^(٣) فإنه يحل عليهم انتقامه، بأن يهلكهم ولا ناصر لهم.

وهكذا فإن اسم الله تعالى (المنتقم) معناه أن الله تعالى ينتقم من أعدائه، وذلك حينما يتمادون في غيهم وضلالهم، وهذا ما حدث للأمم السابقة على الإسلام، وخاتمة المطاف نرى أن أسماء الله تعالى الحسنى والتي جاء بعضها في سورة الروم فهي ثابتة لله تعالى، فهو ولا يزال موصوفاً بها، ولا تقف عند عدد معين، وهذا دليل على رحمة الله تعالى بعباده.



(١) ينظر لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن: ٣ / ٣٩٤.

(٢) ينظر: السابق نفسه.

(٣) الآيات الدالة على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقُرُونٌ وَفَرَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ الآيات من سورة العنكبوت (٣٩ - ٤٠).

الفصل الثاني

النبوات في ضوء سورة الروم

ويشمل أربعة مباحث:

- المبحث الأول: أهمية النبوة وحاجة الإنسان إليها من خلال سورة الروم
- المبحث الثاني: شبه المنكرين للنبوة والرد عليها من خلال سورة الروم.
- المبحث الثالث: المعجزة وشروطها من خلال سورة الروم.
- المبحث الرابع: إثبات صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ عن طريق الإخبار بالغيب من خلال سورة الروم.

المبحث الأول

أهمية النبوة وحاجة الإنسان إليها من خلال سورة الروم

أولاً - أهمية النبوة:

من العقائد المهمة في الدين، بعد الإيمان بالله تعالى، عقيدة الإيمان بالرسالة، أو الوحي والإلهام، ومعناها: أن الله ينزل كلامه على إنسان يختاره من بين الناس، ليخبر الناس بما يرضي الله تعالى^(١).

والنبوات هي الفصل الثاني من الفصول الأساسية في دراسة العقيدة^(٢)، ومن ثم تري أن مباحث النبوات تجئ عقب مباحث الإلهيات، وهذا أمر طبيعي؛ لأن اتصال السماء بالأرض يحتاج رسالة من الرسائل الإلهية، وهذا لا يمكن إلا بواسطة، وهذه الوسطة هي الرسول، أو النبي.

وعن أهمية النبوة بالنسبة للبشر نجد أنها هي الملك الكبير الذي آتاه الله لآل داود عليهم السلام ولا عجب، فهي نعمة من الله تعالى على خلقه، يُمُنُّ بها على من يشاء من خلقه.

جاء هذا المعنى في قول الشيخ / رشيد رضا: «والنبوة ملك كبير؛ لأن سلطانها على الأجساد والأرواح على الظاهر والباطن، قال تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٣)، فإن لم يكن هذا الملك عين النبوة، فهو لازمها، ونزع الملك على هذا القول عبارة عن نزعه من الأمة التي كان يبعث فيها

(١) ينظر: الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان: ص ١٦١.

(٢) يعني الفصل الأول (الإلهيات كما ذكرنا، والفصل الثاني النبوات، والفصل الثالث السمعيات)، كما سأذكره في موضعه إن شاء الله تعالى.

(٣) سورة النساء من الآية (٥٤).

الأنبياء كأمة إسرائيل، فقد نزعت منها النبوة ببعثة النبي ﷺ^(١).

والأنبياء هم سفراء الله إلى خلقه ليبلغوهم بما أمرهم الله به عن طريق الوحي، فتكون آداب الله فيهم مستعمله، وحدوده فيهم متبعة وكل هذا لا يتم إلا بواسطة النبي المبلغ عن الله.

يقول الماوردي^(٢): «والأنبياء هم رسل الله تعالى إلى عباده بأوامره ونواهيه، زيادة على ما اقتضته العقول من واجباتها، وإلزاماً لما جوّزته من مباحاتها، لما أَراده الله تعالى من كرامة العاقل، وتشريف أفعاله، واستقامة أحواله وانتظام مصالحه، حين هياه للحكمة، وطبعه على المعرفة، ليجعله حكيماً وبالعواقب عليماً؛ لأن الناس بنظرهم لا يدركون مصالحهم بأنفسهم، ولا يشعرون لعواقب أمورهم بغرائزهم ولا ينزجرون مع اختلاف أهوائهم دون أن يرد عليهم آداب المرسلين، وأخبار القرون الماضين، فتكون آداب الله فيهم مستعملة وحدوده فيهم متبعة، وأوامره فيهم ممتثلة، ووعده ووعيده فيهم زاجراً، وقصص من غبر من الأمم واعظاً، فإن الأخبار العجيبة إذا طرقت الأسماع، والمعاني الغريبة إذا أيقظت الأذهان استمدتها العقول، فزاد علمها، وصح فهمها، وأكثر الناس سماعاً أكثرهم خواطر، وأكثرهم تفكيراً، وأكثرهم تفكيراً أكثرهم علماً، وأكثرهم علماً أكثرهم عملاً، فلم يوجد عن بعثة الرسل معدل، ولا منهم في انتظام الحق بُدّاً»^(٣).

(١) يراجع: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الشيخ / رشيد رضا: ٣ / ٢٢٢.

(٢) هو: علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي: أقضى قضاة عصره، من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة، ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد، وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل «أقضى القضاة» في أيام القائم بأمر الله العباسي، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، من مصنفاته: النكت والعيون، والحاوي، ونصيحة الملوك وتسهيل النظر في سياسة الحكومات، و«أعلام النبوة»، توفي ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م، ينظر: الأعلام: ٤ / ٣٢٧.

(٣) ينظر: أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٩ هـ: ٣٥/١.

والإنسان يحتاج إلى من يرشده ويأخذ بيده إلى الحقيقة، وهي معرفة الله تعالى، والإيمان برسله، والكتب المنزلة عليهم، فهم صلة بين الله وبين البشر.

ويشير إلى ذلك القاضي عبد الجبار^(١) قائلاً: «إن الإيمان بالنبوة، أو قيام صلة بين الله والإنسان بواسطة أحد عباده الذي نسميه نبياً، أو رسولاً من أهم ما يميز الأديان السماوية عن غيرها من الديانات، إذ إن هناك أدياناً كالبرهمية^(٢) تؤمن بوجود الله، لكنها تتكرر النبوات، ولا ترى حاجة لوجود هذه الصلة بين الله والإنسان، وحببتهم في ذلك أن ما أتى به الأنبياء، إما موافق للعقل ففي العقل غنى عنه، أو مخالف له، فلا حاجة لنا به؛ لأن العقل هو المصدر الوحيد الذي نستدل به على حقائق الأمور^(٣)».

الأدلة التي تشير إلى قضية النبوة من خلال سورة الروم، وهي:

الدليل الأول الوارد في قول الله تعالى: ﴿الْمَٓءِٔةُ ١٠٠ عُلِّيتِ الرُّؤُوسُ ١٠١ فِي أَذْنِ الْأَرْضِ

(١) هو: ابن عبد الجبار بن أحمد، أبو الحسين القاضي الأسدي، ويقال: الهمداني أيضاً، وهو من أئمة المعتزلة، ويرد في تراجم تصانيفه: قاضي القضاة، ويعني به قاضي قضاة أعمال الري، وبعض من لا يعلم ذلك يظنه قاضي القضاة مطلقاً وليس كذلك، ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٢م، ج ١، ص ٥٢٣، وينظر: الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م: ٣٦٢/٧.

(٢) البراهمة: عباد الهند وأحدهم برهمي ولا يقولون بالنبوة، ينظر: مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية: ٥٥/١.

(٣) ينظر: تثبیت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسدي، أبو الحسين المعتزلي، دار المصطفى - شبها - القاهرة بدون طبعة: ١/١.

وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّغْلِبُونَ ﴿٥﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴿١﴾.

الدليل الثاني الوارد في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُهُمْ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

المعنى الإجمالي للدليلين السابقين:

ففي الدليل الأول إثبات لنبوة سيدنا محمد ﷺ عند من ذهب إلى ذلك وهناك رأي آخر مفاده أن القرآن الكريم هو المعجز بإخباره بالغيب كما أخبر قصة غلبة الروم من الفرس وأنهم سيغلبونهم في المستقبل في بضع سنين.

يقول الشيخ /رشيد رضا: «وقد صحَّ أن انتصار الروم حصل سنة ٦٢٢م، وكان وحي التبليغ للنبي ﷺ سنة ٦١٤م، فإذا فرضنا أن سورة الروم نزلت في هذه السنة يكون النصر قد حصل بعد ثمان سنين، وإن كان في السنة الثانية تكون المدة سبع سنين، وهو المعتمد في التفسير والبضع يطلق على ما بين الثلاث والتسع.

والحكمة في التعبير عن هذا النبأ بقوله تعالى: ﴿الْمَ ﴿٥﴾ عَلَيْهِمُ الرُّومُ ﴿٦﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّغْلِبُونَ ﴿٥﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ (٣)، ولم يقل بعد سبع سنين، أو ثمان مثلاً - هي إفادة أن الغلب يكون في الحرب الممتدة في هذه المدة، وأنباء الوحي والعبر لا تكون بأسلوب التاريخ الذي يحدد الوقائع بالسنين، وليس في وعود القرآن الكثيرة للمسلمين بالنصر وغيره من أنباء الغيب ذكر السنين ولا الشهور، فهذه الآية فريدة في بابها (٤).

وهذا ما سأتناوله بالحديث عنه من خلال هذا الفصل إن شاء الله تعالى، أما الآية

(١) سورة الروم: الآيات (١ - ٤).

(٢) سورة الروم: الآية (٤٧).

(٣) سورة الروم: الآيات (١ - ٤).

(٤) (١١ / ١٥٤) يراجع: تفسير المنار.

الثانية، فهي تشير إلى إرسال الرسل إلى أقوامهم بالمعجزات الواضحة الظاهرة الواضحة، ولكن الرسل قد كذبوا حتى أتاها نصر الله فاستحقوا بكذبهم انتقام الله تعالى لهم.

أقوال العلماء حول هذه الآيات:

قال الإمام الفخر الرازي في بيان الدليل الوارد في قول الله تعالى: ﴿الْمَٓءُورُ﴾^(١) فِي أَذْنِ الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَّغِيلُونَ^(٢) فِي بِضْعِ سِنِينَ^(٣) ﴿١﴾: «وهذه ذكر في أولها ما هو معجزة، وهو الإخبار عن الغيب، فقدمت الحروف التي لا يعلم معناها ليتنبه السامع فيقبل بقلبه على الاستماع، ثم ترد عليه المعجزة، وتقرع الأسماع»^(٤).

ولقد تم النصر وتحقق في المدة التي أخبر عنها النبي ﷺ، وهذا دليل على صدق القرآن الكريم المعجز بإخباره عن الأمور الغيبية ودليل آخر على أن الرسول كان أميًا، وقد وقع ما أخبر به، يقول القاضي عبد الجبار «وتم ذلك فعلاً؛ وبما أن الإنسان لا يقدر على علم الغيب فإن القرآن منزل من قبل الله وفيه من الإعجاز ما فيه، ثم إن القرآن تحدث عن تاريخ الأمم السابقة وأديانها حديث العليم بكل صغيرة وكبيرة من أحداثها وشؤونها، ولما كان الرسول ﷺ أميًا لم يطلع على كتب الأقدمين - التي لا تشير هي أيضًا بدقة إلى تلك الأمور -، فلا بد أنه تعالى هو الذي أخبر نبيه بهذه الأشياء»^(٣).

يقول ابن عطية في بيان هذا الدليل الوارد في الآية: «﴿الْمَٓءُودِۦٔ عُبَيْتِ الرُّومِ﴾»^(٤)
فتأمل هذا المعنى مع ما كان رسول الله ﷺ ترجاه من ظهور دينه، وشرع الله الذي

(١) سورة الروم: الآيات (١-٤).

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ٢٥ / ٨٠.

(٣) ينظر: تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار: ص ٥.

(٤) سورة الروم: الآيات (١-٤).

بعثه به وغلبته على الأمم وإرادة كفار مكة أن يرميه الله بملك يستأصله ويريحهم منه»^(١).

وتحقق موعود الله جل شأنه، فانتصرت الروم بعد تسع سنين من هزيمتهم أمام الفرس، وفرح المؤمنون بنصر الله، وكان وعد الله الذي لا يخلف، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.. هذا هو المدى الأقرب للآيات.

«وأما المدى الأعرق فكان أكبر وأضخم من تاريخ البشرية، لقد فرح المؤمنون بنصر الله يوم بدر، ويوم نصرهم جاءت أخبار انتصار الروم على الفرس.

لقد جاء خبر انتصار الروم هامشياً وثانوياً أمام انتصار بدر، وكان فرح المؤمنين بنصر الله في بدر هو المدلول^(٢) الأعرق للآية الكريمة»^(٣).

قال الزمخشري: في بيان الدليل الذي يثبت النبوة من خلال السورة الكريمة والذي ورد في قول الله تعالى: ﴿الْمَ ۝ عَلِمَتْ الرُّومُ ۝﴾^(٤) «وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة، وأن القرآن من عند الله؛ لأنها إنباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله»^(٥).

ويقول القاضي عبد الجبار: «فقد حصل أن الفرس غلبت الروم، فأخبر القرآن عن هذه الواقعة، وأنبأ أن الروم سينتصفون من خصومهم في بضع سنين، وتم ذلك فعلاً، وبما أن الإنسان لا يقدر على علم الغيب فإن القرآن مُنَزَّل من قبل الله، وفيه من الإعجاز ما فيه، ثم إن القرآن تحدث عن تاريخ الأمم السابقة وأديانها حديث

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية: ٤ / ٣٢٨.

(٢) المدلول: هو الذي يلزم من العلم بشيء آخر العلم به. ، التعريفات: ١ / ٢٠٧.

(٣) ينظر: فقه السيرة النبوية: منير محمد الغضبان، جامعة أم القرى، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م: ١ / ٤٣٩.

(٤) سورة الروم: الآيات (١-٤).

(٥) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري: ٣ / ٤٦٧.

العليم بكل صغيرة وكبيرة من أحداثها وشئونها، ولما كان الرسول ﷺ أمياً لم يطلع على كتب الأقدمين - التي لا تشير هي أيضاً بدقة إلى تلك الأمور -، فلا بد أنه تعالى هو الذي أخبر نبيه بهذه الأشياء»^(١).

فالإخبار بالغيب دليل على صدق دعوى الرسول، وخاصة إذا كان هذا النبي أمياً، أي لا يقرأ، ولا يكتب، فهو لم يطلع على كتب السابقين، وأخبر بأمر ووقعت بالفعل، وتثبتت الرسالة من خلال الإخبار بالغيب، وذلك عن طريق الخطاب الذي يلقيه على مسامع الناس.

يقول القاضي الباقلاني^(٢) في كتابه تمهيد الأوائل: «إنما يتبين الرسول من البشر المنزل عليه بالرسالة ملك من عند ربه بأن يكون الخطاب الذي أداه إليه متضمناً لإخباره عن الغيوب، وبأن يظهر معه من الآيات مثل الذي ظهر على أيدي الرسول عند الأداء إلى أمثالهم»^(٣).

الدليل الثاني الذي يثبت قضية النبوة من خلال السورة الكريمة:

هو قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ

(١) ينظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للقاضي أبي بكر الطيب، تحقيق الشيخ / عماد الدين

أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ص ١٣٥.

(٢) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه

الرياسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها، كان جيد الاستنباط، سريع الجواب، وجهه عضد الدولة سفيراً عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. من كتبه (إعجاز القرآن، والإنصاف، توفي سنة ٤٠٣ هـ، ١٠١٣ م، ينظر: الأعلام: ١٧٦/٦.

(٣) ينظر: . تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم،

القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي، المحقق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية -

لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ج ١، ص ١٣٥

سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿١﴾.

قال الماتريدي: في هذا الدليل السابق ذكره «في هذه الآية ليصير رسول الله على أذى الكفرة، حيث قال: ﴿أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾، وفيه أيضًا بشارة للمؤمنين، ونذارة لأولئك الكفرة.

أما النذارة لهم فقولُه: ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾، أخبر أن أولئك لما كذبوا الرسل، وعاملوهم بما تعاملون أنتم يا أهل مكة رسول الله؛ فانتقمنا منهم جزاء معاملتهم، فعلى ذلك ينتقم منكم كما انتقم من أولئك.

وأما البشارة للمؤمنين فقولُه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أخبر أن عاقبة الأمور تكون للمؤمنين، وفيه أن الرسل الذين كانوا من قبل كانوا من البشر؛ فكيف تتكرون رسالة مُحَمَّدٍ، إذ كان من البشر، وفيه: أنه قد أتى قومه بالبينات كما أتى أولئك الرسل أقومهم بالبينات^(٢).

وفي هذه الإشارة السابقة نجد أن الرسل الذين سبقوا سيدنا محمد ﷺ، إنما كانوا بشرًا، فكيف ينكر كفار مكة نبوة سيد البشر، حيث أيده الله بالمعجزات، قال الفخر الرازي في هذا الدليل الذي يثبت النبوة من خلال السورة: «لما بين الأصلين^(٣) ببراهين ذكر الأصل الثالث، وهو النبوة، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا﴾، أي إرسالهم دليل رسالتك، فإنهم لم يكن لهم شغل غير شغلهم، ولم يظهر عليهم غير ما ظهر عليك، ومن كذبهم أصابهم البوار، ومن آمن بهم كان لهم»^(٤).

(١) سورة الروم: الآية (٤٧).

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، أبو منصور الماتريدي: ٢٨٨/٨.

(٣) الأصلين: كما يقول الفخر الرازي هما: الحشر والتوحيد، ويقصد بذلك (الإلهيات، والسمعيات) ثم يقول: «أما الحشر فبقوله: (ثم يحييكم)، والدليل قدرته على الخلق ابتداء، وأما التوحيد فبقوله: ﴿هَلْ مِنْ شَرِكٍ لِّكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِمَّنْ شَيْءٌ﴾، راجع: مفاتيح الغيب: ٢٥ / ١٠٤.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي: ٢٥ / ١٠٨.

إن النبوة وهي الأصل الثاني بعد الإلهيات، قد تحدثت عنها السورة الكريمة، وذلك من خلال الأدلة السابقة التي ذكرتها آنفاً، ومن هذا المنطلق أتحدث عن هذه القضية (النبوات) باعتبارها مبحثاً مهماً من مباحث علم الكلام والتي تشمل حاجة البشر إلى الرسالة، وتعريف النبي والرسول، والفرق بينهما، والمعجزة وشروطها، وشبه المنكرين للنبوة، أو الرسالة، وأيضاً ضرب الأمثال، وذلك لتثبيت العقيدة في قلوب المؤمنين، وكل هذه النقاط من خلال سورة الروم، ويكون الحديث عما سبق ذكره من خلال كتب العقيدة، وأقوال أهل السنة من خلال المصادر الأصلية في هذا الصدد.



المبحث الثاني

شبه المنكرين للنبوّة من خلال سورة الروم

إن قضية إنكار النبوّة من القضايا التي تعرض لها القرآن بالذكر، وخاصة السور المكية؛ لأنها دائماً تتحدث عن العقيدة، ومن السور التي تحدثت عن العقيدة سورة (الروم)، ومن هنا فإن السورة قد ذكرت المعجزات الدالة على صدق النبي، أو الرسول، ولكن أقوامهم كذبوا تلك المعجزات الدالة على صدقهم.

الأدلة من السورة الكريمة على إنكار النبوّة والمعجزات:

قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١﴾ ثُمَّ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَفْهُوا السُّوءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ^(١).

والمعنى الإجمالي نراه واضحاً في تكذيب دعوة الأنبياء عليهم السلام، وعدم الاعتبار بما حدث للأمم السابقة يقول الشيخ /محمد رشيد رضا في هذا الصدد: «إن الله تعالى أهلك القرون (الأمم) القديمة لما ظلموا أنفسهم بالشرك والإجرام، وجاءتهم رسلهم بالبينات الدالة على صدقهم في التبليغ عن الله تعالى ولم يؤمنوا فجزاهم بإجرامهم»^(٢).

ولقد جاءت الرسل إلى أقوامهم بالحجج والبراهين الواضحات، ولكنهم كذبوا تلك الحجج والبراهين، ولم يؤمنوا بها فأنكروها، وإنكارهم هذا علامة على عدم إيمانهم بهؤلاء الصفوة المختارة فأخذهم الله بسبب فعلهم فأهلكهم، فلا ناصر لهم.

(١) سورة الروم: الآيتان (٩. ١٠).

(٢) يراجع: تفسير المنار: ١١ / ٤٠٩.

يقول القاسمي: «وجاءتهم رسلهم بالبينات، أي الآيات الواضحات على حقيقة ما يدعونهم إليه فما كان الله ليظلمهم، أي فكذبوهم فأهلكهم، فما كان الله ليهلكهم من غير جرم منهم^(١)».

أقوال العلماء في هذه الآية السابقة:

يقول الإمام القرطبي: «في هذا الدليل» ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾، أي بالمعجزات. وقيل: بالأحكام فكفروا ولم يؤمنوا، ﴿فَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ بأن أهلكهم بغير ذنب، ولا رسل ولا حجة ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالشرك والعصيان.

وقوله: ﴿أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ قيل بمحمد والقرآن، قاله الكلبي.. وقال الضحاك: بمعجزات محمد ﷺ، ﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾، وعلى هذا فإن تكذيب الرسل من أقوامهم واضح وجلي، وذلك كما فهمنا من الآية السابقة.

ويقول الألوسي في هذا الدليل الوارد في قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾^(٢)، بالمعجزات أو الآيات الواضحات ﴿فَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾، أي فكذبوهم فأهلكهم فما كان الله تعالى شأنه، ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث ارتكبوا باختيارهم من المعاصي^(٣).

ولقد كان تكذيبهم للنبوات، أو المعجزات سبباً في تعذيبهم وبالتالي ظلموا أنفسهم بارتكابهم المعاصي.

(١) يراجع: محاسن التأويل، للقاسمي: ٧/٨.

(٢) سورة الروم: الآيتان (٩. ١٠).

(٣) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: ٢٥/١١، ينظر: أنوار

التنزيل وأسرار التأويل، البضاوي: ٤ / ٢٠٢ وما بعدها

يقول أبو السعود^(١) في بيان هذا الدليل: «وقوله تعالى ﴿أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ علة لما أشير إليه من تعذيبهم الدنيوي والأخروي، أي لأن كذبوا، أو بأن كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عليهم السلام ومعجزاته الظاهرة على أيديهم شبه المنكرين للمعجزات والنبوات^(٢).

أولاً - الفرق بين الشبهة والدليل:

١ - الشبهة: لا تعتمد على مسلمات، بل تقوم على أساس المغالطات والسفسطة^(٣) والإيهام.

وسميت بذلك؛ لأنها تشبه الدليل من حيث الصورة والواقع الخارجي، وليست في الواقع دليل.

٢ - الدليل: هو ما ينحل في أساسه إلى قضايا مسلم بها عند الخصم^(٤).
وقيل الفرق بين الدلالة والشبهة في ما قال بعض المتكلمين: إن النظر في الدلالة

(١) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد بقرب القسطنطينية، ودرس في بلاد متعددة، وتقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم ايلي. وأضيف إليه الإفتاء سنة ٩٥٢ هـ وكان حاضر ذهن سريع البديهة: (كتب الجواب مرارا في يوم واحد على ألف رقعة) باللغات العربية والفارسية والتركية، تبعا لما يكتبه السائل. وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، توفي سنة ٩٨٢ هـ، ١٥٧٤ م، ينظر: الأعلام: ٥٩/٧.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم: ٧ / ٥٣.

(٣) السفسطة: قياس مركب من الوهميات، والغرض منه تغليب الخصم، نحو: الجوهر موجود في الذهن، وكل موجود فيه قائم به عرض لينتج أن الجوهر عرض، ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ-١٩٩٠ م: ١ / ١٩٤.

(٤) ينظر: د / عبد الغني الغريب طه . الدراسات الكلامية في النبوات والسمعيات رؤية وتطبيق:

يوجب العلم والشبهة يعتقد عندها أنها دلالة فيختار الجهل لا لمكان الشبهة، ولا للنظر فيها والاعتقاد هو الشبهة في الحقيقة لا المنظور فيه^(١).

ويظهر أن الدليل يحتمل الشك واليقين بخلاف الشبهة، فإنها لا تحتمل إلا الظن، أو الشك، وهي أن يعتقد عندها أنها دلالة لكن يختار الجهل دونها.

المنكرون للنبوة طوائف:

قضية النبوة من القضايا الأساسية في علم العقيدة الإسلامية، ومن ثم تجد من ينكرها ولا يؤمن بها ويعتمد على شبه وأدلة واهية فمثلاً كما حكى القرآن ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَرَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٢)، ومع ذلك لهم شبه زاعمين من خلالها عدم إمكان النبوة وعدم الحاجة إليها، وفيما يلي عرض لشبه هؤلاء.

الشبهة الأولى وتنسب إلى (البراهمة)^(٣):

وهم الذين أنكروا النبوة وزعموا أنه لا يجوز في حكمة البارئ أن يرسل رسولاً إلى خلقه، وفيما يلي عرض شبهتهم المزعومة، وهي:

يقول الباقلاني في كتابه «التمهيد»، وقد افترقت البراهمة على قولين:

(١) ينظر: الكتاب: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ١ / ٦٩١.

(٢) سورة العنكبوت من الآية: ٤٤.

(٣) البراهمة هي ديانة الهند القديمة وهي مستخرجة من كتب الفيدا، وقد استحدثت اسمها من أهمية براهمان بوصفه قوة عليا ومن وضع طبقة البراهمة في آن واحد والمشهور عنهم انكارهم للنبوات ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية ومنهم من يميل إلى برهم أو برهام أو إلى براهمان ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية، ويقول بملة إبراهيم عليه السلام. وأكثرهم على مذهب الصابئة ومناهجها فمن قائل بالروحانيات، ومن قائل بالهياكل، ومن قائل بالأصنام، إلا أنهم مختلفون في شكل الهياكل التي ابتدعوها، وكيفية أشكال وضعوها، ومنهم حكماء على طريق اليونانيين علماء، وعملاً، ينظر: الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي: ٣ / ٩٥.

الفريق الأول: فمنهم قوم جحدوا الرسل وزعموا أنه لا يجوز في حكمة البارئ أن يبعث رسولا إلى خلقه وأنه لا وجه من ناحيته . تلقي الرسالة عن الخالق .

الفريق الثاني: أن الله تعالى ما أرسل رسولا إلى خلقه سوى (آدم)، وكذبوا كل مدع للنبوّة سواه، وقال قوم ما بعث الله غير إبراهيم وحده وأنكروا نبوة من سواه، وهذا جملة قولهم^(١).

واختلفوا في علة امتناعه أن هذا الإرسال فيه سفه، وذلك لأنه يحمل الأمر والنهي، وهذا سفه في زعمهم إذا لا يليق بالبارئ أن يأمر وينهى ويحرم.

يقول أبو المعين النسفي: «ذهبت طائفة فقالوا لو ثبتت لتضمن سفها، إذ فيه أمر ونهي وتكليف وتحريم وتحليل، والله تعالى لا يليق به الأمر والنهي والتحريم، إذ الأمر بما لا نفع في تحصيله للآخر، والنهي بما لا ضرر في فعله للنهائي سفه، وتحريم ما لا حاجة فيه للمحرّم بخل والله تعالى يجلّ عن السفه والبخل»^(٢).

ولقد عرض الشيخ /سعد الدين التفتازاني تلك الشبهة، فقال في ذلك: إن شبهتهم، وهي أن ما جاء به النبي، إما أن يكون موافقا للعقل حسنا عنده، فيقبل ويفعل، وإن لم يكن نبيا، أو مخالفا له قبيحا عنده فيرد ويترك، وإن جاء به النبي وأياما كان لا حاجة إليه^(٣).

ومن شبههم كما يقول الشهرستاني: «ومنها أنه قد دل العقل على أن الله تعالى حكيم، والحكيم لا يتعبد الخلق إلا بما تدل عليه عقولهم، وقد دلت الدلائل العقلية على أن للعالم صانعا عالما قادرا حكيما، وأنه أنعم على عباده نعمة توجب الشكر، فننظر في آيات خلقه بعقولنا، ونشكره بآلائه علينا، وإذا عرفناه وشكرنا له استوجبنا ثوابه،

(١) ينظر: التمهيد، للإمام أبي بكر بن الطيب الباقلاني، المكتبة الشرقية - بيروت . ١٩٥٧م، ص ١٠٤.

(٢) ينظر: تبصرة الأدلة في أصول الدين، للإمام أبي المعين ميمون النسفي الماتريدي: ١/٦٦٠.

(٣) ينظر: شرح المقاصد للإمام مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني: ٥/٩.

وإذا أنكرناه وكفرنا به استوجبنا عقابه، فما بالنا نتبع بشراً مثلاً؟، فإنه إن كان يأمرنا بما ذكرناه من المعرفة والشكر، فقد استغنيا عنه بعقولنا، وإن كان يأمرنا بما يخالف ذلك كان قوله دليلاً ظاهراً على كذبه»^(١).

وعلى هذا كما يزعمون لا حاجة للنبي، أو الرسول؛ لأن العقل كاف في معرفة الخير والشر، وأيضاً شكر النعم، كما يقولون.

وكذلك نري الألوسي يقول في مثل هذا المعنى عن هذه الشبهة «وممن ينتظم في سلك هؤلاء الملحدين البراهمة فإنهم أيضاً نفوا النبوة، لكنهم استدلوا بأن العقل كاف فيما ينبغي أن يستعمله المكلف فيأتي بالحسن ويجتنب القبيح، ويحتاط في المشتبه بفعل، أو ترك، فالأنبياء عليهم السلام، إما أن يأتوا بما يوافق العقل، فلا حاجة معه إليهم، أو بما يخالفه، فلا التفات إليهم».

الرد على شبهة البراهمة :

إن الناظر لقول البراهمة يجد أنها مناقضة للعقل الذي يقولون به ويجب الإمام سعد الدين التفتازاني صاحب المقاصد على هذه الشبهة قائلاً: «إن ما يوافق العقل قد يستقل العقل بمعرفته مثل وجود الله، وعلمه، وقدرته، وحكمته فيعاضده»^(٢) النبي، ويؤكد به بمنزلة تعاضد الأدلة العقلية على مدلول واحد، وإن كان مما لا يستقل العقل بمعرفته، وهو موافق له، فالنبي يدل عليه ويرشده، فالعقل يعجز عن إدراك السمعيات

(١) ينظر: الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي: ٩٦ / ٣.

(٢) العضد: الساعد وهو من المرفق إلى الكتف. وفيه أربع لغات: عضد، بضم الضاد وكسرها وسكونها. وعضد بوزن قفل، وعضده من باب نصر أعانه. وعضد الشجر من باب ضرب قطعه، والمعاضدة المعاونة و(اعتضد) به استعان. والمعضد بالكسر الدملج، ينظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م: ١ / ٢١١.

بمفرده، وما يخالف العقل قد لا يكون مع الجزم في دفعه النبي، أو يرفع عنه الاحتمال بحيث تكون مخالفته يقينية أو يقره ويقبله، أما ما لا يدرك العقل حسنه ولا قبحه قد يكون حسناً فالنبي يوضحه، فيجب فعله؛ لأن النبي يأمر به فيقول هذا الأمر واجب الإتيان؛ لأنه أمر حسن ويبين وجه الحسن فيه، وقد يكون الأمر قبيحاً وبيان النبي له فيجب تركه مع أن العقول متفاوتة، فالتقويض إليها مظنة التنازع^(١)، والتقاتل ومفضي إلى اختلال النظام مما يستحسنه شخص قد يستقبحه شخص آخر بعقله، ثم إنَّ الشخص الواحد قد يستقبح شيء في سن، ثم يستقبح نفس الشيء في سن آخر^(٢).

وعلى هذا فإنَّ العقول متفاوتة فالعقل لا يستطيع بمفرده أن يصل إلى حسن الأفعال، أو قبحها، أو ما يسمى بالحظر والإباحة.

يقول الباقلاني: «نحن نمنعكم أشدَّ المنع من أن يكون العقل بمجرده طريق إلى العلم . يقبح فعل، أو يحسنه، أو حظره، أو إباحته، أو إيجابه، ونقول إن هذه الأحكام بأسرها لا تثبت للأفعال إلا بالشرع دون قضية العقل^(٣).

والعقول متفاوتة في الفهم، وكذا النفوس البشرية ليست على وتيرة واحدة من الفهم؛ لأن هذا من حكمة الله تعالى إذا العقل ليس كافياً وحده عن وجود النبي.

(١) التنازع: التناول، والتعاطي، والأصل فيه التجاذب، قال الله تعالى: ﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَعْوِيَهَا

وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ [سورة الطور: ٢٣]، أي: يتناولون، والتنازع: التسرع، يقال: رأيت فلانا متنزعا إلى كذا، ومتنزعا، أي: متسرعاً إليه نازعاً. ومما يستدرك عليه: انتزع الرمح: اقتلعه ثم حمل، ونزع الأمير العامل عن عمله، أي: أزاله وهو مجاز؛ لأنه إذا أزاله فقد اقتلعه، ويعبر عنه بالعزل، ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من تحقيقين، دار الهداية، باب نزع، ج ٢٢، ص ٢٤٧.

(٢) ينظر: كتاب المقاصد، التفنازاني: ٥ / ٩ بتصرف.

(٣) ينظر: التمهيد للباقلاني، ص ١٠٥.

يقول الشهرستاني: «وليس كل عقل إنساني على استعداد ما يعقل عنه أمره، ولا كل نفس بشرى بمثابة من يقبل عنه حكمه، بل أوجبت منته ترتیباً في العقول والنفوس، واقتضت قسمته أن يرفع، ﴿بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْطَانًا وَرَحْمَةً لِّرَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾»^(١)، فرحمة الله الكبرى هي النبوة والرسالة، وذلك خير مما يجمعون بعقولهم المختلفة^(٢).

وقد أجاب الإمام الألوسي عن هذه الشبهة قائلاً: «إن هذا مبني على القول بالحسن والقبح العقليين، وقد رفعت الأقلام وجفت الصحف، وتم الأمر في إبطاله، وعلى تقدير تسليمه لا نسلم^(٣) أن العقل يستقل بجميع ما ينبغي ولا نسلم أيضًا أنهم إن جاؤوا بما يوافق العقل لا حاجة إليهم، لجواز أن يعرفوا المكلف بعض ما يخفى عليه مما ينبغي له، أو يؤكدوا حكمه بحكمهم، ودليلان أقوى من دليل، ولا نسلم أيضًا أنهم إن جاؤوا بما يخالف العقل لا يلتفت إليهم لجواز أن يخالفوه فيما يخفى عليه، على أن ذلك فرض محال لإجماع الناس على أن الشرع لا يأتي بخلاف العقل في نفس الأمر، وإنما يأتي: بما يقصر عن إدراكه بنفسه كوجوب صوم آخر يوم من رمضان وحرمة صوم أول يوم من شوال»^(٤).

يقول أبو حامد الغزالي: «من مراتب التكذيب تكذيب البراهمة المنكرين لأصل النبوات، والدهرية المنكرين لصانع العالم، وهذا ملحق بالمنصوص بطريق الأولى؛

(١) سورة الزخرف من الآية: ٣٢.

(٢) ينظر: الملل والنحل، للشهرستاني: ٣ / ٩٧.

(٣) لا نسلم صيغة من صيغ السند، والسند معناه: ما يكون المنع مبنياً عليه، أي ما يكون مصححاً، لورود المنع، إما في نفس الأمر، أو في زعم السائل، وللسند صيغ ثلاث: إحداها أن يقال لا نسلم هذا، لِمَ لا يجوز أن يكون كذا والثانية: لا نسلم لزوم ذلك، وإنما يلزم أن لو كان كذا، والثالثة: لا نسلم هذا، كيف يكون هذا، والحال أنه كذا، ينظر: التعريفات، للرجاني، باب السين: ١ / ١٢١. ١٢٢.

(٤) ينظر: روح المعاني، للألوسي: ٧ / ٣٣٨.

لأن هؤلاء كذبوه، وكذبوا غيره من الأنبياء، أعني البراهمة، فكانوا بالتكفير أولى من النصارى واليهود، والذهرية أولى بالتكفير من البراهمة؛ لأنهم أضافوا إلى تكذيب الأنبياء إنكار المرسل، ومن ضرورة إنكار النبوة»^(١).

والعقل لا يستطيع أن يدرك حقيقة الأمور، بل إن العقل عاجز عن أن يدرك الحكمة في خلق الأشياء، ولا يستطيع أن يعرف الحكمة، والتفاصيل في مخلوقات الله تعالى، فهو عاجز عن ذلك سواء أكانت صغيرة أم كبيرة، فهو عاجز، وعن هذه الإشارة يقول أبي خمير السبتي: حيث يلزم البراهمة قائلًا: «أنتم بنيتم على أن الله تعالى، ويجل أن يعقل شيئًا من الأشياء إلا لغرض صحيح، وحكم بالغة تدل عليها العقول، وأنه تعالى يجل عن خلق عيب لا يعقل فيه غرض صحيح، فإذا أقرروا بذلك، وهو مذهبهم، فنقول أبلغت أيها البرهمي بعقلك الحقيقة إلى العلم بتفاصيل الحكمة في كل ما خلق الله تعالى في أرضه وسمائه من أفلاك، وأملاك، وكواكب، وبروج، وسماء، وهواء، وأرض، وماء ونار، وجماد، وحيوان، وتطلبه بالحكمة في تشكيلها وتصويرها من الذرة إلى الفيل، وكذلك تطلبه بتدرج نفسه في أطوار الخلقة بعد سن من نطفة إلى خصيم مبين إلى غير ذلك مما يجل عن الفهوم الثاقبة، فإذا ادعوا العلم بكل هذه التفاصيل، أو بعضها، فقد باءوا بكذب لا يصيرون به أضحوكة للعقلاء، ثم اطلبهم بتفاصيل الحكمة في دقيقتها وجليلها حتى يظهر لك كذبهم»^(٢).

إنَّ العقل مع الوحي كنور الشمس مع العين، لا يستغني الإنسان عن نور الوحي، وذلك لأن للعقل حدودًا يقف عندها، ولا يستطيع أن يتحرك، ومثال ذلك الأمور

(١) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار الكتب العلمية.

بيروت. لبنان ط ١، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤ م: ١/ ١٣٤.

(٢) ينظر: مقدمات المرشد في علم العقائد في دفع شبهات المبطلين والملحدين، لأبي خمير السبتي، تحقيق الدكتور /أحمد عبد الرحيم السائح، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ١٤٢٩ هـ،

٢٠٠٨ م، ص ٢٠٤-٤٠٥.

الـميتافيزيقية أعني أمور ما وراء الطبيعة^(١).

ثم يأتي من ينكر النبوة أيضًا، ويزعمون أن الله تعالى لو شاء لهدى الناس ولا حاجة للنبي المرسل فالمسألة عندهم ترجع إلى المشيئة الإلهية فقط، وليس عندهم حجة، أو برهان على ما ادعوه، وإنما هي أقاويل باطلة ينكرها العقل والمنطق، بل ينكرها النقل الصريح قبل العقل، وعلى هذا فدعواهم إنكار النبوة باطل.

الشبهة الثانية وتنسب إلى من قال بالجبر وهم (الجبرية)^(٢) :

يرى الفخر الرازي عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا

(١) وعلم ما بعد الطبيعة، عند الكندي، هو الفلسفة الأولى، وعلم الربوبية، وعند الفارابي، هو «العلم بالموجود بما هو موجود»، وعند ابن سينا، هو العلم الإلهي، قال ابن سينا: «إن هذا العلم يبحث عن الموجود المطلق، وينتهي في التفصيل إلى حيث تبدئ منه سائر العلوم، فيكون في هذا العلم بيان مبادئ سائر العلوم الجزئية، ينظر: المعجم الفلسفي، الدكتور /جميل صليبا: ٢ / ٣٠٠، وينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د/أحمد مختار عبد الحميد عمر: ١١٤/١.

(٢) الجبرية مذهب من يرى أن إرادة الإنسان العاقلة عاجزة عن توجيه مجرى الحوادث، وأن كل ما يحدث للإنسان قد قدر عليه أزلًا، فهو مسير لا مخير. ويطلق لفظ الجبرية أيضًا على معتنقي هذا المذهب، وإذا ذكرت الجبرية مع القدرية جاز تحريكها للزواج. والجبرية فرقة من الفرق الإسلامية كالجهمية، وهم أصحاب جهنم بن صفوان قالوا: لا قدرة للعبد أصلًا لا مؤثرة ولا كاسبة. بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها. والله لا يوصف عندهم بما يوصف به غيره، كالعلم والحياة، إذ يلزم من ذلك تشبيهه بالمخلوقات، والجنة والنار تقنيان حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى. وهم يوافقون المعتزلة في نفي الرؤية، وخلق الكلام، وإيجاب المعرفة بالعقل قبل ورود الشرع. وكثيرًا ما يكون القول بالجبر نتيجة للقول بقدرة الله على كل شيء، وبإحاطة علمه بالأشياء. ومعنى ذلك أن كل ما يحدث إنما يحدث وفقًا لما أَرَادَهُ اللهُ، وأن المستقبل إذا كان داخلًا في علمه تعالى كان حدوثه بحسب علمه واجبًا، فهذه الجبرية هي الجبرية اللاهوتية (euqigoloehrt emsilataF) وإذا قلنا بوحدة الوجود جعلنا وجوب العالم وحقيقة الله شيئًا واحدًا، ينظر: المعجم الفلسفي، د/جميل صليبا: ١ / ٣٨٨.

عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاءُؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ^(١): «أن هذه هي الشبهة الثالثة، لمنكري النبوة، وتقريرها: أنهم تمسكوا بصحة القول بالجبر على الطعن في النبوة، فقالوا: لو شاء الله الإيمان لحصل الإيمان، سواء جئت أو لم تجيء، ولو شاء الله الكفر، فإنه يحصل لكفر سواء جئت، أو لم تجيء، وإذا كان الأمر كذلك، فالكل من الله تعالى، ولا فائدة في مجيئك وإرسالك، فكان القول بالنبوة باطلاً»^(٢).

فهم على ذلك يجعلون المشيئة لله تعالى بالنسبة لمسألة الإيمان، أو الكفر، فإن شاء هدايتهم هدهم، وإن لم يشأ، فلا يهديهم، فلا حاجة للنبي، فهؤلاء لا يثبتون للعبد قدرة، يقول الشهرستاني: «الجبرية» لا تثبت للعبد فعلاً، ولا قدرة على الفعل أصلاً^(٣).

الجواب عن هذه الشبهة:

قال الفخر الرازي: «إنهم قالوا: لما كان الكل من الله تعالى كان بعثه الأنبياء عبثاً، فنقول: هذا اعتراض على الله تعالى، فإن قولهم: إذا لم يكن في بعثة الرسول مزيد فائدة في حصول الإيمان، ودفع الكفر كانت بعثة الأنبياء غير جائزة من الله تعالى، فهذا القول جار مجرى طلب العلة في أحكام الله تعالى وفي أفعاله، وذلك باطل، بل الله تعالى أن يحكم في ملكه وملكوته ما يشاء، ويفعل ما يريد، ولا يجوز أن يقال له: لم فعلت هذا ولم لم تفعل ذلك؟، والدليل على أن الإنكار، إنما توجه إلى هذا المعنى أنه تعالى صرح في آخر هذه الآية بهذا المعنى، فقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٤)»^(٥).

(١) سورة النحل: الآية (٣٥).

(٢) ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٠ / ٢٠٣.

(٣) يراجع: الملل والنحل، للشهرستاني: ١ / ٨٥.

(٤) سورة النحل، من الآية: ٣٦.

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي، ص ٢٠٤.

ولقد غالت الجبرية في هذه المسألة مغالاة شديدة في مسألة إنكار النبوة، وبالتالي إنكارهم للنبوة جاري مجرى طلب العلة في أفعاله، وأفعال الله لا تعلل، وهذا لا يليق به (١)؛ لأن الذي يفعل من أجل الغرض يكون فعله ناقص، والله تعالى مُنزه عن النقص؛ لأن النقص من صفات الخلق.

يقول الشيخ/ رشيد رضا: «وغلّت الجبرية في مسألة المشيئة والإرادة، فهؤلاء جوزوا أن تخلو المشيئة عن الحكمة، وأولئك قيدوا مشيئة الرب بما تصل إليه أفهامهم من الحكمة، وإن كان كل منهما يؤمن بالصفيتين كليتهما، ونزاعهم الطويل العريض في مسألة الحسن والقبح والتحسين، والتقبيح مبني على ذلك (١)».

إنّ الباري لا يجب عليه شيء من أفعال العباد، وكذلك إرسال الرسل؛ لأنها من الجائزات على الله، وفعله تعالى خال عن الغرض والمصلحة.

الشبهة الثالثة من شبهات المنكرين للنبوة:

وهي كما يصورها صاحب المقاصد: أن البعثة (٢) تتوقف على علم المبعوث بأن الباعث هو الله تعالى، ولا سبيل إلى ذلك (٣)، وهذه الشبهة قائمة على التشكيك في الوحي الإلهي؛ لأن النبي لم يره الله، وكأنهم لا يقرّون بالملك على زعمهم.

يقول الباقلاني في التمهيد مبيناً ما استدل به المنكرين للنبوة الرسل، فقال: «قالوا لم نجد وجهاً من قبله يصح تلقى الرسالة عن الخالق، وذلك أنه ليس ممن يدرك بالأبصار ويشاهد بالحواس - فيتولى مخاطبة الرسول بنفسه من حيث لا يراه ويعلمه

(١) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الشيخ / رشيد رضا: ٨ / ٤٧.

(٢) بَعَثَ [مفرد]: ج بَعَثَات (غير المصدر) وبَعَثَات (لغير المصدر):

١ - مصدر بَعَثَ/ بَعَثَ ب/ بَعَثَ في.

٢ - اسم مَرَّة من بَعَثَ، بَعَثَ ب، بَعَثَ في: «الْبَعَثَةُ المَحْمَدِيَّة».

٣ - هيئة تُرْسَل للقيام بمهمة معيّنة لوقتٍ مُحدّد كالبعثات العلميّة والأثريّة والعسكريّة والدبلوماسية «بَعَثَةٌ دراسيّة» طالب بَعَثَةٌ: صاحب زمالة أو منحة للدراسة في بلد آخر، ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د / أحمد مختار عبد الحميد عمر: مادة (بعث): ١ / ٢٢٣.

(٣) ينظر: شرح المقاصد للتقنازاني: ٥ / ٩.

مخاطبًا له - حسب الرأيين أحدهما للآخر ، وإنما يدعى الرسول الرسالة من ناحية صوت يسمعه، أو كتاب يسقط إليه، أو سماع شخص ماثل بين يديه يدعي أنه بعض ملائكة ربه قال وذلك كالذي ادّعاه موسى بن عمران من الله كلمه وتولى خطابه بلا واسطة، أو ترجمان»^(١).

الجواب على هذه الشبهة:

لقد أجاب المتكلمون على هذه الشبهة بما يلي:

يقول صاحب المقاصد: «والجواب بالمنع»^(٢)، أي يمنع قولهم بالاستحالة يمنع عدم وجود طريق للعلم بأن الباعث له هو الله وسند المنع أنه يجوز أن يخلق الله فيه علمًا ضروريًا يدل ذلك على أن الباعث هو الله، والعلم الضروري لا يحتاج إلى نظر واستدلال ولا يختلف عليه أحد كعلم الإنسان بأن الواحد نصف الإثنين، فيجوز أن يقذف الله فيه علما ضروريًا، وخير دليل بأن الله ينصب فيه اي في المبعوث ما حدث للرسول ﷺ في غار حراء، إذ أتاه الملك ويشاهد بالحواس - الحديث^(٣)، وما حدث

(١) ينظر: التمهيد، للباقلاني: ص ١٦٦.

(٢) المنع هو طلب الدليل على ما يحتاج إلى الاستدلال وطلب التنبيه على ما يحتاج إليه والذي يحتاج إلى الاستدلال هو التصديق النظري، والذي يحتاج إليه التنبيه هو التصديق البديهي الخفي ينظر: رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة د/ محمد محي الدين عبد الحميد: ص ٥١.

(٣) الحديث بنصه كاملاً كما ورد في البخاري «عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبيب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝﴾ [سورة العلق: ١-٣]» =

لنبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال تعالى: ﴿فَمَّا جَاءَهُ نُودِي أَن بُرِكَ مِنِّي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) بِمُوسَى إِنَّهُ وَأَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)، فسيدنا موسى كلمه ربه وسمع كلامه من جانب الشجرة، فهذان دليلان على أن الباعث هو الله (٣).

كما يجب صاحب كتاب المسامرة على هذه الشبهة فيقول: «والجواب عن استدلالهم:

أولاً: أن العقل لا يهتدي إلى الأفعال المنجية في الآخرة لياتي بها كما لا يهتدي، أي العقل إلى تمييز الأدوية المفيدة للصحة من السمومات المهلكة إلا الطبيب العارف بها ليميزها ويوقف عليها فالحاجة إليه، أي إلى الطبيب، إذ الرسالة سفارة بين الحق

= فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروح، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امراً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي» أخرجه البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ: ١ / ٧.

(١) سورة النمل الآيتان: ٨ . ٩.

(٢) ينظر: شرح المقاصد للتفتازاني: ٥ / ٩ بتصرف.

تعالى وبين عباده ليزيح بها علمهم فيما قصرت عنه عقولهم.

ثانيًا: أن البعثة جائزة لا غنى عنها أبدًا سرمداً^(١) لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولأن العقل لا يهتدي إلى الأفعال المنجية في الآخرة ليأتي بها.

ثالثًا: أن العقل لا يستقل بالكل، أي بإدراك كل الأمور، بل يدرك البعض استقلالاً ويقصر عن إدراك البعض، فلا يهتدي إليه بوجه، ويتردد في البعض، فما استقل العقل به أتى بإدراكه كوجود الباري^(٢).

إنّ العقل لا يستطيع بمفرده أن يعرف جميع الأمور، بل هناك أمورًا لا يستطيع العقل أن يتدخل فيها، وبالتالي لا بد من وجود النبي؛ لأنه المرشد لتلك الأمور التي عجز عنها العقل كالأمور السمعية، فإن العقل لا يتدخل فيها، ولا يعرفها إلا عن طريق النبي، أو الرسول الذي جاء من عند الله، فأخبر بذلك فيجب تصديقه.

الشبهة الرابعة من شبهات المنكرين للنبوّة، وهي:

إن العمدة في باب البعثة هي التكاليف^(٣)، وهو عبث لا يليق بالحكيم، إذ لا

(١) (السرمدي): الدائم الذي لا ينقطع وفي التنزيل العزيز: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ مِنْ آلِهِ عَذْرًا إِلَيْكُمْ يَأْتِيكُمْ يَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا بُصِرْتُمْ﴾ [سورة القصص: ٧٢]، و(السرمدي) منسوب إلى السرمدي، ينظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ١ / ٤٢٨.

(٢) ينظر: المسامرة للكمال ابن شريف، في شرح المسامرة للكمال ابن الهمام في علم الكلام: ص ٧٥ بتصرف

(٣) التكليف: إلزام الإنسان ما يشق عليه وأصله في العربية اللزوم، ومن ثم قيل كلف بفلانة يكلف بها كلفا إذا لزم حبها، ومنه قيل الكلف في الوجه للزومه إياه والمتكلف للشيء الملزم به على مشقة، وهو الذي يلتزم ما لا يلزمه أيضا ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [سورة ص: ٨٦]. ومثله المكلف، ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حقه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر: ١ / ٢١٦.

يشتمل على فائدة للعبد لكونه في حقة مضرّة ناجزة ومشقة ظاهرة، ولا للمعبود لتعالیه عن الاستفادة والانتفاع، وأيضًا فيه شغل للقلب عما هو غاية الاعمال ونهاية الكمال أعني الاستغراق في معرفته، والغناء في عظمته^(١).

ومعنى هذه الشبهة أنهم ينفون التكاليف الشرعية ويصفونها بالعبث، وأنها تشغل القلب عن الاستغراق في معرفة الله.

والجواب كما يقرره الإمام السعد: أنّ مضار التكاليف الناجزة قليلة جدًا بالنسبة إلى منافعها الدنيوية والأخروية الظاهرة لدى الواقفين على ظواهر الشريعة النبوية، فضلًا عن الكاشفين عن أسرارها الخفية، وإذا تأملت فالتكليف صرف إلى ما ذكرتم لا شغل عنه على ما توهمتم^(٢).

فالعبد إذا عرف ربه أقرّ بوجوده، وهذا هو العلم الضروري، وبالتالي فإن التكاليف الشرعية التي جاء بها الرسول، إنما يُسلم بها العبد؛ لأن التكاليف هنا معنا الإقرار بوجود الخالق الذي خلق، وهذا هو الذي أمرت به الرسل ودعت إليه، وإلى هذا يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إذا حصل العلم الضروري بوجود الخالق وبصدق رسوله، كان التكليف بالإقرار بالصانع، وعبادته وحده لا شريك له، وبتصديق رسله، وطاعة أمره، وهذا هو الذي أمرت به الرسل، أمرت الخلق أن يعبدوا الله وحده، وأن يُطيعوا رسله، ولم يأمرهم جميع الخلق بأن يكتسبوا علمًا نظريًا بوجود الخالق، وصدق رسله، لكن من جحد الحق أمره بالإقرار به، وأقاموا الحجة عليه، وبيّنوا معاندته، وأنه جاحدٌ للحقّ

(١) ينظر: شرح المقاصد، للتفتازاني: ٥ / ١٠.

(٢) ينظر: السابق نفسه، والوهم معناه من قبيل التصور والتخيل، ويطلق على كل صورة ذهنية لا يقابلها في الوجود الخارجي شيء، كتصور بعض المعاني الرياضية، واختراع الأشخاص والمواقف الخيالية في الروايات الأدبية والوهم الشرعي هو التعبير الكاذب، أو غير اليقيني، الذي يعده القانون صادقًا، مثل قولنا: الأصل براءة الذمة، أو قولنا: إن المرء لا يعذر على الجهل بالقانون، ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا: ٢ / ٥٨٢.

الذي يعرفه، وكذلك الرسول كانوا يعلمون أنه صادق ويكذبونه»^(١).

ولم يكن مجيء الرسل إفسادًا للخلق، وإنما جاءت دعوتهم لإصلاح الخلق لما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وذلك عند قيامهم بالتكاليف الشرعية التي في وسعهم وطاقتهم. كما إنها أمر ضروري لأبد منه، وذلك لأن كل إنسان في حاجة ماسة إليها، ولا طريق لمعرفة ذلك إلا عن طريق النبي، أو الرسول المرسل من الله للبشر.

يقول وحيد الدين خان: «إن أكبر دليل على هذه الضرورة هو أن الأمر الذي يخبر عنه الرسول من أهم الأمور التي تتعلق بحياة الإنسان ومصيره، والإنسان لا يستطيع أن يصل إلى تلك الحقائق بجهوده الشخصية، إنه يبحث منذ آلاف السنين عن حقيقة الكون، كي يفهم أسرار بدء الحياة ونهايتها، وحقائق الشر والخير، وكيفية صوغ الإنسان من أجل الإنسانية، وتنظيم أجهزة الحياة حتي تستطيع الإنسانية أن تسير قدمًا في طريق الخير والرفاهية»^(٢).

وظيفة الرسل عليهم السلام من خلال سورة الروم:

حينما يتحدث القرآن الكريم عن الأنبياء، نرى في حديثه أنه يتدفق بالحياة، فهؤلاء الأنبياء ما بعثوا إلا لأجل إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، فكانت وظيفتهم تقوم على البلاغ وهداية الناس لما فيه الخير.

يقول الدكتور / محمد الشناوي في هذا الصدد: «وإذا تتبنا القرآن الكريم واستعرضنا آياته الكريمة التي تتحدث عن النبوة والأنبياء، نجد فيها الذكر العاطر والثناء المجيد لهؤلاء الصفوة المختارة من عباد الله الصالحين الذين أكرمهم الله بالنبوة، واصطفاهم لحمل الرسالة، واختارهم من بين سائر الخلق، ليكونوا مشعل الهداية والإصلاح، ونرى أسلوب القرآن في الحديث عنهم أسلوبًا يتدفق بالحياة، ويفيض

(١) ينظر: النبوات، ابن تيمية: ١ / ٢٣٧.

(٢) ينظر: الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان: ص ١٦٦.

بالبشر، كل ذلك يدل على أنهم الصفوة المختارة، والمثل العليا الكاملة للبشرية^(١).
فوظيفة الرسل الكرام تختص بما فيه صلاح العباد والبلاد، من الفساد، ونشر
الخير بين الناس، والتحذير من الشر، وبيان عاقبته، فبينوا للناس ما نزل إليهم من
الحق.

١ - من وظائف الرسل من خلال سورة الروم (تبليغ الشريعة الربانية) :

الأدلة من السورة الكريمة على ذلك :

قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۖ وَمَا أَنتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۚ إِنَّ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ۝﴾^(٢).

المعنى الإجمالي لهاتين الآيتين :

هو أن الله تعالى أرسل الرسل ليصححوا للناس فطرتهم التي انغمست في براثن
الغي، والضلال، وبالتالي فهم مكلفون أن يبلغوا رسالات الله تعالى ولا يتدخلون في
تدينهم؛ لأن الهداية لا يختص بها أحد إلا الله، وما علي الرسل إلا البلاغ فقط
والتذكير، وإلى هذه الإشارة السابقة.

يقول الشيخ / رشيد رضا: «إن وظيفة الرسل تبليغ وحي الله - تعالى - لعباده،
وأنهم لا يملكون فيما وراء التبليغ نفعا للناس - لا دينيًا كالإيمان والتقوى، ولا دنيويًا
كالرزق والصحة، ولا كشف ضرر عنهم كذلك -، فقد كان أبو إبراهيم، وابن نوح
وامراته، وامرأة لوط من الكافرين^(٣).

(١) ينظر: د / محمد مصطفى الشناوي . قضايا النبوة في الكتاب والسنة، مكتبة الأزهر الحديثة،

فرع جامعة الأزهر بطنطا، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م: ص ٥٨، ٥٩.

(٢) سورة الروم الآيتان: ٥٢، ٥٣.

(٣) ينظر: تفسير المنار: ١٢ / ٣٥.

أقوال العلماء حول هذه الآية السابقة الذكر :

يقول ابن عطية في الدليل الوارد في قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الضُّعَفَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدِيرِينَ﴾^(١) «معناه أن نسمع إسماعاً ينفع ويجدي، وأما سماع الكفرة فغير مجد فاستويا، وقوله تعالى: ﴿عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾، ومعنى الآية ليس في قدرتك يا محمد ولا عليك أن تهدي»^(٢)

فالرسول ليس عليه الهداية، وإنما عليه البلاغ فقط، وذلك لأن سماع المنكرين غير مجد، يقول الإمام النسفي في هذا المعنى (الموتى) «، أي موتى القلوب، أو هؤلاء في حكم الموتى، فلا تطمع أن يقبلوا منك ﴿وَلَا تُسْمِعُ الضُّعَفَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدِيرِينَ﴾، فإن قلت الأصم لا يسمع مقبلاً، أو مديراً، فما فائدة هذا التخصيص؟ قلت: هو إذا كان مقبلاً يفهم بالرمز والإشارة، فإذا ولي لا يسمع ولا يفهم بالإشارة»^(٣).

٢ - من وظائف الرسل من خلال السورة هداية الأمة إلى الخير، وإنذارها من العذاب.

الدليل من السورة الكريمة هو قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الضُّعَفَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدِيرِينَ ۝ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٤).

المعنى الإجمالي لهذه الآية :

هو أن الرسول لا يهدي (العمي) عن ضلالته، وإنما الهداية من الله تعالى لمن كتب له الهداية، فالرسول مرشد إلى طريق الخير دال عليه فقط.

يقول أبو الحسن المعروف بالخازن في هذا المعنى: «ما أنت بمرشد من أعماه

(١) سورة الروم: الآية (٥٢).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ٤ / ٣٤٣.

(٣) يراجع: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٢ / ٧٠٦.

(٤) سورة الروم الآيتان: ٥٢، ٥٣.

الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان ﴿إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ إلا من يصدق بالقرآن أنه من الله ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾، أي مخلصون^(١).

كما أن المسلمين هم الذين ظلوا على فطرتهم يقول الشيخ /رشيد «، أي إنهم ظلوا على فطرة الله التي فطر الناس عليها، فنظروا في الدين بما غرز في فطرتهم من العقل والتمييز، فتبين لهم الرشد فاتبعوه والغي فاجتنبوه، والمقلد لم يتبين له شيء من ذلك، وإنما هو تابع لاعتقاد غيره، فلا تسلم له ولاية الفطرة السليمة التي تؤيدها العناية الإلهية العظيمة»^(٢).

أقوال العلماء حول هذا المعنى :

يقول الإمام البيضاوي: «إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا، فإن إيمانهم يدعوهم إلى تلقي اللفظ وتدبر المعنى، ويجوز أن يراد بالمؤمن المشارف للإيمان، فهم مسلمون لما تأمرهم به»^(٣)، والذين ينتفعون بالهداية هم الذين أنذرتهم، فاستجابوا للحق، وانقادوا له. يقول الماتريدي في بيان هذا المعنى: «إنما ينتفع بإنذارك من اتبع الهدى. أو أن الذي يقبل النذارة من اتبع الهدى، فأما من لم يتبع الهدى، فلا ينتفع؛ فعلى ذلك يحتمل قوله: ﴿إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾، أي: ما ينتفع، أو لا يسمع المواعظ إلا من يؤمن بذلك»^(٤).

٣ - ومن وظائف الرسل (التربية على منهج الشريعة الربانية) :

الدليل من السورة على هذا قول الله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٥).

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن: ٣٥٢/٣.

(٢) ينظر: تفسير المنار، للشيخ /رشيد رضا: ٣٦/٣.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ٢١٠/٤.

(٤) ينظر: تفسير الماتريدي: ٨ / ٢٩٠.

(٥) سورة الروم، الآية: ٣١

المعنى الإجمالي لهذا الدليل:

هو: أن الرسل الكرام جاءوا بدعوة التوحيد والتي من مستلزماتها التربية الصحيحة على ما شرعه الله لعبادة من أعمال البر والخير، ومن أعمال الخير التي يعود نفعها على العبد (إقامة الصلاة) التي هي صلة بين العبد وربّه، وبالتالي يعود نفعها على الفرد، فتقوى ثقته بالله تعالى.

يقول الشيخ/ رشيد رضا في هذا المعنى: «إن إقامة الصلاة ليست عبارة عن أدائها مطلقاً، وإنما هي عبارة عن القيام بحقوقها الروحية في صورتها العملية، وذلك بالتوجه إلى الله - تعالى - ومناجاته والانقطاع إليه عما عداه، وإشعار القلب عظمته وكبريائه، فبهذا الشعور ينمو الإيمان، وتقوى الثقة بالله، وتتزهى النفس أن تأتي الفواحش والمنكرات، وتستتير البصيرة فتكون أقوى نفاداً في الحق، وأشدّ بعداً عن الأهواء، فنفوس المصلين جديرة بالنصر لما تعطيها الصلاة من القوة المعنوية، ومن الثقة بقدرة الله - تعالى»^(١).

أقوال العلماء حول هذا الدليل:

يقول الإمام الألوسي في هذا الدليل الوارد في قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢) المبدلين لفطرة الله سبحانه تبديلاً، والظاهر أن المراد بهم كل من أشرك بالله (،)، والنهي متصل بالأوامر قبله، وقيل: بأقيموا الصلاة، والمعنى ولا تكونوا من المشركين بتركها، وتفریقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم، وقيل: اختلافهم في اعتقاداتهم مع اتحاد معبودهم، وفائدة الإبدال التحذير عن الانتماء إلى حزب من أحزاب المشركين ببيان أن الكل على الضلال المبين^(٣).

(١) ينظر: تفسير المنار: ١ / ٣٤٨.

(٢) سورة الروم الآية: ٣١.

(٣) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: ١١ / ٤٢.

ودعوة الرسل، إنما تتحقق في دعوة الناس الإنابة إلى الله، كما يقول الفخر الرازي: «واتقوه يعني إذا أقبلتم عليه وتركتم الدنيا، فلا تأمنوا فتركوا عبادته، بل خافوه وداوموا على العبادة وأقيموا الصلاة، أي كونوا عابدين عند حصول القربة كما قلتم قبل ذلك، ولا تكونوا من المشركين أراد إخراج العبد عن الشرك الخفي، أي لا تقصدوا بعملكم إلا وجه الله ولا تطلبوا به إلا رضا الله، فإن الدنيا والآخرة تحصيل، وإن لم تطلبوها إذا حصل رضا الله»^(١).

ووظيفة الرسل هي من حكمة الله تعالى والعالم في حاجة إلى الرسل، وذلك أن الرسل بالنسبة للبشر كمنزلة الرأس من الجسد، وذلك لأنهم يطهرون الأرواح من درن الشرك والغفلة إلى نور الإيمان، والمعرفة وأن في بعثهم المنفعة.

وفي هذه الإشارة يقول الشيخ /محمد عبده: «تبين مما تقدم في حاجة العالم الإنساني إلى الرسل أنهم من الأمم بمنزلة العقول من الأشخاص، وأن بعثهم حاجة من حاجات العقول البشرية قضت رحمة المبدع الحكيم بسدادها ونعمة عن نعم واهب الوجود ميّز بها الإنسان عن بقية الكائنات من جنسه، ولكنها حاجة روحية وكل ما لامس الحس منها، فالقصد فيه إلى الروح وتطهيرها من دنس الأهواء الضالة، أو تقويم ملكاتها، أو إبداعها ما فيه سعادتها في الحياتين، أما تفصيل طرق المعيشة، والحق في وجوه الكسب، وتناول شهوات العقل إلى درك ما أعد للوصول إليه من أسرار العلم، فذلك مما لا دخل للرسالات فيه إلا من وجه الإرشاد إلى الاعتدال فيه، وتقرير أن شرط ذلك كله أن لا يحدث ريباً في الاعتقاد بأن للكون إلهاً واحداً قادراً عالمًا حكيمًا منصفًا بما أوجب الدليل أن يتصف به وباستواء نسبة الكائنات إليه في أنها مخلوقة له وصنع قدرته، وإنما تفاوتها فيما اختص به بعضها من الكمال، وشرطه أن لا ينال شيء من تلك الأعمال السابقة أحداً من الناس بشر في نفسه، أو عرضه، أو ماله بغير حق يقتضيه نظام عامة الأمة على ما حدد في شريعته يرشدون العقل

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، للرازي: ٢٥/ ٩٩ بتصرف.

إلى معرفة الله، وما يجب أن يعرف من صفاته ويبينون الحد الذي يجب أن يقف عنده في طلب ذلك العرفان على وجه لا يشق عليه الاطمئنان^(١).

ومن خلال ما سبق نرى أن الرسل هم الذين يقومون بالتبليغ عن الله ويعرفون البشر طريق الخير والشر، ثم يتركون لهم حرية الاختيار ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٢)، وبهذا البلاغ تسقط حجتهم يوم القيامة بقولهم: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾^(٣).

إن هذه الصفوة المختارة للرسالة أدت أمانة الدعوة بالبلاغ الواضح، وبيّتوا للناس ما أبهم عليهم من أمور الدين، ولم ينتظروا من الناس على ذلك أجراً، بل إن أجرهم على هذه الدعوة من الله تعالى؛ ولذلك جاء الخطاب الإلهي على لسان نبيه ﷺ كما يحكي القرآن الكريم في أكثر من آية: بقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾^(٤) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٨﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٩﴾.

(١) ينظر: رسالة التوحيد، الإمام محمد عبده: ص ٦٢.

(٢) سورة الكهف من الآية: ٢٩.

(٣) سورة المائدة من الآية: ١٩.

(٤) سورة ص: الآيات (٨٦ - ٨٨).

المبحث الثالث

المعجزة وشروطها من خلال سورة الروم

المعجزة في اللغة:

مأخوذة من العجز المقابل للقدرة، وحقيقة الإعجاز إثبات العجز استعير لإظهاره، ثم أسند مجازاً إلى ما هو سبب العجز، وجعل اسماً له، فالتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية»^(١).

وجاء في لسان العرب: «العَجَزُ نقيض الحَزْم عَجَزَ عن الأمر يَعْجِزُ وَعَجَزَ عَجْزاً فيهما ورجل عَجِزٌ وَعَجِزٌ عاجِزٌ ومَرَّةٌ عاجِزٌ عاجِزَةٌ عن الشيء عن ابن الأعرابي وَعَجَزَ فلانٌ رَأْيَ فلانٍ إذا نسبه إلى خلاف الحَزْم كأنه نسبه إلى العَجَز، ويقال: أَعْجَزْتُ فلاناً إذا أَلْفَيْتَهُ عاجِزاً، والمَعْجِزَةُ والمَعْجِزَةُ العَجْزُ، قال سيبويه: هو المَعْجِزُ والمَعْجِزُ بالكسر على النادر والفتح على القياس؛ لأنه مصدر والعَجْزُ الضعف تقول عَجَزْتُ عن كذا أعْجِز، وفي حديث عمر: «ولا تُلْثُوا بدار مَعْجِزَةٍ»^(٢)، أي لا تقيموا ببلدة تَعْجِزُونَ فيها عن الاكتساب والتعيش وقيل بالثَغْر مع العيال، والمَعْجِزَةُ بفتح الجيم وكسرهما مفعلة من العَجَز عدم القدرة وفي الحديث «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»^(٣)، وقيل أراد بالعَجَز ترك ما يُحِبُّ فعله بالتسويق وهو

(١) ينظر: المقاصد، للتقازاني: ٥ / ١١.

(٢) الحديث بنصه كاملاً: حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «فرقوا عن المنية واجعلوا الرأس رأسين، ولا تلتثوا بدار معجزة وأصلحوا مثاويكم، وأخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم وقال: اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا الآخر»، ينظر: غريب الحديث: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، المحقق: د/محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ٣ / ٣٢٥.

(٣) الحديث بنصه كاملاً: عن عمرو بن مسلم، عن طاووس اليماني، أنه قال: أدركت ناساً =

عامّ في أمور الدنيا والدين وفي حديث الجنة «ما لي لا يدخلني إلا سقط الناس وعجزهم»^(١)، جمع عاجز كخادمٍ وخَدَم يريد الأغبياء العاجزين في أمور الدنيا وفحل عَجِيزٌ عاجز عن الصِّراب كعَجِيسٍ^(٢)، قال ابن دُرَيْد: فحل عَجِيزٌ وعَجِيسٌ إذا عَجَزَ عن الصِّراب، قال الأزهري: وقال أبو عبيد في باب العنين هو العَجِيزُ بالراء الذي لا يأتي النساء، قال الأزهري: وهذا هو الصحيح، وقال الجوهري: العَجِيزُ الذي لا يأتي النساء بالزاي والراء جميعاً، وأَعَجَزَهُ الشيءُ عَجَزَ عنه والتَّعَجِيزُ التَّنْشِيطُ، وكذلك إذا نسبته إلى العَجَزِ وعَجَزَ الرجلُ وعاجَزَ ذهب فلم يُوصَلْ إليه^(٣).

= من أصحاب رسول الله ﷺ، يقولون: كل شيء بقدر، وسمعت عبد الله بن عمر، يقول: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»، الحديث إسناده صحيح على شرط مسلم. رجاله ثقات رجال الشيخين، غير إسحاق الطباع - وهو ابن عيسى -، وعمرو بن مسلم - وهو الجندي -، فمن رجال مسلم. مالك: هو ابن أنس، وزيايد بن سعد: هو ابن عبد الرحمن الخراساني، وطاووس اليماني: هو ابن كيسان، وهو عند مالك في «الموطأ»: ٨٩٩/٢، ومن طريقه أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» ص ٢٥، ومسلم (٢٦٥٥)، وابن حبان (٦١٤٩)، والبغوي في «شرح السنة» (٧٣)، والمزي في «تهذيب الكمال» ٢٢/٢٤٥، بهذا الإسناد، ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط عادل مرشد، وآخرون إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ١٠ / ١٣٤، رقم الحديث (٥٨٩٣).

(١) الحديث: أخرجه الإمام مسلم، باب النار يدخلها الجبارون، ج ٤، ص ٢١٨٦، رقم الحديث (٢٨٤٦).

(٢) عجيس وهو الدهر؛ لأنه يبطل فلا ينفذ، وقالوا لا آتيك عجيس الدهر - أي آخره. وقال: عجزت عن الأمر أعجز عجزاً وعجزت وأعجزني والعجز - نقيض الحزم رجل عجز وعجز - عاجز والمعجزة والمعجزة - العجز ولا يعجز الله شيء - أي لا يعجز عما شاء، ينظر: المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى، تحقيق: خليل إبراهيم جمال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م: ٣ / ٣٣٦.

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (عجز): ٥ / ٣٧٠. ٣٧١.

حد المعجزة^(١) في الاصطلاح عند المتكلمين:

عرفها الفخر الرازي بأنها: أمر خارق للعادة^(٢)، مقرون بالتحدي^(٣)، مع عدم

(١) المعجزة: اسم فاعل من الإعجاز، وهي في الشرع أمر خارق للعادة من ترك أو فعل مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة، وإنما أخذ أحد الأمرين؛ لأن المعجزة كما تكون إتيانا بغير المعتاد، كذلك قد تكون منعا عن المعتاد مثل أن يمسك عن القوت مدة غير معتادة مع حفظ الصحة والحياة. والتحدي هو طلب المعارضة في شاهد دعواه من النبوة، فلا بد أن يكون الخارق موافقا للدعوى إذ لا شهادة بدون الموافقة فخرج الدهانة كنطق الجماد بأنه مفتر كذاب؛ لأنها لا تكون موافقة للدعوى، وكذا خرج الإرهاص والكرامة لعدم اقترانهما بالدعوى. وأما قولهم كرامة الولي معجزة لنبيه مع عدم كونها مقروناً بالدعوى فمبني على التشبيه لا على أنها معجزة حقيقة، إذ يشترط في المعجزة أن تكون ظاهرة على يد مدعي النبوة، ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي: ٢/ ١٥٧٥.

(٢) العادة كيفية راسخة في النفس، أو هيئة مكتسبة تمكن صاحبها من أداء بعض الأفعال أو تحمل بعض المؤثرات في سهولة، فإذا كانت سريعة الزوال سميت حالة، وإذا كانت متعسرة الزوال سميت ملكة، يقال: لا يكون الفاسق شريفاً بقوة الشر، بل بعادة الشر. ويقال أيضاً: الفضيلة عادة، وهي التوسط بين الإفراط والتفريط.

والعلماء المحدثون يعرفون العادة بقولهم إنها قدرة مكتسبة على أداء عمل بطريقة آلية مع السرعة والدقة والاقتصاد في الجهد، والفرق بين العادة والغريزة أن العادة استعداد مكتسب يحصل للنفس بتكرار الفعل أو استمرار التغير، على حين أن الغريزة استعداد وراثي. فالعادة الفاعلة كعادة الكتابة تتكون بتكرار الفعل، والعادة المنفعلة، كتعود الجسم تحمل بعض المؤثرات، تتكون باستمرار التغير. ومع أن لكل فعل أو تغير أثراً في النفس، فإن هذا الأثر لا يصبح كيفية راسخة إلا بالتكرار والممارسة، ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا: ٤٠/٢.

(٣) يقول الإمام الغزالي: المعجزة مقرونة بالتحدي منه سبحانه نازلة منزلة قوله صدقت وأنت رسول، وتصديق الكاذب محال لذاته، وكل من قال له أنت رسولي صار رسولاً، وخرج عن كونه كاذباً، فالجمع بين كونه كاذباً وبين ما ينزل منزلة قوله أنت رسولي محال؛ لأن معنى كونه كاذباً أنه ما قيل له أنت رسولي، ومعنى المعجزة أنه قيل له أنت رسولي، فإن فعل الملك على ما ضربنا من المثال كقوله: أنت رسولي بالضرورة، فاستبان أن هذا غير مقدور؛ لأنه محال والمحال لا قدرة عليه، ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي: ٦٣/١.

المعارضة فالأمر يتناول الفعل، كانفجار الماء من بين أصابع النبي ﷺ وعدمه كعدم إحراق النار لإبراهيم، وعلى ذلك فإن الأمور التالية لا تعد من باب المعجزات:

(١) الخوارق التي تعطى للأنبياء، وليس مقصودًا بها التحدي، كنبع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ، وتكثيره الطعام القليل، وتسبيح الحصى في كفه، وإتيان الشجر إليه، وحنين الجذع إليه، وما أشبه ذلك.

(٢) الخوارق التي أعطاها الله لغير الأنبياء ويسمونها المتأخرون كرامات^(١)، يقول النسفي في تعريف المعجزة: «إنها ظهور أمر خلاف للعادة في دار التكليف، لإظهار صدق مدع النبوة مع نكول من يتحدى به عن معارضته بمثله»^(٢).

والمعجزة لابد وأن تكون مقرونة بالتحدي؛ لأن الله تعالى يؤيد أنبياءه بها؛ وذلك لاستادهم إليها عند التحدي فحين ظهورها يلزم اليقين بأن هذا النبي من عند الله، وما يقوله هو الصدق يقول محمد عبده: «المعجزة لا بد أن تكون مقرونة بالتحدي عند دعوى النبوة وظهورها من البراهين المثبتة لنبوة من ظهرت على يده؛ لأن النبي يستند إليها في دعواه أنه مبلغ عن الله فأصدار الله لها عند ذلك يعد تأييدًا منه له في تلك الدعوى، ومن المحال على الله أن يؤيد الكاذب، فإن تأييد الكاذب تصديق له وتصديق الكاذب كذب، وهو محال على الله، فمتى ظهرت المعجزة، وهي مما لا يقدر عليه البشر وقارن ظهورها دعوى النبوة علم بالضرورة أن الله ما أظهرها إلا تصديقًا لمن ظهرت على يده، وإن كان هذا العلم قد يقارنه الإنكار مكابرة^(٣).

(١) ينظر: شرح المقاصد، للتفتازاني: ٥ / ١١ بتصرف، والكرامة معناها: هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجًا. وما يكون مقرونًا بدعوى النبوة يكون معجزة، ينظر: التعريفات، للجرجاني، باب الكاف: ١ / ١٨٤.

(٢) ينظر: تبصرة الأدلة، لأبي المعين النسفي: ٢ / ٦٨٩.

(٣) ينظر: رسالة التوحيد، للإمام محمد عبده: ١ / ٤٥.

ومن خلال التعريفات يظهر أن المعجزات أموراً خارقةً للعادة بحيث لا يأتي بها إلا النبي المرسل من الله تعالى تأييداً له في دعواه النبوة، وهي تختلف عن غيرها من الأمور الخارقة للعادة، وذلك مثل السحر^(١)، والشعوذة^(٢)، والمعوونة^(٣) وغيرها من الأمور التي يتخيل الرائي أنها معجزة، ولكن من شروطها (التحدي)، حتى يتم المقصود من الدعوى.

والأمور الخارقة للعادات أيسر وأسهل فغير بعيد أن يخلق الله تعالى القدرة على ذلك لما أطاعه، ولا يخلقها لمن عصاه^(٤).

(١) السحر: كل ما كان من الشيطان فيه معونة والسحر: الأخذة التي تأخذ العين. والسحر: البيان في الفطنة. والسحر: فعل السحر. والسحارة: شيء يلعب به الصبيان إذا مد خرج على لون، وإذا مد من جانب آخر خرج على لون آخر مخالف (لأول)، وما أشبهها فهو سحارة، ينظر: كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د / مهدي المخزومي، د / إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: ٣ / ١٣٥.

(٢) شعذ: قال الليث: استعمل منه الشعوذة والشعوذي. قال: وليس من كلام أهل البادية. فأما الشعوذة فخفة في اليد وأخذ كالسحر، يرى الشيء بغير ما هو عليه أصله في رأي العين. قال: والشعوذي: اشتقاقه منه، لسرعته، وهو الرسول للأمراء على البريد. ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، ج ١، ص ٢٥٨.

(٣) (المعوونة) الإعانة، يقال: ما عنده معونة ولا معانة، ولا عون. قال الكسائي: والمعون أيضاً المعونة. وقال الفراء: هو جمع معونة. ويقال: ما أخلاني فلان من معاونه وهو جمع معونة. ورجل (معاون) كثير المعونة للناس. و(استعان) به (فأعانه) و(عأونه)، وفي الدعاء: رب (أعني) ولا تعن علي. و(تعاون) القوم أعان بعضهم بعضاً. و(اعتونوا) أيضاً مثله. و(العانة) القطيع من حمر الوحش والجمع عون، ينظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م: ١ / ٢٢٢.

(٤) ينظر: غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة، ١ / ٣٠٥.

دلالة سورة الروم على المعجزات:

لقد ذكرت سورة الروم المعجزات في قول الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلِّمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١ ثُمَّ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَفْتَوْا السُّوءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ٢﴾^(١).

والمعنى الإجمالي للآيتين السابقتين هو: أن الله تعالى أرسل الرسل وأيدهم بالمعجزات؛ لأن المعجزة دليل على صدق المدعي، ولا بد أن تكون موافقة للدعوى، وحينما جاءت الرسل إلى أقوامهم بالبينات فكذبوا آيات الله.

أقوال العلماء حول هذا الدليل:

يقول الإمام القرطبي في الدليل الوارد في قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾^(٢)، أي بالمعجزات، وقيل: بالأحكام فكفروا ولم يؤمنوا^(٣)، وسميت بذلك دلالة على عجز من ليس بنبي، يقول الجويني^(٤) «وسميت بذلك؛ لأنه يظهر بها أن من ليس نبياً يعجز عن الإتيان بما يظهره الله (ﷻ) على النبي»^(٥) بينما نجد الإمام الباقلاني يشترط ظهور معجزة لإدعاء النبوة حيث قال: «ويجب أن يعلم أن صدق مدعي النبوة لم يثبت بمجرد دعواه، وإنما يثبت بالمعجزات، وهي أفعال الله الخارقة

(١) سورة الروم الآيتان: ٩، ١٠

(٢) سورة الروم، الآية: ٩.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٤ / ٩.

(٤) هو: عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، أبو محمد: من علماء التفسير واللغة والفقه. ولد في جوين (من نواحي نيسابور) وسكن نيسابور، وتوفي بها. من كتبه «التفسير»، و«التبصرة والتذكرة»، و«الوسائل في فروق المسائل» و«الجمع والفرق»، وله رسائل، منها «إثبات الاستواء»، توفي ٤٣٨ هـ / ١٠٤٧ م ينظر: الأعلام للزركلي: ٤ / ١٤٦.

(٥) ينظر: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية للجويني مرجع سابق: ٦٣.

للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء بمثل ذلك ^(١). بالرغم بأن الله سبحانه قد أرسل بعض أنبيائه بدون معجزة إلى اقوامهم وثبت ذلك بالقرآن الكريم مثل (اسماعيل واسحاق ويعقوب ويونس ولوطاً وهوداً وزكريا ويحيى) عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام فلم يذكر لهم القرآن أي معجزة أيدت صدقهم في ادعائهم النبوة وعلى ذلك فإن رأي الباقلاني فيه نظر ولا يؤخذ كلامه مسلماً به.

فالأفعال الخارقة للعادة مطابقة للدعوى فيكون المدعي صادقاً، ويكون تصديقه أمر ضروري لا شك فيه بأي حال من الأحوال.

ويقول الألوسي في هذا الدليل أيضاً «وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» بالمعجزات، أو الآيات الواضحات ^(٢)، والآيات البينات، إنما تعني (المعجزات) عند علماء الكلام وتسمى دلائل النبوة، أو أعلام النبوة، والقرآن الكريم لم يذكر المعجزة بالمعنى المعروف، وإنما عبّر عنها بلفظ الآية، أو البينة، أو البرهان، كما ورد هذا في قصص الأنبياء ^(٣).

(١) ينظر: الانصاف للباقلاني: ص ٥٨.

(٢) ينظر: روح المعاني، للألوسي، ج ١، ص ٢٥٠، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ٤٢٠/٢.

(٣) جاء في هذا المعنى «والطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر، تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات، لكن كثير منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، وقرروا ذلك بطرق مضطربة، والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء، حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر، ونحو ذلك. ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين. بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟ ينظر: شرح العقيدة الطحاوية: صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالحي الدمشقي تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ج ١، ص ١٤٠.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، ويسميتها من يسميها من النظر (معجزات)، وتسمى (دلائل النبوة) و(أعلام النبوة). وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجودا في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ (الآية) و(البينة) و(البرهان)، كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَدَلَّكَ بُرْهَانٍ مِنْ رَبِّكَ﴾^(١) في العصا واليد، وقال الله تعالى في حق محمد ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ فَدَجَّاءَ كُمْ بُرْهَنٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾^(٢)، وقد قال في مطالبة أهل الدعاوى الكاذبة بالبرهان: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣).

ولقد ورد لفظ البينات بصيغة الجمع في سورة الروم وهذا اللفظ معناه المعجزات التي انكرها المكذبون وجاءت المعجزات تصديقا للمدعي في دعواه النبوة، ويكون صادقا ويتحقق العلم بمضمونها، وكل خبر شأنه هذا، فهو خبر صادق ومضمونه واقع.

يقول السفاريني: «من نوعي الخبر المفيد للعلم خبر الرسول المؤيد بالمعجزة الخارقة المقرونة بالتحدي، فيوجب العلم الاستدلالي للقطع بأن من أظهر الله تلك المعجزة على يده تصديقا له في دعوى الرسالة لا يكون إلا صادقا فيما أتى به من الأحكام، وإذا كان صادقا يقع العلم بمضمونها قطعاً، وإنما كان استدلالياً لتوقفه على

(١) سورة القصص من الآية: ٣٢.

(٢) سورة النساء من الآية: ١٧٤.

(٣) سورة البقرة الآية: ١١١، وينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين أبو

العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحرائي الحنبلي الدمشقي، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة، السعودية، الطبعة:

الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م: ٥ / ٤١٢.

الاستدلال واستحضار أنه خبر من ثبتت رسالته بالمعجزات، وكل خبر هذا شأنه، فهو صادق ومضمونه واقع، والعلم الثابت بخبر الرسول يشابه العلم الثابت بالضرورة كالمحسوسات^(١) والمتواترات^(٢) في التيقن والثبات^(٣)، فالمعجزة تثبت، ويكون المدعي صادقاً فيما جاء به إذا كانت المعجزة موافقة لما جاء به، ويكون هذا بمثابة العلم الضروري الذي لا يختلف عليه اثنان مثل الواحد نصف الاثنين.

الدليل الثاني الدال على المعجزة من خلال سورة الروم:

قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلِيَنْجِئَهُمْ رِيقَايَهُ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾^(٤).

أقوال العلماء حول هذا الدليل:

يقول الإمام القرطبي: «أي من كل مثل يدلهم على ما يحتاجون إليه، وينبهم على التوحيد وصدق الرسل، ولئن جئتهم بآية، أي معجزة، كفلق البحر والعصا وغيرهما ليقولن الذين كفروا إن أنتم يا معشر المؤمنين، (إلا مبطلون)، أي تتبعون

(١) المحسوسات، وهي ما يحصل بالحس الظاهر أعني بالمشاهدة كالنار حارة والشمس مضيئة، فهذه جملة اليقينيّات التي يتألف منها البرهان، ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت: ١ / ٩٨١.

(٢) المتواترات: قضايا يحكم بها لكثرة الشهادات بعد العلم بعدم امتناعها، والأمن من التواطؤ عليها. ينظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أ. د / محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب - القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م: ١/ ١٢٧.

(٣) ينظر: الكتاب: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، للسفاري: ٤٣٩/٢.

(٤) سورة الروم آية: ٥٨.

الباطل والسحر كذلك، أي كما طبع الله على قلوبهم حتى لا يفهموا الآيات»^(١). وهؤلاء لا يفهمون الآيات التي جاء بها الرسول فأنكروها ووصفوا المؤمنين بأنهم على باطل ويقول أبو العز الحنفي: «والقرآن قد ضرب الله للناس فيه من كل مثل، وهي المقاييس العقلية المفيدة للمطالب الدينية، لكن القرآن يبين الحق في الحكم والدليل، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ وما كان من المقدمات معلومة ضرورية متفقا عليها، استدل بها، ولم يحتج إلى الاستدلال عليها. والطريقة الصحيحة في البيان أن تحذف، وهي طريقة القرآن، بخلاف ما يدعيه الجاهل، الذين يظنون أن القرآن ليس فيه طريقة برهانية، بخلاف ما قد يشتبه ويقع فيه نزاع، فإنه يبينه ويدل عليه»^(٢).

والقرآن هو المعجزة الكبرى للنبي ﷺ التي تحدى بها الإنس والجن فعجزوا عن الإتيان بمثله، وبالتالي كان ضرب الامثال فيه للتأكيد على العقيدة في نفوس أصحابها، والمراد بذلك أنه يقدم المقاييس العقلية المفيدة للمطالب الدينية.

ويقول الألوسي في بيان هذا الدليل: «﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾»^(٣)، أي ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها، وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصصهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم، ولكنهم لقسوة قلوبهم إذا جئتهم بآية من آيات القرآن، قالوا جئتنا بزور وباطل^(٤)، فثبت دعوى النبي ﷺ إنما تثبت بالخوارق التي ظهرت على يديه الشريفة، وذلك مثل نبع الماء من بين أصابعه.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٤٩/١٤.

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، ج ١، ص ٣٨.

(٣) سورة الروم، الآية: ٥٨.

(٤) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٢ / ٧٠٨.

وإلى هذه الإشارة يقول الغزالي: «أن تثبت نبوته بجملة من الأفعال الخارقة للعادات التي ظهرت عليه، كانشقاق القمر، ونطق العجماء، وتفجر الماء من بين أصابعه، وتسبيح الحصى في كفه، وتكثير الطعام القليل، وغيره من خوارق العادات، وكل ذلك دليل على صدقه^(١)، وإذا كانت المعجزات ما هي إلا دليل على صدق صاحبها، فلقد أيدهم الله بها وجعلها بمنزلة أن صدق عبدي في كل ما يبلغ عني.

يقول صاحب الجوهرة في حاشيته: «إن الله أيدهم بالمعجزات حيث أظهرها على أيديهم تصديقاً لهم في دعوى النبوة والرسالة، وفيما بلغوه عن الله؛ لأنها بمنزلة قول الله صدق عبدي في كل ما يبلغ عني».

أما عن شروط المعجزة:

الشرط الأول من شروطها، وهو: أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه، وإنما وجب حصول هذا الشرط للمعجزة؛ لأنه أتى آت في زمان يصح فيه مجيء الرسل، وادّعى الرسالة وجعل معجزته أن يتحرك، ويسكن، ويقوم، ويقعد، لم يكن هذا الذي ادّعاه معجزة له، ولا دالاً على صدقه لقدرة الخلق على مثله، وإنما يجب أن تكون المعجزات كفلق البحر، وانشقاق القمر، وما شاكلها مما لا يقدر عليها البشر^(٢).

والتصديق من الله لا يحصل بما ليس منه، يقول صاحب المواقف: «وإنما اشترط ذلك؛ لأن التصديق منه، أي من الله تعالى لا يحصل بما ليس من قبله وقولنا، أو ما يقوم مقامه ليتناول التعريف مثل ما إذا قال معجزتي أن أضع يدي على رأسي وأنتم لا تقدرون عليه، أي على وضع أيديكم على رؤوسكم ففعل وعجزوا، فإنه معجز دال على صدقه ولا فعل لله ثمة، فإن عدم خلق القدرة فيهم على ذلك الوضع ليس فعلاً

(١) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي: ١ / ٦٦.

(٢) تفسير القرطبي: ١ / ٧١، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، للجويني: ص ٦٣، ونهاية

الإقدام للشهرستاني: ص ٤١٥.

صادرًا عنه تعالى، بل هو عدم صرف^(١)، ومن جعل الترك وجوديًا بناءً على أنه الكف حذفه لعدم الحاجة إليه^(٢).

فالمعجزة تدل على صدق مدعي النبوة، وهي تأييد من الله تعالى لرسوله الذي أرسله فالأمر الخارق هو مما لم يقدر عليه إلا الله، وذلك لأن نواميس الطبيعة يجريها الله تعالى لأنبيائه تأييدًا لهم في دعوى النبوة، فلا بد أن تكون موافقة له، وهذا يسمى التأييد الإلهي. يقول القاضي عبد الجبار: «والمعجزة في حقيقتها: هي الحادث الخارق للعادة والقوانين التي يلاحظها الناس وتسير عليها حوادث الكون يجريه الله تأييدًا للأنبياء، وقد حاول البعض أن يعطي المعجزة صورة الأمر العادي الذي يحصل في الطبيعة بطريق الصدقة، أو العلم، ولكن المعجزة في الواقع تفقد معناها، وكونها دلالة على صدق النبي إذا فقدت الصفة الخارقة، فإذا قال مدعي النبوة إن دلالة صدقي أن تطلع الشمس من المغرب، وهي تطلع عادة من المشرق كان ذلك دلالة وتأييدًا له، أما إذا أخبر قومه أن الشمس تطلع من المشرق، فليس في طلوعها ما يثبت، أي إعجاز^(٣).

والشرط الثاني: هو أن تخرق العادة، بمعنى: أن يكون هذا المعجز الذي جاء به النبي خارقًا للعادة^(٤)، يقول الماوردي «فالمعجز ما خرق عادة البشر من خصال لا

(١) (عدم صرف) بحسب الخارج كالممتنعات والتعلق إنما يتصور بين شيئين متمايزين ولا تمايز إلا بأن يكون لكل منهما ثبوت في الجملة، ولا ثبوت للمعدوم في الخارج فلا حقيقة له إلا الأمر الموجود في الذهن، وذلك الأمر هو العلم. وأما التعلق فلازم له والمعلوم أيضًا فإنه باعتبار قيامه بالقوة العاقلة علم، وباعتباره في نفسه من حيث هو معلوم، فالعلم والمعلوم متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار؛ وإذا كان العلم بالمعدومات كذلك وجب أن يكون سائر المعلومات أيضًا كذلك، إذ لا اختلاف بين أفراد حقيقة واحدة نوعية، ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد الحنفي التهانوي: ٢ / ١٢٢٥.

(٢) ينظر: كتاب المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي: ٣ / ٣٤٢.

(٣) ينظر: تثبیت دلائل النبوة القاضي عبد الجبار المعتزلي، المقدمة: ص ٣.

(٤) والخوارق ستة أنواع: (الأول) المعجزة وتقدم الكلام عليها، (الثاني) الإرهاص وهو كل =

تستطاع إلا بقدرة إلهية تدل على أن الله تعالى خصه بها تصديقاً على اختصاصه برسالته، فيصير دليلاً على صدقه في ادعاء نبوته إذا وصل ذلك منه في زمان التكليف، وأما عند قيام الساعة إذا سقطت فيه أحوال التكليف، فقد يظهر فيه من أشراتها ما يخرق العادة، فلا يكون معجز المدعي نبوة^(١) فالأمر المعجز ينزل من الله بمنزلة التصديق فلا بد أن يكون خارقاً للعادة؛ لأنه لو لم يكن خارقاً للعادة لكان مساوياً في تلك الدعوى الكذاب، وإلى هذا يقول صاحب المواقف، «إذ لا إعجاز دونه، فإن المعجز ينزل من الله منزلة التصديق بالقول كما سيأتي، وما لا يكون خارقاً للعادة، بل معتاداً كطلوع الشمس في كل يوم وبدو الأزهار في كل ربيع، فإنه لا يدل على

= خارق تقدم النبوة فهو مقدمة لها، فالمعجزة أمر خارق للعادة مقرون بدعوى النبوة، والإرهاص مقدمة لها قبلها كقصة أصحاب الفيل، (الثالث) الكرامة وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم، (الرابع) الاستدراج والمكر، (الخامس) المعونة كما يظهر بسبب بعض عوام المسلمين وضعفاء أهل الدين تخليصاً لهم من المحن والمكاره، (السادس) الإهانة والاحتقار، كما فعل مسيلمة الكذاب من مسحه بيده على رأس غلام فانقرع، ومن ثقله في بئر عذبة ليزداد حلاوة فصار ملحاً أجاباً، ومن الخوارق الفاسدة السحر والشعوذة ونحوهما. والحاصل أن الكرامة لا بد أن تكون أمراً خارقاً للعادة، أتى ذلك الخارق . عن . امرئ صالح وهو الولي العارف بالله وصفاته حسب ما يمكن، المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات من ذكر وأنثى، ولا بد أن يكون صدور ذلك الخارق في زماننا وبعده وقبله منذ بعث نبينا محمد ﷺ من إنسان تابع لشرعنا معشر المسلمين؛ لأن سائر الشرائع سواء قد نسخت، وأن يكون الخارق من قبل من ظهر على يديه غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة، ينظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، للسفاري: ٢ / ٣٩١ وما بعدها.

(١) ينظر: أعلام النبوة، للماوردي: ١ / ٤٢.

الصدق لمساواة غيره إياه في ذلك حتى الكذاب في دعوى النبوة^(١).

يقول القرطبي: «وإنما وجب اشتراط ذلك؛ لأنه لو قال المدعي للرسالة: آيتي مجيء الليل بعد النهار وطلوع الشمس من مشرقها، لم يكن فيما ادعا معجزة؛ لأن هذه الأفعال، وإن كان لا يقدر عليها إلا الله، فلم تفعل من أجله، وقد كانت قبل دعواه على ما هي عليه في حين دعواه، ودعواه في دلالتها على نبوته كدعوى غيره، فبان أنه لا وجه له يدل على صدقه، والذي يستشهد به الرسول ﷺ له وجه يدل على صدقه، وذلك أن يقول: الدليل على صدقي أن يخرق الله تعالى العادة من أجل دعواي عليه الرسالة، فيقلب هذه العصا ثعبانًا، ويشق الحجر ويخرج من وسطه ناقة، أو ينبع الماء من بين أصابعي كما ينبع من العين، أو ما سوى ذلك من الآيات الخارقة للعوادات، التي ينفرد بها جبار الأرض والسموات، فتقوم له هذه العلامات مقام قول الرب سبحانه، لو أسمعنا كلامه العزيز وقال: صدق، أنا بعثته، ومثال هذا المسألة ولله ولرسوله المثل الأعلى ما لو كانت جماعة بحضرة ملك من ملوك الأرض، وقال أحد رجاله، وهو بمرأى منه والملك يسمعه: الملك يأمركم أيها الجماعة بكذا وكذا، ودليل ذلك أن الملك يصدقني بفعل من أفعاله، وهو أن يخرج خاتمه من يده قاصدًا بذلك تصديقي، فإذا سمع الملك كلامه لهم ودعواه فيهم، ثم عمل ما استشهد به على صدقه، قام ذلك مقام قوله لو قال: صدق فيما ادعاه علي، فكذا إذا عمل عملاً لا يقدر عليه إلا هو، وخرق به العادة على يد الرسول، قام ذلك الفعل مقام كلامه تعالى لو أسمعناه وقال: صدق عبدي في دعواي الرسالة، وأنا أرسلته إليكم فاسمعوا له وأطيعوا^(٢).

والشرط الثالث: وهو كما يقول صاحب المواقف «أن يتعذر معارضته»^(٣)، فالأمر

(١) ينظر: شرح المواقف: ٣/٣٤٢، وما بعدها.

(٢) تفسير القرطبي: ١/٧١، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، للجويني، ص ٦٣، ونهاية الإقدام، للشهرستاني، ص ٤١٥.

(٣) ينظر: شرح المواقف: ٣/٣٤٣.

المعجز لابد ان تتعذر معارضته، وهذا هو حقيقة الإعجاز، ودليل على أن هذا الأمر من الله تعالى، ولا يقدر عليه أحد إلا الله، فإن لم تتعذر معارضته لم يحصل الإعجاز.

يقول ابن تيمية: «إنَّ المعجز في الحقيقة ليس إلا منع الناس من المعارضة بالمثل؛ سواءً كان المعجز في نفسه خارقاً، أو غير خارق، وكثيرٌ مما يأتي: به الساحر والكاهن أمرٌ معتادٌ لهم، وهم يجوّزون أن يكون آيةٌ للنبي، وإذا كان آيةٌ منع الله الساحر والكاهن من مثل ما كان يفعل، أو قيض له من يعارضه، وقالوا: هذا أبلغ، فإنه منع المعتاد، وكذلك عندهم أحد نَوْعي المعجزات منعهم من الأفعال المعتادة، فإن ذلك حقيقة الإعجاز^(١).

والشرط الرابع: وهو كما يقول صاحب المواقف «أن يكون ظاهراً على يد مدعي النبوة ليعلم أنه تصديق له، وهل يشترط التصريح بالتحدي وطلب المعارضة كما ذهب إليه بعضهم؟ الحق أنه لا يشترط، بل يكفي قرائن الأحوال مثل أن يقال له، أي لمدعي النبوة إن كنت نبياً فأظهر معجزاً ففعل بأن دعا الله فأظهره فيكون ظهوره دليلاً على صدقه ونازلاً منزلة التصريح بالتحدي^(٢)، فإذا ظهر الأمر الخارق على يدي الكاذب، فلا بد أن يثبت تلك الدعوى وأن يظهر هذا الأمر؛ لأن ظهوره دليل على صدقه، فإذا لم يفعل، فإنه كاذب في دعواه، يقول القرطبي»، وإنما وجب اشتراط هذا الشرط؛ لأنه لو قال المدعي للرسالة: آية نبوتي، ودليل حجتني أن تتنطق يدي، أو هذه الدابة فنطقت يده، أو الدابة بأن قالت: كذب، وليس هو نبي، فإن هذا الكلام الذي خلقه الله تعالى دال كذب المدعي للرسالة؛ لأن ما فعله الله لم يقع على وفق دعواه، وكذلك ما يروى أن مسيلمة الكذاب - لعنه الله - ثقل في بئر، ليكثر مأوها فغارت البئر، وذهب ما كان فيها من الماء، فما فعل الله سبحانه من هذا، كان من الآيات

(١) ينظر: النبوات، ابن تيمية: ١ / ٢٤١.

(٢) ينظر: شرح المواقف: ٣ / ٣٤٣.

المكذبة لمن ظهرت على يديه؛ لأنها وقعت على خلاف ما أراده المتنبئ الكذاب^(١).
فالمعجز مقارن لدعوى النبوة فلا بد من اقترانه بدعوى النبوة، فهو ملازم لها، وذلك
أن الصفة ملازمة للموصوف كذلك، فإن الأمر المعجز ملازم للنبوة، وإلا فلا.

يقول الماوردي: «أن يقرن بالمعجز دعوى النبوة، فإن لم يقترن بالمعجزة دعوى
لم يصير بظهور المعجزة نبياً؛ لأن المعجز يدل على صدق الدعوى، فكان صفة لها
فلم يجز أن نثبت الصفة قبل وجود الموصوف، فإن تقدم ظهور المعجز على دعوى
النبوة كان تأسيساً للنبوة ككلام عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في المهد تأسيساً لنبوته، فاحتاج مع
دعوى النبوة إلى إحداث معجزة يقترن بها ليدل على صدقه فيها، وإن تقدمت دعوى
النبوة على المعجز اكتفى بحدوث المعجز بعدها عن اقترانه بها؛ لأن اصطحابه
للدعوى مقترن بالمعجز^(٢).

والشرط الخامس: «ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة،
فإن تم الأمر المتحدي به المستشهد به على النبوة على هذا الشرط مع الشروط
الأخرى، فهي معجزة دالة على نبوة من ظهرت على يده، فإن أقام الله تعالى من
يعارضه حتى يأتي بمثل ما أتى به ويعمل مثل ما عمل بطل كونه نبياً، وخرج عن
كونه معجزاً ولم يدل على صدقه»^(٣)، فإذا اجتمعت هذه الشروط مع الشرط السابق
تمت المعجزة.

وهذه الشروط هي: أن يكون الأمر خارقاً للعادة^(٤)، أن يكون واقعاً على يدي

(١) ينظر: تفسير القرطبي: ١ / ٧١، والعقيدة النظامية للجويني ص ٦٤ - ٦٥، والإنصاف
للباقلاني، ص ٥٨.

(٢) ينظر: أعلام النبوة، للماوردي: ٤٦/١.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي: ١ / ٧١، والعقيدة النظامية للجويني: ص ٦٤ - ٦٥، والإنصاف
للباقلاني: ص ٥٨.

(٤) وإنما اعتبر في المعجز خرق العادة؛ لأن المعتاد يشمل الصادق والكاذب فاخص غير
المعتاد بالصادق دون الكاذب. وإذا تقرر أن المعجز محدود بما ذكرناه من خرق العادة =

- = فقد ينقسم ما خرج عن العادة على عشرة أقسام:
- * القسم الأول: ما يخرج جنسه عن قدرة البشر كاختراع الأجسام وقلب الأعيان وإحياء الموتى، فقليل هذا وكثيره معجز لخروج قليله عن القدرة كخروج كثيره.
- * القسم الثاني: ما يدخل جنسه في قدرة البشر لكن يخرج مقداره عن قدرة البشر كطي الأرض البعيدة في المدة القريبة فيكون معجز لخرق العادة. واختلف المتكلمون في المعجز منه فعند بعضهم أن ما خرج عن القدرة منه يكون هو المعجز خاصة لاختصاصه بالمعجز، وعند آخرين منهم أن جميعه يكون معجزاً لاتصاله بما لا يتميز منه.
- * القسم الثالث: ظهور العلم بما خرج عن معلوم البشر كالأخبار بحوادث الغيوب فيكون معجزاً بشرطين:
- أحدهما: أن يتكرر حتى يخرج عن حد الاتفاق.
- والثاني: أن يتجرد عن سبب يستدل به عليه.
- * القسم الرابع: ما خرج نوعه عن مقدور البشر وإن دخل جنسه في مقدور البشر كالقرآن في خروج أسلوبه عن أقسام الكلام فيكون معجزاً بخروج نوعه عن القدرة فصار جنساً خارجاً عن القدرة ويكون العجز مع القدرة على آله من الكلام أبلغ في المعجز.
- * القسم الخامس: ما يدخل في أفعال البشر ويفضي إلى خروجه عن مقدار البشر كالبرء الحادث عن المرض والزرع الحادث عن البذر فإن برئ المرض المزمع لوقته.
- * القسم السادس: عدم القدرة عما كان داخل في القدرة كإنذار الناطق بعجزه عن الكلام وإخبار الكاتب بعجزه عن الكتابة، فيكون ذلك معجزاً يختص بالعاجز ولا يتعداه؛ لأنه على يقين من عجز نفسه وليس غيره على يقين من عجزه.
- * القسم السابع: إنطاق حيوان أو حركة جماد فإن كان باستدعائه أو عن إشارته كان معجزاً له وإن ظهر بغير استدعاء ولا إشارة لم يكن معجزاً له وإن خرق العادة؛ لأنه ليس اختصاصه به بأولى من اختصاصه بغيره وكان من نواذر الوقت وحوادثه.
- * القسم الثامن: إظهار الشي في غير زمانه كإظهار فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فإن كان استبقاؤهما في غير زمانهما ممكناً لم يكن معجزاً وإن لم يمكن استبقاؤهما كان معجزاً سواء بدأ بإظهاره أو طوّل به.
- * القسم التاسع: انفجار الماء وقطع الماء المنفجر إذا لم يظهر بحدوثه أسباب من غيره فهو من معجزاته لخرق العادة به.
- =

مدعي النبوة، وأن هذا الأمر موافقاً للدعوى، وأن تحصل معه المعارضة.

يقول أبي خمير السبتي: «هذا الشرط لا يلزم في التحدي بها إذا كانت مطلقاً، وإنما يلزم التقيد، فإذا قال النبي آيتي أن يقلب الله لي عادة قلبها له صحت دعواه وتم الأمر له، وإذا قيد دعواه بنوع من الخرق لم تكمل له المعجزة إلا بحصول ذلك النوع»^(١).

ونرى من خلال ما سبق: أن المعجزة أمر خارق للعادة يظهرها الله على يدي مدعي النبوة تصديقاً له في دعواه، وهذه الشروط لا بد منها في إثبات المعجزة؛ لأنها لو لم تتحقق لم تقع المعجزة، وكما أن المعجزة من الله تعالى جعلها الله دليلاً على دعوى النبوة للنبي المرسل، وهي بمنزلة أن صدق عبدي فيما يبلغ عني، وهذا يبين أن المعجزة من الله تعالى، وليست من غيره؛ لأنها لو كانت من غيره، فلا يكون الأمر هنا معجزاً، وإنما يظهر خلاف ما يقول به، ومن هنا فإن النبوة لا يوصل إليها إلا الأمر المعجز بخلاف من يدعي هذا الأمر دون سند، أو بينة، أو برهان، وإذا كانت المعجزات من الله تعالى فلا بد أن يكون ما جاء به النبي معجزاً؛ لأنه مؤيد من الله تعالى.

= * القسم العاشر: إشباع العدد الكثير من الطعام اليسير وارواءهم من الماء القليل يكون معجزاً في حقهم وغير معجز في حق غيرهم لما قدمناه من التعليل وهذه الأقسام ونظائرها الداخلة في حدود الأعجاز متساوية الأحكام في ثبوت الإعجاز وتصديق مظهرها على ما ادّعاه من النبوة وإن تفاوت الأعجاز فيها وتباين كما أن دلائل التوحيد قد تختلف في الخفاء والظهور وإن كان في كل منها دليل، فأما فعل ما يقدر البشر على ما يقاربه وإن عجزوا عن مثله فليس بمعجز؛ لأن الجنس مقدور عليه وإنما الزيادة فضل حذق به كالصنائع التي يختلف فيها أهلها فلا يكون لأحذقهم بها معجز يجوز أن يدّعي به النبوة، ينظر: أعلام النبوة، للماوردي: ١ / ٤١، ٤٢.

(١) ينظر: مقدمات المرشد إلى علم العقائد في دفع شبهات المبطلين والملحدين، لأبي خمير

أقسام المعجزة:

من خلال ما سبق يتبين لنا ان المعجزة تنقسم إلى الأقسام التالية:

(١) فعل مثل نبع الماء من بين الأصابع النبي ﷺ، وإبراء الأكمه والأبرص على يدي عيسى عليه السلام.

(٢) القول مثل القرآن الكريم معجزة الرسول ﷺ يقول الباقلاني: «وله آيات ومعجزات سوى القرآن، كانشقاق القمر، وإنزال المطر، وإزالة الضرر من الأمراض ونبع الماء من بين أصابعه، وتسبيح الحصى في يده، ونطق البهائم، إلى غير ذلك من المعجزات الخارقة للعادة^(١).

ومعجزات الرسول كثيرة، وهي من الخوارق، ولكنه لم يتحد بها سوى القرآن الكريم يقول الشيخ أبو زهرة إن معجزة محمد ﷺ كانت القرآن، لقد أجزى الله تعالى على يديه خوارق وعادات أخرى، مثل: إخباره عن بعض ما يغيب عن حسه، ومثل حنين الجذع إليه، ومثل بكاء الناقة عنده، ومثل الإسراء والمعراج، ولكن لم يتحد إلا بالقرآن الكريم، ولم ير المشركون صرحاً شامخاً يتحداهم به سوى القرآن الكريم^(٢)، ومن دلائل صدق دعوة النبي ﷺ، ومن وجوه إعجاز القرآن العظيم، الإخبار بالمغيبات وقد جاء أيضاً في سورة الروم والتي هي محور دراستنا في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَلَيْهِمُ الرُّومُ ۚ فِي أَذْنِ الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۚ فِي بَيْتِ اللَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۚ بَنَصَرَ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝﴾^(٣).

(١) ينظر: الإنصاف للباقلاني: ٦٠.

(٢) ينظر: المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة: ١١/١.

(٣) سورة: الروم، الآيات (١-٥).

يقول الباقلاني: «ومن وجوه الإعجاز في القرآن اشتماله على ما يحصى من علم غيوب متعلقة بالمستقبل ظاهر جلي مثل ﴿الْم ۝ عَلِمْتَ الْأَرْوَمُ﴾ وأمثالها»^(١).

(٣) الترك كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم في قول الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢)، ويشير أبو المعين النسفي إلى ما سبق ذكره قائلا: «فالمعجزات دليل على ثبوت الرسالة، ثم الدليل على ثبوت الرسالة لبعض الرسل على البعض ظهور المعجزات الناقضات للعادة على أيدي كثير منهم، كخروج الناقة من الصخرة وصيرورة النار بردًا وسلامًا على إبراهيم، وقلب العصا حية، وتسخير الريح، والجن، والشياطين وتسبيح الجبال، وإلانة الحديد، وإحياء الموتى، وحنين الذئع، وشكاية الناقة، وكلام الجمل المسموع، ونبع الماء من بين الأصابع، وغير ذلك مما هي أدلة صدق ادعائهم الرسالة»^(٣).

معجزات الرسول ﷺ من خلال سورة الروم:

من معجزاته ﷺ الكبرى والتي حوت الشرائع السابقة ومهيمنة عليها^(٤) القرآن

(١) ينظر: الإنصاف للباقلاني: ٢٠ بتصرف.

(٢) سورة: الأنبياء، الآية (٦٩).

(٣) ينظر: تبصرة الأدلة، لأبي المعين النسفي: ٢ / ٦٩٦.

(٤) الآية التي تشير إلى هذا المعنى هي: قول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا

بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ فِرْقَةً وَفِنْهَا جَاوِلُوشَاءَ اللَّهِ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَقُوا الْحَيَاةَ إِلَى اللَّهِ مَرَجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ وَأَن آخِرُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ۝ أَخْكُمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الآيات ٤٨-٥٠ من سورة المائدة].

الكريم، والتي ورد ذكرها في سورة الروم صريحة.

الدليل على ذكر هذه المعجزة من خلال سورة الروم:

لقد ورد ذكر هذه المعجزة، في قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَيْنَ حِجَّتِهِمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾^(١)، فالقرآن الكريم معجزة الرسول التي تحدى بها الإنس والجن فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور فعجزوا ثم طلب أن يأتوا ولو بسورة فعجزوا عندئذ، ولم يستجيبوا، وعندها علموا أنه أنزل من عند الله^(٢)، يقول الشيخ أبو زهرة: «تلك المعجزة الخالدة هي القرآن الذي يتحدى الأجيال كلها أن يأتوا بمثله، ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(٣)، كما ذكر الله (ﷻ) في محكم التنزيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هو حجة الله على خلقه، وحجة النبي ﷺ في رسالته، وسجل الشريعة المحكم في بيانه، وهو المرجع عند الاختلاف، والحكم العدل عند الافتراق، وهو الطريق المستقيم المرشد عن الاعوجاج، من سلكه وصل، ومن لجأ إليه اهتدى^(٤)».

أقوال العلماء في هذا الدليل:

ولقد ضرب الله المثل في القرآن الكريم ليقرب لهم الصورة ويتحقق إيمانهم ولكنهم لم يستجيبوا من الآيات والقصص المضروبة في القرآن، وهذا دليل على قسوة قلوبهم. يقول أبو البركات النسفي في بيان هذا الدليل «أي ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن، كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون، وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من

(١) سورة: الروم الآية (٥٨)

(٢) السور التي تشير إلى هذا المعنى هي: سورة (الإسراء)، وسورة (هود)، وسورة (البقرة).

(٣) سورة: الإسراء من الآية: ٨٨.

(٤) ينظر: المعجزة الكبرى القرآن، الشيخ / أبو زهرة: ١ / ١١.

استعابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم إذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل»^(١).

والمثل هنا يتجلى في أعلى صورة وأتمها، وذلك إذا صفت القلوب في فهم المراد منه؛ لأنه دعوة للفكر فيما مضى، ومن هنا فإن النفوس تتأثر به، وتسيقظ فطرتها حينئذ يقول الشيخ/ رشيد رضا: «والمثل الذي يقصد به هنا تجلي المعنى في أتم مجاليه، وتأثر النفوس بما أودع فيه، ناهيك بما في التثقل في الأساليب من توجيه الذهن إلى سابق القول، ودعوة الفكر إلى مراجعة ما مضى منه»^(٢).

ويقول القرطبي: «أي من كل مثل يدلهم على ما يحتاجون إليه، وينبههم على التوحيد وصدق الرسل. (ولئن جئتهم بآية)، أي معجزة، كفلق البحر والعصا وغيرهما (ليقولن الذين كفروا إن أنتم) يا معشر المؤمنين، (إلا مبطلون)، أي تتبعون الباطل»^(٣).

والمثل هو المعنى الواضح الذي لا شك فيه، فهو، وكان ذلك دليلاً على علمه وقدرته يقول أبو بكر البقاعي^(٤) في هذا الدليل الوارد في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾^(٥)، أي معنى غريب هو أوضح وأثبت من أعلام الجبال، في عبارة هي

(١) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي: ٢ / ٧٠٨.

(٢) ينظر: تفسير المنار: ٤١/١.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٤ / ٤٩.

(٤) هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط - بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق، له (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران)، (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) سبع مجلدات وغيرها، توفي سنة ٨٥٨ هـ - ١٤٥٤ م، ينظر: الأعلام: ٥٦/١.

(٥) سورة الروم الآية (٥٨).

أرشق من سائر الأمثال. ولما كان المختوم على مشاعرهم منهم لا يؤمنون بشيء، وكان ذلك من أدل دليل على علمه تعالى وقدرته، قال مقسماً تكديباً لقولهم في الاقتراحات خاصاً من أهل العلم والإيمان رأسهم، دلالة على أن التصرف في القلوب من العظم بمكانة تجل عن الوصف، معبراً بالشرط إعلاماً بأنه سبحانه لا يجب عليه شيء، عاطفاً على نحو: فلم ينفعهم شيء من ذلك: ﴿وَلَيْنَ جِثَّتْهُمْ﴾، أي الناس عامة {بآية}، أي دلالة واضحة على صدقك معجزة غير ما جئتهم به مما اقترحوه ووعدوا الإيمان به مرئية كانت، أو مسموعة ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي حكمنا بكفرهم غلظة وجفاء، ودل على فرط عنادهم بقوله: {إن}، أي ما ولما كان التخصيص بالغلظة أشد على النفس، ضم إليه أتباعه تسلياً وبياناً لعظيم شقاقهم، فقال: {أنتم}، أي أيها الآتي بالآية وأتباعه ﴿الْمُطْبُوتِ﴾، أي من أهل العرافة في الباطل بالإتيان بما لا حقيقة له في صورة ما له حقيقة، وأما الذين آمنوا فيقولون: نحن بهذه الآية مؤمنون^(١).

قال الفخر الرازي في بيان هذا الدليل الوارد في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾^(٢) «إشارة إلى إزالة الأعذار والإتيان بما فوق الكفاية من الإنذار، وإلى أنه لم يبق من جانب الرسول تقصير، فإن طلبوا شيئاً آخر فذلك عناد، ومن هان عليه تكذيب دليل لا يصعب عليه تكذيب الدلائل، بل لا يجوز للمستدل أن يشرع في دليل آخر بعد ما ذكر دليلاً جيداً مستقيماً ظاهراً لا غبار عليه وعانده^(٣) الخصم؛ لأنه إما أن يعترف بورود سؤال الخصم عليه، أو لا يعترف، فإن

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون ط، ج ١٥، ص ١٣٦.

(٢) سورة: الروم الآية (٥٨)

(٣) المعاندة: هي المنازعة في المسألة العلمية، مع عدم العلم من كلامه وكلام صاحبه، أو هي تنازع شخص لا يفهم أحدهما كلام صاحبه، وهو يعلم ما في كلام نفسه من الفساد، =

اعترف يكون انقطاعاً، وهو يقدح في الدليل، أو المستدل، إما بأن الدليل فاسد، وإما بأن المستدل جاهل بوجه الدلالة والاستدلال، وكلاهما لا يجوز الاعتراف به من العالم فكيف من النبي (ﷺ)، وإن لم يعترف يكون الشروع في غيره موهماً أن الخصم ليس معانداً فيكون اجتراءه على العناد في الثاني أكثر؛ لأنه يقول العناد أفاد في الأول حيث التزم ذكر دليل آخر^(١).

ومن أبرز الجوانب التي اعتنى بها القرآن الكريم جانب الأمثال التي تضرب لنا أروع التوجيهات، وأبلغها في تشكيل الشخصية الإسلامية، وتحسينها من العوامل الهدامة، والناظر في سورة الروم يجد أنها قد تحدثت عن المثل في أكثر من آية.

تعريف المثل في اللغة:

«قال صاحب معجم المقاييس، المثل والمثل يدلان على معنى واحد، وهو كون شيء نظيراً للشيء».

وقال ابن فارس: «مثل» يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أي نظيره، والمثل والمثال بمعنى واحد، وربما قالوا: «مثيل كشيء»، تقول العرب: أمثل السلطان فلاناً، قتله قوداً، والمعنى أنه فعل به مثلاً كان فعله.

ويقولون: مثل بالقتل: جدعه، والمثالات من هذا أيضاً، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُ﴾^(٢)، أي العقوبات التي تزجر عن مثل ما وقعت لأجله، وواحداه مثله كسمرة وصدقة، ويحتمل أنها التي تنزل بالإنسان فتجعل مثلاً ينزجر به ويرتدع غيره، ومثل الرجل قائماً: انتصب، والمعنى ذاك؛ لأنه كأنه مثال نصب، وجمع المثل أمثلة، والمثال: الفراش والجمع مثل، وهو شيء يماثل ما تحته، أو فوقه،

= ينظر: التعريفات، للرجاني، باب الميم: ج ١، ص ٢٢٠، وينظر: رسالة الآداب في علم البحث والمناظرة، د/محمد محيي الدين عبد الحميد: ص ٧٩.

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي: ٢٥ / ١١٢.

(٢) سورة الرعد من الآية: ٦.

وفلان أمثل بني فلان: أدناهم للخير، أي إنه مماثل لأهل الصلاح والخير، وهؤلاء أمثال القوم، أي خيارهم^(١).

كما يبين أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال: «أصل المثل التماثل بين الشيئين في الكلام كقولهم: (كما تدين تدان)، وهو من قولك هذا مثل الشيء ومثله كما تقول شبيهه وشبهه ثم جعل كل حكمة سائرة مثل، وقد يأتي القائل بما يحسن أن يتمثل به، إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً، وضرب المثل جعله يسير في البلاد من قولك: ضرب في الأرض إذا سار فيها، ومنه سمي المضارب مضارباً»^(٢).

تعريف المثل الأعلى:

جاء في المعجم الفلسفي تعريف المثل الأعلى بأنه: يشتمل على معنيين:

(١) بالمعنى المطلق هو: ما يرضي العقل والعاطفة إرضاء كاملاً، وقد يطلق كذلك على العقل والعاطفة من حيث إن فاعليتهما وحركتهما تعينان هذا الكمال بالقوة، وتعرفان به تعريفاً مقدماً، ومعنى ذلك أن المثل الأعلى يدل على الصورة الكاملة التي لا تتحقق تحققاً نهائياً، فهو حدّ غائي نتجه إليه من غير أن نبلغه، ووجوده ليس شبيهاً بوجود الموضوع الخارجي الثابت، وإنما هو شبيه بوجود النزوع اللامتعين.

(٢) والمثل الأعلى بالمعنى الخاص، أو النسبي هو النموذج الذي نتصوره، وننسج على منواله في بعض قضايانا الفكرية والعملية^(٣).

ضرب الأمثال:

يستخدم لفظ «ضرب» في اللغة كثيراً، وقد جمع أغلب تلك الاستخدامات، مع

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين: ٢٩٦/٥.

(٢) ينظر: جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، دار الفكر - بيروت: ١ / ٧.

(٣) ينظر: المعجم الفلسفي، الدكتور / جميل صليبا: ٢ / ٣٤٠.

بيان السبب في اختلاف تفاسيرها الراغب الأصفهاني^(١) حيث قال: «الضرب إيقاع شيء على شيء، ولتصور اختلاف الضرب خولف بين تفاسيرها: كضرب الشيء باليد والعصا والسيف، ونحوها، وضرب الأرض بالمطر، وضرب الدراهم.. والضرب في الأرض الذهاب فيها هو ضربها بالأرجل.. وضرب الفحل الناقة تشبيهاً بالضرب بالمطرقة كقولك طرقها تشبيهاً بالطرق بالمطرقة، وضرب الخيمة بضرب أوتادها بالمطرقة.. وضرب اللبن بعضه على بعض بالخلط، وضرب المثل هو من ضرب الدراهم، وهو ذكر شيء أثره يظهر في غيره»^(٢).

والمثل قد ضربه الله تعالى من عند العباد لا من عند نفسه؛ لأنه سبحانه غني عن الاحتياج الذي هو من صفات المخلوقات يقول الحكيم الترمذي^(٣) رَحِمَهُ اللهُ:

(١) هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. من كتبه (الذريعة إلى مكارم الشريعة و(الأخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) و(جامع التفاسير) كبير، طبعت مقدمته، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و(المفردات في غريب القرآن)، توفي سنة ٥٠٢ هـ - ١١٠٨ م. ينظر: الأعلام: ٢/٢٥٥.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ: ١ / ٥٠٥، وما بعده بتصرف.

(٣) هو: محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي: باحث، صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين. من أهل (ترمذ) نفي منها بسبب تصنيفه كتاباً خالف فيه ما عليه أهلها، فشهدوا عليه بالكفر وقيل: اتهم باتباع طريقة الصوفية في الإشارات ودعوى الكشف. وقيل فصلّ الولاية على النبوة، وأنه حمل إلى بلخ فأكرمه أهلها وكان عمره نحو تسعين سنة. واضطرب مؤرخوه في تاريخ وفاته، فمنهم من قال سنة ٢٥٥ وسنة ٢٨٥ هـ أما كتبه، فمنها (نواذر الأصول في أحاديث الرسول و(الفروق، يفرّق فيه بين المداراة والمداهنة، والمحااجة والمجادلة، والمناظرة والمغالبة، والانتصار - وغيرها: ينظر الأعلام: للزركلي: ٦ / ٢٧١ بتصرف يسير.

«فالعباد يحتاجون إلى ضرب الأمثال لما خفيت عليهم الأشياء، فضرب الله لهم مثلاً من عند أنفسهم لا من عند نفسه ليدركوا ما غاب عنهم، فأما من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فلا يحتاج إلى الأمثال تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فلا جرم ما ضرب الأمثال من نفسه لنفسه، وكيف ولا مثل له ولا شبيه له^(١).

فوائد ضرب الأمثال:

والناظر في سورة الروم يجد أن الله تعالى قد ذكر فيها ضرب الأمثال، وذلك لأنها تؤثر أكثر من الكلام المجرد لأنها تقرب الصورة وتجلب الانتباه وتسخر الوهم

(١) المثل يستعمل على ثلاثة أوجه بمعنى الشبيه وبمعنى نفس الشيء وذاته وزائدة والجمع أمثال ويوصف به المذكر والمؤنث والجمع فيقال هو وهي وهما وهم وهن مثله. وفي التنزيل ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٤٧] وخرج بعضهم على هذا قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لِيَآيِسَ كَمَنْ لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١] أي ليس كوصفه شيء وقال هو أولى من القول بالزيادة لأنها على خلاف الأصل وقيل في المعنى ليس كذاته شيء كما يقال مثلك من يعرف الجميل ومثلك لا يعرف كذا أي أنت تكون كذا وعليه قوله تعالى ﴿أَوْ مِمَّنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢] أي كمن هو ومثال الزيادة ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٣٧] أي بما قال ابن جني في الخصائص قولهم مثلك لا يفعل كذا قالوا مثل زائدة والمعنى أنت لا تفعل كذا قال وإن كان المعنى كذلك إلا أنه على غير هذا التأويل الذي رأوه من زيادة مثل وإنما تأويله أنت من جماعة شأنهم كذا ليكون أثبت للأمر إذا كان له فيه أشباه وأضراب ولو انفرد هو به لكان انتقاله عنه غير مأمون وإذا كان له فيه أشباه كان أحرى بالثبوت والدوام وعليه قوله ومثلي لا تتبو عليك مضاربه. ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس: المكتبة العلمية - بيروت، باب (م ث ل): ٢ / ٥٦٣.

للعقل وترفع الحجاب عن القلوب الغافلة وتؤلف المطلوب وتقربه، ومن هنا يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني^(١) واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباية وكلفًا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفًا، فإن كان مدحًا كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز

للعطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وأوجب شفاعته للمادح، وأقصى له بغير المواهب المنائح، وأسير على الألسن وأذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر، وإن كان ذمًا، كان مسه أوجع، وميسمه أذع، ووقعه أشده، وحده أحد، وإن كان حجابًا، كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر، وإن كان افتخارًا، كان شأوه أمد، وشرفه أجد، ولسانه ألد، وإن كان اعتذارًا، كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب، وللسخائم أسل، ولغرب الغضب أفل، وفي عقد العقود أنفت، وعلى حسن الرجوع أبعث، وإن كان وعظًا، كان أشفى للصدر، وأدعي إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر بأن يجلي الغياية، ويبصر الغاية، ويبصر العليل، ويشفي الغليل»^(٢).

ولقد ضرب الله الأمثال في القرآن لتكون لهم صورة حية في آذانهم، والله تعالى المثل الأعلى عن الشرك والمثيل فنهانا عن أن نضرب له الأمثال؛ لأنه عال عن

(١) هو: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضح أصول البلاغة. كان من أئمة اللغة. من أهل جرجان (بين طبرسات وخراسان) له شعر رقيق، من كتبه «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز»، توفي سنة ٤٧١هـ - ١٠٧٨م، ينظر: الأعلام للزركلي: ٤/ ٤٨.

(٢) ينظر: أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، بدون ط، ١ / ١١٥.

ذلك، يقول الله تعالى ﴿فَلَا تَضُرُّوهُ اللَّهُ الْأَمْثَالُ﴾^(١).

يقول الحكيم الترمذي: «فالأمثال نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتهدّي النفوس بما أدركت عياناً، فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها، ليعقلوا بها فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة، فمن عقل الأمثال سماه الله تعالى في كتابه عالمًا لقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٢)، فالأمثال مرآة النفس^(٣)، والأنوار أنوار الصفات مرآة القلب، وإن الله تعالى جعل على الأفئدة أسماعاً وأبصاراً وجعل في الرؤوس أسماعاً وأبصاراً، فما أدركت أسماع الرؤوس وأبصارها، أيقن به القلب، واستقرت النفس، واتسعت في علم ذلك، وانشرح صدره بذلك، وما غاب عن أسماع الرؤوس وأبصارها، وجاءت أخبارها عن الله، وتلك الأشياء مكنونة، أيقن القلب بذلك،

(١) سورة: النحل، من الآية (٧٤).

(٢) سورة العنكبوت من الآية (٤٣).

(٣) النفس هي: الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، وسماها الحكيم: الروح الحيوانية، فهو جوهر مشرق للبدن عند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه. وأما في وقت النوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه، فثبت أن النوم والموت من جنس واحد؛ لأن الموت هو الانقطاع الكلي، والنوم هو الانقطاع الناقص، فثبت أن القادر الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أضرب: الأول إن بلغ ضوء النفس إلى جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه، فهو اليقظة، وإن انقطع ضوءها عن ظاهره دون باطنه، فهو النوم، أو بالكلية، فهو الموت.

النفس الأمارة: هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية، وتأمّر باللذات والشهوات الحسية، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية، فهي مأوى الشرور، ومنبع الأخلاق الذميمة. نفس اللوامة: هي التي تنورت بنور القلب قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة، كلما صدرت عنها سيئة، بحكم جبلتها الظلمانية، أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها. النفس المطمئنة: هي التي تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة، وتخلقت بالأخلاق الحميدة، ينظر التعريفات، للجرجاني باب (النون): ص ٢٤٢. ٢٤٣.

ولكن تحيرت النفس وتذبذبت، وإن النفس مستقرها في الجوف والقلب مستقرة في فوق النفس»^(١).

الهدف من ضرب الأمثال في القرآن:

والهدف من ضرب الأمثال في القرآن نجد أن الغاية منه: تثبيت العقيدة في قلوب أهل الإيمان، وبيان التوحيد الذي من أجله بعث الله الأنبياء، ونجد أن ضرب الأمثال له أسلوب خاص ينساق في صورة بيانية حتى يكون له صдаه في النفوس والقلوب.

يقول الحكيم الترمذي: «إن أساليب الأمثال تساق في صورة من الإعجاز البياني لأولى الألباب، حتى تكون صمام أمان من عذاب الله الذي أعده للكافرين، وتبرز تلك المعاني المجردة في صورة محسوسة، أو الأشياء المتخلية، أو المتوهمة في صورة متحققة، أو متيقنة من التمثيل الحركي، أو القول، حتى يكون لذلك صداه في نفس المتلقي، أو المشاهد، فينطبع في ذاكرته، ويصل إلى قرار فؤاده، فلا يمحي على مر الأيام»^(٢).

ويرى الباحث أن ضرب الأمثال في سورة الروم له أهداف متعددة منها:

الأهداف الاعتقادية والتي تشمل:

١ - البرهان على وجود الله وتوحيده بالعبادة، وذلك في الدليل الوارد في السورة في قول الله تعالى: ﴿صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٣).

(١) ينظر: الأمثال من الكتاب والسنة، محمد بن علي الحسن بن بشر أبو عبد الله، الحكيم

الترمذي، دار ابن زيدون، دار أسامة، بيروت - دمشق، بدون ط: ١ / ١٣ - ١٤.

(٢) ينظر: عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن: علي أحمد عبد العال الطهطاوي: دار الكتب

العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م: ١ / ١٧٦ - ١٧٧ بتصرف

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٨.

يقول القاسمي «ضرب لكم مثلاً، أي يتبين به بطلان الشرك من أنفسكم، أي منتزعا من أحوالها، وهي أقرب الأمور إليكم وأظهر كشفاً هل لكم من ما ملكت أيما نكم، أي من العبيد والإماء من شركاء في ما رزقناكم، أي من الأموال وغيرها فأنتم فيه سواء، أي متساوون في التصرف فيما ذكر من غير مزية تخافونهم، أي تهابون أن تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم.. ، أي: لا ترضون بأن يشارككم فيما هو معار لكم ممالككم، وهم أمثالكم في البشرية، غير مخلوقين لكم، بل لله تعالى. فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصه الذاتية، مخلوقه بل مصنوع مخلوقه، حيث تصنعونه بأيديكم ثم تعبدونه؟^(١).

٢ - من أهداف ضرب الأمثال في سورة الروم (البرهان على البعث)، والدليل على ذلك من السورة قول الله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

يقول الإمام النسفي في معنى هذا الدليل: ﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ﴾ بالنبات وأنواع الثمار ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي الله ﴿لَمُحْيِ الْمَوْتِ﴾ يعني أن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم، فهذا استدلال بإحياء الموات على إحياء الأموات^(٣).

ويقول أبو السعود في بيان هذا الدليل الذي هو برهان واضح على قضية البعث وبيان قدرة الله تعالى: «لقادر على إحيائهم، فإنه إحداث لمثل ما كان في مواد أبدانهم من القوى الحيوانية، كما أن إحياء الأرض إحداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية، أو لمحييهم البتة وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تذييل مقرر

(١) ينظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي: ٨ / ١٣.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٠.

(٣) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٢ / ٧٠٦.

لمضمون ما قبله، أي مبالغ في القدرة على جميع الأشياء التي من جملتها إحيائهم لما أن نسبة قدرته إلى الكل سواء»^(١).

قول الله تعالى: ﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٢) إن هذا المقطع اشتمل من السياق على ثلاثة أنواع من الأدلة العقلية هي:

الأول: القياس التمثيلي^(٣)، المتمثل بتشبيه بعث الناس بعد موتهم بحياة الأرض بعد موتها^(٤)، قال الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾^(٥).

(١) ينظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي: ٦٥ / ٧.

(٢) سورة: الروم، من الآية (٥٠).

(٣) اعلم أن القياس إما جلي، وهو ما تسبق إليه الأفهام، وإما خفي، وهو ما يكون بخلافه، ويسمى: الاستحسان؛ لكنه أعم من القياس الخفي؛ فإن كل قياس خفي استحسان، وليس كل استحسان قياساً خفياً؛ لأن الاستحسان قد يطلق على ما ثبت بالنص وبالإجماع والضرورة، لكن في الأغلب إذا ذكر الاستحسان يراد به القياس الخفي.

القياس الاستثنائي: ما يكون عين النتيجة أو نقيضها مذكوراً فيه بالفعل، كقولنا إن كان هذا جسماً فهو متحيز، لكنه جسم، ينتج أنه متحيز، وهو بعينه مذكور من القياس، أو لكنه ليس بمتحيز، ينتج أنه ليس بجسم، ونقيضه قولنا: إنه جسم مذكور في القياس. ينظر: التعريفات: للجرجاني، باب القاف، ص ١٨١، وينظر: المرشد السليم في المنطق القديم والحديث، اد/عوض الله حجازي، رئيس جامعة الأزهر الأسبق: ١ / ١٣٩ وما بعدها، وينظر التعريفات الفقهية: محمد تميم الإحسان البركتي: ص ١٧٩.

(٤) فالقياس التمثيلي أصل القياس الشمولي أما أن يكون سبباً في حصوله، وأما أن يقال لا يوجد بدونه، ينظر: الرد على المنطقيين: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان: ١ / ٢٣٣.

(٥) سورة: الروم، الآية (١٩).

الثاني: قياس الأولى^(١) المتمثل في أن من كان قادراً على خلق الأعظم فقدوته على ما دونه في الخلق تكون من باب أولى.

ومن الآيات التي تثبت ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٢) جواباً لمن قال: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٣).

وجه الاستدلال بهذه الآية: أن الله سبحانه استدل على ما أنكره منكرو البعث بالقياس، فإن الله سبحانه قاس إعادة المخلوقات بعد فنائها على بدء خلقها وإنشائها أول مرة، لإقناع الجاحدين بأن من يقدر على بدء خلق الشيء وإنشائه أول مرة، قادر على أن يعيده، بل هو أهون عليه^(٤).

وذلك أن الله ذكر خلق السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات العظيمة - التي هي أعظم من إعادة خلق الناس، وبعثهم من قبورهم - وذكر قيامهما بأمره - سبحانه - فتكون إعادة خلق الناس، وقيامهم بأمره واقع من باب أولى.

(١) قياس الأولى؛ وهو أن يكون الغائب أولى بالحكم من الشاهد، يقول ابن تيمية «قياس الأولى» كما قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة النحل: ٦٠]. إذ لا يدخل الخالق والمخلوق تحت قضية كلية تستوي أفرادها ولا يتماثلان في شيء من الأشياء بل يعلم أن كل كمال - لا نقص فيه بوجه - ثبت للمخلوق فالخالق أولى به وكل نقص وجب نفيه عن المخلوق فالخالق أولى بنفيه عنه وأمثال هذه «الأقيسة العقلية» التي من نوع الأمثال المضروبة في القرآن، ينظر: مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م: ١٢ / ٣٤٩.

(٢) سورة: يس، من الآية (٧٨).

(٣) سورة: يس، من الآية (٧٧).

(٤) ينظر: علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف: مكتبة الدعوة - شباب الأزهر، الطبعة الثامنة، دار القلم: ١ / ٥٦.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾^(١).

الثالث: قياس الأولى^(٢) المتمثل فيما استقر في العقول، مِنْ أَنْ مَنْ صَنَعَ شَيْئاً، فَإِنَّهُ يَكُونُ قَادِراً عَلَى إِعَادَةِ صَنْعِهِ مِنْ بَابِ أُولَى وَهِيَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ.

فلو طبقوا هذه القاعدة المستقرة في عقولهم لتوصلوا إلى إثبات إمكان البعث، إذ إن المعيد للخلائق هو الذي خلقهم أول مرة، فعلى ذلك الحكم عندهم يكون أهون عليه، وإن كان الله تعالى كل شيء عنده هين.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

يقول ابن القيم: «فماس النشأة الثانية على النشأة الأولى في الإمكان، وجعل النشأة الأولى أصلاً، والثانية فرعاً عليها، وقاس حياة الأموات بعد الموت على حياة الأرض بعد موتها بالنبات، وقاس الخلق الجديد الذي أنكره أعداؤه على خلق السماوات والأرض، وجعله من قياس الأولى كما جعل قياس النشأة الثانية على الأولى من قياس الأولى»^(٤).

(١) سورة: الروم، الآيات (٢٢-٢٥).

(٢) «فإن كانت» العلة «قطعية» كقياس الضرب للوالدين على قول أف، بجامع أنه إيذاء «ف» القياس «قطعي، وهو» أي هذا القياس يسمى «قياس الأولى»؛ لأن الإيذاء بالضرب أولى بالمنع، ينظر: شرح الكوكب المنير، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح المعروف بابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م: ٤ / ١٠٥.

(٣) سورة: الروم، الآية (٢٧).

(٤) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التحرير: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ: ٢ / ٢٤٨.

فهنا قياس الإعادة على البدء والإعادة أسهل من البدء، وكلا من الإعادة، والبدء هين على الله تعالى، يقول الشيخ مصطفى الزرقا: «والقياس: جعل الحكم في المقيس مثل الحكم في المقيس عليه بعلّة واحدة فيهما، وهو حجة عند الفقهاء والمتكلمين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَبْعَةٌ﴾^(١)؛ لأن الاعتبار هو النظر في الثابت لأي معنى ثبت وإلحاق نظيره به، وهو القياس بعينه»^(٢).

وقد ذكر في هذا السياق ثلاثة أدلة عقلية على إمكان البعث بعد الموت هي:

- ١ - القياس التمثيلي: بقياس إمكان إحياء الناس بعد موتهم على ما يشاهدونه من إحياء الأرض بعد موتها.
- ٢ - قياس الأولي: المتمثل بكون القادر على خلق العظيم وتدبيره كالسموات والأرض وما فيهما، قادر على خلق ما دون ذلك كبعث الناس من باب أولى.
- ٣ - قياس الأولي: المتمثل في أن الذي خلق الناس أول مرة يكون قادراً على إعادة خلقهم مرة أخرى من باب أولى.

واستنتج^(٣) من هذه الأدلة أن القضية المستدل لها، والقضايا المستدل بها جميعها من آثار صفة الخلق، مما يدل على أن المشركين يثبتون لله أصل صفة الخلق، لكن لا يثبتون له كمالها وشمولها، وأن الله قادر على خلق كل شيء يريده سبحانه، وهذه حالهم في كثير مما يثبتونه لله كالألوهية والعلم، ونحوها، فهم يثبتون لله من تلك الصفات أدنى مما هو ثابت له - سبحانه - والله تعالى يبين لهم أن له المثل

(١) سورة الحشر من الآية: (٢).

(٢) ينظر: شرح القواعد الفقهية: أحمد بن الشيخ محمد الزرقا: دار القلم - دمشق - سوريا، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م: ١ / ١٥١ بتصرف يسير.

(٣) نتيجة الشيء ثمرته، فنتيجة الكتاب خاتمته التي تتضمن المسائل الأساسية، ونتيجة المؤتمر قراراته. ، والنتيجة قضية تلزم عن قضايا أخرى تسمى بالمقدمات sessimerP وهي عند المنطقين القول اللازم من القياس، ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا: ٢ / ٤٥٩.

الأعلى، وأن له من تلك الصفات وغيرها من صفات الكمال كمالها الذي لا يدانيه فيها غيره، ولا يعجزه معها شيء^(١).

إنّ الأمثال في القرآن صورة واضحة لصرف الناس عن الجدل بالباطل والتمسك بالحق والبعد عن الشرك، وذلك لأن الشريك في الألوهية لا يملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً، وبالتالي فإنه لا يملك رزقاً، ولقد ورد الدليل على هذا في سورة الروم في قول الله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢).



(١) ينظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع: ٣ / ٩٠٠.

(٢) سورة الروم الآية: ٤٠.

المبحث الرابع

إثبات صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ

عن طريق الإخبار بالغيب من خلال سورة الروم

أولاً - من دلائل صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ الإخبار بالغيب :

لقد أرسل الله رسوله ﷺ إلى الناس برسالة خالدة تلك الرسالة الخاتمة مهيمنة على الرسالات السابقة^(١)، وُبعث الرسول ﷺ إلى العرب، وهم أهل فصاحة وبلاغة،

(١) يقول الشهرستاني: «ولن يتصور وضع الملة وشرع الشرعة إلا بواضع شارع يكون مخصوصا

من عند الله بآيات تدل على صدقه، وربما تكون الآية مضمنة في نفسا، وقد تكون ملازمة وربما تكون متأخرة. ثم اعلم أن الملة الكبرى هي ملة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَام، وهي الحنيفية

التي تقابل الصبوة تقابل التضاد، قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ

وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا

لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ

مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿[سورة الحج: ٧٨]. والشريعة ابتدأت من نوح عَلَيْهِ السَّلَام. قال

الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ

وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ

يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿[سورة الشورى: ١٣]. والحدود والأحكام ابتدأت من آدم، وشيث،

وإدريس رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وختمت الشرائع والملل والمناهج والسنن بأكملها وأتمها حسنا وجمالا بمحمد

ﷺ. قال الله تعالى: ﴿حَرِّمْتُ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْخَنِزِيرَ وَمَا أَهْلُ الْغَيْبِ اللَّهُ بِهِمُ الْمُنْخَفَاتُ وَالْمَوْفُودَةُ

وَالْمَرْدِيَّةُ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلِ ذَلِكُمْ

فَسَقِئَ الْيَوْمَ يَاسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ ﴿[سورة

المائدة: ٣]. ومن هنا فإن الله تعالى قد ختم الرسالات السماوية بسيد البشر، فهو اللبنة =

فتحدهم بالقرآن الكريم في أن يأتوا بمثله فعجزوا عن الإتيان بمثله، أو أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات فعجزوا عن ذلك، أو بسورة منه فعجزوا عن الإتيان بسورة منه، وعجزهم دليل على أن هذا القرآن من عند الله تعالى ومن هنا كانت معجزة القرآن ناطقة بنبوة الرسول ﷺ وصدق دعوته، وأنه رسول من عند الله، وكذلك مما يدل على صدق دعوة الرسول الخاتمة، إخباره بالمغيبات المستقبلية التي تقع في المستقبل والتي لا سبيل لها إلا عن طريق الوحي.

الأدلة على صدق دعوة نبوة سيدنا محمد ﷺ من سورة الروم:

قال تعالى: ﴿الَمْ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَذْنِ الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۝٤ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَذِي يَقْرَأُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾.

ففي هذه الآيات السابقة، إخبار بصدق نبوة سيدنا محمد ﷺ حيث تحقق النصر للروم^(٢) على الفرس^(٣)، كما أخبر بذلك الرسول في بضع سنين^(٤).

= المكملة لقواعد الدين، كما جاء في الحديث الذي يوضح فيه الرسول ﷺ مكانته من الأنبياء السابقين، ينظر: الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: مؤسسة الحلبي، بدون ط: ١ / ٣٩.

(١) سورة الروم الآيات: ١، ٤.

(٢) الروم، وهم: جيل من الناس، وهم من ولد الروم ابن عيصو، يقال: رومي وروم، كما يقال: زنجي وزنج. وفارسيًا: منسوب إلى فارس البلاد المعروفة، ورومي وفارسي إشارة إلى نوعين من الخياطة كانا معروفين. ، ينظر: المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البجلي، أبو عبد الله، شمس الدين، مكتبة السوادى للتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م: ١ / ٣١٧.

(٣) الفرس، وهم بنو فارس بن المرزبان بن الأسود بن فارس بن يهوذا بن يعقوب. وقد قيل في فارس غير ذلك. وقد مضى ذكر الاختلاف فيما تقدم ما يغني عن تكرار ذلك وأعادته. ينظر: الأنساب (أنساب العرب) تاريخ العوتبي، أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري العوتبي (العُماني الإباضي) نسبة إلى عوتب وهي منطقة في صحار كانت تسمى في القديم: عوتب الخيام، بدون ط، وبدون نشر: ١ / ٥١.

(٤) كان إلى الغرب والشمال من الجزيرة العربية المملكة البيزنطية الروم، وفي يديها مصر =

أقوال العلماء حول هذا الدليل :

يقول أبو منصور الماتريدي في هذا الدليل الوارد في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي حَقِّ الْحَقِّ وَالْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴿١﴾﴾: «إن في ذلك آية عظيمة في إثبات رسالة نبينا مُحَمَّد - صلوات الله عليه - ونبوته وصدقه ما لم يجد الكفار فيه مطعناً، ولا النسبة إلى الكذب والافتراء، على ما قالوا وطعنوا في سائر الآيات والأنباء، كقولهم: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ ﴿٢﴾﴾، ونحو ذلك من المطاعن التي طعنوا في القرآن والأنباء المتقدمة؛ حيث قالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ

= والشام، وإلى الشرق والجنوب منها مملكة الفرس وفي يديها العراق واليمن، وكلتا المملكتين كانت طامعة في السيطرة على الجزيرة العربية، وكانت بينهما بسبب ذلك حروب طاحنة امتدت حقبة طويلة. ولقد أظل الإسلام الجزيرة والحرب قائمة، لم تخمد نارها إلا وحين أخفق الروم في بسط نفوذهم على الجزيرة حرباً أخذوا ينفذون إليها سلماً، فمدوا أيديهم إلى الغساسنة في شمالي الجزيرة يجعلون منهم أعوانهم على هذا الغزو السامي، وكما فعل الرومان فعل الفرس، فإذا هم الآخرون يمدون أيديهم إلى المناذرة، ملوك الحيرة في الشرق، يجعلون منهم أعوانهم على الوقوف أمام الغزو الروماني. وإذا كان الروم نصارى لقن الغساسنة طرفاً من النصرانية، وإذا كان الفرس مجوساً أخذ المناظرة بطرف من المجوسية، وإذا النصرانية تعرف طريقها إلى الجزيرة العربية عن طريق الشام، كما التمس المجوسية طريقها إلى الجزيرة العربية عن طريق الحيرة، وإذا الحرب التي كان يلتقى فيها السيف بالسيف، تصبح وقد التقى فيها الرأي بالرأي، يقف المجوس، ومن ورائهم اليهود والنصارى، ويقف النصارى للمجوس واليهود، والجزيرة العربية تشهد هذا الصراع في الرأي فتشارك فيه، موزعة بين المجوسية واليهودية والنصرانية، ويزيد البيئة العربية توزعاً توزع اليهود إلى ربانيين وقرائين وسامريين، وتوزع النصارى إلى يعاقبة ونساطرة وأريوسيين، هذا إلى توزع الجزيرة العربية توزعاً آخر بين عبادة الكواكب وعبادة الأصنام. ينظر: الموسوعة القرآنية إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، مؤسسة سجل العرب، الطبعة ١٤٠٥هـ: ٣/١.

(١) سورة الروم الآيات: ١، ٤.

(٢) سورة النحل من الآية: ١٠٣.

الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾، ﴿مَا هَذَا إِلَّا فُكٌّ مُفْتَرَى﴾ (٢) مثلها لم يجدوا فيما أخبر من غلبة الروم على فارس؛ لأنه أخبر عن غلبة ستكون وستحدث لا عن غلبة قد كانت، ومثل هذا لا يدركه البشر ولا يستفاد منهم؛ إذ لا يبلغه علم البشر ولا يدرك بالقياس بالسابق من الأمور، فإذا كان على ما أخبر دل أنه بالله علم ذلك، وبوحي منه إليه عرف ذلك. وهم جائز أن يستدلوا بما كان من قبل من غلبة فارس على الروم أن يقولوا: تغلب فارس على الروم بما شاهدوه مرة أو بوجوه آخر يستدلون بذلك؛ من نحو أن يقولوا: إنهم أهل كتاب وعبادة يكونون مشاغل بالنظر فيها والعمل ببعض ما فيها لا يتفرغون للقتال والحرب. أو أن يقولوا: إنهم نصارى (٣) - أعني: أهل الروم - وليس في سنتهم، ومذهبهم القتال والحرب، فيستدلون بمثل هذه الوجوه على أن لا غلبة تكون لهم ولا ظفر (٤).

(١) سورة الأنفال من الآية: ٣١.

(٢) سورة سبأ من الآية: ٤٣.

(٣) النصرانية لغة: قيل: نسبة إلى نصرانة، وهي قرية المسيح عليه السلام من أرض الجليل، وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية، والنسبة إلى الديانة نصراني، وجمعه نصارى.

واصطلاحاً: هي دين النصارى الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام، وكتابهم الإنجيل. ينظر: موسوعة الملل والأديان، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، تم تحميله في ربيع الأول ١٤٣٣ هـ، ج ١، ص ٢١٥.

(٤) الظفر ظفر الإصبع وظفر الطائر والجميع الأظفار وجمع الأظفار أظافير لأن أظفار بوزن إعصار، تقول: أظافير، ويقال للرجل: إنه لمقلوم الظفر عن أذى الناس، إذا كان قليل الأظنية لهم، ويقال للمهين الضعيف: إنه لكليل الظفر لا ينكي عدواً، ويقال: ظفر فلان في وجه فلان إذا غرز ظفره في لحمه فحقره، وكذلك التطهير في القضاء والبطيخ والأشياء كلها، والأظفار شيء من العطر أسود شبيهه بظفر مقتلف من أصله يجعل في الدخنة ولا يفرد منه الواحد، وربما، وهذا في الطيب وإذا أفرد شيء من نحوها ينبغي أن يكون ظفراً وفوها وهم يقولون: أظفار وأظافير، والظفرة جليلة تغشي العين تنبت من تلقاء الماق، ينظر: تهذيب اللغة، =

وأما أهل الإسلام ليس لهم شيء من تلك الوجوه ولا غيرها وجه الاستدلال بغلبة أولئك، فما قالوا ذلك إلا وحيًا من الله إليه وإعلامًا منه إياه، فكان في ذلك أعظم آية لصدق رسوله وأكبرها فيكون فرح المؤمنين وذكر نصر الله بإظهار تلك الآية في تصديق رسوله؛ إذ نصر رسوله حيث أظهر صدقه ورسالته^(١).

فهذه الآية دلت على صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ، وأيضا الأمر المعجز نراه في افتتاح سورة (الروم) بالحروف المقطعة (الم) دلالة على أن ما يأتي: بعده أمر معجز فيجب الالتفات إليه وهو، الإخبار بصدق النبي في إخباره بالمغيبات المستقبلية التي وقعت بالفعل، وإلى هذه الإشارة يقول الفخر الرازي «وهذه السورة ذكر في أولها ما هو معجزة وهو الإخبار عن الغيب، فقدمت الحروف التي لا يعلم معناها ليتنبه السامع فيقبل بقلبه على الاستماع، ثم ترد عليه المعجزة وتقرع الأسماع»^(٢).

ومن المعلوم أن المجوس ليسوا بأهل كتاب والروم أهل كتاب وفرح المشركون بذلك لأنهم كانوا يحبون النصر للمجوس، ولكن النصر قد تحقق لأهل الروم في البضع^(٣) التي حددها القرآن الكريم، وهذا إن دل فإنما يدل على أن القرآن من عند الله، وأيضا دليل على صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ الذي أخبر بذلك، وإلى هذه الإشارة السابقة يقول الإمام النسفي «وهذه آية بينة على صحة نبوته وأن القرآن من عند الله لأنها إنباء عن علم الغيب»^(٤).

= محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م: ١٤/٢٦٣.

(١) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) أبو منصور الماتريدي: ٨ / ٢٤٩.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي: ٢٥ / ٨٠.

(٣) البضع: اسمٌ لمفرد مبهم، من الثلاثة إلى التسعة. وقيل: البضع: ما فوق الثلاثة، وما دون التسعة، وقد يكون البضع بمعنى: السبعة؛ لأنه يجيء في المصابيح: الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، أي سبع. ينظر: التعريفات: ٤٦/١.

(٤) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ج ٢، ص ٦٩٠، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى: ٧ / ٤٩.

ومما يدل على إعجاز القرآن الكريم إخباره عن المغيبات المستقبلية كانتصار الروم على فارس في المدة التي حددها القرآن الكريم، وغيرها من الحوادث التي وقعت فهذا يدل على صدق دعوة الرسول وصدق القرآن العظيم.

جاء في هذا المعنى قول القاضي عبد الجبار: «إن الإعجاز جاء فيما ورد في القرآن من الإعلام عن الغيوب وعن حوادث الأمم السابقة وتاريخها وعقائدها، فقد أشار القرآن إلى حوادث ستقع في المستقبل ثم وقعت كما حدث، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿الْعَلَمَ ۝ غَلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾^(١).

فقد حصل أن الفرس غلبت الروم، فأخبر القرآن عن هذه الواقعة، وأخبر أن الروم سينتصرون من خصومهم في بضع سنين، وتم ذلك فعلاً، وبما أن الإنسان لا يقدر على علم الغيب فإن القرآن منزل من قبل الله، وفيه من الإعجاز ما فيه.

ثم إن القرآن تحدث عن تاريخ الأمم السابقة وأديانها حديث العليم بكل صغيرة وكبيرة من أحداثها وشؤونها، ولما كان الرسول ﷺ أمياً لم يطلع على كتب الأقدمين - التي لا تشير هي أيضاً بدقة إلى تلك الأمور - فلا بد أنه تعالى هو الذي أخبر نبيه بهذه الأشياء^(٢)، وفي الغلبة قوة وشدة من جهتين: البدن والعقل، (غلبت) فعل ماض مبني للمجهول يدل على القوة والشدة^(٣) أي: قوة الساعد والسلاح، مع قوة التفكير والتخطيط والمكر؛ بدليل الفرق الدقيق بين الغلبة والقهر، فالغلبة تكون بفضل القدرة وبفضل العلم، يقال: «قاتله فغلبه»؛ لفضل قدرته. ويقال: «حاجّه فغلبه»؛ بفضل علمه وفطنته.

ولا يكون القهر إلا بفضل القدرة؛ ألا ترى أنك تقول: «ناوأه فقهرة»، ولا تقول:

(١) سورة الروم الآيات: ١، ٤.

(٢) ينظر: تثبیت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار: ص ٥.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤ / ٣٨٨.

«حَاجَهُ فَقَهْرُهُ». ولا تقول: «قَهْرُهُ بِفَضْلِ عِلْمِهِ»، ولكنك تقول: «غلبه بِفَضْلِ عِلْمِهِ؟» وعلى هذا فمعنى الغلبة: القدرة على كسر حد الشيء عند مقاومته بفضل القدرة مع العلم^(١).

وبهذا يتبين أن الغلبة ليس شرطها الوحيد كثرة العدد والعدة، بل يدخل فيها عوامل نصر معنوية كحسن التخطيط العسكري والانسجام بين القادة وأفراد الجيش (الروم): اسم أطلقه العرب على البيزنطيين سكان الإمبراطورية الرومانية الشرقية^(٢).

فالمتصفح لنصوص الكتاب والسنة ومصادر التاريخ العربي يجدهم كانوا يعبرون عن البيزنطيين بـ: «الروم»^(٣) ويعود سبب تسميتهم بالبيزنطيين نسبة إلى عاصمتهم (بيزنطة/ القسطنطينية) التي أقيمت على أنقاض قرية أسسها بيزاس (Byzas) أحد زعماء اليونانيين في القرن السابع قبل الميلاد، وقد ازدهرت بعد أن اعتنق الإمبراطور قسطنطين (Constantin) المسيحية، وغيّر اسمها، وجعلها العاصمة الدينية للمسيحيين سنة (٣٣٠م يوم ١١ مايو = ٢٩٥ ق. هـ.)، وزاد مجدها بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية وعاصمتها روما بيد قبائل بربرية أوروبية سنة (٤٧٦م = ١٥٠ ق. هـ.)، وبقيت مزدهرة إلى أن فتحها المسلمون على يد الخليفة محمد الفاتح سنة (١٤٥٣م = ٨٥٦ هـ)^(٤). ومن هنا فإننا نرى أن انتصار الروم على الفرس كان موافقاً لانتصار المسلمين في غزوة (بدر) عام ٦٢٥م أي العام الثاني من الهجرة.

أدنى الأرض: «الأدنى: الأقرب، أي: أقرب أرض الروم إلى أرض العرب؛ لأن

(١) ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص ١٠٥، ١٠٦.

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (ر وم): ٢ / ٩٦٢.

(٣) ينظر: الامبراطورية البيزنطية وحضارتها، د/ محمود عمران، دار النهضة العربية، ط ١،

١٤٢٢هـ، ص ١٢.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص ١٣.

الألف واللام للتعريف، والمعهود عند العرب أرضهم^(١)، (بِضْع): البضع من ثلاثة إلى عشرة، فإذا جاوز العشرة ذهب البضع^(٢). ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ ۖ يَنْصُرُ اللَّهُ﴾: في ذلك اليوم سيفرح المؤمنون بنصر الله، لسببين رئيسين:

١ - إشارة إلى أن تاريخ سماع خبر انتصار الروم على الفرس سيوافق تاريخ يوم نصر يخص المؤمنين على عدوهم وهو يوم بدر^(٣).

(سَيَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ) بنصر الروم على فارس، فالروم أهل كتاب وأضعف من الفرس، كما سيفرح المسلمون بنصر الله إياهم في أن صدق وعده الذي أخبر به نبيه من أن الروم ستغلب فارس؛ فإن هذا ضرب من النصر عظيم^(٤).

في ذلك اليوم سوف «يفرح المؤمنون بقتل الكفار بعضهم بعضاً؛ لما فيه من كسر شوكتهم، وتقليل عددهم . لا بظهور الكفار . كما يفرح بقتل الظالمين بعضهم

(١) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي: ٢٥ / ٨٠، وحددها أكثر العلماء بمنطقة (أذرعاً) قرب درعا جنوب الشام. ينظر تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملّي، أبو جعفر الطبري، دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ، ج ٢، ص ١٨٤، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: ٣٢٧/٤. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٦ / ٣٠٣.

(٢) ينظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، باب (ب ض ع): ١ / ٣٥٢. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الدليمي الفراء، دار المصرية للتأليف والترجمة: ٢ / ٤٦. جامع البيان للطبري: ١٦ / ١١٧، تاج العروس: ٢٠ / ٣٣٢. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسّي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م: ١ / ٤١٩.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير: ٦ / ٣٠٤، تفسير الزمخشري: ٣ / ٤٦٧، التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، شركة دار الأرقم، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ: ٢ / ١٣٠.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٣٢٤/٤.

بعضاً^(١).

الله رحيم بالمسلمين، فالعرب استقر في ذهنها أن الفرس أشرس في الحروب من الروم، وكانوا يخشونهم أكثر من الروم^(٢)، لذا فإن انكسار شوكة الفرس ومقتل أبرز قادتهم العسكريين المعروفين بسطوتهم وبأسهم في الحرب يعني أن أي حرب قادمة بينهم وبين المسلمين ستكون أيسر.

والفطرة تحب أن يغلب العدو الأصغر؛ لأنه أيسر مؤونة، ومتى غلب الأكبر كثر الخوف منه^(٣).

عناية العلماء ببيان صدق الإخبار بالغيب في أول سورة الروم:

احتج العلماء بالآية الكريمة كمثال على صحة الوحي للنبي محمد ﷺ؛ لأن فيها صدقاً في الإخبار بالغيب المستقبل، فجعل الزجاج من أدلة صحة الوحي: «الإخبار بما سيكون كقوله: ﴿عُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَذْنِ الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝﴾ في يَضَعُ سِنِينَ».

فوجد من ذلك ما أنبأ به^(٤).. إن أول سورة الروم «آية عظيمة في إثبات رسالة

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي: ١١ / ٢٢ وما بعدها.
 (٢) يؤيد هذا الرأي اشتراط المثنى بن حارثة الشيباني على رسول الله حين عرض الإسلام على بني شيبان. قبل الهجرة. أن لا يجبرهم على جهاد الفرس بعد إسلامهم؛ خوفاً منهم.. ولم يقل ذلك عن الروم. ومما قال: «أما ما كان من أنهار كسرى لمن تعد على الأراضي الخاضعة لدولة فارس] فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، وأما ما كان من مياه العرب [من حروب داخلية بين العرب داخل أرضهم] فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول» ينظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس، اليعمرى الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين، دار القلم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م: ١ / ١٧٩.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٤ / ٣٢٨.

(٤) يراجع: معاني القرآن للزجاج: ٢ / ٢٥٠.

نبينا مُحَمَّد - صلوات الله عليه - ونبوته وصدقه ما لم يجد الكفار فيه مطعناً، ولا النسبة إلى الكذب والافتراء، على ما قالوا وطعنوا في سائر الآيات والأنباء، كقولهم: «إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ»^(١)، ونحو ذلك من المطاعن التي طعنوا في القرآن والأنباء المتقدمة، حيث قالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٢) ﴿مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾^(٣) مثلما لم يجدوا فيما أخبر من غلبة الروم على فارس؛ لأنه أخبر عن غلبة ستكون وستحدث لا عن غلبة قد كانت، ومثل هذا لا يدركه البشر ولا يستفاد منهم؛ إذ لا يبلغه علم البشر ولا يُدرك بالقياس بالسابق من الأمور، فإذا كان على ما أخبر: دلَّ أنه بالله عِلْمٌ ذلك، وبوحيٍّ منه إليه عَرَفَ ذلك^(٤)، ففيها قد تحقق نصر الله بـ «إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من كيف لا يكون كذلك وهو غلبة الروم»^(٥) غيب أُخْبِرَ به وأُخْرِجَ الوجود^(٦).

إن هذا الإخبار بالغيب ما كان صدفة - وحاشاه - بل عِلْمٌ يقيني صدقه الواقع، فقد جعل القرطبي من الأدلة على صدق الوحي: «الإخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يُطَّلع عليها إلا بالوحي، ثم ذكر آية الروم وقال: فهذه كلها أخبار عن الغيوب التي لا يقف عليها إلا رب العالمين - أو مَنْ أوقفه عليها رب العالمين - فدل على أن الله تعالى قد أوقف عليها رسوله، لتكون دلالة على صدقه»^(٧).

(١) سورة النحل: من الآية ١٠٣.

(٢) سورة الأنعام: من الآية ٢٥.

(٣) سورة الفرقان: من الآية ٤.

(٤) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، أبو منصور الماتريدي: ٨ / ٢٤٩.

(٥) ينظر: الكشف للزمخشري: ٣ / ٤٧٦.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٤ / ٣٢٨، ولكنه لا يعد كذلك من وجوه الإعجاز كما بينه

في مقدمة تفسيره: ١ / ٣٨.

(٧) ينظر: تفسير القرطبي: ١ / ٧٣-٧٥.

ولهذا نظر إليها كثير من العلماء من جهة كونها من دلائل الإعجاز^(١)، وقد عقد الشوكاني في النوع الثامن والثلاثين من أنواع علوم القرآن: «معرفة إعجازه» ومما جاء فيه: «الإخبار عن الغيوب المستقبلية، ولم يكن ذلك من شأن العرب، كقوله تعالى: ﴿عُلِّيتِ الرُّومُ﴾، لكنه تحفّظ على هذا الرأي بقوله: «هذا القول يستلزم أن الآيات التي لا خبر فيها بذلك لا إعجاز فيها، وهو باطل؛ فقد جعل الله كل سورة معجزة بنفسها»^(٢).

ويظهر بوضوح صحة الاخبار بالغيب في هذه الآية الكريمة، كما يشير إلى ذلك الشيخ رشيد رضا حيث يرى «أن ما جاء به محمد إنما هو وحي بعيداً عن التأويل عن الإخبار بالغيب وهو الإخبار عما سيكون في مستقبل الزمان، فما جاء به محمد ﷺ منها في وحي القرآن وغيره أظهر وأوضح وأبعد عن احتمال التأويل، وأعصى على إنكار المرتابين، ويزيد عليه ما جاء به من أنباء الغيب الماضية»^(٣).

(١) عد بعض العلماء الاخبار بالغيب وجها من وجوه الإعجاز عن دلالة أول سورة الروم على صدق الوحي. ينظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جُردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ، ص ٢٥٦. الشفا بتعريف حقوق المصطفى - أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م: ١ / ٢٦٨. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة: ٢ / ٣٧٠. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٧٧، إعجاز القرآن للباقلاني، أبو بكر الباقلائي محمد بن الطيب، دار المعارف - مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م، ص ٢٧ وما بعدها.

(٢) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله الزركشي: ٢ / ٩٦.

(٣) ينظر: الوحي المحمدي، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م: ١ / ٤٢.

دلائل صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ:

إنَّ العاقل المستقلَّ للفكر إذا عرف تاريخ محمد ﷺ وتاريخ أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام فإنه يرى أنَّ محمداً ﷺ قد نشأ أمياً لم يتعلم القراءة ولا الكتابة، وأنَّ قومه الذين نشأ فيهم كانوا أميين وثنيين جاهلين بعقائد الملل وتواريخ الأمم وعلوم التشريع والفلسفة والأدب، حتى إن مكة عاصمة بلادهم وقاعدة دينهم ومثوى كبرائهم ورؤسائهم، ومثابة الشعوب والقبائل للحج والتجارة فيها والمفاخرة بالفصاحة والبلاغة في أسواقها التابعة لها لم يكن يوجد فيها مدرسة ولا كتاب مدون قط، فما جاء به من الدين التام الكامل، والشرع العام العادل، لا يمكن أن يكون مكتسباً، ولا أن يكون مستنبطاً بعقله وفكره^(١).

إنَّ الرسول كما تروي كتب السيرة والتاريخ كان أمياً، لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك فإنه قد أخبر بأشياء تدل دلالة قاطعة على صدقه وأنه رسول من عند الله، فليس ما يخبر عنه أمر مكتسباً اكتسبه هذا النبي من بيئته، ولا من معلم يتعلم على يديه، أو تلقين أخذه عن شيخ، وإنما كان الذي يخبر به أو عنه إنما هو وحي من الله تأييداً له في دعواه.

بيان أخباره عن الغيبات الماضية والمستقبلية:

إن من صور إعجاز القرآن الكريم إخباره عن أشياء قد مضت بالفعل، وأشياء أخرى لم تأت بعد، وهذا من صور إعجازه، ودليل على صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ وأنه رسول الله تعالى أرسل إلى الثقلين بشيراً ونذيراً، وعن هذه الإشارة السابقة يقول رحمت الله الهندي^(٢) «أما الماضية فكقصص الأنبياء عليهم السلام وقصص الأمم

(١) ينظر: السابق الصفحة نفسها.

(٢) رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي الحنفي، نزيل الحرمين: باحث، عالم بالدين والمناظرة. جاور بمكة وتوفي بها. له كتب منها (التنبيهات، في إثبات الاحتياج إلى البعثة والحشر والميقات) و(إظهار الحق - ط) جزآن في مجلد، هو من أفضل الكتب في موضوعه توفي سنة ١٣٠٦ هـ، ١٨٨٨ م، ينظر: الأعلام: ١٨/٣.

البالية من غير سماع من أحد ولا تلقن من كتاب كما عرفت، وقد أشير إليه بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾^(١)، والمخالفة التي وقعت بين القرآن وكتب أهل الكتاب في بيان بعض هذه القصص وأما المستقبلية فكثيرة.

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «قام فينا مقاماً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه وأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه»^(٢).

وحينما ادّعى الرسول النبوة كان الوحي مصدره؛ لأنه لا ينطق عن الهوى وذلك، «لأن الرسول ادعى النبوة وكان الوحي مصدره فيما قال وفيما يفعل، وقامت شواهد الواقع والتاريخ على صدق دعوته، ثم كان القرآن من أكبر شواهد الأدلة بيننا عليه»^(٣).

(١) سورة هود: الآية (٤٩).

(٢) الحديث بنصه كاملاً: عن حذيفة قال: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً.. فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه.. قد علمه أصحابي هؤلاء.. وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ثم قال حذيفة: ما أدري (أنسي أصحابي أم تناسوه... والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تتقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمئة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته» ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن الحيصبي السبتي، أبو الفضل، دار الفحاء - عمان، الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ: ١ / ٦٥٠، وينظر: إظهار الحق: محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م: ٤ / ١٠٠١.

(٣) ينظر: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، محمد إبراهيم الفيومي: دار الفكر العربي، الطبعة: الرابعة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م: ١ / ٢٣٠.

يقول الإمام الشوكاني^(١): «ومن أعظم دلائل نبوته ﷺ التي لا يجد الجاحدون إلى جردها سبيلا ولا يمكن إسنادها إلى تعليم بشر ولا نسبتها إلى سحر أنه ﷺ كان يسأل عن أمور ماضيه يتعنته بها أهل الكتاب^(٢) والمشركون فينزل جبريل في تلك الحالة فيخبره بها في الموضع الذي سألوه فيه من غير أن يفارقه أو يذهب إلى أحد من الناس يستعلم وذلك كسؤالهم له عن أهل الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح ونحو ذلك من الأمور التي غالبها غير مذكور في التوراة ونحوها بل قد يخبرهم ابتداء بشيء من أحوال الأنبياء لم يكن في التوراة^(٣) التي هي مرجع أهل

(١) هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها، وكان يرى تحريم التقليد، له ١١٤ مؤلفا، منها: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار ثمانى مجلدات، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، توفي سنة ١٢٥٠ هـ - ١٨٣٤م، ينظر: الأعلام: ٢٩٨/٦.

(٢) وفي صحيح البخاري من حديث أنس قال جاء عبد الله بن سلام إلى رسول الله ﷺ بعد مقدمه المدينة فقال: إني سائلك عن ثلاثة لا يعلمها إلا نبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة والولد ينزع إلى أمه أو إلى أبيه، قال: أخبرني جبريل أنفا قال: «عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة، أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت. وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه فقال عبد الله بن سلام أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله وإنك جئت بحق»، الحديث أخرجه البخاري، باب: هجرة النبي ﷺ، ٢ / ٥٦٢، رقم الحديث ١٦٦٢.

(٣) التوراة: الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام. وقال العريزي في: «تفسير غريب القرآن»: التوراة: معناها: الضياء والنور، وقال البصريون: أصلها وورية فوعلة من ورى الزند ووري لغتان: إذا خرجت ناره، لكن قلبت الواو الأولى تاء، كما قلبت «في» «يولج» وأصله «وولج» من ولج أي: دخل، والياء قلبت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها. وقال الكوفيون: توراة أصلها «تورية» على تقلة ويجوز أن يكون تورية على «تقلة» فنقل من الكسر إلى الفتح، كقولهم: جارية وجارة. ينظر: المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي =

الملل^(١) في تعرف أحوال الأنبياء من لدن آدم إلى موسى وذلك كقصة هود وصالح وشعيب وكثير من أحوال إبراهيم وإسحق وإسماعيل ويعقوب ويوسف ومثل قصة الخضر مع موسى ومثل أحوال سليمان، كقصة العفريت^(٢)، وقصة الهدد^(٣) فإن هذه

= الفضل البعلبي، أبو عبد الله، شمس الدين، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م: ١ / ٣٤٥.

(١) الملل جمع ملة، والملة: اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه ليتوصلوا به إلى جواره، والفرق بينها وبين الدين إن الملة لا تضاف إلا للنبي الذي تستند إليه، ولا تكاد توجد مضافة إلا إلى الله تعالى، ولا إلى آحاد الأمة، ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها. {وتملل} وامتل: دخل فيها، أي في الملة، كنسنت واستن، من السنة. وقال أبو إسحاق: الملة في اللغة: السنة والطريقة، ومن هذا أخذ الملة، أي الموضع الذي يختبئ فيه، لأنه يؤثر في مكانها كما يؤثر في الطريق، قال: وكلام العرب إذا تقق لفظه فأكثره مشتق من بعض. وفي الأساس: ومن المجاز: الملة: الطريق المسلوكة، ومنه: (ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ خير الملل. قال أبو الهيثم: الملة: الدية، والجمع) ملل، ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الربيدي، دار الهداية، باب (ملل): ٣٠ / ٤٢٠. وهذا التعريف للملة فيه نظر لمخالفته لصريح القرآن آيتي سورة يوسف قال تعالى ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مَاعَلَمَنِي ربي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة يوسف: ٣٧-٣٨]. ففي الآيتين السابقتين دلالة واضحة على أن الملة تطلق على الديانة الباطلة والديانة الحقّة مثل كلمة (دين) مثل قوله تعالى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون: ٦].

(٢) الآية التي تشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿قَالَ عَفَرْتُ مِنْ لِحْنِ أَنَاءِ إِلِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [سورة النمل: الآية: ٣٩].

(٣) الآيات التي تشير إلى ذلك قول الله تعالى ﴿وَتَقَدَّرَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٥٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ وَأَوْلِيَ أُتَيْتِي سُلْطٰنٍ مُبِينٍ ﴿٥١﴾ فَمَكَكَ عَيْرَ بَعِيدٍ

لم تكن في التوراة، ولم يسمع عن أحد من أهل الكتاب أنه زور ذلك أو كذبه بل انبهروا وأعجبوا منه»^(١).

تأييد الوحي الإلهي لقضية الإخبار بالمغيبات:

إن قضية الإنباء بالمغيب قضية لا طريق لها إلا الوحي الإلهي وذلك؛ لأنَّ العقل والحس لا يستطيعان أن يخرقا تلك الأمور الغيبية، ومن هنا نقول للعقل، قف أيها العقل عند منتهاك؛ لأن هناك أمورًا فوق الحس والعقل لا يستطيعان أن يتدخلا فيها، وعلى هذا فإن الوحي هو النور الإلهي الذي يخبر الرسول بهذه الأمور التي عجز عنها العقل والحس، وكل ذلك يحكيه الرسول ﷺ لنا ويكون هذا بمثابة التأييد الإلهي لهذه القضية أعني الإخبار بالمغيبات التي تعني الدلالة على صدق دعوى الرسول ﷺ.

يقول الدكتور / محمد عبد الله دراز^(٢): «أما النبوءات الغيبية فهل تعرف كيف يحكم فيها ذو العقل الكامل؟ إنه يتخذ من تجاربه الماضية مصباحًا يكشف على ضوئه بضع خطوات من مجرى الحوادث المقبلة، جاعلاً الشاهد من هذه مقياساً للغائب من تلك، ثم يصدر فيها حكمه محاطاً بكل تحفظ وحذر، قائلاً: «ذلك ما تقضي به طبيعة الحوادث لو سارت الأمور على طبيعتها ولم يقع ما ليس في

فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ مَبِينٍ ۝٣٣ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝٣٤ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝٣٥ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝٣٦ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿سورة النمل الآيات: ٢٠ - ٢٦﴾.

- (١) ينظر: إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، للشوكانبي: ١ / ٤٤.
- (٢) محمد بن عبد الله دراز: فقيه متأدب مصري أزهرى. كان من هياه كبار العلماء بالأزهر، له كتب، منها (الدين دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام، توفي سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، ينظر: الأعلام: ٢٤٦/٦).

الحسبان».

أما أن بيئتَ الحكم بتأً ويحدده تحديداً حتى فيما لا تدل عليه مقدمة، من المقدمات العلمية، ولا تلوح منه أماره من الأمارات الظنية العادية، فذلك ما لا يفعله إلا أحد رجلين: إما رجل مجازف لا يبالي أن يقول الناس فيه: صدَقَ أو كَذَبَ، وذلك هو دأب جهلاء المتتبئين من العرافين والمنجمين، وإما رجل اتخذ عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده، وتلك هي سنة الأنبياء والمرسلين، ولا ثالث لهما إلا رجلاً روى أخباره عن واحد منهما، فأَي الرجلين تراه في صاحب هذا القرآن حينما يجيء على لسانه الخير الجازم بما سيقع بعد عام وما سيقع في أعوام، وما سيكون أبد الدهر، وما لن يكون أبد الدهر؟ ذلك وهو لم يتعاطَ علم المعرفة والتتجيم^(١).

أوجه إعجاز القرآن الكريم الإخبار بالغيب:

لقد تحدث القرآن الكريم عن المغيبات الماضية والمستقبلية، وهذا إن دل فإنما يدل على إعجازه البليغ الذي بلغ من البلاغة والفصاحة أعلى الدرجات وأسمى المقامات، ومن تلك الصور إنشاء القرآن عن النصر المحقق للمؤمنين في مطلع سورة الروم، وهذا النصر المحقق قد وقع بالفعل وانتصرت الروم على فارس فهذا من أقوى الأدلة على صدق القرآن وصدق من أنزل عليه القرآن.

ومن أوجه إعجاز القرآن، كما يقول صاحب المواقف: «هو إخباره عن الغيب نحو ﴿فِي أَذْنِ الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾^(٢) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَ يُدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣)، أخبر عن غلبة الروم على الفرس فيما بين ثلاث إلى التسع، وقد وقع كما أخبر به، وذلك كثيراً يعرف بتتبع القرآن وإخباره عن

(١) ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز: ١ / ٧٧ وما بعدها.

(٢) سورة الروم الآيات: ١، ٤.

الأمر المستقبلي الكائنة على وفقها^(١).

ونصر الله تعالى قد تحقق ووقع بالفعل، وهذا يدل على الشرط الذي اشترطه النبي على نفسه رغم انتشار الإسلام في البلاد المجاورة لمكة، ومع ذلك فقد انتشر الإسلام في الأرض ومكّن الله للمؤمنين في الأرض وجعل النصر حليفهم، كما وعدهم بذلك في القرآن العظيم.

يقول الشيخ / محمد عبده: «هذا وقد جاء في الكتاب من أخبار الغيب ما صدقته حوادث الكون كالخبر في قوله: ﴿عَلَيْتِ الرُّومَ ۖ فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۖ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۖ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ۖ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۖ﴾^(٢) وكالوعد الصريح في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ﴾^(٣) الآية، وقد تحقق جميع ذلك وفي القرآن كثير من مثل هذا يحيط به من يتلوه حق تلاوته، ومن الكلام عن الغيب فيه ما جاء في تحدى العرب به واكتفائه في الرجوع عن دعواه بأن يأتوا بسورة من مثله مع سعة البلاد العربية، ووفرة سكانها وتباعد أطرافها وانتشار دعوته على لسان الوافدين إلى مكة من جميع أرجائها ومع أنه لم يسبق له ﷺ السياحة في نواحيها، والتعرف برجالها، وقصور العلم البشري عادة عن الإحاطة بما أودع في قوي أمة عظيمة كالأمة العربية، فهذا القضاء الحاتم منه بأنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بشيء من مثل ما تحداهم به ليس قضاء بشرياً، ومن الصعب بل من المتعذر أن يصدر عن عاقل التزام كالذي التزمه وشرط كالذي شرطه على نفسه لغلبة الظن عند من له شيء من العقل^(٤).

(١) ينظر: كتاب المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي: ٣٩١.

(٢) سورة الروم الآيات: ١، ٤.

(٣) سورة النور من الآية: ٥٥.

(٤) ينظر: رسالة التوحيد، محمد عبده: ١ / ٧٦ وما بعدها.

ومن أوجه إعجاز القرآن الكريم أنه أخبر بأمور تكونوا فكانت مثل إخباره لليهود أن يتمنوا الموت، فلن يتمنوه أبداً، وكذلك إخباره بهزيمة الجمع من الكفار وبالفعل تحققت الهزيمة في بدر الكبرى، وأيضاً إخباره بعودة الرسول إلى مكة، فعاد فاتحاً في العام الثامن من الهجرة المباركة، وغير ذلك من تلك الأمور المستقبلية وإلى هذه الإشارة يقول الماوردي: «و من الإعجاز ما تضمنه من علم الغيب بأخبار تكون فكانت كقوله لليهود: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)، ثم قال: ﴿وَلَنْ يَسْتَمْنُوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (٢) فما تمناه أحد منهم، وكقوله لقريش: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ (٣)، فقطع بأنهم لا يفعلون فلم يفعلوا وكقوله: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَلَوْ كُنَّ الدُّبُرُ﴾ (٤)، وكان ذلك في يوم بدر وكقوله تعالى في هجرته من مكة إلى المدينة: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ (٥)، فأعاد الله إلى مكة عام الفتح إلى غير ذلك من نظائره (٦).

ومن أوجه إعجاز القرآن نجدها في قول الله تعالى ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ (٧)، هناك وجه إعجازي آخر في هذه الآيات، وهو أنها تقرر حقيقة جغرافية لم تكن معروفة عند أحدٍ في ذلك الوقت، فالآية الثالثة من سورة الروم تُخبرنا أن الروم كانوا قد خسروا المعركة في أدنى الأرض، والمثير للاهتمام أن أهم مراحل الحرب التي كانت بين الفرس والروم وأسفرت عن هزيمة الروم وخسارتهم مع الفرس، حدثت في أكثر مناطق العالم انخفاضاً في حوض البحر الميت، الذي يقع في منطقة تقاطع بين سوريا

(١) سورة البقرة من الآية: ٩٤.

(٢) سورة البقرة من الآية: ٩٥.

(٣) سورة البقرة من الآية: ٢٤.

(٤) سورة القمر من الآية: ٤٥.

(٥) سورة القصص من الآية: ٨٥.

(٦) ينظر: أعلام النبوة، للماوردي، ص ٨٠.

(٧) سورة الروم من الآية: ٣.

والأردن وفلسطين ويبلغ مستوى سطح الأرض هناك ٣٩٥ متراً تحت سطح البحر، مما يجعل هذه المنطقة فعلاً أدنى الأرض، ومن الجدير بالذكر أن ارتفاع مستوى حوض البحر الميت لم يكن ليقاس في غياب تقنيات القياس الحديثة، ولذلك كان من المستحيل أن يعرف أي شخص في ذلك الوقت أن هذه المنطقة أكثر المناطق انخفاضاً في العالم^(١).

ولقد أخبر الرسول عن هذه الأمور الغيبية، وذلك لأنها تحمل في طياتها ما يسمى بالإعجاز للبشر أي أن البشر لا يستطيعوا أن يأتوا بمثلها وذلك لاتصال الرسول بالوحي الإلهي، وكذا تأييد الله لرسوله فيما يقول.

والإخبار عن الغيوب المستقبلية - باعتبار ما فيها من خرقٍ للعادة - من أهم دلائل النبوة؛ حيث إنها تتضمن تحدياً لعقول البشر أجمعين، فهذه أمور غيبية لا تُدرَك بالعقل، ولا يمكن معرفة كُنْهها على الحقيقة إلا من خلال الوحي الصادق من الله تعالى إلى رسوله ﷺ، وقد صدرت منه لا على أنها توقعات تعتمد على مقدمات تؤدي إلى نتائجها، وإنما هي حديث دقيق قاطع عن تفاصيل المستقبل المجهول، حديث لا يخرمُ المستقبل، ولا في جزء من أجزائه، وحينئذٍ فلا شك أنها النبوة، وأن صاحبها مُتَّصِلٌ بالله تعالى عالم الغيب والشهادة؛ كما قال (ﷺ): ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾^(٢).

(١) الإعجاز العلمي في سورة الروم للدكتور /زغلول النجار: بحث منشور على الموقع الإلكتروني:

<http://egazinquran.blogspot.com.eg>.

(٢) ينظر: فقه أشراف الساعة: محمد بن أحمد بن إسماعيل، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الطبعة:

السادسة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ج ١، ص ٢٥، وما بعدها، والآيتان من سورة الجن رقم (٢٦)-

ومن الآيات والدلائل على نبوته ﷺ كما يقول الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «ومن دلائل نبوته وبراهين رسالته ما وقع له من الآيات البينات والبراهين المعجزات، فمن ذلك انشقاق القمر وقد نطق بذلك الكتاب العزيز قال الله (ﷻ): ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ أَتَشَقُّ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾»^(١) وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه حدثهم: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية «فأراهم انشقاق القمر»^(٢) ومن دلائل نبوته ﷺ أيضاً، كما يقول الشوكاني: «صعوده ليلة المعراج إلى ما فوق السماوات، وقد نطق بهذا الكتاب العزيز وتواترت به الأحاديث تواتراً^(٣)، لا يشك من له أدنى إمام بعلم السنة، ولا ينكر ذلك إلا متزندق^(٤) وليس بيده إلا مجرد الاستبعاد، وليس ذلك مما تدفع به الأدلة، ويبطل به الضروريات، وإلا لكان مجرد إنكار وقوع الشيء المبرهن على وقوعه كافياً في دفعه وذلك خلاف العقل والنقل»^(٥).

وهناك آيات واضحة تشهد بنبوة سيدنا محمد ﷺ ولو لم يكن من دلائل نبوته

(١) سورة القمر الآيتان (١، ٢).

(٢) الحديث أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين الرسول أن يأتيهم بآية، حديث رقم ٣٦٣٧، وأخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر رقم ٢٨٠٢، ينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري: ٤ / ٢٠٦.

(٣) التواتر: هو الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب. ينظر التعريفات للجرجاني ج ١ باب التاء ص ٧٠، وينظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد ابن محمد الفيومي ابو العباس المكتبة العلمية - بيروت باب وتر، ج ٢ ص ٦٤٧.

(٤) الزنديق من الثنوية، وهو معرب، والجمع الزنادقة، والهاء عوض من الياء المحذوفة، وأصله الزناديق. وقد ترندق. والاسم الزندقة. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ج ٤، ص ١٤٨٩.

(٥) ينظر: إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوت، للشوكاني، ص ٥٨.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَا وَقَعَ مِنَ الْإِخْبَارِ بِالْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ الَّتِي وَقَعَتْ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ وَلَمْ يَتَخَلَفْ شَيْءٌ مِنْهَا وَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا مِنْهَا».

١ - قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِأُتُفْدَىٰ وَيَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾
وَكُفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(١) فوق صدق هذا الخبر وأظهر الله سبحانه دين الإسلام على
جميع الأديان.

٢ - قوله تعالى ﴿الْمَ ۝ عَلَيَّتِ الرُّومُ ۝ فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ
سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾^(٢) فوق ما أخبر به القرآن بعد المدة التي ذكرها، وذلك
معلوم لا يختلف فيه الناس.

٣ - قوله سبحانه في شأن اليهود ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَتَيْنَ مَا تُخْفُونَ إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يُكَفِّرُونَ بَعَائِلَ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٣)

وقد كان هذا كما أخبر به القرآن فإنهم ما زالوا تحت الذلة والمسكنة في جميع أقطار الأرض لم يجتمع لهم جيش، ولا انتصروا في موطن من المواطن، ولا ثبتت لهم دولة قط، بل كل طائفة منهم في جميع بقاع الدنيا مضطهدون متمسكونون يسلمون الجزية^(٤) إلى غيرهم، ويدلون لمن جاورهم.

٤ - قوله سبحانه ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ

(١) سورة الفتح آية (٢٨).

(٢) سورة الروم الآيات (١-٣).

(٣) سورة: آل عمران آية (١١٢).

(٤) الجزية: الخراج المجهول على رأس الذمي. لا تجزي: لا تقضي ولا تغني، ينظر: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، باب (جزى): ١ / ٩٢.

بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا^(١).

٥ - قوله ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾^(٢)، وقد كان هذا فإنه لم يعارض القرآن معارض ولا جاء بمثل بعضه أحد لا من مسلم ولا كافر، ولا من إنس ولا جن، وقد نفى سبحانه أن يفعلوا ذلك كما قال ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٣)، فأخبر سبحانه أنهم لم يفعلوا ولم يقع ما يخالف هذا النفي المؤكد ألبته، وقال سبحانه ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤).

وقال مخاطبًا اليهود: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(٥).

وقد كان هذا فإنه لم يسمع أن يهوديًا تمنى الموت إلى هذه الغاية، فإن اليهود الموجودين على ظهر البسيطة إذا قال لهم قائل تمنوا الموت لم يتمنوه أبدًا، ولا يساعد على ذلك واحد منهم قط

٦ - وقوله سبحانه: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ

(١) سورة الإسراء الآية (٨٨)، يقول الباقلاني «وهذا غاية التحدي والتقريع وقد وصل قوله ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ بقوله ﴿وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فلا متعلق لأحد في هذا الباب، ويقلب السؤال على من سأل عنه من اليهود والنصارى والمجوس المدعين لنبوة زرادشت فيقال لهم: من أين علمتم أن موسى وعيسى وزرادشت تحدوا قومهم بمثل شيء مما أتوا به وما أنكرتم أن يكون ذلك قد ظهر من غير احتجاج منهم ولا تحد إلى مثله فكل شيء تعلقوا به عما فهو جوابنا سألوا عنه، ينظر: تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، الباقلاني: ١ / ١٨٣.

(٢) سورة البقرة من الآية (٢٣).

(٣) سورة البقرة من الآية (٢٤).

(٤) سورة الجمعة الآية (٦).

(٥) سورة البقرة من الآية (٩٥).

وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴿٦﴾ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٧﴾ (١) ووقع هذا كما أخبر به سبحانه فدخلوا المسجد الحرام آمنين محلقين ومقصرين كما وعدهم

٧ - قوله سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ (٢).

وقد دخل الناس في دين الله أفواجا وما قبض ﷺ إلا بعد أن دخل جميع العرب في دين الله ولم يبق أحد منهم على الكفر.

٨ - ما وقع من إخباره سبحانه عن أمور مستقبلية وكانت كما أخبر به وذلك كثير جدا كإخباره عن بعض الكفار بأنه لا يؤمن وأنه من أهل النار كأبي لهب فإنه قال فيه ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ (٣) فمات على الكفر يقول الإمام الرازي: «إن هذه الآيات تضمنت الإخبار عن الغيب من ثلاثة أوجه أحدها: الإخبار عنه بالتباعد والخسار، وقد كان كذلك وثانيها: الإخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده، وقد كان كذلك. وثالثها: الإخبار بأنه من أهل النار، وقد كان كذلك لأنه مات على الكفر» (٤).

وفي صحيح مسلم من حديث نافع بن عتبة قال حفظت من النبي ﷺ أربع كلمات أعهن في يدي «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم تغزون بلاد فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال فيفتحها الله» (٥).

وقد وقعت الثلاث كلمات الأول وستقع الرابعة إن شاء الله، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم قال عبد الرحمن من بن عوف نكون كما أمرنا الله قال رسول الله ﷺ أو

(١) سورة الفتح من الآية (٢٧).

(٢) سورة النصر من الآية (١ - ٣).

(٣) سورة المسد الآية (٣).

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ٣٢ / ٣٥٢ وما بعدها بتصرف يسير.

(٥) صحيح مسلم: باب: عودة إلى الإخبار بالمغيبات كدلائل على نبوته: ١ / ٥٣.

غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فيحملون بعضهم على رقاب بعض»، قلت: وقد كان هذا فإنهم فتحوا فارس والروم ثم وقع منهم ما ذكره ﷺ في آخر أيام عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم عند قتله ثم فيما بعد ذلك كما هو معلوم لكل عارف^(١).

ومما يؤيد هذا الكلام أن النبي ﷺ حين دعا إلى الله وفي حال وحدته وضعفه أن الله وعدني أن يظهر ديني على الأديان كلها، فيكون سلطاني أقهر من سلطان كسرى وقيصر فأغلب الملوك، ويعلو ملكي، وملك أنصاري وأتباعي كل ملك في الأرض، وبالفعل تحقق وعد الله لرسوله وأنزل قرآنًا يتلى قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٢)، فكان كما قال وكما أخبر فلم يرض أن يظهر دينه بالحجة حتى جعل أهله العالمين بالقدرة، والظاهرين بالمنفعة، فأخبر بهذا وديانات العرب قائمة وملوكهم على جزيرة العرب كلها مستولية، وهي جزيرة عظيمة فيها عدة ملوك كل واحد منها عظيم الشأن والله ينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، وهو العزيز الذي لا يغالب، الرحيم بمن شاء من خلقه، وقد تحقق ذلك فَعَلَبَتِ الرومُ الفرسَ بعد سبع سنين، وفرح المسلمون بذلك، لكون الروم أهل كتاب، وإن حَرَّفُوهُ^(٣).

ولقد كانت نبوة سيدنا محمد ﷺ ثابتة بآيات حسية، وأخرى معنوية وكلها موافقة لأحوال، أي أحوال الحاجة إليها، وهذا ظاهر من أحواله ﷺ وإلى هذه الإشارة السابقة يقول أبو منصور الماتريدي: «القول في نبوة الأنبياء وبخاصة في رسالة

(١) ينظر: إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، للشوكاني: ١ / ٥٠ - ٥٣ مرجع سابق بتصرف يسير، وينظر شرح المقاصد المقصد السادس، للتقنازاني: ٣ / ٢٩٥ - ٢٩٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

(٣) ينظر: التفسير الميسر: ص ٤٠٤.

محمد ﷺ ثبت بالجواهر^(١)، ثم بآيات حسية وعقلية، ثم بموافقة ظهور الأحوال التي هي أحوال الحاجة إليه أو لا إثبات نبوته بالجواهر، فأما أمر الجواهر فقد بينا ابتداءه مع ما ذكر فيه أنه نظر إلى وجهه وإلى البدر، فكان هو أحسن منه وأنه كان أطيب ريحاً من المسك وألين من الحرير، وكان يؤخذ بعرقه فينقع به في الطيب، وقد وصفت خلقته بما لا يعرف أحد يوصف بمثله حسناً وجمالاً وجل العين تراها تهيج في الحيرة بذوي آفات في الخلقة فدل براءته عن كل الآفات وزينه بكل زين على استجابة أعلى الدرجات في الخلق وأفضل الأقدار، ويدل على ذلك أنه لم يؤخذ عليه كذب قط، ولا عرفت منه هفوة، ولا منه عن أعدائه فرار، ولا في أخلاقه سوء، بل كان على ما وصف لا يداري ولا يماري، ولا يعرف فحش، ولا ينتصر لنفسه، وكان في الإشفاق بالمحل الذي عوتب عليه بقوله ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾^(٢).

٣ - الدلائل العقلية التي تثبت النبوة للرسول ﷺ:

الدلائل التي تثبت النبوة للرسول ما جاء به الرسول من عند الله من عذب الكلام وجواهره من توجيه الناس إلى عبادة الله وحده، وما جاء به من عند الله لم ولن تستطيع أي قوة أن تأتي به؛ لأنه في غير وسعها ولا في مقدورها، فدل ذلك على إثبات نبوته.

(١) الجواهر: كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به فهو جواهر الواحدة جوهرة. وجواهر كل شيء ما خلقت عليه جبلته. والجواهر النفيس هو الذي تتخذ منه الفصوص ونحوها. وجواهر السيف فرنده. وقيل الجواهر هو الأصل، أي أصل المركبات. ويطلق الجواهر عند الفلاسفة على معان: منها الموجود القائم بنفسه حادثاً كان أو قديماً، ويقابله العرض. ومنها الذات القابلة لتوارد الصفات المتضادة عليها. ومنها الماهية التي إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع. ومنها الموجود الغني عن محل يحل فيه، ينظر: المعجم الفلسفي، د/جميل صليبا: ١ / ٤٢٤.

(٢) ينظر: التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، دار الجامعات المصرية - الإسكندرية، ١ / ٢٠٢، والآية من سورة فاطر (٨).

يقول الماتريدي: «وأما العقلية فما بين الله من شأن القرآن الذي إنما يعرف خروجه عن احتمال وسع الخلق من بالغ في فنون الآداب وعرف جواهر الكلام وأصنافه، ثم ما فيه من المحاجة في توحيد الرب وأدلة البعث، مما لم يكن يومئذ على وجه الأرض من يدعى ذلك ثم ما فيه من الأنباء، وما يكون أبدًا ومن بيان النوازل التي تكون مما في استعمال العقول تطلع عليه»^(١).

أوجه الدلائل العقلية التي تثبت نبوة الرسول ﷺ:

هناك عدة أوجه من خلالها نثبت النبوة للرسول ﷺ منها:

أحدها: أن أمره لم يكن مستغربًا بل كان مستمرًا على العادة بوجود مثله في الأمم، فلذلك يبطل وجه الرد عليه في أول وهله، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٢) وقال: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾^(٣).

الثاني: موافقة مجيئه وقت الحاجة إليه إذ كان زمان فترة^(٤) ودروس العلم مع جري عادة الله بمعاقبة أسباب الهداية عند زوال أهله عن نهج الهدى قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾^(٥).

(١) ينظر: التوحيد، للماتريدي: ١ / ٢٠٤.

(٢) سورة فاطر: من الآية (٢٤).

(٣) سورة المؤمنون: من الآية (٤٤).

(٤) الفترة: الانكسار والضعف. وقد فتر الحر وغيره يفتر فتورا، وفتره الله تفتيرا. والفترة: ما بين الرسولين من رسل الله (ﷺ). وطرف فاتر، إذا لم يكن حديدًا. والفترة: ما بين طرف السبابة والإبهام إذا فتحتهما، ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، : دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م: ٧٧٧/٢.

(٥) سورة المائدة: من الآية (١٥).

الثالث: كون المبعوث فيهم بموضع الحاجة إليه لخلاء جنسه عن أسباب العلم بقوله ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا﴾^(١) وغيره.

الرابع: كونه في أظهر الأماكن للخلق إذ هو معالم أهل الآفاق في الدنيا، وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾^(٢).

الخامس: يعنى القوم ذلك وإظهار الرغبة في ذلك، وإذا اقترح مقترح على ربه إزالة علتة لم يكن تعجب قطع معذرتة، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾^(٣) وقال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾^(٤)، فهذه الخمسة مما حاجهم به في أحوالهم، ثم ما حاجهم بما في أحوال النبي منها أنه نشأ في قوم لم يكن لهم كتب ولا دراسة مع ما لم يفارق قومه، وما كان لهم كتب قد سبق له الارتياض في دراستها، ثم كان في ضمن تلك لو طرأ عليهم طارئ لا يجهل مكانه، وذلك قوله ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾^(٥)، وقد نشأ أمياً، والأمي لا يأخذ عن الكتب، ولا يستطيع التحفظ من الأفواه غاية الحفظ إنما يكون ضبطه بصور معقولة روحانية يرتفع بها عن الوهم^(٦).

وخاتمة المطاف يجب التصديق بكل ما جاء به النبي محمد ﷺ وذلك لما يلي:

- أن مجيء النبي ليس من باب الاستغراب، وإنما جاء مجيئه على سبيل العادة المستمرة، وأيضاً مجيئه من باب الحاجة إليه، وأيضاً مجيء الرسول من جنس قومه فيه دلالة على ملائمة حال المرسل إليهم، ولذلك وردت قراءتين في الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ

(١) سورة الجمعة: من الآية (٤).

(٢) سورة الشورى: من الآية (٥٢).

(٣) سورة طه: من الآية (١٣٤).

(٤) سورة فاطر: من الآية (٤٢).

(٥) سورة هود: من الآية (٤٩).

(٦) ينظر: التوحيد، للماتريدي: ١ / ٢٠٥.

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ^(١) الآية، وجاء الرسول أيضًا من أجل أن يقطع العذر عن المعتذرين حينما يقولون ما جاءنا من بشير ولا نذير، وكذلك جاءت دعوته لتكون رحمة للخلق من الخالق وتظهر الحكمة في أن الرسول جاء ليعلم المتعلمين، ومع ذلك علم العالم وهو أُمي لا يقرأ، ولا يكتب، ولم يعلمه بشر قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ^(٢)﴾، وإنما الذي علمه القائل: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا^(٣)﴾.

التصديق بما جاء به محمد ﷺ:

بعد أن أثبتنا نبوة سيدنا محمد ﷺ يجب أن يصدق الإنسان النبي فيما جاء به عن الله؛ لأنه صادق في كل ما أخبر به عن الله من الأمور المشاهدة وغير المشاهدة كالقيامة، وما فيها والجنة والنار والحشر والميزان وغيرها؛ لأنه هو الصادق الأمين يقول الإمام محمد عبده: «بعد أن ثبتت نبوته عَلَيْهِ السَّلَامُ بالدليل القاطع على ما بينا، وأنه إنما يخبر عن الله تعالى، فلا ريب أنه يجب تصديق خبره والإيمان بما جاء به ونعني بما جاء به ما صرح به الكتاب العزيز، وما تواتر الخبر به تواترًا صحيحًا مستوفيًا لشرائطه وهو ما أخبر به جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عادة في أمر محسوس، ومن ذلك أحوال ما بعد الموت من بعث ونعيم في جنة وعذاب، في نار وحساب، على حسنات وسيئات، وغير ذلك مما هو معروف ويجب أن يقتصر في الاعتقاد على ما هو صريح في الخبر ولا تجوز الزيادة على ما هو قطعي يظن

(١) سورة: التوبة من الآية (١٢٨).

(٢) سورة: النحل الآية (١٠٣) وجاء في تفسيرها كما يحكي الرازي «اعلم أن المراد من هذه الآية حكاية شبهة أخرى من شبهات منكري نبوة محمد ﷺ، وذلك لأنهم كانوا يقولون إن محمدًا إنما يذكر هذه القصص وهذه الكلمات لأنه يستقيدها من إنسان آخر ويتعلمها منه. ، ينظر: تفسير الرازي: ٢٠ / ٢٧١.

(٣) سورة: النساء الآية (١١٣).

وشرط صحة الاعتقاد أن لا يكون فيه شيء يمس التنزيه وعلو المقام الإلهي عن مشابهة المخلوقين فإن ورد ما يوهم ظاهره ذلك في المنواز وجب صرفه عن الظاهر إما بتسليم لله في العلم بمعناه مع اعتقاد أن الظاهر غير مراد أو بتأويل تقوم عليه القرائن المقبولة^(١).

ونرى من خلال ما سبق أن سورة الروم قد احتوت على معجزة عظيمة ألا وهي الإخبار بالغيب الذي جاء واضحاً وجلياً في مطلع السورة للدلالة على صدق النبي محمد ﷺ في كل ما جاء به من عند الله تعالى، وأيضاً لبيان مدى إعجاز القرآن الكريم في إخباره عن المغيبات المستقبلية والتي قد وقعت بالفعل في المدة التي أخبر عنها القرآن في مطلع السورة الكريمة، وقد تحقق النصر حليفاً للمؤمنين، وهذا إن دل فإنما يدل على صدق دعوى النبي ﷺ.



(١) ينظر: رسالة التوحيد، محمد عبده: ١ / ١٠٤.

الفصل الثالث

السمعيات الواردة في سورة الروم

ويشمل أربعة مباحث:

المبحث الأول: اليوم الآخر ومدى اهتمام القرآن الكريم به من خلال
السورة الكريمة.

المبحث الثاني: البعث والحكمة منه، والمسالك التي سلكها القرآن في
تقرير عقيدة البعث من خلال السورة الكريمة.

المبحث الثالث: أدلة وقوع البعث من خلال السورة.

المبحث الرابع: شبه المنكرين للبعث والرد عليها من خلال السورة.

الفصل الثالث

السمعيات الواردة في سورة الروم

تعتبر السمعيات هي أحد أقسام ثلاثة رئيسة أساسية يختص ببحثها الجانب العقدي في الإسلام^(١).

السمعيات في اللغة:

هي ما يستند إلى الوحي كالجنة، أو النار، وأحوال يوم القيامة^(٢)، والمقصود بالسمع هنا الشرع المتلقي من الله تعالى عن طريق الوحي.

وجاء في لسان العرب لابن منظور: «سمع: السمع: حس الأذن، وفي التنزيل: ﴿أَوَلَمْ يَلْقَ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٣)، وقال ثعلب: معناه خلا له فلم يشتغل بغيره»^(٤).

وفي الاصطلاح:

نجد أن تعريف السمعيات في الاصطلاح يتناسب مع المعنى اللغوي؛ لأن السمعيات عند المتكلمين هي: أمور تتوقف معرفتها على السمع.

قال العلامة السفاريني: «اعلم أن المراد بالسمعيات ما كان طريق العلم به السمع الوارد في الكتاب، أو السنة والآثار مما ليس للعقل فيه مجال، ويقابله ما يثبت بالعقل، وإن وافق النقل، فما كان طريق العلم به العقل يسمى العقلية والنظريات، ولهذا يقال

(١) والجانبان الآخران هما (الإلهيات، والنبوات) كما تحدثت عنهما في الفصلين السابقين من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ١ / ٤٥٠.

(٣) سورة ق من الآية: ٣٧.

(٤) ينظر: لسان العرب، لابن منظور: ١٦٢/٨.

لعلماء هذا الشأن النظار^(١)، ومن السمعيات التي تحدثت عنها السورة الكريمة (اليوم الآخر) وتسمياته التي ذكرت في السورة الكريمة.



(١) ينظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، السفاريني الحنبلي: ٣/٢.

المبحث الأول

اليوم الآخر ومدى اهتمام القرآن الكريم به من خلال السورة الكريمة

أولاً - مفهوم الإيمان باليوم الآخر كما ورد في سورة الروم:

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان العقيدة الإسلامية، بل قد يكون هو العنصر المهم الذي يلي الإيمان بالله مباشرة، ذلك بأن الإيمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذي صدر عنه الكون، والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه هذا الوجود، ولذلك يقرر الله تعالى هذه الحقيقة حيث يبين أن حقيقة الإيمان تتضمن الإيمان بالله، ورسله، وباليوم الآخر، وما فيه.

ولقد ذكر اليوم الآخر في القرآن الكريم خاصة في السور المكية، ومن السور المكية التي ذكر فيها (اليوم الآخر) سورة الروم التي هي موضوع البحث فذكر فيها في أكثر من موضع.

فلقد سمي هذا اليوم، بيوم الجمع، والدليل على تسميته بيوم الجمع من خلال السورة قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذِي تَفَرَّقُونَ﴾^(١).

قال الماتريدي في معنى الدليل السابق: «سمى الله - تعالى - ذلك اليوم: يوم الجمع بقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾^(٢)، وسمي: يوم الافتراق، فهو يوم الجمع في أول ما يبعثون ويحشرون، ثم يفرق بينهم تفريقاً لا اجتماع بينهم أبداً، كقوله: ﴿وَفَرِّقُ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِّقُ فِي السَّعِيرِ﴾^(٣)، فهو يوم الجمع في حال ووقت، ويوم الافتراق في حال ووقت

(١) سورة الروم: الآية (١٤).

(٢) سورة التغابن من الآية: ٩

(٣) سورة الشورى من الآية: ٧

آخر، وبعض أهل التأويل يقولون: قوله: ﴿يَوْمَ يَذْتَفَرُونَ﴾ العابد والمعبود، والتابع والمتبوع، بعدما كانوا مجتمعين في الدنيا، وهو ما ذكر في آية أخرى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾.... الآية^(١)؛ فهذا تفرقهم على قول بعضهم^(٢).

كما يسمى هذا اليوم بيوم الافتراق، والدليل على ذلك قول الإمام الفخر الرازي في بيان هذا الدليل فيقول: «ثم بين أمرًا آخر يكون في ذلك اليوم وهو الافتراق كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَأَمَّا يَوْمَ يَأْتِيهَا الْمَاجِرُونَ﴾^(٣)، فكان هذه الحالة مترتبة على الإبلas، فكانه أولًا يبلس ثم يميز ويجعل فريق في الجنة وفريق في السعير، وأعاد قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾؛ لأن قيام الساعة أمر هائل فكرره تأكيدًا للتخويف، ومنه اعتاد الخطباء تكرير يوم القيامة في الخطب لتذكير أهواله»^(٤).

الدليل الثاني ومن الأدلة التي تشير إلى ذكر اليوم الآخر من سورة الروم قول الله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ يَوْمَ يَصْدَعُونَ﴾^(٥).

أقوال العلماء في هذا الدليل:

قال الزمخشري في هذا الدليل «من قبل أن يأتي من الله يوم لا يرده أحد، كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها أو بمرء، على معنى: لا يرده هو بعد أن يجيء به، ولا رد له من جهته»^(٦)، وعلى هذا فإن يوم القيامة لا مرد له من الله فهو آت لا محالة يقول القرطبي في بيان هذا الدليل: «والمراد يوم القيامة، (يومئذ يصدعون) قال

(١) سورة العنكبوت، من الآية: ٢٥

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٨ / ٢٥٧.

(٣) سورة يس الآية: ٥٩.

(٤) ينظر: التفسير الكبير، للرازي: ٢٥ / ٨٥.

(٥) سورة الروم: الآية (٤٣).

(٦) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣ / ٤٨٣، محاسن التأويل، للقاسمي: ١٨/٨.

ابن عباس: معناه يتفرون»^(١)، ومن هنا فالخلائق تتفرق يوم القيامة كما حكى القرآن ﴿وَنُذِرُكُمْ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فِرَاقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفِرَاقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(٢).

ويقول ابن عطية في بيان هذا الدليل: «ثم حذره تعالى من يوم القيامة تحذيرًا يعم العالم وإياهم القصد، و(لا مَرَدَّ لَهُ) معناه ليس فيه رجوع لعمل ولا لرغبة ولا عنه مدخل، ويحتمل أن يريد لا يرده راد حتى لا يقع، وهذا ظاهر بحسب اللفظ، و(يَصْدَعُونَ) معناه يتفرون بعد جمعهم، وهذا هو التصدع والمعنى يتفرون إلى الجنة وإلى النار، ثم قَسَمَ الفريقين بأحكام تلحقهم من أعمال في الدنيا»^(٣).

والمعنى المستفاد من أقوال العلماء وهو أن السورة الكريمة قد أشارت إلى ذكر اليوم الآخر وما فيه، وذلك أنه لا يكمل الإيمان بالله تعالى إلا به فهو ركن من أركان العقيدة الإسلامية.

يقول الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ: «و الإيمان باليوم الآخر وما يكون فيه من البعث والحساب والجزاء على الأعمال، فقد كان جل مشركي العرب ينكرونه أشد الإنكار، ولا يكمل الإيمان بالله تعالى ويكون باعًا للأمة على العمل الصالح، وترك الفواحش والمنكرات، والبغي والعدوان بدونه»^(٤).

فلا يتم الإيمان بالله تعالى إلا به، ولذلك يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٥)، وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة، قال: كان النبي ﷺ بارزًا يومًا للناس، فأثاه جبريل فقال: «ما الإيمان؟

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٤ / ٤٢.

(٢) سورة الشورى، من الآية: ٧.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية: ٤ / ٣٤١.

(٤) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، باب ٢: ١١ / ١٧٤.

(٥) سورة النساء: الآية (١٣٦).

قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام؟ قال: «الإسلام: أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان». قال: ما الإحسان؟ قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: متى الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله» ثم تلا النبي ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(١) الآية، ثم أدبر فقال: (ردوه) فلم يروا شيئاً، فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»^(٢) وعلى هذا فإن الإيمان باليوم الآخر وما يدور فيه من أحداث بالإثابة للطائعين والعقوبة للعصاة فإنه ثابت بالإيمان به بالقرآن الكريم وبالسنة المطهرة فوجب أن يكون ضمن أركان الإيمان الموجبة لأركان الإيمان كما سبق ذكر ذلك في الحديث النبوي.

لماذا اهتم القرآن الكريم باليوم الآخر؟

اهتم القرآن الكريم باليوم الآخر؛ لأنه ينطوي تحته جميع الأمور الغيبية التي لا يعلمها الناس إلا عن طريق السماع من الأنبياء فقط، وبالتالي يؤمنون بها ويصدقون النبي الموحى من الله تعالى إلى البشر.

وعن اهتمام القرآن بهذا اليوم يقول الشيخ /سيد سابق: «اهتم القرآن الكريم باليوم الآخر، وذلك لأن الإيمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذي صدر عنه الكون، والإيمان باليوم الآخر أيضاً يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهى إليه هذا الوجود، وعلى ضوء المعرفة بالمصدر والمصير، يمكن للإنسان أن يحدد هدفه، ويرسم غايته،

(١) سورة: لقمان: من الآية (٣٤).

(٢) أخرجه البخاري، باب سؤال جبريل النبي ﷺ حديث رقم ٥٠، ج ١ ص ١٩، وأخرجه مسلم في

الإيمان، باب بيان الإيمان، والإسلام، والإحسان رقم (٩، ١٠)، وأخرجه عن ابن عمر في

الباب نفسه رقم ٨.

ويتخذ من الوسائل والذرائع ما يوصله إلى الهدف، ويبلغ به الغاية ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة، فإن حياته سوف تبقى لا هدف لها، ولا غاية منها. وحينئذ يفقد الإنسان سموه الروحي، وفضائله العليا، ويعيش كما تعيش الأنعام، تسيرها غرائزها الطبيعية، واستعداداتها الفطرية، وهذا هو الانحطاط الروحي المدمر لشخصية الإنسان»^(١).

ما معنى الإيمان باليوم الآخر وما الذي يدخل فيه؟

معنى اليوم الآخر: التصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك. ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه وبالنفخ في الصور، وخروج الخلائق من القبور، وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزع وتقاصيل المحشر: نشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط والحوض، والشفاعة وغيرها، وبالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله (ﷻ)، وبالنار وعذابها الذي أشده حجبهم عن ربهم (ﷻ)^(٢).

وعلى هذا اليوم يشمل كل شيء من أمور الآخرة، وما يتعلق به فيدخل في ذلك أشراط الساعة وأمارتها التي تكون قبلها، وبالموت وما بعده من نعيم القبر وعذابه، ثم البعث، أو الحشر، ثم الحساب، والصراط وبعد ذلك الجنة والنار... الخ.

عناية الكتاب والسنة بالإيمان باليوم الآخر:

إن المنتبِع لطريقة القرآن الكريم في مجادلة خصوم العقيدة، يجد أن الاهتمام باليوم الآخر أخذ قسماً واسعاً من تلك الحجج والبراهين الدامغة لمنكري اليوم الآخر، وكذا في السنة المطهرة، ويتمثل ذلك فيما يلي^(٣):

(١) ينظر: العقائد الإسلامية: سيد سابق: دار الكتاب العربي - بيروت: ٢٥٩/ ١.

(٢) ينظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: حازم القاضي: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢هـ، ص ٥٥.

(٣) ينظر: الموسوعة العقدية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ / غلوي بن عبد القادر =

١ - كثرة ارتباط اليوم الآخر بالإيمان بالله - تعالى - :

فكثيرا ما يرد في القرآن والسنة ذكر الإيمان باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾^(١)، وكذا قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّادِقِينَ وَالصَّالِحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢)، فنحن نرى كيف ربط الله تعالى الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر، وجعله في المرتبة الثانية بعد الإيمان بالله مباشرة، وذلك لأنه ينبنى عليه جميع الأمور السمعية التي أخبر عنها القرآن الكريم وبينتها السنة النبوية المطهرة، حيث جاء في الحديث قول النبي ﷺ: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»^(٣).

٢ - أن الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة :

جاء في حديث جبريل المشهور قوله ﷺ عندما سأله جبريل عن الإيمان فقال: «إن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر...»^(٤)

٣ - كثرة الثناء على المؤمنين به، والذم للكافرين به :

جاء في وصف المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^(٥)، وقال تعالى

= السقاف: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net تم تحميله في ربيع الأول ١٤٣٣ هـ: ٩٦ / ٤

(١) سورة البقرة: من الآية (١٧٧).

(٢) سورة البقرة: آية (٦٢).

(٣) الحديث رواه البخاري برقم (٦٠١٨)، ومسلم برقم (٤٧).

(٤) الحديث قد سبق تخريجه.

(٥) سورة النمل: من الآية (٣).

في وصف الكافرين ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾^(١) لكن لا يعني أن كل من يعترف بالله أنه خالقه، وأنه يعترف بالعزة الإلهية وأنه يعترف بأن هناك يوم بعث . أي . يوم الآخرة، وفي نفس الوقت لا يدخل في طاعة الله عمداً متعمداً على المعصية مثل إبليس اللعين فلا يعتقد المسلم بأن إعرافاته بالربوبية أنه منجى من العقوبة ومن النار.

٤ - الإكثار من ذكر اليوم الآخر في القرآن الكريم وفي السنة النبوية :

فقلماً تخلو سورة من سور القرآن عن التحدث عنه وتقريبه إلى الأذهان بشتى الأساليب، من إقامة للحجة والبرهان، أو من ضرب الأمثال، كالاستدلال بالنشأة الأولى، وكذا خلق السموات والأرض، وإحياء الأرض بعد موتها - على الإعادة، وما إلى ذلك من المسالك التي سلكها القرآن الكريم...

٥ - كثرة الأسماء التي جاءت لليوم الآخر في القرآن الكريم :

فقد وردت أسماء كثيرة وكلها تبين ما سيقع في هذا اليوم من أهوال، ومعلوم من أساليب العرب أنهم يكثر من الأسماء للشيء إذا كان ذا أهمية وشأن، وقد نزل القرآن بلغتهم^(٢).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه، وهذا جميع كلام العرب، ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه، وتأكد نفعه لديهم وموقعه جمعوا له خمسمائة اسم، وله نظائر، فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها، سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة^(٣)، فالיום الآخر

(١) سورة هود: من الآية (١٩)

(٢) ينظر: العقائد الإسلامية: سيد سابق: دار الكتاب العربي - بيروت: ١ / ٢٥٩.

(٣) ينظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق ودراسة: الدكتور / الصادق بن محمد بن إبراهيم، : مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ: ١ / ٥٤٤.

له أسماء كثيرة، والسر في ذلك عظم أمره وكثرة أهواله.

أسباب اهتمام القرآن باليوم الآخر:

وإنما اهتم القرآن هذا الاهتمام باليوم الآخر، لعدة أسباب:

أولاً: أن المشركين من العرب كانوا ينكرونه أشد إنكار، ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾^(١).

ثانياً: أن أهل الكتاب^(٢) وإن كانوا يؤمنون باليوم الآخر، إلا أن تصورهم له قد بلغ منتهى الفساد، فالنصارى مثلاً، يعتمدون فيه على وجود يسوع الفادي المخلص الذي يَفْدِي الناس بنفسه، ويخلصهم من عقوبة الخطايا.. ، وعقيدة اليهود في الله وفي اليوم الآخر، لا تقل في فسادها وضلالها عن عقيدة النصارى، والهنود.

ثالثاً: أن الإيمان باليوم الآخر يجعل لحياتنا غاية سامية، وهدفاً أعلى، وهذه الغاية هي فعل الخيرات، وترك المنكرات، والتخلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل الضارة بالأبدان والأديان، والأعراض والعقول، والأموال، أي تحقيق معنى الخلافة، ولابد من تقوية الوازع النفسي الذي يرغّب في الخير، ويصد عن الشر، ولا يقوى الوازع إلى بكثرة التذكير والنفنن في التصوير، وضرب الأمثال المتنوعة، حتى تعمق جذوره، ويقوى تأثيره، ويحقق الغاية منه، فيرجع المنكر عن إنكاره، ويصحح المخطئ خطأه، ويحدد كل إنسان هدفه الأعلى لا يضل الطريق، أو تتعثر به الخطأ^(٣).

(١) سورة الجاثية من الآية (٢٤).

(٢) أهل الكتاب: هم اليهود المشهور ببني إسرائيل والنصارى وغيرهما ممن اعتقدوا ديناً سماوياً ولهم كتاب منزل كصحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى على نبينا وعليهم الصلاة والسلام. ينظر: التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م: ١ / ٣٩.

(٣) ينظر: العقائد الإسلامية، سيد سابق، دار الكتاب العربي - بيروت: ١ / ٢٦٥.٢٦٤.

رابعاً: إن اليوم الآخر وما يجري فيه من أحداث قد تشوهت صورته عند الأمم السابقة بسبب التحريف الذي طرأ على الكتب السماوية المنزلة قبل القرآن ومن بين الأمور التي تشوهت عندهم ما يتعلق باليوم الآخر فقد تصور أهل الكتاب الحياة الآخرة على نحو يبتعد كثيراً عن الحق الذي جاء به رسلهم عليهم السلام، فالتأمل في التوراة يجد أنها قد خلت تماماً من الحديث عن اليوم الآخر، كما جاء به موسى عَلَيْهِ السَّلَام وليس الإنجيل بأُسعد حظاً من التوراة في ذلك، فاعتقاد النصارى أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَام هو الذي سيحاسب الخلائق يوم القيامة انطلاقاً من جعله إلهاً كما تصرح أناجيلهم^(١).

خامساً: إن البعث وما يتبعه من أحداث هو الحلقة الأخيرة التي يكتمل تحقيق الغاية التي من أجلها خلق الإنسان وهي استخلافه في الأرض فالإنسان لم يخلق عبثاً، ومن غير المعقول أن تنتهي الحياة بموت الإنسان دون أن يبعث مرة أخرى، ليحاسب على ما قدمته يداه، ومن ثم فإن وجود اليوم الآخر يؤصل القاعدة الخلقية التي تؤدي إلى اسعاد البشرية وتجنبها مظاهر الشقاوة والضلال، فليس هنالك من وسيلة تضبط السلوك البشري أفضل من ترسيخ عقيدة الإيمان باليوم الآخر في النفس البشرية^(٢).

(١) الأناجيل جمع إنجيل، و(الإنجيل) كتاب عيسى عَلَيْهِ السَّلَام يذكر ويؤنث فمن أنث أراد الصحيفة، ومن ذكر أراد الكتاب. ينظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م: ١ / ٣٠٥.

(٢) ينظر: الدلالة العقلية ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، د / عبد الكريم نوفان عبيدات: ٤١٨ وما بعدها.

ويوضح الأستاذ/ سيد قطب^(١) اهتمام القرآن باليوم الآخر قائلاً: «فقضية البعث قاعدة أساسية في العقيدة الإسلامية، قاعدة تقوم عليها العقيدة، ويقوم عليها التصور الكلي لمقتضيات هذه العقيدة، فالمسلم مطلوب منه أن يقوم على الحق ليدفع الباطل، وأن ينهض بالخير ليقضي على الشر، وأن يجعل نشاطه كله في الأرض عبادة لله، بالتوجه في هذا النشاط كله لله، ولا بد من جزاء على العمل، وهذا الجزاء قد لا يتم في رحلة الأرض، فيؤجل للحساب الختامي بعد نهاية الرحلة كلها، فلا بد إذن من عالم آخر، ولا بد إذن من بعث للحساب في العالم الآخر.. وحين ينهار أساس الآخرة في النفس ينهار معه كل تصور لحقيقة هذه العقيدة وتكاليها ولا تستقيم هذه النفس على طريق الإسلام أبداً^(٢).

لهذه الأسباب نرى أن القرآن قد اهتم باليوم الآخر اهتماماً بالغاً، ونحن معاصر المسلمين نؤمن بأن جميع الأنبياء دعوا إلى الإيمان بالله واليوم الآخر^(٣)، والقرآن الكريم ينطق بهذا في عبارة صريحة، فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو أبو الأنبياء، و خليل الله يدعو ربه قائلاً: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾^(٤)، ويقول:

(١) سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية: موشا، في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤م وعمل في جريدة الأهرام. وكتب في مجلتي (الرسالة) و(الثقافة) وعين مدرساً للعربية، فموظفًا في ديوان وزارة المعارف، ثم مراقبًا فنيًا للوزارة من مؤلفاته: التصوير الفني في القرآن، ومشاهد القيامة في القرآن، وكتب وشخصيات، وأشواك، والإسلام ومشكلات الحضارة، والسلام العالمي، والإسلام والمستقبل لهذا الدين، وفي ظلال القرآن، ومعالم في الطريق، توفي سنة ١٣٨٧هـ - ٢٩ من أغسطس سنة ١٩٦٦م ينظر: الأعلام، للزركلي: ٣ / ١٤٨.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٦ / ٣٣٥٨.

(٣) ينظر: البحوث التربوية الثقافية الاجتماعية والعقائدية لمجمع البحوث الإسلامية، ص ٣٧٧.

(٤) سورة إبراهيم: آية ٤١.

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾^(١) ويقول ضارعاً إلى الله: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾^(٢) وموسى عليه السلام يقول عنه القرآن مبيناً اقراره لبني اسرائيل ولفرعون وملائه بوقوع اليوم الآخر قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(٣).



(١) سورة الشعراء: آية ٨٢.

(٢) سورة الشعراء: آية ٨٧.

(٣) ينظر: البحوث التربوية الثقافية الاجتماعية والعقائدية لمجمع البحوث الإسلامية، ص ٣٧٧،

والآية من سورة غافر: ٢٧.

المبحث الثاني

البعث والحكمة منه ، والمسالك التي سلكها القرآن

في تقرير عقيدة البعث من خلال السورة الكريمة

مقدمة :

«يعتبر الإيمان بالبعث من أركان العقيدة الإسلامية، اليهودية تحوم حوله ولا تثبته، المسيحية تثبته وتقصره على الأرواح، الإسلام يقرره ويؤيده بأدلة عقلية وبراهين علمية عديدة فبعث الأجساد بعد موتها من المسائل المهمة التي شغلت العقل الإنساني منذ القدم، وتنازع الناس فيه فما بين منكر للبعث ومقر به، وذلك حسب الثقافة التي يستمد منها الناس تصوراتهم فيما يتعلق بعالم الغيب»^(١).

ولقد شغلت هذه المسألة عقول المفكرين قديماً، وحديثاً ما بين مؤيد، ومعارض، حتى أنكر البعض حدوث حياة أخرى بعد هذه الحياة، وأنكروا البعث جاء هذا المعنى في قول السفاريني رَحِمَهُ اللهُ: «إن هذه المسألة زلَّ فيها عالم، وضل فيها طوائف من بني آدم وهدى الله أتباع رسله فيها للحق المبين والصواب المستبين، فأجمعت الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم - على أن روح الإنسان محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل -صلوات الله عليهم - كما يعلم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث، وأن معاد الأبدان واقع، وأن الله تعالى وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق له، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وهم القرون المفضلة على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وأنها مخلوقة حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة فزعم أنها قديمة غير مخلوقة واحتج

(١) ينظر: الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، د/ عبد الكريم

لذلك أنها من أمر الله وأمر الله غير مخلوق وبأن الله أضافها إليه كما أضاف إليه علمه وكتابه»^(١).

«وإذا كان الموت حقيقة يراها الإنسان ويشاهدها فما بعد الموت من بعث وجنة ونار... الخ حقيقة لا شك فيها يقول الدكتور /عبد الكريم الخطيب: «وكما أن الموت حقيقة واقعة مشهودة لكل إنسان، مؤمن، أو كافر لا يستطيع أحد أن ينكرها، أو يماري فيها - وإن كثيراً من الناس يتجاهلون، فإن البعث بعد الموت حقيقة يستيقنها المؤمنون بالله وبما جات به رسل الله من عند الله عن البعث، والحياة الآخرة والحساب، والجزاء، والجنة، والنار»^(٢).

ويعد البعث بعد الموت، وحشر الخلائق إلى بارئها لنيل جزائها يوم القيامة، من العقائد الأساسية في القرآن الكريم، ولما كانت هذه العقيدة محل شك واستبعاد من قبل المشركين كما حكى الله عنهم قولهم: ﴿لَا دَائِمًا وَكُنَّا تَرَاكِبًا وَعِظَمَاءً نَالَمَبْعُوثُونَ﴾^(٣).

فقد اهتم القرآن اهتماماً بالغاً بإثبات هذه العقيدة وتقريرها، والرد على المشككين فيها، وتنوعت أدلة القرآن في تقرير هذه العقيدة بين إخبار بوقوع البعث، وتدليل على وقوعه، واستدلال بالحس على إمكانه، وتشبيهه بأمور تجري واقعاً في الحياة، وبين ذكر قصص متنوعة لحالات تم فيها بإرادة إلهية إحياء الموتى، وسوف أعرض لهذا كله من خلال استعراض آيات القرآن الواردة في هذا الشأن.

ولما كانت مسألة البعث من الأمور الغيبية فإن الرسائل السماوية هي التي تمد الإنسان بتصور واضح عن البعث وما فيه، «ومن هنا فقد جاء الرسل

(١) ينظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، للسفاريني: ٢ / ٣٣.

(٢) ينظر: الإنسان في القرآن من البداية الى النهاية، د/ عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، ص ٢٣٣.

(٣) سورة الصافات: آية (١٦).

مبشرين بحياة أخروية بعد هذه الحياة، يرجع فيها الناس إلى خالقهم ويحاسبون على أعمالهم وجاءت الرسل ليربطوا مصير الناس في الحياة الآخرة بما قدمت أيديهم في الحياة الدنيا، فمن أحسن العمل فله الجنة، ومن أساء فله النار، يقول وحيد الدين خان: «وكل إنسان سوف يعرض على ربه ليجازيه عما قدمت يداه، وهذا ما جاءت به الرسل، وأخبروا بذلك، وأن الناس سوف يبعثون مرة أخرى، وسوف تعرض أعمالهم . خيراً أو شراً . على محكمة الله، الذي يجزي كل إنسان بما عمل في الحياة الدنيا»^(١).

إنكار البعث كما تصوره السورة الكريمة:

البعث من القضايا العقدية التي تعرضت للإنكار فمثلاً كمثّل القضايا العقدية الأخرى التي أنكرها المنكرون، ولقد ذكر القرآن الكريم هذه القضية وخاصة في السور المكية، ومن السور المكية التي تحدثت عن قضية البعث سورة الروم.

الأدلة القرآنية التي تشير إلى إنكار البعث من خلال السورة الكريمة:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَيْدًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَفِرُونَ﴾^(٢) وقال أيضاً: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٣)، وقال - جل وعلا -: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُؤَاغِرَ سَاعَةَ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾^(٤).

أقوال العلماء في هذه الأدلة السابقة:

يقول الإمام البيضاوي في بيان الدليل الأول الوارد في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَيْدًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَفِرُونَ﴾^(٥): أي بقاء جزائه عند انقضاء الأجل

(١) ينظر: الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ص ١١٧ بتصرف.

(٢) سورة الروم: آية ٨.

(٣) سورة الروم: آية ١١.

(٤) سورة الروم: آية ٥٥.

(٥) سورة الروم: آية ٨.

المسمى، أو قيام الساعة لكافرون جاحدون يحسبون أن الدنيا أبدية، وأن الآخرة لا تكون^(١).

واللقاء هنا معناه البعث لينال كل إنسان ما قدمت يده فهم ينكرون لقاء الله تعالى. ويقول ابن عطية في بيان هذا الدليل: «أي وبأجل مسمى وهو يوم القيامة، ففي الآية إشارة إلى البعث والنشور وفساد بنية من في هذا العالم، ثم أخبر عن كثير من الناس أنهم كفرة بذلك المعنى فعبر عنه بِلِقَاءِ اللَّهِ؛ لأن لقاء الله هو عظم الأمر، وفيه النجاة أو الهلكة»^(٢).

والعالم وما فيه سيفنى ومع هذا ينكر الناس تلك الحقيقة وهي العودة إلى الله للحساب والجزاء، والعرض عليه تعالى يوم القيامة.

يقول الإمام القرطبي في بيان هذا الدليل الوارد في قول الله تعالى ﴿وَلَاتَكْفِرُوا مِّنْ النَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكِفْرُوتٌ﴾^(٣) فقال: «لكافرون بقاء ربهم، على التقديم والتأخير، أي لكافرون بالبعث بعد الموت»^(٤).

كما يقول الماتريدي في بيان هذا الدليل الوارد في قول الله تعالى ﴿وَلَاتَكْفِرُوا مِّنْ النَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكِفْرُوتٌ﴾^(٥) فقال: «سمى البعث: لقاء الرب، والمصير إليه والرجوع إليه، والبروز إليه، والخروج، وإن كانوا في الأوقات كلها بارزين له، خارجين، صائرين إليه، راجعين؛ لأن خلقه إياهم إنما صار حكمة لذلك البعث، والمقصود

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد

الشيرازي البيضاوي، ج ٤، ص ٢٠٢

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: ٤ / ٣٣٠.

(٣) سورة الروم: آية ٨.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ١٤ / ٩.

(٥) سورة الروم: آية ٨.

بخلقهم ذلك البعث؛ لذلك سمي البعث بما ذكرنا»^(١).

قال الفخر الرازي مبيناً أن أكثر الناس لكافرون بقاء الله وهو يوم القيامة ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفُلُونَ﴾^(٢): «وأما دلالة الإنسان على الحشر، فذلك لأنه إذا تفكر في نفسه يرى قواه صائرة إلى الزوال، وأجزائه مائلة إلى الانحلال فله فناء ضروري، فلو لم يكن له حياة أخرى لكان خلقه على هذا الوجه للفناء عبثاً، وإليه أشار بقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾^(٣) وهذا ظاهر، لأن من يفعل شيئاً للعبث فلو بالغ في إحكامه وإتقانه يضحك منه، فإذا خلقه للبقاء ولا بقاء دون اللقاء فالآخرة لا بد منها»^(٤).

الدليل الثاني من أدلة المنكرين للبعث من خلال السورة هو: قول الله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَئِڪَ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥).

أقوال العلماء في بيان هذا الدليل:

قال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الدليل السابق: «القائلون: هم الملائكة، والأنبياء، والمؤمنون في كتاب الله في اللوح، أو في علم الله وقضائه، أو فيما كتبه، أي: أوجبه بحكمته، ردوا ما قالوه وحلفوا عليه، وأطلعوهم على الحقيقة تم وصلوا ذلك بتفريعهم على إنكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون أنه حق لتفريطكم في طلب الحق وأتباعه»^(٦).

(١) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) أبو منصور الماتريدي: ٨ / ٢٥٤.

(٢) سورة الروم: جزء من الآية (٧).

(٣) سورة المؤمنون: جزء من الآية (١١٥).

(٤) يراجع: التفسير الكبير للرازي: ٢٥ / ٨١، ٨٢.

(٥) سورة الروم: آية ٥٦.

(٦) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري: ٣ / ٤٨٧.

ويقول الألوسي في بيان هذا الدليل السابق: «والأصل وقال الذين أوتوا العلم والإيمان في كتاب الله ﴿لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ والكلام ولما قالوه مؤكد باليمين، أو توبيخ وتقضيق وتهكم بهم، فتأمل (فهذا يَوْمُ الْبَعْثِ الذي كنتم توعدون) في الدنيا، والفاء فصيحة كأنه قيل: إن كنتم منكروين البعث فهذا يومه أي فنخبركم أنه قد تبين بطلان إنكاركم، وجوز أن تكون عاطفة، والتعقب ذكرى، أو تعليلة ﴿وَلَا تَكْفُرُوا﴾ أنه حق لتفريطكم في النظر فتستعجلون به استهزاء، وقيل: لا تعلمون البعث ولا تتعرفون به فلذا صار مصيركم إلى النار»^(١).

فيوم البعث حقيقة لا شك فيها ويقر بها أهل العلم الذين علموا أن البعث آت لا محالة، وبالتالي فهم ليسوا في غفلة عن القيامة وما فيها من بعث وحساب.... الخ وإلى ذلك يقول القاسمي: «وقال الذين أوتوا العلم والإيمان ردا لما حلفوا عليه، وإطلاعا لهم على الحقيقة، لقد لبئتم في كتاب الله، أي فيما كتبه الله وأوجبه بحكمته إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون أي أنه حق، لتفريطكم في طلب الحق وأتباعه»^(٢).

وهذا الدليل الذي نحن بصدده فيه من اللطافة ما فيه ولا يفهمه أحد إلا أهل العلم الذين يؤمنون بالبعث وما فيه فهم معترفون بهذا الأمر ولا غرابة فيه أبدا عندهم.

قال الفخر الرازي في بيان المعنى اللطيف في هذا الدليل فيقول: «ونحن نبين ما هو المعنى اللطيف في هاتين الآيتين، فنقول الموعود بوعده إذا ضرب له أجل يستكثر الأجل ويريد تعجيله، والموعود بوعيد إذا ضرب له أجل يستقل المدة ويريد تأخيرها، لكن المجرم إذا حشر علم أن مصيره إلى النار فيستقل مدة اللبث، ويختار تأخير الحشر والإبقاء في القبر، والمؤمن إذا حشر علم أن مصيره إلى الجنة فيستكثر المدة ولا يريد التأخير فيختلف الفريقان، ويقول أحدهما إن مدة لبثنا قليل وإليه الإشارة

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: ١١ / ٥٩. ٦٠

(٢) ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي: ٨ / ٢٣.

بقوله: يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ويقول الآخر لبثنا مديدا (١).

والله الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ يعني كان في كتاب الله ضرب الأجل إلى يوم البعث، ونحن صبرنا إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون يعني طلبكم التأخير؛ لأنكم كنتم لا تعلمون البعث ولا تعترفون به، فصار مصيركم إلى النار فتطلبون التأخير» (٢) وفي هذه الإشارة السابقة أرى أن الإمام الرازي قد تجاوز في رأيه السابق وهو «ان الفريقين يختلفان على الإبقاء . أو الخروج من القبر » ونرد عليه بأن ما ذكره مخالف للحديث الصحيح المشهور وهو قول الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» (٣).

إن قضية إنكار البعث من القضايا التي تناولها الإثبات والنفي، فهو واقع لا محالة، ولا شك أن الموت بعث أول، وهناك بعث ثان وهو مفارقة الأرواح للأبدان، وإذا كان الأمر كذلك فلا مجال لإنكاره من السفهاء أصحاب العقول الضعيفة.

يقول ابن القيم: «إن الموت معاد وبعث أول فإن الله سبحانه وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزى فيهما الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى فالبعث الأول مفارقة الروح للبدن، ومصيرها إلى دار الجزاء الأول، والبعث الثاني يوم

(١) وشيء مديد: ممدود. ورجل مديد الجسم: طويل، وأصله في القيام؛ سيبيويه، والجمع ممدد، جاء على الأصل لأنه لم يشبه الفعل، والأنثى مديدة، وفي حديث عثمان: قال لبعض عماله: بلغني أنك تزوجت امرأة مديدة أي طويلة. ورجل مديد القامة: طويل القامة. وطراف ممدد أي ممدود بالأطناب، وشدت للمبالغة. وتمدد الرجل أي تمطى، ينظر: لسان العرب، لابن منظور: ٣ / ٣٩٧.

(٢) الحديث: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن، ينظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، : أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، ج٨، ص ١٣٦

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي: ٢٥ / ١١٢.

يرد الله الأرواح إلى أجسادها ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار وهو الحشر الثاني^(١).

وفي هذا الصدد أقوم بتعريف البعث من خلال السورة الكريمة، ثم أذكر الأدلة علي وقوعه وذكر شبه المنكرين للبعث وذلك من خلال سورة الروم.

تعريف البعث في اللغة:

يقول صاحب لسان العرب^(٢): والبعث في كلام العرب على وجهين: أحدهما الإرسال، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى﴾^(٣) معناه أرسلنا، والبعث: إثارة بارك أو قاعد، تقول: بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثار، والبعث أيضًا: الإحياء من الله للموتى؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ﴾^(٤) أي أحييناكم، وبعث الموتى: نشرهم ليوم البعث، وبعث الله الخلق يبعثهم بعثًا، ويقول الراغب الأصفهاني: أصل البعث: إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بَعَثْتُهُ فَأَنْبَعَثَ، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علّق به، فَبَعَثْتُ البعير: أثرته وسيرته، وقوله (ﷺ): ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾^(٥)، أي: يخرجهم^(٦).

والاستخدام اللغوي لكلمة البعث يدل على أمرين:

أولهما: وجود مصدر عام يعد المبعوث، وتهيئه إلى الجهة التي يبعث إليها، ويحدد له الغاية التي يعمل لها.

(١) ينظر: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت: ١ / ٧٤.

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٢ / ١١٧، فصل الباء الموحدة.

(٣) سورة الأعراف آية: ١٠٣.

(٤) سورة البقرة آية: ٥٦.

(٥) سورة الأنعام آية: ٣٦.

(٦) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ب ع ث)، ص ١١٧.

وثانيهما: وجود مبعوث صالح، ولأداء المهمة التي من أجلها بعث^(١) وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

ولعلنا إذا نظرنا في الاستخدام اللغوي لكلمة (بعث) بعد نقلها إلى لسان الشرع على المعنى الاصطلاحي عليه وهو بعث الأموات، يوم يقوم الناس لرب العالمين لعلنا رأينا أنه يحمل من الأصل اللغوي لكلمة البعث، الأمرين اللذين أشرنا إليهما، وعلى هذا «فقد كان من بلاغة البعث القرآني، ومن دلائل إعجازه استعمال كلمة البعث في معناها الشرعي الدال على بعث الحياة في الأموات يوم النشور، ليكون من مدلولها أن البعث ليس متولدًا من ذاته، إذ لا بد من باعث ومبعوث والمبعوث لا يكون مبعوثًا من ذاته، ولا يكون باعثًا، أو مساويًا للباعث في مقامه، وإنما هو متحرك ومرسل بمحرك ومرسل له»^(٣).

إن كلمة (البعث) سواء أكانت في اللغة أم في الاصطلاح إنما تعني بعث الأموات من قبورهم إلى أرض المحشر ليرى كل إنسان ما قدمت يداه.

وفي هذا إشارة إلى قول الله تعالى ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾^(٤) يقول الرازي: أي «لم يكن حيًا مكلفًا.

وثانيها: أنه كان قبل البعث ترابًا، فالمعنى على هذا: يا ليتني لم أبعث للحساب، وبقيت كما كنت ترابًا»^(٥).

(١) ينظر: الإنسان في القرآن من البداية إلى النهاية، عبد الكريم الخطيب: ص ٣٢٦.

(٢) سورة الجمعة آية (٢).

(٣) ينظر: الإنسان في القرآن من البداية إلى النهاية، عبد الكريم الخطيب، ص ٢٣٣.

(٤) سورة النبأ: من الآية (٤٠).

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب، للإمام الرازي: ٣١ / ٢١.

تعريف البعث في الاصطلاح:

يعرّفه الإمام البيجوري رَحِمَهُ اللهُ فيقول هو: «إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية، وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره ولو قطعت قبل موته بخلاف التي ليس من شأنها ذلك كالظفر»^(١).

وعرّفه الشيخ/ السنندجي^(٢) في كتابه تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام حيث يقول: «البعث هو الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرق وإلى الحياة بعد الموت والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة»^(٣).

فالبعث معناه رجوع الأبدان إلى الوجود الثاني الذي هو العود، وأيضاً رجوع الأرواح إلى أبدانها بعد مفارقتها، وكل ذلك قد أخبر عنه القرآن الكريم، وأخبر عنه الأنبياء والمرسلين.

وعرّفه أيضاً التفتازاني فقال: «هو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزائهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها»^(٤)، وقال الشيخ /سيد سابق عن البعث:

(١) ينظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، ص ٢٧٨.

(٢) هو عبد القادر بن محمد سعيد بن أحمد التختي المردوخي السنندجي الكردي الشافعي: فاضل. سكن السليمانية (بالعراق) وتوفي بها. له كتب، منها «تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام - ط «ورسالة العلم» و«كشف الغطاء» توفي سنة ١٣٠٤هـ، ١٨٨٧م» ينظر: الاعلام للزركلي: ٤ / ٤٤.

(٣) ينظر: تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام، لفخر الدين والملة - الشيخ عبد القادر السنندجي الكردستاني، وحواشي متفرقة لبعض الافاضل للمحقق، السيد الشريف الجرجاني، المكتبة الازهرية للتراث . بدون ط، ولا سنة نشر: ٢ / ٢٤١.

(٤) ينظر: شرح العقائد النسفية مع حاشية جمع الفرائد بإنارة شرح العقائد، للإمام سعد الدين التفتازاني، وجمع الفرائد للأستاذ صدر الوري القاري المصباحي، مكتبة المدينة - كراتشي . باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ٢٤٢.

«هو إعادة الإنسان روحًا وجسدًا كما كان في الدنيا»^(١).

والمعنى المستفاد من التعريفات السابقة معناه: أن البعث إعادة الأرواح إلى الأبدان بعد مفارقة الأبدان في أرض المحشر.

وأما البعث الروحاني فقد عرفه الشيخ الرئيس ابن سينا^(٢) فقال: «المعاد الروحاني عبارة عن مفارقة النفس عن بدنها واتصالها بالعالم العقلي الذي هو عالم المجردات وسعادتها وشقاوتها هناك بفضائلها النفسية ورذائلها»^(٣).

ويقول العلامة ابن كثير^(٤): «البعث وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم

(١) ينظر: العقائد الإسلامية، سيد سابق: ١ / ٢٦٩.

(٢) هو الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب، والمنطق والطبيعات والإلهيات. أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخاري. ونشأ وتعلم في بخاري، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همدان، وثار عليه عسكراها ونهبوا بيته، فتواري. ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه. بقي معولاً عليه في علم الطب وعمله، ستة قرون، وترجمه الفرنج إلى لغاتهم، وكانوا يتعلمونه في مدارسهم، وطبعوه بالعربية في رومة، وهم يسمون ابن سينا Avicenne وله عندهم مكانة رفيعة. ومن تصانيفه (المعاد)، و(رسالة في الحكمة)، و(الشفاء)، و(السياسة) و(أسرار الحكمة المشرقية)، وأرجوزة في (المنطق)، ورسالة (حي بن يقظان)، ينظر: الأعلام ٢/ ٢٤٢، وينظر: لسان الميزان أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني: ٢ / ٢٩.

(٣) ينظر: الأضحوية في المعاد، للشيخ الرئيس / ابن سينا، تحقيق: حسن عاصي، شمس تبريز نهران تلفن، ١٣٨٢هـ، ص ١٦٦.

(٤) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن ذرع، الشيخ الإمام العلامة عماد الدين أبو الفدا بن الشيخ شهاب الدين أبي حفص القرشي البصري الدمشقي الشافعي، الحافظ المفسر المؤرخ المعروف بابن كثير. مولده بقرية شرقي بصرى من أعمال دمشق في سنة إحدى وسبعمائة، ومات والده وهو في الرابعة فرباه أخوه الشيخ عبد الوهاب وبه تقفه في مبدأ أمره، ثم لازم الاشتغال، ودأب وحصل وكتب، وبرع في الفقه والتفسير والحديث، وسمع بدمشق من عيسى المطعم وأحمد بن الشيخة، والقاسم بن عساكر، وابن الشيرازي، =

القيامة»^(١).

والحاصل أن البعث: هو أن يعيد الله . تعالى . الإنسان بروحه وجسده كما كان في الحياة الدنيا، وهذا (كائن) أي ثابت ومنتحقق، وذلك عندما تتعلق به إرادة . الله تعالى فيبعث الخلق جميعاً من قبورهم، وهم حفاة عراة غرلاً بهم (٢)، ويساقون إلى أرض الموقف لينال كل إنسان ما يستحقه من الجزاء العادل وفق ما قدمته يده في حياته الدنيا.

المقارنة بين المعنى الشرعي لكلمة (البعث) والمعنى اللغوي:

وعند المقارنة بين المعنيين نجد ترابطاً وثيقاً إذ من معاني «البعث» في اللغة التحريك والإثارة لما كان ساكناً قبل ذلك، وكذلك الإرسال كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾^(٣).

فالمعنى الشرعي: هو أن يرسل الله . تعالى . الحياة إلى الأموات ويشيرها من جديد

= وإسحاق الأمدي، ومحمد بن الزراد، وأجاز له من مصر أبو الفتح الدبوسي، ومن مصنفاته تفسير القرآن الكريم في عشر مجلدات، وكتاب طبقات الفقهاء، ومناقب الشافعي، والتاريخ المسمى بالبداية والنهاية وأيضاً في عشر مجلدات، وهو في غاية الجود، وخرّج أحاديث مختصر ابن الحاجب، وكتب على البخاري ولم يكمله، وله غير ذلك، ينظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، حققه ووضع حواشيه: دكتور /محمد محمد أمين، تقديم: دكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ٢ / ٤١٣، ٤١٤.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): ٥ / ٣٤٧.

(٢) ومعنى بهم . أي أنهم يغلب عليهم السواد من شدة الحر ومن العرق ونحوه. بهم هو السواد ومنه الكلب البهيم، وقيل إن معناه إنهم لا يتكلمون كالبهائم ولهذا قال في آية أخرى ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا سَمْعَ إِلَّا هَمْسًا﴾ من الآية (١٠٨) من سورة طه

(٣) سورة النحل: من الآية ٣٦

لنتمكن من المراد منها وهو الإسراع من الأحداث إلى موقف الحساب^(١).

حكم الإيمان بالبعث:

والإيمان بالبعث أمر ضروري، وذلك كل من آمن بالنبي فيجب عليه أن يؤمن بكل ما جاء به النبي، ومنها على سبيل المثال لا الحصر (البعث).

يقول الإمام النسفي: «وأما الإيمان بالبعث فقد ورد به عَلَيْهِ السَّلَامُ ونطق به ما ورد به من كتاب، وأثبت ذلك بالحجج العقلية على ما مر ذكره قبل هذا، وهو أمر به ينفصل عن أصحاب الديانة من المجان والخلفاء، وإن كل من آمن بنبي من الأنبياء فقد صدق بالبعث وفي الجحد به إيمان النفس الأمانة بالسوء عن عواقب المطالبات، وتسويغ لها عامة ما تشتهيه من الفواحش وتجذب إليه همته من المآثم والقبائح^(٢).

والبعث في حيز الإمكان، فليس مستحيلاً، فيجب الإيمان به؛ لأنه ركن من الدين، يقول فخر الدين الرازي: «أجمع المسلمون على المعاد بمعنى جمع الأجزاء بعد تفريقها خلافاً للفلاسفة لنا (أي المتكلمين الذين أثبتوه) أنه في نفسه ممكن، والصادق أخبر عنه فوجب القول به، وإنما قلنا إنه ممكن لأن الإمكان إنما يثبت بالنظر إلى القابل، أو الفاعل وهما حاصلان، إما بالنظر إلى الفاعل، فلأن ثبوت الجسم الأعراض الفاعلية أمر ثبت له لذاته وما بالذات كان حاصلًا أبدًا، فلذلك القول حاصلًا أبدًا، وإما بالنظر إلى الفاعل فلأنه تعالى بدأ بأعيان جزء كل شخص لكونه عالمًا بالجزئيات، وقادرًا على جمعها وخلق الحياة فيها؛ لكونه قادرًا على الممكنات، وإذا كان كذلك كانت الإعادة ممكنة»^(٣).

(١) ينظر: مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي عايض حسن، مكتبة الرشد، ط الأولى:

٥٦٨ / ١.

(٢) ينظر: تبصرة الأدلة في أصول الدين، لأبي المعين النسفي: ٢ / ٧٦٠.

(٣) ينظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، فخر الدين محمد

ابن عمر الخطيب الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية، بدون ط، ص ٢٣٢.

فالفطرة السليمة التي لم تتلوث ببرائش الشرك هي التي تعترف بقضية البعث بدون شك ولما لا؟ وهي التي اعترفت بربها وبوجوده دون أن تراه، فأمنت وسلمت بكل ما جاء عن الله تعالى على السنة الأنبياء والمرسلين، من الأمور التي لا تدرك إلا بالسمع منهم وعن طريقهم، ومن هذه الأمور البعث والجنة والنار... الخ.

يقول أبو العز الحنفي^(١) «الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على منكره في غالب سور القرآن، وذلك: أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالله، فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم، وهو فطري، كلهم يقر بالرب، إلا من عاند كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإن منكره كثيرون، ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفي - بين تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء، ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم، أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ، وجعلوا هذه حجة لهم في أنه من باب التخيل والخطاب الجمهوري.

والقرآن بين معاد النفس عند الموت، ومعاد البدن عند القيامة الكبرى في غير موضع. وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى، وينكرون معاد الأبدان، ويقول من يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمد ﷺ على طريق التخيل! وهذا كذب، فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء، من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم، وموسى، وعيسى، وغيرهم

(١) هو: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي قاضي القضاة بدمشق ثم بالديار المصرية ثم بدمشق وهو الذي امتحن بسبب اعتراضه على قصيدة ابن أيبك الدمشقي مولده سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ووفاته سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ثم تلمذ المؤلف وكان يلزمه ذكره وذكره بالأسماء فسماه محمداً والصواب علي والله أعلم، ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد - الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م: ٤ / ١٠٣، والأعلام: ٣١٣/٤.

عليهم السلام^(١).

ومما سبق نرى أن البعث من الأمور الممكنة، وذلك لأن إعادة الخلق مرة أخرى من البديهيّات التي يسلم بها العقل، وذلك لأن من صنع شيئاً فهو عالم بصنّعته وإعادته مرة أخرى دون عنت أو مشقة، والبعث قد جاء به القرآن الكريم وأخبرت به الرسل من لدن آدم، إلى أن بعث الله محمداً ﷺ والقرآن بين ذلك بالتفصيل أعني بعث الأبدان والأرواح فيجب الإيمان به؛ لأن منكره كافر؛ لأنه أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة.

فالإيمان به واجب، وهو ركن من أركان الأديان السماوية، وقد أجمع الأنبياء والرسل على ذلك، وستكون فيه حياة أخرى يعيش فيها إما أن يسعد فيها، وإما أن يشقى.

كما أخبر بذلك القرآن الكريم وجاءت السنة المطهرة لتوضح ذلك، يقول الدكتور على أرسلان آيدان: «والبعث معناه إحياء الله الموتى وإرجاعها إلى الحياة مرة ثانية كي يعيشوا حياة - أخرى أبدية - ركن من أركان الأديان السماوية، وقد أجمع الرسل جميعاً على الإخبار بأن للإنسان حياة أخرى، وأنه لا بد أن يعقب بعد الموت ليستأنف حياته بعد ذلك بلا انقضاء ولا انتهاء، وأنه في حياته الثانية المستمرة سوف يكون إما في سعادة دائمة ونعيم خالد وإما في شقاوة مستمرة وعذاب أليم كل منهما يتناسب مع الحالة التي أتى بها في هذه الحياة الدنيا^(٢).

الحكمة من البعث من خلال سورة الروم:

إن الحكمة من البعث تظهر في أن الله تعالى يبعث الناس من أجل ماذا؟ من

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية: ٢ / ٥٨٨.

(٢) ينظر: ١ د / على أرسلان آيدان، البعث والخلود بين المتكلمين والفلاسفة (في إثبات عقيدة البعث والخلود والرد على المنكرين) رسالة لنيل درجة الأستاذية من جامعة الأزهر، تحت إشراف الإمام الأكبر / عبد الحليم محمود، ط استانبول ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ص ٥٤٨.

أجل أن يأخذ كل إنسان جزاء ما قدمت يده في الدنيا قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَفُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾^(١) فالله تعالى لم يخلق الإنسان عبثاً.

والى هذا يقول الشيخ سيد سابق: «والقرآن الكريم يلفت الأنظار إلى أن الله لم يخلق الإنسان من غير هدف عال، ولا غاية سامية؛ لأن ذلك يتنافى مع كماله الأقدس وحكمته العليا. فالله لم يخلق الإنسان بيده، وينفخ فيه من روحه، ويفضله على ملائكته، ويسخر له ما في السماوات وما في الأرض، ويجعله سيد هذا الكوكب الأرضي دون غاية أو غرض؛ فإن ذلك عبث ينتزه الله عنه»^(٢).

الدليل الذي يشير إلى الحكمة من البعث من خلال سورة الروم:

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٣).

أقوال العلماء في بيان الحكمة من البعث:

يقول الإمام البيضاوي في بيان هذا الدليل: «الله يبدؤا الخلق ينشئهم. ثم يعيده يبعثهم. ثم إليه ترجعون للجزاء»^(٤).

فهو سبحانه يجازيهم على أعمالهم سواء كانت صغيرة أم كبيرة لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۖ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٥).

قال الزمخشري في هذا الدليل: «ثم إليه ترجعون أي إلى ثوابه وعقابه»^(٦)، فالرجوع إلى الله تعالى لينال كل إنسان جزاء عمله في الدنيا، ومن هنا تظهر الحكمة

(١) سورة النجم من الآية: ٣١.

(٢) ينظر: العقائد الإسلامية، ص ٢٥٩.

(٣) ينظر: سورة الروم: الآية (١١).

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ٤ / ٢٠٣.

(٥) سورة الزلزلة الآيات: ٦، ٨.

(٦) ينظر: الكشاف عن غوامض التنزيل، للزمخشري: ٣ / ٤٧٠.

من البعث.

قال الماتريدي في بيان هذا الدليل أيضاً مبيناً أن الإعادة هي الرجوع إليه سبحانه «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»، ذكر الإعادة والإحياء بعد الموت والرجوع إليه؛ لما ذكرنا أن المقصود في خلقهم في هذه الدنيا الإعادة والإحياء؛ لذلك سمي الإعادة: الرجوع إليه والمصير والبروز له، وإن كانوا في جميع الأحوال صائرين إليه، راجعين، بارزين له، خارجين^(١).

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيْهِ يَعُودُ الْخَلْقُ وَيَقِفُونَ فِي عُرْصَاتِ الْقِيَامَةِ ليرى كل إنسان ما قدمته يده من الأعمال إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، جاء ذلك واضحاً في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَلِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾^(٢).

يقول الإمام البيضاوي في بيان هذا الدليل: «إليه مرجعكم جميعاً بالموت أو النشور لا إلى غيره فاستعدوا للقائه، إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده بعد بدئه وإهلاكه، ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط أي بعدله، أو بعدالتهم وقيامهم على العدل في أمورهم أو بإيمانهم؛ لأنه العدل القويم كما أن الشرك ظلم عظيم، وهو الأوجه لمقابلة قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾^(٣) فإن معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب أليم بسبب كفرهم، لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على أن المقصود بالذات من الإبداء والإعادة هو الإثابة والعقاب واقع بالعرض، وأنه تعالى يتولى إثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه، وأما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم. والآية كالتعليل لقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ فإنه لما كان المقصود من الإبداء والإعادة

(٦) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، أبو منصور الماتريدي: ٨ / ٢٥٦.

(٢) سورة يونس: من الآية (٤).

(٣) سورة يونس: من الآية (٤).

مجازاة الله المكلفين على أعمالهم كان مرجع الجميع إليه لا محالة»^(١).

كما يشير ابن عطية في بيان هذا الدليل أيضاً فيقول: «والمعنى أن الإعادة إنما هي ليقع الجزاء على الأعمال، وقوله بالقسط أي بالعدل في رحمتهم وحسن جزائهم»^(٢)، فالعباد يجتمعون في عسير ومقداره ألف سنة، وكل ذلك ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَىٰ﴾^(٣).

ويقول الفخر الرازي في بيان الحكمة من البعث «أن العبد ما دامت حياته في الدنيا فهو كالأجير المشتغل بالعمل والأجير حال اشتغاله بالعمل لا يجوز دفع الأجرة بكمالها إليه؛ لأنه إذا أخذها فإنه لا يجتهد في العمل، وأما إذا كان محل أخذ الأجرة هو الدار الآخرة كان الاجتهاد في العمل أشد وأكمل، وأيضاً نرى في هذه الدنيا أن أزهد الناس وأعلمهم مبتلى بأنواع الغموم والهموم والأحزان، وأجهلهم وأفسقهم في اللذات والمسرات، فعلمنا أن دار الجزاء يمتنع أن تكون هذه الدار فلا بد من دار أخرى، ومن حياة أخرى، ليحصل فيها الجزاء»^(٤).

وعن الحكمة من البعث، يقول الدكتور سيد فرج رَحْمَةُ اللَّهِ: «إن العقل البشري المؤمن بالله تعالى يرى أن البعث ضرورة لا بد منها؛ لأن البعث هو الجانب الذي يحقق حكمة الخلق ومعنى الوجود ويعطي الحياة مفهومها، لذلك اقتضت حكمة الله أن جعل وراء هذه الحياة الدنيا حياة ثابتة بعد فناء الحياة الأولى يرى فيها الإنسان جزاء عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البياضوي: ٣ / ١٠٥

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ٣ / ١٠٥

(٣) سورة طه من الآية: (١٥).

(٤) ينظر: التفسير الكبير للرازي: ١٧ / ١٩٦.

الدُّنْيَا الْأَمْتَعُ الْغُرُورُ»^(١) «فكلنا نرى في هذه الحياة الدنيا أشخاصًا يرتكبون جميع الجرائم ويفعلون جميع الموبقات ولا يعاقبون جزاء أعمالهم في الدنيا، ويفلتون من العقاب الدنيوي، وآخرون تقع عليهم المظالم والشرور والآثام من الآخرين دون أن ينالوا حقوقهم ودون أن يقع القصاص الذي يرد الحقوق إلى أهلها وآخرون يضحون بأغلى ما يملكون في سبيل العقيدة والدين والمبادئ والقيم الأخلاقية الفاضلة دون أن يحصل كل هؤلاء على حقوقهم المسلوبة وتضحياتهم المبذولة، فما قدم بعض بني آدم التضحيات في هذه الحياة إلا لإيمانهم بالبعث بعد الموت فلو أن الناس يموتون عند انقضاء آجالهم ولا يبعثون لكان ذلك منافيًا للحكمة والعدل والرحمة»^(٢).

قال الفخر الرازي: «وَإِنَّمَا تُوقَنُ أَجُورُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ» بين تعالى أن تمام الأجر والثواب لا يصل إلى المكلف إلا يوم القيامة؛ لأن كل منفعة تصل إلى المكلف في الدنيا فهي مكدر بالغموم والهموم وبخوف الانقطاع والزوال، والأجر التام والثواب الكامل إنما يصل إلى المكلف يوم القيامة؛ لأن هناك يحصل السرور بلا غم، والأمن بلا خوف، واللذة بلا ألم والسعادة بلا خوف الانقطاع، وكذا القول في جانب العقاب فإنه لا يحصل في الدنيا ألم خالص عن شوائب اللذة، بل يمتزج به راحات وتخفيفات، وإنما الألم التام الخالص الباقي هو الذي يكون يوم القيامة،^(٣) فألم الدنيا لا يساوي شيئاً من ألم الآخرة، وذلك لأن الغرض من البعث هو أن يأخذ كل إنسان ما قدمت يدها في الدنيا سواء كان خيراً أم شراً.

يقول الشيخ / رشيد رضا في بيان الحكمة من البعث: «أن الخالق القدير، ذا الحكمة البالغة في التقدير والتدبير، لا تظهر عظمة قدرته، وسر حكمته في تقديره،

(١) سورة آل عمران من الآية: ١٨٥.

(٢) ينظر: د/ سيد فرج عبد الحليم، نظرات في قضية البعث، بحث مستهل من حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، العدد ١٧، المجلد الثاني، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م، ص ١٠٩.

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للرازي: ٩ / ٤٥٢.

إلا باختبار عباده الذين وهبهم العقل والتمييز بين الحق، الذي تتجلى به الحكمة في الخلق، والباطل العيث بخلوها منه، وبالجزاء على ما يعملون من خير وشر، وحسن وقبيح، وهذا الجزاء لا يكون تاماً عاماً للأفراد في الدنيا لقصر أعمالهم فيها، فدل على أن الحكمة الربانية تقتضي أن يكون في حياة ثانية بعد هذه الحياة الدنيا، فكل ما يدل على ربوبيته - تعالى - وحكمته وعدله يدل على البعث والجزاء؛ لأنه من لوازمها^(١).

والإنسان لم يكن له وجود في هذه الحياة، ثم وجد بعد ذلك ثم يصير إلى العدم ومن بعد هذا يُعرض على ربه ليحاسبه ويجزيه ليس في دار الدنيا، بل في دار الآخرة التي فيها النعيم المقيم لمن حسن عمله، وفيها العذاب الأليم لمن جحد وكفر بالله تعالى.

يقول الدكتور محمد الأنور: «والإنسان لم يكن، ثم كان، ثم لن يكون هو قابل للوجود والعدم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الموصوف بكل كمال هو فاعل الوجود والعدم فإذا تعلقت قدرة الفاعل بالقابل وجوداً وجد، وإذا تعلقت قدرته بالقابل إعداماً عدم وقد تعلقت قدرته بنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بنا أفراداً وجماعات إيجاباً وإعداماً لفترة زمنية محددة في علمه، سميت بالدار الدنيا.

وهذه الدار ستنتهي حتماً لتبدل بدار أخرى تسمى دار الجزاء، أو الدار الآخرة والنقل الصحيح والصريح يؤكد وجود الحياة الآخرة ووجود كل ما فيها^(٢).

حقيقة البعث كما تصوره السورة الكريمة:

لقد تحدثت السورة الكريمة عن البعث، وبينت أنه واقع لا محالة يقول الله تعالى ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

(١) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) الشيخ رشيد رضا: ١٢ / ١٧٧.

(٢) ينظر: د / محمد الانور حامد عيسى، أبعاد الغزو الفكري، ط ٢، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، ص ١٩٩.

(٣) سورة الروم: من الآية (٥٦).

أقوال العلماء في بيان حقيقة البعث:

يقول الإمام الألوسي في بيان هذا الدليل السابق: «(فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ الَّذِي كُنْتُمْ تَوَعِدُونَ) في الدنيا والفاء فصيحة كأنه قيل: إن كنتم منكرين البعث فهذا يومه أي فنخبركم أنه قد تبين بطلان إنكاركم ﴿وَلَا تَكْفُرُوا بِهِ لَعَلَّكُمْ أَتَّعِمُونَ﴾ أنه حق لتفريطكم في النظر فتستعجلون به استهزاء، وقيل: لا تعلمون البعث ولا تتعرفون به، فلذا صار مصيركم إلى النار^(١)»، ولقد أخبرنا الله تعالى بأن البعث للدار الآخرة في يوم الجزاء حقيقة مقررة في قضاء الله وقدره ستوضع موضع التنفيذ إذا جاء أجلها المحدد في علم الله فهو واقع لا محالة وهو سهل على الله تعالى؛ لأن إعادة الشيء من مادته الأولى أهون وأيسر^(٢).

وعلى هذا فإن حقيقة البعث لا شك فيها ولا ينكرها إلا جاهل، وجاء أسلوب القرآن ليقرر تلك الحقيقة وليقربها لعقول الجهلة وذلك لأن هذا كله من جملة الممكنات وإلى هذا المعنى يشير الإمام الألوسي في تفسيره فيقول: «والأسهولة على طريقة التمثيل بالنسبة لما يفعله البشر مما يقدر على، فإن إعادة شيء من مادته الأولى أهون عليهم من إيجاده ابتداء، والمراد التقريب لعقول الجهلة المنكرين للبعث وإلا فكل الممكنات بالنسبة إلى قدرته سواء^(٣)».

المسالك التي سلكها القرآن في تقرير حقيقة البعث^(٤):

لقد سلك القرآن الكريم عدة مسالك في تقرير هذه القضية، وذلك لتقريبها من الأذهان، ومن الممكن أن نقسم تلك المسالك التي سلكها القرآن في تقرير البعث إلى

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، للألوسي: ١١ / ٦٠.

(٢) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسه، عبد الرحمن حسن حبنكة: ص ٥٦٠.

(٣) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، للألوسي: ١١ / ٣٧.

(٤) ينظر: د/ عبد الكريم نوفان عبيدات، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير العقيدة الإسلامية، ص ٤٢٤.

ثلاثة مسالك:

الأول: أن يورد شبهة منكري البعث ثم يرد عليها، ومن النماذج القرآنية على ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْفَرْدَانِ الْمَجِيدُ ۝١ بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَوَدَامَتْنَا وَكُنَّا تَرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣﴾^(١).

ففي هذه الآيات ذكر الله شبهة منكري البعث بقولهم إن إعادة الأجساد بعد موتها: بعيد عن العقول، أو الأفهام، أو العادة، أو الإمكان، فجاء الرد القرآني: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْبٌ حَفِيفٌ ۝٢﴾^(٢)، أي: ما تأكل من أجسادهم في البلى، نعم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان؟ وأين ذهبت؟ وإلى أين صارت؟^(٣).

أي أبعد أن نموت ونصير تراباً نرجع أحياء؟ ذلك البعث بعد الموت رجع بعيد الوقوع، قد علمنا ما تأخذه الأرض من أجسامهم بعد الموت وعندنا كتاب دقيق الاحصاء والحفظ^(٤)، فعلم الله شامل لا يغيب عنه شيء من الواجبات، والمستحيلات والممكنات كل في كتاب مبین.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٥﴾^(٥).

يقول الرازي في بيان هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۝٥﴾

(١) سورة ق: الآيات ١-٣.

(٢) سورة ق: الآية ٤.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٧ / ٣٩٥.

(٤) ينظر: القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل إبراهيم: دار الفكر العربي - دار الثقافة العربية للطباعة: ١ / ١٢٣.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: (١٩).

إشارة إلى بيان الحشر^(١) وفي هذه الآيات إلى آخر السورة غرائب وعجائب نذكرها بقدر الإمكان إن شاء الله تعالى، فنقول: المنكرون للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلاً ولا شبهة، واكتفى بالاستبعاد وأدعى الضرورة وهم الأكثرون: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ على طريق الاستبعاد فبدأ أولاً بإبطال استبعادهم بقوله: ونسي خلقه أي نسي أنا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الأجزاء، ثم جعلنا لهم من النواصي إلى الأقدام أعضاء مختلفة الصور والقوام، وما اكتفينا بذلك حتى أودعناهم ما ليس من قبيل هذه الأجرام وهو النطق والعقل الذي بهما استحقوا الإكرام فإن كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قذرة^(٢).

فهذا دليل يسمى عند علماء الكلام بدليل الأنفس مفاده: أن الإنسان لو نظر إلى نفسه من التمام والكمال علم يقيناً أن له خالقاً خلقه ومديراً دبره، فالإنسان مخلوق من نطفة، ثم من علقه ثم من مضغة... الخ ثم تأتي مرحلة الانتقال من دار الدنيا إلى الحياة البرزخية ثم بعد ذلك البعث، فلو نظر الإنسان إلى تلك المراحل السابقة، لم ينكر هذه الحقيقة وهي البعث التي وصفها القرآن بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٣).

قال الإمام الفخر الرازي: إن دليل الأنفس أشمل وأكمل وأتم وألزم، فإن الإنسان قد يغفل عن الأنعام وخلقها عند غيبتها، ولكن لا يغفل هو مع نفسه متى ما يكون، وأينما يكون، فقال: إن غاب عن الحيوان وخلقها فهو لا يغيب عن نفسه، فما باله أو لم ير أنا خلقناه من نطفة وهو أتم نعمة، فإن سائر النعم بعد وجوده وقوله: من نطفة إشارة

(١) والحشر هو سوق الناس من القبور إلى أرض المحشر هو سوق الناس من القبور إلى أرض المحشر بعد بعثهم. أي إحيائهم. أي نشرهم ثم حشرهم أي سوقهم من أرض المحشر إلى الجنة والنار، وفي الدنيا حشران كما في الآخرة حشران أولهما: حشر النبي ﷺ لليهود من جزيرة العرب إلى أرض الشام، وثانيهما: النار الحاشرة كعلامة وأمرة للساعة.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي: ٢٦ / ٣٠٨.

(٣) العنكبوت: الآية ١٩.

إلى وجه الدلالة، وذلك لأن خلقه لو كان من أشياء مختلفة الصور كان يمكن أن يقال العظم خلق من جنس صلب واللحم من جنس رخو، وكذلك الحال في كل عضو، ولما كان خلقه عن نقطة متشابهة الأجزاء وهو مختلف الصور دل على الاختيار والقدرة»^(١).

يقول محمد غريب: «فالله بكل خلقه عليم بهم فهو سبحانه، يعلم ما تنقص الأرض منه ويعلم مصير كل جزئية من الكون، يعلم ذرات من يحرق بالنار ويجمعه. ويعلم ما يأكله السمك من أجسام الغرقى ويجمعه، ويعلم مصير كل عنصر تحلل، وأصبح غذاء للنبات؛ لأن كل ذرة خلق، وهو بكل خلق عليم، فالقرآن الكريم قد تتبع كل شبهة أثارها خصوم العقيدة وأجاب عنها، لينفض عن عقيدة البعث أدران المبطلين»^(٢).

أولم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الإعادة، فإن الله ابتداء خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين: من نقطة من أخلط متفرقة، فالذي خلقه من هذه النقطة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته^(٣).

المسلك الثاني: وهو: أن يقدم الدليل على البعث أولاً ثم يتبعه بذكر البعث الذي ساق الله الدليل عليه، ومن الآيات قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ

(١) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي: ٢٦ / ٣٠٧.

(٢) ينظر: سورة الواقعة ومنهجها في العقائد (دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، محمود محمد غريب: من علماء الأزهر الشريف والموجه الديني لشباب جامعة القاهرة، دار التراث العربي - القاهرة، الطبعة: الثالثة - ١٤١٨ هـ - ١٩٨٨ م: ١ / ٨٣.

(٣) يراجع: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٦ / ٥٩٤.

بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾^(١).

ففي هذه الآيات قدم الله الدليل على البعث من خلال تذكير الإنسان بمراحل نشأته، ثم أعقب ذلك بذكر الموت والبعث^(٢).

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾^(٣).

ثم ذكر الله شبهة المنكرين للبعث بعد أن قدم الدليل عليه فقال: ﴿وَقَالُوا أَلَمْ نَكُنْ فِي الْأَرْضِ مَرَّةً أُولَىٰ وَلَئِن مَّا نَحْنُ إِلَّا رَمِيمٌ ﴿١٠﴾ قُلْ يَوْمَ الْبَعْثِ أَهْلُ الْقُبُورِ يَكُونُونَ لَكُمْ شُرَكَاءُ فِي مِمَّا كُنتُمْ تُفَكِّرُونَ فِيهِ ﴿١١﴾﴾^(٤).

المسلك الثالث: وهو أن يذكر رأي المنكرين للبعث من غير أن يذكر شبهتهم، بل يذكر دعواهم مجردة عن الدليل، ثم يكر القرآن على هذه الدعوى^(٥) بالرفض والأبطال ويبين أن البعث واقع لا محالة، ويؤيد هذا الوقوع بالقسم منه (ﷺ)^(٦)، ومن النماذج على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا

(١) سورة المؤمنون: الآيات ١٢ - ١٦.

(٢) ينظر: د/ عبد الكريم نوفان عبيدات، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير العقيدة الإسلامية: ص ٤٢٥.

(٣) سورة السجدة: الآيات ٧-٩.

(٤) سورة السجدة: الآيات ١٠-١١.

(٥) الدعوى هي: المركب التام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته وقد سمي قضية، ودعوى، ومدعى من حيث إنه يشتمل على الحكم المقصود إثباته بالدليل أو إظهاره بالتنبية ويسمى مسألة أو مبحثاً من حيث إنه يرد عليه أو على دليله السؤال والبحث، ينظر: رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، د/ محمد محي الدين عبد الحميد، ص ٤٦.

(٦) ينظر: منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان، د/ على محمد فقيهي: ص ٣٣١.

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ إِبْرِيْنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾.

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات: يقول تعالى مخبراً عن المشركين إنهم حلفوا فأقسموا بالله جهد أيمانهم أي: اجتهدوا في الحلف وغلظوا الأيمان على أنه لا يبعث الله من يموت أي: استبعدوا ذلك، فكذبوا الرسل في إخبارهم لهم بذلك، وحلفوا على نقيضه. فقال تعالى مكذباً لهم ورداً عليهم: بلى، أي: بلى سيكون ذلك، وعداً عليه حقاً أي: لا بد منه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أي: فلجهلهم يخالفون الرسل ويقعون في الكفر (٢).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٣) فهذه دعوى بحاجة إلى الدليل.

والمكذبون بالساعة لا يملكون دليلاً على دعواهم ثم أكد سبحانه وقوعها ببيان علم الله الشامل وأنه سبحانه أحاط بكل شيء علماً، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت، فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت؟، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة، فإنه بكل شيء عليم (٤) قال تعالى: ﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٥)، وقال أيضاً: ﴿وَيَسْتَعِزُّونَكَ أَهْلُ الْهُوْلِ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ وَلِحَقٍّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٦).

(١) سورة النحل الآيات: ٣٨-٤٠.

(٢) يراجع: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٤ / ٥١٧.

(٣) سورة سبأ الآية: (٣).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير: ٦ / ٤٩٥.

(٥) سورة التغابن: الآية ٧.

(٦) سورة يونس: الآية ٥٣.

وقد ذكر ابن كثير هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهن، مما أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد^(١).

والقرآن الكريم حينما يؤكد تأكيداً جازماً حقيقة البعث والنشور والحياة الأخرى بما فيها من نعيم مقيم وعذاب أبدي لا يكتفى بتقرير الحقيقة، وإنما يسوق عليها الأدلة العقلية والبراهين المنطقية حتى لا يدع مجالاً للمرء^(٢) أو الإنكار كما ساق الأدلة العقلية والمنطقية على وحدانية الله واتصافه بصفات الكمال^(٣).

والبعث من الأمور التي جاء تقريرها في أكثر من آية، ولكن المكذبين لهذه القضية إنما هم الذين لا يستخدمون عقولهم ولا تفكيرهم بأن الكون وما فيه من عوالم علوية وسفلية إنما هو خاضع للإرادة الإلهية، فلا يفلت الإنسان من الحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۚ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنًى يُمْنٍ ۚ ثُمَّ كَانَ عُلْقَةً فَخَلَاقَ فَسَوًى ۚ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۚ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ۚ﴾^(٤).

يقول شارح الطحاوية: «فإن من نقله من النطفة إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم شق سمعه وبصره، وركب فيه الحواس والقوى، والعظام والمنافع، والأعصاب

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ٦ / ٤٩٥.

(٢) المرء في اللغة «مصدر ماريته مرء وممارة، من المجادلة. ومن أمثالهم: دع المرء لقلته خيره. وقد قرئ قوله (ﷻ): ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ [سورة النجم، من الآية ١٢]، فمن قرأ أفتمارونه أي تفاعلونه من المرء، ومن قرأ تمرونه أي تجحدونه من قولهم: مريت حقه أمره مرءاً، أي جحدته وفي الاصطلاح هو: طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير، ينظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، ٢ / ١٠٦٩، والتعريفات: ١ / ٢٠٩.

(٣) ينظر: البحوث التربوية الثقافية الاجتماعية والعقائدية، ص ٣٨٧.

(٤) سورة القيامة، الآيات (٣٦، ٤٠).

والرباطات التي هي أشده، وأحكم خلقه غاية الأحكام، وأخرجه على هذا الشكل والصورة، التي هي أتم الصور وأحسن الأشكال كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية؟ أم كيف تقتضي حكمته وعنايته أن يتركه سدى؟ فلا يليق ذلك بحكمته، ولا تعجز عنه قدرته، فانظر إلى هذا الاحتجاج العجيب، بالقول الوجيز، الذي لا يكون أوجز منه، والبيان الجليل، الذي لا يتوهم أوضح منه، ومأخذه القريب، الذي لا تقع الظنون على أقرب منه^(١).

إنَّ البعث واقع لا محالة، فلا يظن الإنسان أن يترك على حاله فلا بد من حساب وجزاء، كما أخبر بذلك القرآن في أكثر من آية، وأخبر بذلك أيضاً الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، فمن حكمة الله تعالى أنه يعيد البشر مرة ثانية، وليس إعادة الخلق مرة ثانية للحساب والجزاء بشيء عسير على الله؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من صفاته (القدرة) وضد القدرة (العجز) الذي هو مناف لواجب الوجود، ولأنه تعالى لولم يكن قادراً على إعادتهم لم يكن قادراً على خلقهم لكن التالي باطل والمقدم، كذلك فثبت أن واجب الوجود قادراً على خلقهم وبعثهم وإعادتهم مرة ثانية، حتى لو كانوا خلقاً أكبر من هذا الخلق، وأيضاً حتى لو كانوا حجارة أو حديدًا، كما حكى القرآن الكريم في جواب الرسول ﷺ على دعاوى المشركين الكاذبة التي ليس لها دليل قال تعالى ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا إِنْ نَحْنُ لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٨﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿٥٩﴾

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، لأبي العز الحنفي: ٢ / ٥٨٨.

(٢) سورة الإسراء الآيات: ٤٩، ٥١.

المبحث الثالث

أدلة وقوع البعث من خلال سورة الروم

هناك أدلة تثبت وقوع البعث من خلال سورة الروم من هذه الأدلة:

الدليل الأول: إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي، وإحياء الأرض بعد موتها دليل على وقوع البعث؛ لأن هذه الأمور من الممكنات والقدرة الإلهية تتعلق بها. فهناك دليلان تحدثت عنهما السورة الكريمة فمن خلالهما تثبت قضية البعث.

الدليل على ذلك من السورة: قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾^(١).

أقوال العلماء في هذا الدليل السابق:

نرد في هذا الموضوع آراء بعض العلماء الذين يفسرون قول الله تعالى سابق الذكر بضرب أمثلة سازجة تتعارض مع الشرح والعقل معاً، وقبل أن نرد عليها وننقضها لابد أن نذكرها حتى يتبين الحق من الباطل والغث من السمين.

القول الأول وينسب إلى ابن عطية حيث قال: «في هذه الآية يستعمل حقيقة»^(٢) ويستعمل مجازاً^(٣)، فالحقيقة المني يخرج منه الإنسان والبيضة يخرج منها الطائر وهذه

(١) سورة الروم: الآية ١٩.

(٢) الحقيقة: هو الشيء الثابت قطعاً وبقيناً، يقال: حق الشيء، إذا ثبت، وهو اسم للشيء المستقر في محله، فإذا أطلق يراد به ذات الشيء الذي وضعه واضع اللغة في الأصل، كاسم الأسد، للبهيمة، وهو ما كان قاراً في محله، والمجاز ما كان قاراً في غير محله. وحقيقة الشيء: ما به الشيء هو هو، كالحیوان الناطق للإنسان بخلاف مثل: الضاحك، والكاتب، مما يمكن تصور الإنسان بدونه، وقد يقال: إن ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه: حقيقة، وبامتياز تشخصه: هوية، ومع قطع النظر عن ذلك: ماهية. ينظر: التعريفات: ١ / ٨٩.

(٣) حدّ المجاز، وحده أن كلّ جملة أخرجت الحكم المُفادَ بها عن موضعه من العقل لضربٍ =

بعينها ميتة تخرج من حي وما جري هذا المجرى، والمجاز إخراج النبات الأخضر من الأرض وإخراج الطعم من النبات وما جري هذا المجرى، ومثل بعد إحياء الأرض بالمطر بعد موتها بالدثور والعطش، ثم بعد هذا الأمثلة القاضية بتجوير بعث الأجساد عقلاً ساق الخبر بأن كذلك خروجنا من القبور»^(١).

القول الثاني وينسب إلى الإمام الفخر الرازي حيث قال في هذا الدليل الوارد في قول الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ أي بما تقدم عليه هو أن عند الإصباح يخرج الإنسان من شبه الموت وهو النوم إلى شبه الوجود وهو اليقظة، وعند العشاء يخرج الإنسان من اليقظة إلى النوم، ويمكن أن يقال المراد: يخرج الحي من الميت أي اليقظان من النائم والنائم من اليقظان، وهذا يكون قد ذكره للتمثيل أي إحياء الميت عنده وإماتة الحي كتنبيه النائم وتنويم المنتبه، ثم قال تعالى: ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكَ﴾ وفي هذا معنى لطيفة، وهو أن الإنسان بالموت تبطل حيوانيته، وأما نفسه الناطقة فتفارقه، وتبقى بعده لكن الحيوان نام متحرك حساس لكن النائم لا يتحرك ولا يحس والأرض الميتة لا يكون فيها نماء، ثم إن النائم بالانتباه يتحرك ويحس والأرض الميتة بعد موتها تنمو بنباتها، فكما أن تحريك ذلك الساكن، وإنما هذا الواقف سهل على الله تعالى كذلك إحياء الميت سهل عليه^(٢).

= من التأول، فهي مجاز، ومثاله ما مضى من قولهم: فَعَلَ الربيع، وكما جاء في الخبر إنَّ مَّا يُنْبِتُ الربيعُ ما يَقْتُلُ حَبَطًا أو يُلِّمُ، قد أثبت الإنبات للربيع، وذلك خارج عن موضعه من العقل؛ لأن إثبات الفعل لغير القادر لا يصح في قضايا العقول، إلا أن ذلك على سبيل التأول، ينظر: أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، : مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة: ١ / ٣٣٥.

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية، ج ٤، ص ٣٣٢، وما بعدها.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي: ٢٥ / ٨٩.

القول الثالث وينسب إلى الإمام البيضاوي حيث قال في هذا الدليل «يخرج الحي من الميت كالإنسان من النطفة والطائر من البيضة، ويخرج الميت من الحي كالنطفة والبيضة، أو يعقب الحياة الموت وبالعكس، ويحي الأرض بالنبات، بعد موتها يبسها، وكذلك ومثل ذلك الإخراج. تخرجون من قبوركم فإنه أيضا تعقيب للحياة الموت»^(١).

القول الرابع وينسب إلى الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات في غريب القرآن، أن معنى إخراج الحي من الميت أي: يخرج الإنسان من النطفة، والدجاجة من البيضة، ويخرج النبات من الأرض، ويخرج النطفة من الإنسان»^(٢). فأخراج (حي من ميت) والعكس شيء بالنسبة للقدرة الإلهية يسير، وذلك لتعلق القدرة بالممكنات، فمن قدر على ذلك فهو قادر على إخراج الموتى.

القول الخامس وينسب إلى الإمام الزمخشري في الكشاف حيث قال: «الحي من الميت الطائر من البيضة، والميت من الحي البيضة من الطائر. وإحياء الأرض: إخراج النبات منها وكذلك تخرجون»^(٣).

وبعد عرض هذه الآراء الساذجة لضرب الأمثلة التي لا يقبلها عقل ولا شرع بأن يذكرنا بأن المني الذي يخرج من الرجل بأنه ميت ووصفوه بذلك رغم تعيينهم لهذا المني أنه الطرف الأساسي في تكوين الجنين والمعامل التحليلية الحديثة تؤكد أن مني الرجل يموت بعد ساعة من إخراجة فكيف يصفوه بأنه ميت وجميع قارات العالم قد امتلئت بخلق الله وسكانها أتت من هذا المني وتخلقت منه، أما بالنسبة للمثال الآخر

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ٢٠٤/٤.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ، باب (حي): ١ / ٢٧٠، إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي: منشورات محمد علي ببيزون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ: ٢ / ٢٣.

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، ج ٣، ص ٤٧٢.

الخاص بالبيضة وإخراجها من الطائر ووصفوها بأنها ميتة وهي طعام الإنسان والنبي . لم يذكرها ويذكرها ضمن الميتة التي يحل أكلها مع السمك والجراد حيث قال ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «أحلت لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان: فالحوت والجراد، وأما الدمان: فالكدب والطحال»^(١) وبذلك أدرجوا البيض ضمن تصنيفات الميتة كما قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيِّتَةُ﴾^(٢).

فتبين من ذلك أن تلك الأمثلة التي قال بها العلماء سابقي الذكر أقوال تتعارض مع نص حديث النبي ﷺ، وأن العقل والمنطق يرفض تلك الأقوال، وإذا تأملنا وتفكرنا فيما ينبغي أن تكون هناك أمثلة مضروبة لإثبات قدرة الله في إثبات البعث وإظهار القدرة الإلهية المتمثلة في (الحي) الأول الذي خرج بقدرة الله من الميت وهو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي خرج من المادة الميتة والتي صورها الله في الصورة الصلبة والصورة السائلة، والصورة الغازية وهذا هو تحيز وثقل المادة حيث خلق الله آدم من (التراب) وهو المادة الصلبة التي تفتت ثم وضع الله عليها المادة السائلة وهي الماء فأصبح طيناً تفاعلاً بواسطة الغازات التي على الأرض فأنشأه الله كائناً حياً من تلك المادة الميتة زوي الثلاث صور سابقة الذكر.

أما إخراج الميت من الحي فهو يتمثل في إخراج ما يتسبب في موت الإنسان ورجوعه مخلوقاً ميتاً إذا حُبِسَ فيه أي صورة من صور المادة الغازية أو السائلة أو الصلبة، مثل لو حُبِسَ فيه غاز الزفير وهو ثاني أكسيد الكربون لتحقيق خلقه وموته، وأيضاً . أي الإنسان . سائل البول وتعذر خروجه لتحقيق موت الإنسان أيضاً، وإيضاً إذا حبس المادة الصلبة المتمثلة في البراز إذا حُبِسَ وتحجّر واصبح في حالة إمساك مزمن ومستمر لتحقيق موت الإنسان من هذا الغائط، ومن تلك الأمثلة يمكن إقناع العقل بأن الله قادر على إخراج الحي من الميت والعكس بإخراج الميت من الحي

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة رقم الحديث، ٣٣١٤، باب الملح، ج ٤، ص ٤٣١

(٢) سورة المائدة جزء من الآية (٣)

فتدبر قدرة الله وتأمل وتعلم أن الأمثلة يجب أن تكون غير معارضة للشرع فضلاً عن العقل والمنطق»^(١).

يقول السفاريني: «وكل ما هو كذلك فهو ثابت والإخبار عنه مطابق، والأصل فيما لا دليل على وجوبه ولا على امتناعه الإمكان، كما يقول الحكماء والمتكلمون من أن كل ما قرع سمعك من الغرائب فذره في حيز الإمكان ما لم يردك عنه قائم البرهان»^(٢).

ومن خلال ما سبق من أقوال العلماء في إثبات وقوع البعث من خلال السورة نرى أن الله تعالى جلت قدرته يخرج الحي من الميت، والميت من الحي، وبالتالي يخرج الناس من قبورهم إلى أرض المحشر، وهذا قياس على ما يراه الإنسان ويشاهده في الحياة من رؤيته للأرض الميتة التي بنزول الماء عليها تنمو وتخرج مما في بطنها من نبات، فالذي أرسل الماء إلى تلك الأرض وأحيائها قادر على أن يخرج ويبعث الأموات يوم القيامة، وكما أن تحريك الساكن سهل فكذا إحياء الأموات أسهل.

يقول صاحب الظلال: «يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها.. تلك العملية الدائبة التي لا تكف ولا تنني لحظة واحدة من لحظات الليل والنهار في كل مكان، على سطح الأرض، وفي أجواز الفضاء، وفي أعماق البحار.. ففي كل لحظة يتم هذا التحول، بل هذه المعجزة الخارقة التي لا نتبه إليها لطول الألفة والتكرار، في كل لحظة يخرج حي من ميت ويخرج ميت من حي، وفي كل لحظة يتحرك برغم ساكن من جوف حبة أو نواة فيفلقها ويخرج إلى وجه الحياة وفي كل لحظة يجف عود أو شجرة تستوفي أجلها فتتحول إلى هشيم أو حطام، ومن

(١) ينظر: وإلى زيادة الإيضاح انظر: الدليل الثالث من أدلة وقوع البعث من خلال سورة الروم وهو (خلق أصل الإنسان من تراب دليل البعث) وانظر: البحوث التربوية والثقافية والاجتماعية والعقائدية، ص ٣٩١.

(٢) ينظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، للسفاريني: ٢ / ١٥٩.

خلال الهشيم والحطام توجد الحبة الجديدة الساكنة المتهيئة للحياة والإنبات ويوجد الغاز الذي ينطلق في الجو أو تتغذى به التربة، وتستعد للإخصاب، وفي كل لحظة تدب الحياة في جنين. إنسان أو حيوان أو طائر. والجثة التي ترمى في الأرض وتختلط بالتربة وتشحنها بالغازات جديدة للحياة وغذاء جديد للنبات، فالحيوان والإنسان، ومثل هذا يتم في أغوار البحار وفي أجواز الفضاء على السواء. إنها دورة دائبة عجيبة رهيبة لمن يتأملها بالحس الواعي والقلب البصير، ويراهها على هدى القرآن ونوره المستمد من نور الله^(١).

يقول الدكتور/ عبد الله شحاته: «وعلى هذا يرى الإنسان القدرة الإلهية من وقت آخر يحيي أقواما ويميت آخرين، وهذا كله يستلزم من الإنسان أن يعرف الله حق معرفته وذلك بالنظر والتدبر والتأمل في هذا الكون العظيم.

ويقول أيضًا: «لقد خلق الله آدم من تراب، وخلق الكون من العدم وفي كل لحظة يخرج حي من ميت، ويخرج ميت من حي، فمن ذلك إخراج النبات من الحب، والحب من النبات، والبيض من الدجاجة، والدجاج من البيض، والإنسان من النطفة، والنطفة من الإنسان والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، والليل من النهار، والنهار من الليل، وفي كل لحظة تدب الحياة في جنين إنسان، أو حيوان، أو طائر وتسلب الحياة من آخرين أنها دورة دائبة عجيبة رهيبة لمن يتأملها بالحس الواعي والقلب البصير^(٢).

الدليل الثاني على إثبات قضية البعث من خلال السورة:

قوله تعالى ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب: ٥ / ٢٧٦٣.

(٢) ينظر: تفسير الآيات الكونية، د عبد الله شحاته، دار الاعتصام، بدون ط، ص ٢٠٧.

(٣) سورة الروم: الآية (٥٠).

والمعنى الإجمالي لهذا الدليل: هو أن قدرة الله التي بها يحيي الأرض بعد موتها، قادر على إحياء الموتى من قبورهم للجزاء والحساب.

فالأثر يدل على المؤثر كدلالة العلة على معلولها ويسمى بالدليل الإني^(١).

يقول القاسمي في معنى هذا الدليل: «أي أثر الغيث من النبات والأشجار والحبوب والثمار كيف يحيي الأرض بعد موتها، إن ذلك أي العظيم الشأن الذي ذكر بعض شؤونه لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير»^(٢).

أقوال العلماء في هذا الدليل السابق:

يقول الإمام القرطبي في بيان هذا الدليل الوارد في «قول الله تعالى: ﴿فَأَنْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ يعني المطر، أي انظروا نظر استبصار واستدلال، أي استدلووا بذلك على أن من قدر عليه قادر على إحياء الموتى والتقدير: فانظر إلى أثر رحمة الله محيية للأرض بعد موتها. ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ أَمْحَى الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ استدلال بالشاهد على الغائب»^(٣).

ومعنى ذلك أن الناظر إذا رأى الأرض الميتة بمجرد نزول الماء عليها فإنها تهتز وتربوا، وتترعرع فإن ذلك بمثابة قياس الشاهد على الغائب، أي قياس إحياء الأرض

(١) أن المدعي إن شرع في الدليل الآني يسمى مستدلًا، إذا الدليل الآني هو الذي يكون الاستدلال فيه من المعلول على العلة كما عرفت، والتعليل الانتقال من المؤثر إلى الأثر ويسمى ذلك الدليل دليلاً لمياً، وقد يطلق المستدل على المعلل وهو الشارع في الدليل اللمي، وقد يطلق المعلل على المستدل كما ستعرف في لفظ الدعوى. ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي تقديم وإشراف ومراجعة: د/ رفيق العجم، تحقيق: د/ علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د/ عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د / جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م: ١/ ١٦٣.

(٢) ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي: ٢٠/٨.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي: ١٤ / ٤٥ بتصرف.

بعد موتها على إحياء الناس من قبورهم للبعث والجزاء.

يقول إمام الحرمين (الجويني) «وسلك بعض المستدلين طريقة الاستشهاد بالشاهد على الغائب وقالوا قد علمنا قطعاً أنه لا يقوم من لا يستطيع القيام، ولا ينظم الخط الحسن من لا يحسن الكتابة ولا يبني البناء البديع غير عالم به وكل ما دلّ شاهداً دلّ غائباً إذ من طريق الجمع بين الشاهد والغائب الدليل وهذه الطريقة تضاهي طريقة الاستشهاد بالبناء الباني على إثبات المحدث الصانع»^(١).

وكما يشير الإمام البيضاوي في بيانه لهذه الآية أن من كان قادراً على إحياء الأرض بعد موتها فهو قادر على إحياء الموتى فيقول: «إن ذلك يعني أن الذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها، لمحي الموتى لقادر على إحيائهم، فإنه إحداث لمثل ما كان في مواد أبدانهم من القوى الحيوانية، كما أن إحياء الأرض إحداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية، هذا ومن المحتمل أن يكون من الكائنات الزاهنة ما يكون من مواد تقنت وتبددت من جنسها في بعض الأعوام السالفة، وهو على كل شيء قدير؛ لأن نسبة قدرته إلى جميع الممكنات على سواء»^(٢).

ويعضد هذا المعنى صاحب الكشف في تفسيره لهذا الدليل حيث يبين أن الله تعالى قادر على البعث والنشور مرة أخرى فيقول: «إن ذلك يعني أن ذلك القادر الذي يحيى الأرض بعد موتها، هو الذي يحيى الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر، وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء»^(٣).

كما يقول الكمال بن أبي شريف^(٤) صاحب كتاب المسامرة: «ولأن إحياء الله

(١) ينظر: الشامل في أصول الدين، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق د/ على سامي النشار، منشأة

المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٩م، بدون ط، ص ٦٢٢.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ٤ / ٢١٠.

(٣) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: ٣ / ٤٨٥.

(٤) هو محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن أبي شريف المقدسي، أبو المعالي، كمال الدين

ابن الأمير ناصر الدين: عالم بالأصول، من فقهاء الشافعية. من أهل بيت المقدس، =

تعالى الأبدان بعد موتها وتفرق أجزائها ممكن عقلاً وكل ما لا يأباه العقل، وأخبر صادق القول عنه فهو حق وإلا لم يكن الصادق صادقاً فيكون القول بحشر الأجساد وإحيائها حقاً، أما الأول وهو أن الإحياء ممكن عقلاً فلأن الإمكان بالنظر إلى القابل حاصل؛ لأن أجزاء الميت قابلة للجمع على الوجه المخصوص وقابلة للحياة؛ لأنه لو لم يقبلهما لم يتصف بهما فتكون الأجزاء قابلة لهما وكذا بالنظر إلى الفاعل حاصل للزوم الأمرين حاصلين أحدهما: كونه تعالى قادراً على الإيجاد، والثاني: كونه تعالى عالماً بكل المخلوقات وقادراً على جمعها، وإيجاد الحياة فيها فثبت أن حياة الأبدان ممكن، وأما الثاني: وهو إخبار الصادق عنه بقوله كما بدأنا أول خلق نعيده، فأول خلق حياتهم بالأرواح والأجساد فكذا الإيجاد»^(١).

ومن خلال النصوص السابقة نرى أن البعث واقع لا محالة؛ لأنه ممكن وكل ما كان كذلك فهو ممكن وليس مستحيلاً، ولذلك جعل الله تعالى الإعادة مرة أخرى قياساً على النشأة الأولى.

الدليل الثالث من أدلة وقوع البعث من خلال السورة:

(خلق أصل الإنسان من تراب دليل على البعث).

الدليل الدال على ذلك من سورة الروم:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾^(٢).

= مولداً ووفاء. نعتة ابن العماد بالإمام شيخ الإسلام ملك العلماء الأعلام. درس وأفتى ببلده وبمصر. له تصانيف، منها: الدرر اللوامع بتحريه جمع الجوامع في أصول الفقه، والفرائد في حل شرح العقائد بخطه، رأيته في خزانة الليثي بمركز الصف بمصر، أنجزه تسويداً سنة ٨٨٩ بمنزله بالقاهرة و(المسامرة على المسامرة) في التوحيد، توفي سنة ٩٠٦هـ، ١٥٠١م، ينظر: الأعلام للزركلي: ٥٣/٧.

(١) ينظر: المسامرة للكمال ابن أبي شريف في شرح المسامرة في علم الكلام للكمال ابن الهمام: ٩٩/٢.

(٢) سورة الروم: آية (٢٠).

والمعنى الإجمالي في هذا الدليل:

إن قدرة الله تعالى التي أخرجت الإنسان من تراب، والتراب في حد ذاته ميت فبمجرد نزول الماء عليه يتغير من تراب إلى طين لازب، وجاء هذا المعنى في تفسير المنار «من تراب ميت أصابه الماء فكان طيناً لازباً ذا لزوجة، ثم قال له (كن فيكون) أي ثم كونه تكويناً آخر بنفخ الروح فيه (ثم قال له كن فكان)»^(١).

أقوال العلماء في هذا الدليل:

يقول الإمام الألوسي في بيان هذا الدليل: «وَمِنْ آيَاتِهِ الْبَاهِرَةُ الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّكُمْ تَبْعَثُونَ دَلَالَةً أَوْضَحَ مِنْ دَلَالَةِ مَا سَبَقَ فَإِنْ دَلَالَةٌ بَدَأَ خَلْقَهُمْ عَلَى إِعَادَتِهِمْ أَظْهَرَ مِنْ دَلَالَةِ إِخْرَاجِ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَإِخْرَاجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ، وَمِنْ دَلَالَةِ إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا عَلَيْهَا أَنَّ خَلْقَكُمْ أَيْ فِي ضَمَنِ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا مَرَّ مَرَارًا مِنْ أَنَّ خَلْقَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْطُوعٌ عَلَى خَلْقِ ذُرِّيَّاتِهِ انْطَوَاءً إجمالاً مِنْ تُرَابٍ لَمْ يَشْمِ رَائِحَةُ الْحَيَاةِ قَطُّ وَلَا مَنَاسِبَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ فِي ذَاتِكُمْ وَصِفَاتِكُمْ، وَقِيلَ: خَلَقَهُمْ مِنْ تُرَابٍ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ مَا دَتَهُمْ مِنْهُ، فَهُوَ مُجَازٌ، أَوْ عَلَى تَقْدِيرٍ مُضَافٍ، (ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) أَيْ فِي الْأَرْضِ تَتَصَرَّفُونَ فِي أَغْرَاضِكُمْ وَأَسْفَارِكُمْ»^(٢).

ويقول أبو منصور الماتريدي في بيان هذا الدليل «يحتمل: آيات وحدانيته وربوبيته وحججه، وآيات بعثه وإحيائه، وآيات رسالة الرسل، ونحوه، وقوله: أَنَّ خَلْقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ، ويخرج على وجوه:

أحدها: نسب خلقنا إلى التراب؛ لأننا إنما خلقنا من أصل، خلق ذلك الأصل من التراب، وهو آدم، وإن لم تكن أنفسنا مخلوقة من تراب حقيقة، كما نسب خلقنا إلى النطفة وإن لم يخلق أنفسنا كما هي من النطفة، لكنه أضاف ذلك ونسب إلى النطفة؛ لما هي أصل ما خلقنا منها.

(١) ينظر: تفسير المنار: ٢٦٣/٣.

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن، للألوسي: ١١ / ٣٣.

والثاني: نسبنا إلى التراب؛ لما جعل أغذيتنا وما به قوام أنفسنا وأبداننا في الخارج من التراب، فإنما هو إخبار عما به قوام أنفسنا وأبداننا، وإن لم نخلق من التراب من الأصل، فيخبر - والله أعلم - : أنكم لا تصورون خلق الجسم إن لم تشاهدوا تلك الطينة التي منها تتكون الأجسام بعد مشاهدة طينتها، ومعانيتم إياها، ورأيتم القدرة له على خلقها قبل أن تشاهدوا طينتها.

والثالث: نسب خلقنا إلى التراب، وهو آدم؛ على ما ذكرنا، إلا أن قوله: (خَلَقَكُمْ) أي: قدركم من ذلك الأصل، والتخليق: هو التقدير في اللغة، وذلك جائز في اللغة، وإنما قدرنا على تقدير ذلك الأصل، وذلك جائز نسبتنا وإضافتنا إلى التراب، إن صح ما ذكر في بعض الأخبار ذكر: «أن ملكاً يأتي بكف من تراب، فيذره في تلك النطفة في رحم المرأة، فيخلق منه حينئذ الولد»، فإن صح هذا فيكون خلق جميع الناس وأصلهم من تراب»^(١).

ومن هنا فإن البشر مخلوقين من تراب باعتبار أبيهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فالذي خلق من الطين بشراً قادر على إعادته مرة ثانية إلى الوجود، وذلك على الله يسير.

والم تأمل في الآية يجد أموراً منها:

أولاً: أن آدم مخلوق من تراب هذه الأرض، وهذا الخلق هو الذي يجعل الخلافة له عليها، حيث إن طبيعته تكون من طبيعة الأرض، وما عليها من مخلوقات فيحسن بهذا التعامل معها، والاعتدال على سيادتها لأن الجنس إلى الجنس آلف... ولو كان آدم وافداً غريباً على هذه الأرض لم يطب له مقام فيها، ولم يحسن التجارب مع مخلوقاته.

ثانياً: ان آدم قد ينتقل من درجة إلى درجة أعلى من التراب، إلى الطين، إلى الصلصال، إلى الحمأ المسنون، إلى الفخار، كما ينتقل الجنين في بطن أمه، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ۝١٦ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي

(١) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٨ / ٢٥٩.

قَرَارِ مَكِينٍ ﴿٣٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا أَلْعَلَّةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾^(١)

قال الفخر الرازي: «إن الله - تعالى - يبين للإنسان أصل خلقته، وهو التراب وهو عنصر أساسي في تكوين كل إنسان، وذلك لاشتماله على جميع العناصر الأساسية في تكوين بنية الإنسان فيقول: «وكذلك تخرجون ذكر ما هو حجة ظاهرة وآية باهرة على ذلك ومن جملتها خلق الإنسان من تراب وتقريره هو أن التراب أبعد الأشياء عن درجة الأحياء، وذلك من حيث كيفيته فإنه بارد يابس والحياة بالحرارة والرطوبة»^(٢).

ويقول الدكتور/ عبد الله شحاته «والله تعالى خلق آدم من تراب، والتراب ميت ساكن ثم شاء الله أن يتحول التراب إلى طين ثم إلى حمأ مسنون، ثم ينفخ فيه الروح، ثم يصير إنسانا يدب على وجه الأرض فيه البصر، والسمع، والحواس، وفيه العقل، والفكر فهناك نقلة من صورة التراب الساكن الزهيد إلى صورة الإنسان المتحرك الجليل القدر الذي يبني المدائن، والحصون، ويدور الأرض ويكتسب الأموال، وله فكر وغور ودهاء ومكر، ورأى، وعلم واتساع في أمور الدنيا والآخرة، كل بحسبه فسبحان من أقدرهم، وسيرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعاش، والمكاسب وقادت بهم في العلوم، والفكر، والحسن، والقبیح والغنى والفقر، والسعادة والشقاوة»^(٣).

فالله تعالى قادر على هذه العملية أي خلقنا من تراب، ثم بعد هذه العملية يُصَيِّرُنَا إلى العدم وبعد ذلك إلى الوجود؛ لأن تلك العملية من جملة الممكنات التي تتعلق بها

(١) ينظر: الإنسان في القرآن من البداية إلى النهاية، عبد الكريم الخطيب، ص ٢٣، والآيات من سورة المؤمنون: ١٢، ١٦.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي: ٢٥ / ٨٩.

(٣) ينظر: د / عبد الله شحاته، تفسير الآيات الكونية، دار الاعتصام، بدون طبعة، ص ٢٠٨.

القدرة الإلهية، يقول الدكتور/ تهامي نفرة: «فالله الذي خلق من أبعد الأشياء عن مرتبة الأحياء حيا هو في أعلى المراتب لا يكون إلا منزها عن العجز والجهل، ويكون له الحمد على إنعام الحياة، ويكون له كمال القدرة ونفوذ الإرادة فيجوز منه الإبداء والإعادة، أن الذي خلق الإنسان من العدم قادر على أن يعيد تركيب عظامه بعد فنائها واختلاطها بالتراب إذ إن من موجبات العقل أن إعادة الشيء الذي كان موجوداً ثم فنى أسهل من إيجاده ابتداء فالله (ﷻ) الذي أوجد الأشياء من العدم، وأبرزها إلى الوجود بعد أن لم تكن شيئاً لا يستحيل عليه أن يعيدها مرة، ومرة بعد فنائها، كما يلاحظ أن الذي يبني بيتاً ثم يهدمه لا يستحيل عليه إعادة بنائه كما كان، أو أفضل مما كان، والذي يخترع اختراعاً معيناً أو يركب جهازاً ما، لا يصعب عليه أن يعيده مرة أخرى إذا ما فرق أجزائه أو كسره باختياريه وإرادته، كما أن من صنع سيارة ثم قام بتفكيكها أي آلاف من القطع الصغيرة، ثم قال بأنه قادر على إعادة تركيبها كما كانت فليس هناك من يتصدى له ليطلب منه الدليل على هذه القدرة، وما ذاك إلا لأن فاعل الشيء أولاً قادر على فعله ثانياً وثالثاً وإلى مئات المرات وبهذا النحو من الاستدلال على إمكان المعاد برهن القرآن على بدهامة البعث^(١).

«فالإنسان مخلوق من التراب فهو يتغذى بالتراب، ويلبس التراب، ويسكن التراب، ويتمتع بالتراب، ويعود، أخيراً فيتحلل إلى التراب، فيأبىها الإنسان ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تُظْفَرُ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾^(٢) ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^(٣) ونحن نعلم أن التراب يوطأ بالأقدام وأنه أرخص شيء على ظهر البسيطة، ولكن قدرة الله خلقت منه أسمى كائن عاقل مفكر يدب على ظهر البسيطة، ويسيطر على بحارها

(١) ينظر: عقيدة البعث في الاسلام، د/ التهامي نفرة، ص ١٣٦.

(٢) سورة الكهف: من الآية ٣٧.

(٣) سورة الانفطار: الآيات ٦ - ٨.

وأجوائها وظاهر أديمها وباطنه»^(١) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ كُفْرًا مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ﴾^(٢)

ومن خلال النص السابق: يتضح أن خلق الإنسان من تراب دليل على إعادته مرة أخرى فليست إعادة الخلق عملية معقدة بالنسبة للقدرة الإلهية.

ويتجلى خلق الإنسان من التراب في ثلاثة ظواهر:

الظاهرة الأولى: «وهي المشار إليها في قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾^(٣) وهذا الطين ناتج من امتزاج عنصرَي الماء والتراب، ولذلك فالطين هو المركب الذي يتكوّن منه خلق جسد الإنسان «فأدم أبو البشر خلقه الله ﴿مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾^(٤)، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، ثم خلق منه زوجه ومن نسلها تكاثر البشر وانتشروا في أنحاء الأرض، والعلماء الماديون أو المنحرفون وإن كانوا لا يؤمنون بآدم فهم يعتقدون أن الخلايا الحية الأولى نشأت من عناصر الماء والطين»^(٥).

يقول حسن عبد السلام: «لقد تهيأت ظروف طبيعية وكيميائية في هذا الوسط فنشأت الخلايا الحية وتكاثرت وتطورت في مملكة النبات والحيوان من الكائنات الأنبوبية ذات الخلية الواحدة ثم الهلامية^(٦) عديدة الخلايا ثم الفقارية المائية، ثم

(١) ينظر: البحوث التربوية والثقافية والاجتماعية والعقائدية: ص ٣٩١.

(٢) سورة الروم: الآية ٢٠.

(٣) سورة المؤمنون: من الآية ١٢.

(٤) سورة الحجر: من الآية ٢٦.

(٥) ينظر: البحوث التربوية والثقافية والاجتماعية والعقائدية، ص ٣٩١.

(٦) اسم مؤنث منسوب إلى هلام: «أفكار هلامية- صنعت حلوى هلامية القوام: تعد بغلي السكر وعصير الفاكهة». وهي مصدر صناعي من هلام: سطحية، ظاهرية «سادت الإدارة الجديدة حالة من الهلامية». ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د / أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م: ٣ / ٢٣٦١.

الزواحف، ثم الإنسان فلا مجال للخلاف في نشأة الحياة من ماء وطين»^(١).

الظاهرة الثانية وهي: أن عناصر التراب تمد النبات بما يلائمه منها، ثم تتحول فيه هذه العناصر الميتة إلى خلايا نباتية حية ويتغذى الإنسان والحيوان بهذه الخلايا فتتحول فيهما إلى خلايا حيوانية، وقد يتغذى الإنسان بالخلايا الحيوانية من الحيوان فتتحول إلى خلايا بشرية وكانت كلها في بادئ أمرها من عناصر التراب: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرَجَتْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾^(٢).

الظاهرة الثالثة وهي: أننا لو أخذنا إنسانا، وحللنا جسمه في معمل كيميائي لوجدنا عناصره مقدرة بالنسبة المئوية لأعضائه آثار ضئيلة من اليود^(٣)، والسليكون^(٤)، والمنجنيز، وهذه العناصر الأرضية موجودة كلها في التربة الزراعية بنسب مختلفة عنى جسم الإنسان^(٥).

وهذه الظواهر الثلاثة ما هي إلا تنبؤ للإنسان للنظر في خلقه حيث إنه خلق من عناصر التراب ثم مر بأطوار مختلفة سيعود بعدها إلى التراب حيث تتحلل عناصر جسمه، وتعود إلى حالتها الأولى فالذي خلق الإنسان من قبضات من التراب، ثم نفخ فيه من روحه ومنحه الحواس والعقل وسخر له الأرض والجو والبحار، وهذا إلى ما كشفه من مخترعات علمية مكنته من تحطيم الذرة^(٦)، والتخليق في الفضاء، والغوص

(١) يراجع: كتاب الاغذية، للأستاذ حسن عبد السلام، طبع دار المعارف، سنة ١٩٤٤م، ص ١٥.

(٢) سورة يس: آية ٣٣.

(٣) (اليود) عنصر لا فلز صلب لونه بنفسجي أدكن له بريق وهو يتسامى إذا سخن، ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ٢ / ١٠٦٧.

(٤) والسليكون هو: مادة صلبة بلورية كالجرمانيوم لها قدرة توصيل كهربائية أكبر من المواد العازلة وأقل من الموصلات الجيدة، ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د / أحمد مختار عبد الحميد عمر: ٣ / ٢٤٥٠.

(٥) ينظر: كتاب الأغذية، /حسن عبد السلام: ص ١٥، وما بعدها.

(٦) اسم مرة من ذر: رشة. وهي قدر ضئيل جدا، بالغ الصغر، مثل بالنملة الصغيرة أو =

في أعماق ثم الوصول إلى القمر، إن الذي فعل هذا كله لا يعجزه أن يعيد المحيطات مرة ثانية إلى الحياة فتبارك الذي ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾^(١)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(٢).

إن الحكمة الإلهية تظهر في خلق الإنسان حيث إنه مخلوق من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة... الخ المراحل التي يمر بها الإنسان ثم يكون الإنسان خلقاً أو بشراً سويّاً ثم ينتقل إلى حياة أخرى تسمى بالحياة البرزخية، فالذي خلق كل هذه المراحل يقدر على إعادته مرة أخرى، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟

يقول عبد الرزاق نوفل: «إن الإنسان خلق من تراب أو من طين أو من صلصال والطين هو التراب إذا أضيف إليه الماء والصلصال هو الطين اليابس، فكلها إذا تراب

= برأس النملة أو الهباء المنبثة في الهواء ويمكن رؤيتها في شعاع الشمس الداخل من النافذة، وهي أيضاً، أصغر جزء في عنصر ما، يصح أن يدخل في التفاعلات الكيميائية، والتي تؤلف الأجسام المركبة، وتتكون الذرة من نواة (تحتوي النيوترون والبروتون) ومن الإلكترون الذي يدور حول النواة، ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د / أحمد مختار عبد الحميد عمر: ٨٠٧/١.

(١) سورة السجدة: الآيات ٧ - ٩.

(٢) ينظر: البحوث التربوية الثقافية الاجتماعية والعقائدية، الجزء الثاني، ص ٣٩٢، والآيات من سورة الحج: (٥، ٧).

بإضافة الماء أو بغير إضافته، وقد أثبت العلم الحديث أن جسم الإنسان يحتوي من العناصر ما تحتويه الأرض فهو يتكون من الكربون، والأكسجين، والهيدروجين، والفوسفور، والكبريت، والأزوت، والكالسيوم، والبوتاسيوم، والصوديوم، والكلور، والحديد، والمغنسيوم والمنجنيز، والنحاس والمغنسيوم، والمنجنيز، والنحاس، والفلورين، والكوبالت^(١)، والزنك، والسلكون، والألمونيوم، وهذه نفسها هي العناصر المكونة للتراب، وإن اختلفت نسبها في إنسان عن الآخر، وفي الإنسان عن التراب إلا أن أصنافها فجسم الإنسان يتكون من خلايا هذه الخلايا أساسها التراب، وإذا كان الجسم يتكون من ملايين وملايين من الخلايا الحية الصغيرة جدًا، بحيث لا يمكن أن تراها ولا يمكن أن ينظر إليها العالم إلا من خلال آلة تسمى الميكروسكوب^(٢).

وبما أن الجسم يتكون من هذه العناصر وهي من الأرض فإذا مات الإنسان فإنه يتحلل بتلك العناصر ثم يعود مرة أخرى بدليل قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٣) وهذا رد على المنكرين للبعث المتعجبين من اختلاط الأجسام بعضها ببعض فكيف تعود؟ لكن القرآن ردّ عليهم في أكثر من موضع سأذكره إن شاء الله عند التطرق للحديث عن هذه القضية.

أطوار الطين الذي هو أصل الإنسان دليل على بعثه :

أما عن أطوار هذا الطين الذي هو أصل الإنسان نجد أن القرآن الكريم قد تحدث عن ذلك يقول الشيخ / محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: «إذا عرفت هذا فاعلم أن الله جل وعلا أوضح في كتابه أطوار هذا الطين الذي خلق منه آدم، فبيّن أنه أولاً

(١) أكسيد الكوبالت يستخدم لتلوين الزجاج والخزف باللون الأزرق، ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د / أحمد مختار عبد الحميد عمر: ٢ / ٩٨٤.

(٢) ينظر: سلسلة العلوم المبسطة جسم الإنسان، فيونا شاندلر، ترجمة / أحمد محمود، دار الشروق، الطبعة العربية الثانية، ٢٠٠٨م، ص ٤.

(٣) سورة الأعراف: جزء من الآية (٢٩).

تراب، بقوله: ﴿إِن مِّثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ وَمِنْ تُرَابٍ﴾^(١)، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾^(٢)، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾^(٣) إلى غير ذلك من الآيات.

ثم أشار إلى أن ذلك التراب بُلَّ فصار طيناً يعلق بالأيدي في مواضع أخرى، كقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَبَدَأْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ﴾^(٦)، إلى غير ذلك من الآيات، وبَيَّن أن ذلك الطين أسود، وأنه متغير بقوله هنا: ﴿حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

وبَيَّن أيضاً أنه يبس حتى صار صلصالاً، أي: تسمع له صلصلة من يبسه بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ﴾^(٧) وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾^(٨) والعلم عند الله تعالى^(٩).

إن القرآن الكريم عدّ مراحل خلق الإنسان إلى ست مراحل وهي: (من تراب، ثم من طين، ثم من طين لازب، ثم من حمأ مسنون، ثم من صلصال كالْفَخَّارِ، ثم مرحلة نفخ الروح).

(١) سورة آل عمران: الآية (٥٩).

(٢) سورة الحج: من الآية (٥).

(٣) سورة غافر: من الآية (٦٧).

(٤) سورة الصافات: من الآية (١١).

(٥) سورة المؤمنون: من الآية (١٢).

(٦) سورة السجدة: من الآية (٧).

(٧) سورة الحجر: من الآية (٢٦).

(٨) سورة الرحمن: من الآية (١٤).

(٩) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م:

ومن كل ما سبق يتبين لنا: حكم كثيرة من وراء ذلك، ومن هذه الحكم: إظهار قدرة الله (ﷻ) وعظمته في خلق كل شيء، فلا يعجز على الله تعالى خلق أي شيء يقول له كن فيكون.

ومنها: فالإنسان يتكون أصلاً من النطفة التي تنشأ من اتحاد الحيوان المنوي الذي يفرزه الذكر بالبويضة التي تفرزها الأنثى هذه الحيوانات والبويضات تتولد من الدم، الذي يتكون من المادة اللبنية الناتجة من الكيلوس^(١)، وهو عبارة عن نواتج هضم الغذاء الذي هو نبات وحيوان وماء، وكلها مكونه من عناصر التراب الأصل كله إلى التراب، فالإنسان أصلاً آدم أول البشر، خُلق من تراب بدليل تحليل جسم الإنسان التي تتكون من عناصر التراب ثم توالى خلق ذريته من النطفة التي هي خلاصة التراب^(٢).

فكل ما سبق تظهر عناية الله تعالى في خلق الإنسان ابتداء من آدم أبو البشر الذي خلقه الله بيده واسجد له الملائكة، وكرمه وفضله على سائر الخلق، فلا يعجزه شيء.

يقول عبد الكريم الخطيب: «ومن هنا فإن الإنسان من هذه الأرض وأنه مطبوع بطبيعتها، وما فيها من نور وظلام، ونهار وليل، وجبال ووهاد، وعذب وأجاج..... وأنه بما فيه من نعمة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى مهياً لأن يعلو ويعلو حتى يصفاح الملاء

(١) الكيلوس: المواد الغذائية التي تتجمع على شكل كتلة عجينية في المعدة قبل أن تدخل الأمعاء الدقيقة (مع) (الكيمياء) الحيلة والحقق وكان يراد بها عند القدماء تحويل بعض المعادن إلى بعض (علم الكيمياء) عندهم علم يعرف به طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية وجلب خاصة جديدة إليها ولا سيما تحويلها إلى ذهب و(عند المحدثين) علم يبحث فيه عن خواص العناصر المادية والقوانين التي تخضع لها في الظروف المختلفة وبخاصة عند اتحاد بعضها ببعض (التركيب) أو تخليص بعضها من بعض، ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ٢ / ٨٠٨.

(٢) ينظر: الله والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، ص ١٨٤.

الأعلى لو أنه انتصر للنور الذي استمدته نفخة الخلق، على ظلام الطين المخالط لهذا النور، أما إذا هو لم يمد هذه الشعلة النورانية العلوية بما يناسبها من الاتجاه إلى الله والإيمان به ستنتطفئ ويصبح الإنسان عندئذ مجرد صورة من لحم ودم يأخذ مكانه بين عوالم البهائم»^(١).

وخاتمة المطاف على هذا الدليل: إن خلق الإنسان من التراب دليل صريح على إثبات هذه القضية أي (البعث) فبالمنطق والعقل نرى أن جمع المتفرق أيسر من صنعه أولاً، ومن نظر إلى نفسه علم أنها خلقت من التراب، وبعد ذلك تعاد إلى التراب، ثم بعد ذلك يعود الإنسان تارة أخرى، أي يبعث مرة أخرى، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَلَقْنَاكُمْ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِمَّا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^(٢).

الدليل الرابع من أدلة وقوع البعث من خلال سورة الروم:

الاستدلال بأن من خلق الأعلى والأكبر فقدرته على خلق الأدنى والأصغر أولى، الدليل من سورة الروم الذي يشير إلى ذلك:

قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقَ السِّنِّتِ وَالْوَنَكْرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

والمعنى الإجمالي لهذا الدليل كما يقول الإمام السعد وهو «أن ذلك دال على عظمة سلطان الله وكمال اقتداره الذي أوجد هذه المخلوقات العظيمة، وكمال حكمته لما فيها من الإتيان وسعة علمه؛ لأن الخالق لا بد أن يعلم ما خلقه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾^(٤) وعموم رحمته وفضله لما في ذلك من المنافع الجليلة، وأنه المريد الذي يختار ما يشاء لما فيها من التخصيصات والمزايا، وأنه وحده الذي يستحق أن يعبد

(١) ينظر: الإنسان في القرآن من البداية إلى النهاية، عبد الكريم الخطيب: ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة طه: الآية (٥٥).

(٣) سورة الروم الآية (٢٢).

(٤) سورة الملك الآية (١٤).

ويوحد؛ لأنه المنفرد بالخلق فيجب أن يفرد بالعبادة، فكل هذه أدلة عقلية نبّه الله العقول إليها وأمرها بالتفكر واستخراج العبرة منها^(١).

أقوال العلماء في هذا الدليل:

فخلق السموات والأرض وما فيهما من مخلوقات دليل على وقوع البعث لا محالة. يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ اللهُ في بيان هذا الدليل يقول تعالى «ومن حججه وأدلتها أيضا على أنه لا يُعجزه شيء، وأنه إذا شاء أَمَات من كان حيا من خلقه، ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾^(٢) وأعاده كما كان قبل إِمَاتته إياه خلقه السموات والأرض من غير شيء أحدث ذلك منه، بل بقدرته التي لا يمتنع معها عليه شيء أرادته^(٣).

فإرادة الله تعالى هي التي أبدعت السموات والأرض من لا شيء، وهذا بيان لدليل الآفاق بعد دليل الأنفس، فهو سبحانه جلّ ذكره قادر على أن يخلق الأصغر منهما، وهذا إن دل فإنما يدل على قدرت الله تعالى على بعث الإنسان مرة أخرى؛ لأن ذلك واقع تحت الإرادة الإلهية.

قال الفخر الرازي في بيان هذا الدليل «لما بيّن دلائل الأنفس ذكر دلائل الآفاق وأظهرها خلق السموات والأرض، فإن بعض الكفار يقول في خلق البشر وغيره من المركبات إنه بسبب ما في العناصر من الكيفيات وما في السموات من الحركات وما فيها من الاتصالات فإذا قيل له فالسما والأرض لم تكن لامتزاج العناصر، واتصالات الكواكب فلا يجد بداً من أن يقول ذلك بقدرة الله وإرادته»^(٤).

ويقول الماتريدي في بيان هذا الدليل الذي يثبت البعث من خلال السورة وقوله:

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله

السعدي، ١ / ٦٣٩.

(٢) سورة عبس الآية: ٢٢.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري: ٢٠ / ٨٧.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي: ٢٥ / ٩٢.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ في خلق السماوات، ورفعها في الهواء وإقرارها فيه آية؛ لأنه غير موهوم مثله من فعل الخلق وقدرتهم، وهكذا خلق الأرض وبسطها وإقرارها على الماء، أو على الريح خارج عن فعل الخلق ومن قدرتهم، غير موهوم^(١) ذلك في أوهامهم وعقولهم من غير الواحد العالم القادر بذاته، فإذا كان ما ذكر غير موهوم في أوهامهم وعقولهم من غير الله فهم إنما أنكروا البعث لما لم يعاينوا ذلك ولا شاهدوا في أوهامهم، فكيف أنكروا البعث، وإن كان غير موهوم ذلك في أوهامهم، بعد أن كان ذلك موهوماً من الله، مشاهداً، معاييناً لمثل هذا؟!»^(٢).

ومن دلائل قدرته خلق السموات والأرض وهما أكبر من خلق الناس كما ذكر سبحانه، فإذا كان الحق خلقهما من عدم مع عظمهما واتساعهما، فهو قادر على أن يعيد الإنسان مرة أخرى، حيث إن إعادته مرة أخرى عملية سهلة لا تتوقف على سبب؛ لأنها تحت كينونته.

يقول أبو السعود في بيان هذا الدليل الوارد في قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ السَّيِّئَاتِ وَالْوَيَّاسَاتِ﴾^(٣).

وهناك عديد من الآيات توضح ذلك من هذه الآيات «ومن آياته.. الدالة على ما ذكر من أمر البعث وما يتلوه من الجزء ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إما من حيث إن القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها أظهر قدرة على إعادة ما كان حياً قبل ذلك»^(٤).

(١) الموهوم من الأشياء الذي ذهب إليه الوهم (الوهم) ما يقع في الذهن من الخاطر والطريق الواسع (ج) أوهام ووهم ووهوم، ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ٢ / ١٠٦٠.

(٢) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٨ / ٢٦١.

(٣) سورة الروم الآية ٢٢.

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود: ٧ / ٥٦.

«وفي هذه الآيات الكريمة يخبر الله تعالى عن وقوع (البعث) بالتنبيه على أمر مشاهد أمام الأنظار، وهو خلق السموات والأرض، فالذي يصنع الأمر العظيم لا يعسر عليه أن يصنع الأمر الصغير، فالذي يستطيع أن يبني قصرًا عظيمًا لا يعسر عليه أن يعيد بناء غرفة من غرفه»^(١).

ولأنه تعالى أوجد السماوات من العدم، فالذي أنشأ من العدم قادر على النشأة الثانية، وهذا في حقنا أما في حق الله فالكل في قدرته سواء كبر المخلوق أم صغر، فخلق السموات كخلق الذر الكل سواء في ميزان القدرة الإلهية، ولكنه سبحانه يضرب الأمثال لنا بما نعقله ونذكره، يقول الفخر الرازي: «إنه استدلال على منكري البعث فقال: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءُ﴾ فنبههم على أمر يعلم بالمشاهدة، وذلك لأن خلقه الإنسان على صغره وضعفه، إذا أضيف إلى خلق السماء على عظمها وعظم أحوالها يسير، فبين تعالى أن خلق السماء أعظم، وإذا كان كذلك فخلقهم على وجه الإعادة أولى أن يكون مقدورًا لله تعالى فكيف ينكرون ذلك، والمعنى أخلقكم بعد الموت أشد أم خلق السماء أي عندكم، وفي تقديركم، فإن كلا الأمرين بالنسبة إلى قدرة الله واحد»^(٢).

ويؤكد الدكتور/ عبد الكريم نوفان أن القرآن سلك مسلكا آخر يقابل هذا المشهد وذلك من خلال النظر في الآيات الكونية التي تثبت القدرة على الإنشاء وعلى الخلق، فيقول: «وإذا كان القرآن قد برهن على البعث من خلال تذكير الإنسان بنشأته الأولى وبالمرحلة التي مر بها خلقه، فقد سلك في المقابل خطا آخر مقابلا لهذا الخط، والمتمثل في آيات القدرة الإلهية في الكون من حولنا تمامًا كما سلك مثل هذا في تقرير الوجدانية، كما تقدم إذ ليس أدل على مسائل العقيدة الإسلامية من آيات الله المبتوثة في النفس البشرية، وفي الكون من حولنا كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى^(٣) الحقيقة في

(١) ينظر: المرجع السابق نفسه.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي: ٣١ / ٤٢

(٣) ينظر: د / عبد الكريم نوفان عبيدات، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير =

العديد من الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^(١).

وخلق السموات ماثل للعيان، ولا يخفى أمره على أحد وهو شاهد على عظمة الله وقدرته، والناس لا يدركون من هذا الخلق العجيب إلا القليل، فهو الفعال لما يريد.

يقول الإمام الطبري في تقريره للدليل العقلي المستنبط من هذه الآيات على البعث يقول تعالى ذكره منبهاً هذا الكافر على خطأ قوله، وعظيم جهله السبع مثلكم، إن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السموات والأرض، يقول: «فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم، فكيف يتعذر عليه إحياء العظام بعد ما قد رمت وبليت؟ وقوله: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ يقول: بلى هو قادر على أن يخلق مثلهم وهو الخلاق لما يشاء، الفعل لما يريد، العليم بكل ما خلق ويخلق، لا يخفى عليه خافية»^(٢).

ويقول ابن تيمية: «ومن المستقر في بدائة العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق الآدميين، فإذا كان فيها من الدلالة على علم خالقها وقدرته وحكمته ما بهر العقل، أفلا يكون ذلك دالاً على أنه قادر على إحياء الموتى لا يعي بذلك، كما لم يعي بالأول بطريق الأولى والأخرى»^(٣).

= مسائل العقيدة الإسلامية، ص ٤٣٧، والآية من سورة فصلت: وهي قول الله تعالى: ﴿سَرِيعٌ
ءَايَاتُهُ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّهُ لُحْمُهُ وَأَنَّهُ لَوَيْدٌ لِّكَفٍّ بِرَّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة فصلت:
٥٣].

(١) سورة يس الآيات: ٨١-٨٣.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري: ٢٠ / ٥٥٦.

(٣) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الدكتور / محمد رشاد سالم: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م: ٧ / ٣٨١.

ويقول الدكتور/ عبد الله شحاته: «إن خلق السموات والأرض معناه إنشاء هذا الخلق الهائل الضخم العظيم الدقيق الذي لا تعرف عنه إلا أقل القليل هذا الحشد الذي لا يحصى من الأفلاك، والمجرات، والنجوم، والكواكب، والسدوم، والمجرات تلك التي لا تزيد أرضنا الصغيرة عن أن تكون ذرة تائهة عنها، ومع الضخامة الهائلة ذلك التناسق العجيب، والمدرات، والدورات، والحركات وما بينها من مسافات وإبعاد تحفظها من التصادم، والخلل، والتخلف، والاضطراب ويجعل كل شيء في أمرها بمقدار^(١).

ومن النماذج التي ساقها القرآن على ذلك ما ورد في سورة المؤمنون، فقد تحدث الله في صدر السورة عن مراحل خلق الإنسان إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾^(٢) ثم أتبعها الله بالحديث عن خلق السموات، وإنزال الماء من السماء الذي أنشأ به جنات من نخيل وأعناب وغيرها، ثم يأتي الحديث في الثلث الأخير من السورة عن بعض آيات الله في الكون، وفي النفس البشرية مستدلًا بها على البعث وهي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾^(٣) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالِ الْأَوَّلُونَ ﴿٨﴾ قَالُوا لَئِنْ دَامَسْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْ نَأْتِي مَبْعُوثُونَ ﴿٩﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾^(٤).

يقول الفخر الرازي: «اعلم أنه سبحانه لما أوضح القول في دلائل التوحيد عقبه بذكر المعاد فقال: بل قالوا مثل ما قال الأولون في إنكار البعث مع وضوح الدلائل، ونبه بذلك على أنهم إنما أنكروا ذلك تقليدًا للأولين، وذلك يدل على فساد القول بالتقليد، ثم حكى الشبهة عنهم من وجهين: أحدهما: قولهم: ﴿لَئِنْ دَامَسْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْ نَأْتِي مَبْعُوثُونَ﴾ وهو مشهور، وثانيهما: قولهم: لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من

(١) ينظر: تفسير الآيات الكونية، د / عبد الله شحاته: ص ٢١٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآيات ١٢-١٦.

(٣) سورة المؤمنون: الآيات ٧٨-٨٣.

قبل كأنهم قالوا إن هذا الوعد كما وقع منه (١٠٠%) فقد وقع قديماً من الأنبياء، ثم لم يوجد مع طول العهد، فظنوا أن الإعادة تكون في دار الدنيا، ثم قالوا لما كان كذلك فهو من أساطير الأولين والأساطير جمع أسطار والأسطار جمع سطر أي ما كتبه الأولون مما لا حقيقة له، وجمع أسطورة أوفق^(١).

الدليل الخامس من أدلة وقوع البعث من خلال سورة الروم: (آية المنام واليقظة):

ويتمثل في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآبَتُكُمْ مِنْكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾^(٢).

والمعنى الإجمالي لهذا الدليل وهو أن من نعم الله تعالى على خلقه أن جعل لهم الليل لباساً، والنوم سباتاً، وبالتالي فإذا نام الإنسان فهذا النوم يسمى بالموت الأصغر فإذا استيقظ من نومه، فإن هذا الاستيقاظ إشارة إلى البعث من القبور، حينما ينادي المنادي من مكان قريب فيخرج الناس من الأجداث سراعاً، وهذا دليل على المشاركة بين النوم، والموت في زوال الإحساس فيهما.

يقول الشيخ/ رشيد رضا «إنه إطلاق مجازي مبني على تشبيه النوم بالموت لما بينهما من المشاركة في زوال إحساس الحواس والتميز، وإنما جعلوه استعارة عن النوم بناء على جعله حقيقة في الموت، وهو كذلك في العرف العام لا في أصل اللغة»^(٣).

أقوال العلماء في هذا الدليل:

يقول القرطبي رحمه الله: «﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآبَتُكُمْ مِنْكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾ بالنهار، فجعل النوم بالليل دليلاً على الموت، والتصرف بالنهار دليلاً على البعث والنوم واليقظة من الظواهر المألوفة في حياة الناس جميعاً؛ ولكن الناس يغفلون عن دلالتهما على البعث؛ والقرآن الكريم يوجهنا إلى تأمل هاتين الظاهرتين، لنستيقن

(١) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: ٢٣ / ٢٨٩.

(٢) سورة الروم: آية ٢٣.

(٣) تراجع: تفسير المنار: ٣٩٩/٧.

من خلالهما قدرة الله على البعث؛ فما النوم الا الموتة الصغرى، وما اليقظة إلا صورة مصغرة للبعث الأكبر^(١).

فنجد أن قدرة الله تعالى شاملة لجميع نواحي الحياة بما فيها من العناية بالإنسان خاصة في نومه واستيقاظه ليأخذ العبرة من ذلك أن الذي أيقظه بعد نومه قادر على بعثه مرة أخرى وما ذلك على الله بعزيز فكيف ينكر البعث من يدرك ذلك الأمر؟

ويشير أبو منصور الماتريدي إلى هذا المعنى في تفسيره لهذه الآية من سورة الروم فقال «قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَتَاكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾^(٢)؛ لأن النوم يأخذهم من غير أن يعرفوا أنه من أين مأتاه ومأخذه، ثم يأخذ منهم جميع منافع الأحياء: من السمع، والنطق، والفهم، والرؤية، وجميع ما تنتفع به قبل ذلك، ثم يرد ذلك إليهم من غير أن عرفوا بذلك فيعودون إلى ما كانوا من المنافع والأكساب؛ ليعلم أن من قدر على مثل هذا يقدر على أخذ الروح ونفسه ورده إليه، فهو أخو الموت؛ قال الله - تعالى -: ﴿يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾، سمي النوم: الوفاة، وهو مثله؛ لما ذكرنا أن جميع منافع الأحياء ترتفع وتزول بالنوم ثم ترد إليهم من غير أن يشعروا بذلك، فمن قدر على هذا يقدر على الإحياء بعد الموت»^(٣).

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤) وهو ألقاه فوق عبادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ^(٥) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ^(٦) فالنوم واليقظة من الآيات الدالة على قدرة الله وعظمته ووحدانيته، وكما أنهما دليلان على الوحدانية فهما أيضًا دليلان على

(١) ينظر: تفسير القرطبي: ١٤ / ١٧.

(٢) سورة الروم: آية ٢٣.

(٣) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٨ / ٢٦٢.

(٤) سورة الأنعام: الآيتان (٦٠ - ٦٢).

البعث، والنشور.

ويشير إلى هذا المعنى الإمام الشوكاني يقول: «من آياته العظيمة أنكم تنامون بالليل) وتنامون في بعض الأحوال للاستراحة كوقت القيلولة، وابتغاؤكم من فضله فيهما، فإن كل واحد منهما يقع فيه ذلك، وإن كان ابتغاء الفضل في النهار: أكثر، والأول: هو المناسب لسائر الآيات الواردة في هذا المعنى، والآخر: هو المناسب للنظم القرآني هاهنا، ووجه ذكر النوم، والابتغاء هاهنا، وجعلهما من جملة الأدلة على البعث»^(١).

والنوم شبيه بالموت، والتصرف في الحاجات، والسعي في المكاسب شبيه بالحياة بعد الموت، ثم إن النوم راحة للجسد يستريح الإنسان في هذه الفترة، ثم يستيقظ، ففي هذا إشارة إلى عودة الإنسان إلى الحياة مرة أخرى، فالنوم يرى فيه الإنسان أشياء عجيبة وغريبة ثم يستيقظ مرة أخرى وهذه عملية قياسية كما ورد في الحديث الشريف»^(٢)، يقول عبد الرزاق نوفل: «إن من أهم ما أنعم الله به على الكائن الحي النوم وهو في الواقع دليل لا يقاربه شك لي وجود الله فالنوم عملية تتم دون أن يكون للإنسان دخل بها، فهو في وقت معين تبدأ قواه في التناقض وتعتريه حالة من الاستعداد للنوم؛ ثم لا بد بعد ذلك أن ينام، وأهمية النوم يمكن إدراكها بالتجارب التي أجريت على الحيوان، واتضح منها أن النوم أهم للحياة من الطعام والشراب.

وقد قرّر علماء الروس أن التجارب التي أجريت على صغار الكلاب أثبتت أنها لم تستطع الحياة لأكثر من خمسة أيام بلا نوم، بينما عاشت مثيلاتها التي لم تنام

(١) ينظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ: ٢ / ١٤٢.

(٢) الحديث بنصه «تموتون كما تعيشون، وتبعثون كما تموتون»، ينظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي، تحقيق: الشيخ/ أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، باب الصراط جسر جهنم: ١٠ / ٢١٦.

عشرين يوماً بلا أكل، ولم يمكن للعلماء أن يقرروا ماذا يتم في الجسد أثناء النوم أكثر من النائم يتخلص من إجهاده الجسدي وإرهاقه الفكري، إن استرخاء عضلات الإنسان بنومه، تساعد على تنشيط وتنظيم الدورة الدموية، التي تتردد من الجسم ما قد يكون الإجهاد من مواد ضارة»^(١).

فبرهان (اليقظة والنوم) من أعظم الأدلة على إمكان البعث فالنوم حالة عجيبة يكاد الإنسان ينعزل فيها عن الحياة ويستأنف حياة أخرى لا تتقيد بزمان، ولا بمكان ولا بالضوابط الاجتماعية ولا بالسنن الكونية فيرى النائم أحداثاً وقعت في أزمان سحيقة ماضية، أو آتية ويرى أماكن بعيدة في كوكب الأرض، أو في كواكب أخرى، وقد يرى مشاهد من الحياة الآخرة، ثم يرى نفسه طائرًا في الهواء، أو غائصًا في الماء دون آلات مساعدة أليس هذا إرهاصًا بأن له حياة أخرى غير هذه الحياة، وأن حياته الأخرى ستكون طليقة من كل قيودي الحياة الدنيا أن النوم لون من ألوان الوفاة، واليقظة لون من ألوان البعث والنشور، ثم يعرض القرآن القضية عرضًا رائعًا فيقرن النوم بالوفاة، ويوازن بين حالة اليقظة وحالة البعث حيث يقول: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

«فالآية الكريمة تقرر أن الله يتوفى الأنفس حين موتها، ويتوفى الأنفس حين أيضًا في حالة نومها، ففي حالة الموت تظل النفوس في قبضته حتى يتم بعثها يوم الجزاء، وفي الحالة الثانية حالة النوم يرسل الله الأنفس إلى أجسادها في الدنيا، فتستيقظ من سباتها، وتعود لاستئناف حياتها إلى أمد محدد، ثم تقع في الموت المستمر إلى يوم البعث والنشور»^(٣).

(١) ينظر: الله والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل: ص ١٤٢ وما بعدها.

(٢) سورة الزمر، الآية (٤٢).

(٣) ينظر: البحوث التربوية الثقافية الاجتماعية والعقائدية لمجمع البحوث الإسلامية،

«إِذَا الْإِنْسَانُ حِينَمَا يَنَامُ يَنْتَقِلُ مِنَ الْحَيَاةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا وَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى السَّنَنِ الْكُونِيَّةِ الَّتِي لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ إِلَى حَيَاةٍ يَرَى فِيهَا الْإِنْسَانُ أَلْوَانَ الْعَجَائِبِ لَيْسَتْ تِلْكَ الْحَيَاةُ مَقِيدَةُ السَّنَنِ الْكُونِيَّةِ لِاخْتِلَافِ الْحَيَاتَيْنِ، وَمِنْ ثَمَّ شَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى النَّوْمَ بِالْوَفَاةِ وَالْيَقِظَةَ بِالْحَيَاةِ دَلَالَةً عَلَى الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ، وَلَقَدْ تَعَرَّضَ الْقُرْآنُ لِهَذَا اللَّوْنِ الْبَدِيعِ فَقَرَنَ النَّوْمَ بِالْوَفَاةِ، وَالْيَقِظَةَ بِالْبَعْثِ، كَمَا ذَكَرَ فِي سُورَةِ الزَّمْرِ ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(١).

ومن دلائل وجود الله وقدرته على البعث أن تشترك الكائنات الحية في النوم «فالحيوانات تنام وتصحو، كالإنسان وقد ثبت أن الحيوانات تحلم كذلك في منامها، وتنم أيضاً الحيوانات الدنيا والأسماك والحشرات، ولو أنه من الصعب تمييز حالتها بين اليقظة والنوم، ومن أرحم آيات الله أن الطير ينام على غصنه، ولا يقع بالرغم من أن قبضة الطائر لا بد أن تسترخي كباقي عضلاته حين يغلبه النعاس، إذ إن الأوتار التي تحدث البسط والقبض في مخالب الطائر تلتف حول مفصل ساقه، فحين ينام ويثني ثقل جسمه هذا المفصل تشد الأوتار مخالبه فيزيد تشبث قبضة الطائر على غصنه، ويتم ذلك دون تفكير أو تدبير، بل دون أن يعيها أو يحسها الطائر»^(٢).

إنَّ النوم الذي يحصل للإنسان والحيوان، والاستيقاظ الحاصل بعده، من الأمور المشاهدة الدالة على هذا اليوم العظيم، فالنوم هو موت مصغر، فهو أخو الموت، وكذلك الاستيقاظ بعده هي حياة مصغرة، فكما تتم عملية النوم للإنسان والحيوان، وعملية الاستيقاظ لهما تتم عملية الموت والحياة الكاملة لهما، وهذه الآية الإلهية دالة على أن النوم أخو الموت واليقظة دالة على البعث.

(١) سورة الزمر: الآية (٤٢).

(٢) ينظر: الله والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، ص ١٤٣.

الدليل السادس من أدلة وقوع البعث من خلال السورة الكريمة:

إثبات النشأة الآخرة بالقياس على النشأة الأولى:

هذا الدليل مفاده أن من قدر على ابتداء الخلق فهو قادر على إعادته، وهذه دلالة ثابتة في العقل ظاهرة واضحة كوضوح الشمس، والآية التي تشير إلى هذا الدليل قول الله تعالى في سورة الروم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

أقوال العلماء في هذا الدليل:

يقول الفخر الرازي في بيان هذا الدليل: «أي في نظركم الإعادة أهون من الإبداء؛ لأن من يفعل فعلاً أولاً يصعب عليه، ثم إذا فعل بعد ذلك مثله يكون أهون، وقيل المراد هو هين عليه، كما قيل في قول القائل الله أكبر أي كبير، وقيل المراد هو أهون عليه أي الإعادة أهون على الخالق من الإبداء لأن في البدء يكون علة، ثم مضغة، ثم لحماً ثم عظماً، ثم يخلق بشراً، ثم يخرج طفلاً يترعع إلى غير ذلك فيصعب عليه ذلك كله، وأما في الإعادة فيخرج بشراً سوياً بكن فيكون أهون عليه، والوجه الأول أصح وعليه نتكلم فنقول هو أهون يحتمل أن يكون ذلك؛ لأن في البدء خلق الأجزاء وتأليفها والإعادة تأليف، ولا شك أن الأمر الواحد أهون من أمرين، ولا يلزم من هذا أن يكون غيره فيه صعوبة»^(٢).

ومعنى هذا الدليل كما يقول صاحب الكشاف في تفسيره لهذه الآية: «ومعناه: أن البعث أهون على الخلق من الإنشاء؛ لأن تكوينه في حد الاستحكام، والتمام أهون عليه وأقل تعباً وكبدًا، من أن ينتقل في أحوال ويندرج فيها إلى أن يبلغ ذلك الحد»^(٣).

(١) سورة الروم: الآية (٢٧).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي: ٢٥ / ٩٦.

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: ٣ / ٤٧٧.

ويقول الإمام القرطبي في توضيحه لهذا الدليل: «أما بدء خلقه فبعلقه في الرحم قبل ولادته، وأما إعادته فأحيأه بعد الموت بالنفخة الثانية للبعث، فجعل ما علم من ابتداء خلقه دليلاً على ما يخفى من إعادته، استدلالاً بالشاهد على الغائب»^(١).

يقول الإمام أبو البركات النسفي في توضيح هذا المعنى في قول الله تعالى «وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ»^(٢) أي ينشئهم ﴿تُرْيعِدُهُ﴾ للبعث (وهو) أي البعث ﴿أَهْوَنُ﴾ أيسر ﴿عَلَيْهِ﴾ عندكم؛ لأن الإعادة عندكم أسهل من الإنشاء فلم أنكرتم الإعادة»^(٣).

ومن هنا فالإعادة لا تحتاج إلى سبب وذلك لدخولها تحت كينونته وأمره تعالى؛ لأن الخالق جلا وعلا قادر على كل شيء، فهو الذي أنشأ من العدم من غير مادة سابقة ولا يحتاج فعله تعالى إلى زمان، أو مكان؛ لأن الاحتياج علة النقص، وهو تعالى منزّه عن النقص والزمان والمكان من مخلوقاته، فهو تعالى منزّه عن ذلك، فالإعادة أمرها يسير بالنسبة لقدرته تعالى، وذلك لدخولها تحت مشيئته تعالى وقدرته.

يقول أبو منصور الماتريدي: إن الإعادة بالنسبة لله تعالى لا تحتاج سبب وإنما داخله تحت كينونته فيقول «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» أي: عليه هَيِّنٌ؛ إذ ليس شيء أصعب على الله من شيء، أو شيء أهون عليه من شيء؛ بل الأشياء كلها بمحل وأحد داخل تحت قوله: (كُنْ) وإنما يقال: أهون وأيسر، لمن كان فعله بسبب، فيهون عليه إذا كثرت الأسباب، ويصعب عليه ذلك إذا قلت وضعفت، فأما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهو الفاعل للأشياء، وصانعها، والقادر عليها بسبب وبلا سبب، فلا جائز أن يقال شيء أهون من شيء، وإنما يجوز ذلك فيمن كان فعله لا يكون إلا بسبب»^(٤).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي: ١٤ / ٢٠.

(٢) سورة الروم: الآية (٢٧).

(٣) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات النسفي: ٢ / ٦٩٧.

(٤) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٢٦٦/٨.

كما يقول الإمام البيضاوي في بيان هذا المعنى مبيناً إن الإعادة أسهل عليه من الأصل، وذلك بالنسبة لقدركم أيها المنكرون للبعث، وأما بالنسبة إليه تعالى فهما سواء أي الابتداء والإعادة.

فيقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد هلاكهم، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ والإعادة أسهل عليه من الأصل بالإضافة إلى قدركم والقياس على أصولكم وإلا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء لـ الْخَلْقِ، وقيل أَهْوَنُ بمعنى هين وتذكير هو لأهون أو لأن الإعادة بمعنى أن يعيد.... وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ الَّذِي لَا يَعْجزُ عَنْ إِبداءٍ مِمَّنْ وإعادته. الْحَكِيمُ الَّذِي يَجري الأفعال على مقتضى حكمته»^(١).

وجه الاستدلال في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

يقول عبد القاهر البغدادي^(٣): **وجه الاستدلال:** «أن يقاس الإعادة على الابتداء فإن القادر على إيجاد الشيء من العدم ابتداء فإنه يكون قادراً على إعادته أولى إذا لم يلحقه عجز»^(٤).

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ٤ / ٢٠٦ بتصرف.

(٢) سورة الروم: الآية (٢٧).

(٣) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور: عالم متقن، من أئمة الأصول، كان صدر الإسلام في عصره، ولد ونشأ في بغداد، ورحل إلى خراسان فاستقر في نيسابور. وفارقها على أثر فتنة التركمال قال السبكي: ومن حشرات نيسابور اضطرار مثله إلى مفارقتها، ومات في اسفرائين. كان يدرس في سبعة عشر فتاً. وكان ذا ثروة. من تصانيفه «أصول الدين» و«الناسخ والمنسوخ» و«تفسير أسماء الله الحسنى، و» فضائح القدريّة، توفي سنة ٤٧١ هـ - ١٠٧٨ م، ينظر: الأعلام، للزركلي: ٤ / ٤٨.

(٤) ينظر: أصول الدين، للإمام الأستاذ / أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، مدرسة الإلهيات بدار الفنون النورية باسطنبول، الطبعة الأولى، ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م، ص ٢٣٣.

ويقول فخر الدين الرازي: «إن الشيء إذا صار معدومًا فإنه بعد العدم بقي جائز الوجود والله تعالى قادر على جميع الجائزات فوجب القطع بكونه تعالى قادرًا على إعادته بعينه بعد العدم، وذلك أنه بعد عدمه بقي جائز الوجود؛ لأنه قبل عدمه جائز الوجود»^(١).

الفرق بين بدء الخلق وإعادتهم من خلال قول الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

إن هناك فرقاً بين بدء الخلق وإعادتهم يتمثل في أمرين، وهما:
أحدهما: أن الخلق الأول حصل من لا شيء، أي من غير مادة سابقة عليه أي من العدم^(٣).

ثانيهما: أن إعادة الخلق حاصلة من بقايا مخلوق سابق، فهي أيسر في قانون العقل وبدء الخلق وإعادته سهل على الله؛ لأن الإعادة أسهل من الإيجاد من العدم، ومن الأدلة الكونية الواردة في القرآن الكريم، والدالة على هذا اليوم، هو دليل القدرة العظيمة المشاهدة في هذا الكون الفسيح بمعنى أن الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْقَادِر عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، والخالق للسموات وللأرض وما بينهما، قادر على ما هو أقل من ذلك، فعند مشاهدة عظيم القدرة التي ملأت أركان هذه الكون الفسيح من خلق للسماء، وما فيها من النجوم والمجرات، والأرض وما فيها من الآيات الباهرة، نعلم قدرة الخالق لهذا الكون على إعادة الخلق مرة أخرى في يوم القيامة.

(١) ينظر: الأربعين في أصول الدين، للإمام فخر الدين الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية ط١، القاهرة ١٤٠٦ هـ، ص ٣٨.

(٢) سورة الروم: الآية (٢٧).

(٣) العدم هو: ضد الوجود، وهو مطلق أو اضافي، فالعدم المطلق هو الذي لا يضاف إلى شيء، والعدم الإضافي، أو المقيد، هو المضاف إلى شيء، كقولنا: عدم الأمن، وعدم الاستقرار، وعدم التأثير، ينظر: المعجم الفلسفي، د/جميل صليبا: ٢ / ٦٤.

قياس النشأة الثانية على النشأة الأولى:

الآيات الدالة على ذلك قول الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعِندَنَا تُنَائِلُ النَّاسِ﴾^(٢)، ويقول أيضًا: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعِندَنَا تُنَائِلُ النَّاسِ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَّا تُمْرَأَةً يَنْشِئُ النَّشْأَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥)، وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٦).

يوضح المولى -تبارك وتعالى- لعباده أنه قادر على إعادتهم، كما أنشأهم أول مرة يقول الدكتور / غالب عواجي: «في هذه الآيات يبين الحق أنه بعد أن يميت البشر، ويبلوا في الأرض فلما أنه أنشأهم أول مرة ووجدهم من عدم لا يعجزه أن ينشئهم مرة أخرى ومعلوم ان النشأة الاخرى تكون اهون من النشأة الأولى والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإن كان يسهل عليه النشأة الأولى، والثانية على حد سواء، لكن - والقرآن الكريم يخاطب البشر يبين تنزلات مع عقولهم دليلاً لا يستطيعون جحده، ويعرفون صدقه في أنفسهم -وهو أن من قدر على النشأة الأولى فهو على النشأة الثانية أقدر من باب أولى فإذا كان في عرف البشر أن النشأة الثانية لأي شيء كان

(١) سورة الروم: آية ٢٧.

(٢) سورة الأعراف: من الآية ٢٩

(٣) سورة الأنبياء: من الآية ١٠٤.

(٤) سورة العنكبوت: الآيتان ١٩-٢٠.

(٥) سورة النجم: الآيات: ٤٤-٤٧.

(٦) سورة الواقعة: الآية ٦٢.

أسهل عليه من النشأة الأولى، أفلا يليق بالله تعالى وهو القادر على كل شيء، أن تكون النشأة الثانية أهون عليه، وهذه حجة قوية لا يستطيع دفعها إلا من كابر عقله»^(١).

والنشأة الثانية أهون على الله وهذا كله اي النشأة (الأولى والثانية) كلا منهما على الله ببسير، وفي هذه الآية برهان واضح على البعث، فان من خلق الإنسان أول مرة من العدم، قادر - من باب أولى - على إعادة تركيبه مرة أخرى من العظام البالية، النخرة، وهذا بمقياس القدرة البشرية، فكيف إذا كان الأمر متعلقا بالله، الذي لا يعجزه شيء إذ البدء والاعادة كله هين يقول الاستاذ سيد قطب: «هو أهون عليه.. وليس شيء أهون على الله ولا أصعب، (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له: كن فيكون)، ولكنه إنما يخاطب الناس بحسب إدراكهم، ففي تقدير الناس أن بدء الخلق أصعب من إعادته، فما بالهم يرون الإعادة عسيرة على الله، وهي في طبيعتها أهون وأيسر»^(٢).

يقول د/ عبد الرحمن حبنكة: «إن إعادة الخلق أهون من ابتدائه، فإذا ثبت الابتداء بالمشاهدة ثبتت الإعادة الموعود بها من باب أولى، وهذا الطريق ظريف التنبيه على مظاهر قدرة الله في السموات والأرض، وذلك أنه إذا كابر الخصم - بعد إقامة الدليل بطريق التسوية بين الإعادة والبدء، فقال «الإعادة أشد من البدء على حد توهمه أتاه الجواب القرآني إلى ما هو أكبر من ابتداء خلق الإنسان ومن إعادته، وهو خلق السموات والأرض، إذ من المعلوم بالبداهة الحسية أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، سواء في ابتدائهم أو في إعادتهم، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة»^(٣).

(١) ينظر: الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار، د/غالب بن على عواجي، المكتبة العصرية الذهبية. جدة. ط الثانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٨١-٨٢.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٥ / ٢٧٦٦.

(٣) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، د / حسن حبنكة الميداني: ص ٥٧٥.

«وهذا مثل ضربه الله تعالى للذين يشكون في قدرة الله أفلا يعقلون في أن خلق السموات بما فيها من كواكب أشد وأكبر من خلق الناس، وهذا جواب للمكابرين والمعاندين عن الحق إذا، «يجب أن نعتقد أن إعادة الجسم بعد الإعدام بجميع أجزائه الأصلية وعوارضه حق كما كان قبل الموت، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾»^(١).

وآيات كثيرة وردت في الإعادة وهي حجة أهل الإيمان القوي، ولكن نسير مع العقل فنقول إن السموات والأرض أنشاها الله تعالى لحكمة إيجاد الإنسان؛ لأنه سخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، وصرفه في كل كائن، فالكائنات كلها لنفع الإنسان من الأفلاك والأماك والهواء والماء والأرض والمعادن^(٢).

وهذا الدليل يسمى (ببرهان التناوب)^(٣): أو (البدء والعودة) فمن سنن الله الكونية أنه جعل الأزواج قوماً لجميع الكائنات، ففي الإنسان والحيوان نجد الذكورة والأنوثة، وعن طريقهما تمتد الحياة وتتجدد الأجيال ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾^(٤) من نُطْفَةٍ إِذْ أَمْنَى ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى﴾^(٥) وليس الأزواج مقصوراً على مملكة الحيوان والنبات بل يسري أيضاً في عالم الجماد والله تعالى يقول ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٦)، وقد هدانا الله إلى إدراك بعض أسرار نواميسه الكونية في العصر الحديث، فنحن نعلم أن النبات كالحيوان فيه الذكورة والأنوثة، كما علمنا أن عناصر

(١) سورة الروم: من الآية ٢٧.

(٢) ينظر: السيد محمد ماضي أبو العزائم، تفصيل النشأة الثانية، بحث تحليلي عن البعث بعد الموت، الناشر مختار أبو العزائم، ط السعادة، ص ٩.

(٣) (تناوب) الأمر قام به مرة بعد مرة والقوم الشيء وعليه تداولوه بينهم وتقاسموه يقال تناوبوا الماء وتناوبوا العمل والهموم فلأننا تعاقبت عليه، ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، باب النون: ٢ / ٩٦١.

(٤) سورة النجم: الآيات (٤٥ - ٤٧).

(٥) سورة الذاريات: آية (٤٩).

الجماد تتكون من الذرات، وأن كل ذرة مزدوجة من نواة (برتون) وكويكب أو أكثر (الكترن) وأن النواة كهربية موجبة والكويكب كهربية سالبة، فكل ما في الكون مزدوج ولا يتم كيانه إلا بهذا الازدواج والكون كله مكون من طاقة ومن مادة، وقد عرفنا أن المادة تتكون من ذرات مزدوجة وأن الطاقة تتكون من أقطاب سالبة أو موجبة، كالكهرباء والمغناطيسية والأشعة وكلها موجبات متتالية مزدوجة، ولا يمكن أن يتم كيان شيء إلا بهذا الازدواج، فامتزاج الذكر بالأنثى ينتج عنه النسل وامتداد الحياة، وكل ما تقع عليه أنظارنا يتجلى فيه البدء، والإعادة والله تعالى بدء الحياة في هذه الدنيا، وطبقاً للسنن الكونية سيعيد الحياة في دورة متتالية، وهنا يقف التوالي والتتابع؛ لأن الدار الآخرة خالدة كاملة، فلا حاجة فيها للتتابع والتتابع؛ لأنها دار البقاء، ومن المعروف في مألوفنا أن الإعادة أيسر من البدء، والبدء والإعادة بالنسبة إلى الله سبحانه كلاهما يسير هين»^(١).

«ولقد خلق الله تعالى الخلق على غير مثال سبق، بإمناء في الرحم، وحمل ووضع، ويعيده سبحانه كما كان في الدنيا كاملاً بقدرة، وحكمه، وأسباب مرتبطة بغيره النشأة الأولى، فلا يحتاج إلى حمل ووضع، ورضاع، كما خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنا لنرى النواة الصغيرة يخلق الله منها نخلة تعقق الأجواء بطولها، فأين كانت تلك النخلة؟ أكانت في النواة، أم كانت في الأرض والأجواء، والسماء فالنشأة الأولى علمناها ثم قال ﴿وَنُشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) أي من كيفية الإنشاء والمكان والزمان، والمجال والشأن فسبحان من لا يعجزه شيء فالآية لإثبات الإعادة فقط، لا لبيان ان النشأة الأخرى تطابق النشأة الأولى من كل وجه لعجز العقل عن التسليم بها، وكيف يتصور العقل ان كل فرد لا يوجد إلا بوجود اسباب ايجاده الأولى، ولكن الله - جل جلاله - أراد أن يبين لنا أن النشأة الأخرى، والدار الآخرة تغاير كل المغايرة النشأة الأولى،

(١) ينظر: البحوث التربوية الثقافية الاجتماعية والعقائدية لمجمع البحوث الإسلامية: ٣٩٥-٣٩٧.

(٢) سورة الواقعة من الآية: ٦١.

والدار الدنيا ليقف العقل حائرًا في آثار القدرة وآيات الحكمة ويقول بلسان اليقين: «سبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته»^(١).

إنَّ الله تعالى قادر على إعادة الخلق مرة ثانية وهذا كله ليس متوقف على علة أو سبب، وإنما هو داخل تحت القدرة الإلهية أعني (كن فيكون)، وهذا الأمر يسير على الله تعالى، فالذي انشأ أول مرة، واخترع على غير مثال سابق قادر على إعادة الخلق ولا يعجزه شيء من ذلك.

الدليل السابع من أدلة وقوع البعث من خلال سورة الروم:

(قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات).

الآيات التي تشير إلى ذلك من سورة الروم:

قوله تعالى: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٢)، وقوله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ حَوَافًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٣)، وقوله ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ يَسَاءٍ إِذَا هُمْ يُسْتَبَشِرُونَ﴾^(٤) وإن كانوا من قبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ حِكْمِ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥).

أقوال علماء العقيدة في هذه الآيات السابقة:

جاء في تفسير السعدي أن إحياء الأرض بعد موتها دليل على إخراج الناس من قبورهم ليوم القيامة فقال: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فينزل عليها المطر وهي ميتة

(١) ينظر: تفصيل النشأة الثانية، بحث تحليلي عن البعث بعد الموت، للإمام /السيد محمد ماضي:

ص ٢٣- ٢٤.

(٢) سورة الروم: الآية (١٩).

(٣) سورة الروم: الآية (٢٤).

(٤) سورة الروم: الآيتان: (٤٨ - ٥٠).

هامدة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴿وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكَ﴾ من قبوركم، فهذا دليل قاطع وبرهان ساطع أن الذي أحيا الأرض بعد موتها فإنه يحيي الأموات، فلا فرق في نظر العقل بين الأمرين ولا موجب لاستبعاد أحدهما مع مشاهدة الآخر^(١).

ويقول النسفي في بيان هذه الآية: «﴿وَنُحْيِي الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكَ﴾ أي ومثل ذلك الإخراج تخرجون من قبوركم، والمعنى أن الإبداء والإعادة يتساويان في قدرة من هو قادر على إخراج الميت»^(٢).

فإذا نزل الماء من السماء على الأرض فإنها تنمو وتهتز وتربوا فهذه التغيرات التي طرأت عليها إن دل هذا فإنما يدل على فعل القادر العليم الذي يحيي العظام، وهي رميم، فلا يعجزه شيء من ذلك وإلى هذه الإشارة السابقة.

ويرى القرطبي أن الله تعالى قادر على البعث بدليل نزول الماء من السماء على الأرض فتهتز الأرض وتربوا، وهذا قياساً على إحياء الموتى فيقول: «بَيِّنْ كَمال قدرته، أي كما أحيا الأرض بإخراج النبات بعد همودها، كذلك يحييكم بالبعث، وفي هذا دليل على صحة القياس»^(٣).

كما يشير الإمام الألوسي في بيان هذه الآية ان إحياء الأرض بعد موتها يتطلب قوماً يعقلون هذا الأمر ويتدبرونه فيقول: «فَيُحْيِي بِهِ أَي بِسببِ الْمَاءِ الْأَرْضَ بِأَن يَخْرُجَ سُبْحَانَهُ بِهِ النَّبَاتَ بَعْدَ مَوْتِهَا يَبْسُهَا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم في استنباط أسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع جلّ شأنه وحكمته سبحانه، وقال الطيبي: لما كان ما ذكر تمثيلاً لإحياء الناس وإخراج الموتى وكان التمثيل لإدناء المتهم المعقول وإراءة المتخيل في صورة المحقق ناسب

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: ٦٣٨.

(٢) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي بركات النسفي: ٢ / ٦٩٤.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ١٤ / ١٦.

أن تكون الفاصلة لقوم يعقلون، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره، أي بقوله تعالى قوماً أو بإرادته (عَزَّ وَجَلَّ)، والتعبير عنها بالأمر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادئ والأسباب»^(١).

ولقد ساق الله تعالى هذه الآية وغيرها ليقرب الأمر إلى الأفهام والعقول إلى أن هذا الأمر ممكن وليس مستحيلاً فقياس النشأة الأولى على الثانية، وذلك بالنظر إلى الأرض الميتة وإحيائها بعد موتها إن ذلك لقادر على البعث مرة أخرى لا يعجزه شيء يقول الدكتور /محمد سيد طنطاوي رَحِمَهُ اللهُ عن الإشارة السابقة «ومعنى تخرجون يراد به البعث تقريب إمكانية البعث من العقول والأفهام، أي: ومثل هذا الإخراج البديع للنبات من الأرض، وللحي من الميت، نخرجكم - أيها الناس - من قبوركم يوم القيامة، للحساب والجزاء»^(٢).

والملاحظ: أن الواو في قوله ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ للعطف، والعطف يقتضي المغايرة للمغايرة أي مغايرة ما قبلها لما بعدها أي مثل ذلك الإخراج تخرجون^(٣).

وهذه الآية ساقها الله للدليل على البعث، يقول صاحب الظلال: «إنه يجمع في هذه الآيات بين إرسال الرياح مبشرات، وإرسال الرسل بالبينات، ونصر المؤمنين بالرسل، وإنزال المطر المحيي، وإحياء الموتى وبعثهم.. وهو جمع له مغزاه.. إنها كلها من رحمة الله، وكلها تتبع سنة الله، وبين نظام الكون، ورسالات الرسل بالهدى، ونصر المؤمنين، صلة وثيقة، وكلها من آيات الله، ومن نعمته ورحمته، وبها تتعلق حياتهم،

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: ١١ / ٣٤، ٣٥.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د/ محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م: ١١ / ٧٥.

(٣) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، دار اليمامة - دمشق - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ: ٧

وهي مرتبطة كلها بنظام الكون الأصيل^(١).

وقد ضرب الله المثل لإعادة الحياة إلى الجثث الهامدة والعظام البالية بإحيائه الأرض بعد موتها بالنبات ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ الثَّرَىٰ كَيْفَ يَخْرِجُ الْأَرْضَ بِعَدْمِ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُعْجَىٰ الْمَوْذُوتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

ففي هذه الآيات السابقة استدلال واضح بتبدل أحوال النباتات من حياة إلى موت، فحياة وسلب خاصية النشوء والنماء في بعض النباتات فتشهد وتتفتت، ثم تسقى بالماء فتعود إليها تلك الخاصية، فلو كان مستحيلاً إعادة الحياة إلى الإنسان مرة أخرى لما عادت الحياة إلى النباتات المختلفة بعد موتها؛ لأن المشابهة واضحة في القدرة الإلهية في إعادة الحياتين سيرتهما الأولى، ولهذا لفت القرآن الكريم أنظار المنكرين للبعث إلى التبصر في الموجودات الحسية واستنتاج العظمت والعبر منها، ليعود للنفس إيمانها فتسعد بالطمأنينة والاستقرار.

وإحياء الأرض بعد موتها بالنبات من الأمور الحسية المشاهدة أرض أصابها الجذب فإذا بأشجارها تيبس بعد نضارتها وإذا بتلك الأرض هامة خاشعة مستكنة قد مات منها كل شيء فيريد الله إحياءها فتتزل عليها الأمطار فإذا بها تظهر بمظهر آخر مخضرة بالزهور على أشكال شتى أفيعجز من أعاد الحياة إلى هذه الأرض الميتة والأشجار اليابسة أن يعيد إلى الإنسان حياته مرة أخرى لمجازاته على ما عمل في هذه الحياة الدنيا»^(٣).

ونزول الماء من السحاب على الأرض فتتهتز الأرض وتربوا وتتبت ما فيها دليل واضح على وقوع البعث، وأيضاً فيها إعجاز قرآني بليغ يدل على قدرة الله تعالى، يقول الدكتور الفندي «فالعناصر والمواد العضوية المدفونة في الأرض لا يمتصها

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٥ / ٢٧٧٤.

(٢) سورة فاطر: آية (٩).

(٣) ينظر: مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي عايش حسن: ١ / ٥٨٣.

النبات إلا عن طريق تدخل كائنات دقيقة تعيش في الأرض وتسمى علمياً بأسماء مختلفة هي البكتريا، والقطر، والفيروسات ونحوها، فأجسام الحيوان، أو الإنسان، أو النبات التي تدفن في الأرض تحللها هذه الكائنات، لتكون مع ماء التربة محاليل يمتصها النبات لينمو من جديد، ونحن نعرف أن التربة أو الأرض الجافة أو الجرداء -تضم أكداً من كائنات دقيقة، أو جراثيم في حالة سكون، أو ثبات عميق.

ولهذا تكون التربة هامة أو تراها ميتة ظاهرياً على الأقل.. فإذا نزل عليها الماء وتوفت الرطوبة بالإضافة إلى تهويتها، كما يحدث بعمليات الحرث مثلاً أو الغرق فإنه تخت هذه الظروف تنشط الكائنات الدقيقة من جديد، وكأنما الأرض تهتز، وتشمل هذه الكائنات: (الفطر - والبكتريا - والطحالب والأكتينومايستات-والفيروسات) معنى هذا أن الأرض هي أساس الكائنات الدقيقة، ويمكن عزلها منها^(١).

إن البعث واقع لا محالة، وذلك بالأدلة المحسوسة التي نراها ونشاهدها في كل لحظة، وهذا إن دل فإنما يدل على قدرة الله ووحدانيته تعالى ومن مظاهر قدرته تعالى أن أساس الكائنات الحية من عنصر الماء الذي هو أساس الحياة لكل الكائنات وخاصة حينما ينزل من السماء فيحيي الأرض بعد موتها كما يقول الدكتور/ محمد الفندي: إن أساس بناء المواد العضوية والأجسام الحية كلها كميات وفيرة من الماء تذوب فيها كميات الكربون، وعندما ينساب الماء العذب إلى الأرض الميتة تنبت الزرع الأخضر ﴿وَمِنْ آيَاتِهِمْ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢).

ويأخذ النبات الكربون من الهواء الجوي، وفي معنى أصح من ثاني أكسيد الكربون الموجود في الهواء وكل هذه مواد (معدنية) غير حية، ولكن في ضوء الشمس يتم تحويلها إلى مواد وخلايا حية تختزن السكر والنشا والزيوت، وهكذا يتم تحويل مواد

(١) ينظر: الإسلام وقوانين الوجود، د /محمد جمال الدين الفندي: ص ٢٠٤. ٢٠٥.

(٢) سورة الروم: آية (٢٤).

الأرض الأولية إلى مادة عضوية حية، ومن ثم يخرج الحي من الميت، ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون»^(١) ويحيى الأرض بعد موتها بالحياة والماء والزرع، وكما يحيي الله الأرض بعد موتها يبعث الناس، ويخرجهم من قبورهم بعد جمع ما تفرق من أجزائهم الأصلية وهو أمر هين يسير على القادر^(٢).

«وأقرب ما يلفتنا إليه كتاب الإسلام من حياة الأرض بعد موتها وما نبصره بأعيننا من خروج الحي من الميت، وخروج الميت من الحي توطئة للإقناع بأن الحياة بعد الموت ليست من المستحيل العقلي، أو المستحيل العادي، وليس هذا فحسب ما يقدمه الدين في كتاب الإسلام إلى الإنسان ليطمئن قلبه إلى إمكان البعث، بل إنه كذلك يضع أمام بصره، وبصيرته وحسه ووجدانه آية القدرة الإلهية المعجزة في خلق الإنسان أول مرة فلن يعيها مرة أخرى وذلك أهون»^(٣).



(١) ينظر: الإسلام وقوانين الوجود، د / محمد جمال الدين الفندي: ص ١٢٥، ١٢٦.

(٢) ينظر: تفسير الآيات الكونية، د / عبد الله شحاته: ص ٢٠٨.

(٣) ينظر: القرآن وقضايا الانسان، د/ عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، دار العلم للملايين -

بيروت، ط أولى، ١٩٧٢م، ص ١٥٩.

المبحث الرابع

شبه المنكرين للبعث من خلال سورة الروم

من المعلوم لدينا أن البعث واقع لا محالة وذلك أنه ممكن، وكل ما هو ممكن فقدرة الله تتعلق به فالذي قدر على إخراج الحي من الميت أو العكس، وكذا جمعه تعالى بين الأضداد دليل ملموس على قدرة الله تعالى.

يقول الدكتور/ عبد العزيز الدبور: الطريقة الثانية من الأدلة التي أقامها الله تعالى لعباده وأثبت لهم فيها قدرته على إعادة الخلق بعد موتهم هي طريقة الشهود والعيان، وهي أن الله (ﷻ) أجرى في ذلك أمثلة فعلية معلومة ومشهودة لدى الأمم الماضية حيث أمات فيها طوائف من الإنسان، ومن الحيوان، ومن الطيور، ثم أحياهم بعد موتهم على مشهد ومرأى من الناس ليعلموا أن الذي أعاد ذلك بعد الموت لهو قادر على أن يعيد الأموات كلهم بعد موتهم والقرآن الكريم قد ضرب الأمثلة، وعرض النماذج المشاهدة والواقعية التي تشبه وقوع البعث وقيام الناس من قبورهم بعد موتهم للوقوف بين يدي ربهم للحساب والجزاء^(١).

ولقد تحدثت السورة الكريمة عن البعث وذكرت حال المنكرين تجاه هذه القضية. الآيات التي تتحدث عن البعث في سورة الروم هي قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾^(٢).

(١) ينظر: د/ عبد العزيز الدبور، دراسات في العقيدة الإسلامية، الجزء الثالث (السمعيات) ط

الأولى، ص ١٥٠.

(٢) سورة الروم: الآية (٨).

أقوال العلماء حول هذا الدليل :

يقول الفخر الرازي في بيان هذا الدليل الوارد في قول الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾^(١).

فقال: «أولم يتفكروا في أنفسهم لما صدر من الكفار الإنكار بالله عند إنكار وعد الله وعدم الخلف فيه، كما قال تعالى: (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) والإنكار بالحق كما قال تعالى: (وهم عن الآخرة هم غافلون) بين أن الغفلة وعدم العلم منهم بتقدير الله، وإلا فأسباب التذكر حاصلة وهو أن أنفسهم لو تفكروا فيها لعلموا وحدانية الله وصدقوا بالحق»^(٢)، ومن هنا فعدم إيمانهم بالله تعالى أدى بهم إلى إنكارهم بقضية البعث.

كما يشير الإمام البيضاوي في بيان هذا الدليل بقوله: «(وإن كثيرا من الناس بقاء ربهم) بقاء جزائه عند انقضاء الأجل المسمى أو قيام الساعة، (لكافرون) جاحدون يحسبون أن الدنيا أبدية، وأن الآخرة لا تكون»^(٣).

الدليل الثاني الذي يشير إلى إنكار البعث من خلال السورة هو قول الله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤).

أقوال العلماء في بيان هذا الدليل :

يقول صاحب الكشف في بيان هذه الآية «القائلون: هم الملائكة، والأنبياء، والمؤمنون في كتاب الله في اللوح، أو في علم الله وقضائه، أو فيما كتبه، أي: أوجه

(١) سورة الروم: الآية (٨).

(٢) ينظر: التفسير الكبير، للرازي: ٢٥ / ٨١.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: ٤ / ٢٠٢.

(٤) سورة الروم: الآية (٥٦).

بحكمته، ردوا ما قالوه وحلفوا عليه، وأطلعوهم على الحقيقة تم وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث، ولكنكم كنتم لا تعلمون أنه حق لتفريطكم في طلب الحق طلب الحق وأتباعه»^(١).

«لقد استبعد طوائف من الناس هذه الحقيقة، وذلك لعدم فهم لهذه القضية فهما دقيقاً زاعمين أنها مخالفة لما عهدوه من السنن المألوفة، ومستبعدين ذلك، ومستعظمين أمره؛ لأن عقولهم لا تكاد تصدق إعادة الحياة إلى الأجسام بعد تفرقها وتحللها، وبعد أن يتداخل بعضها في بعض، فإن الإنسان بعد أن يموت يتحول جسمه إلى تراب، ثم يتحول التراب إلى نبات فيتغذى إنسان آخر بذلك النبات، ثم يموت»^(٢).

وهناك نماذج في القرآن الكريم أخبر عنها من هذه النماذج:

١ - عقاب الله تعالى لبني إسرائيل على طلبهم رؤية ذاته تعالى بالموت ثم بعثهم بعد ذلك. يقول الله تعالى في سورة البقرة إخباراً عن قوم موسى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَئِنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْتُمُ الصَّلْبَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٦﴾^(٣)، وقيل: إن الذين أخذتهم الصاعقة هم السبعون الذين اختارهم موسى ذلك أنهم لما أسمعهم كلام الله . تعالى . قالوا له بعد ذلك {لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ} والإيمان بالأنبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم، فأرسل الله إليهم ناراً من السماء فأحرقتهم ثم دعا موسى ربه فأحياهم كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ﴾^(٤).

٢ - قصة البقرة التي أحيا الله لهم ببعضها القتل بعد موته، كما قال تعالى:

(١) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري: ٣ / ٤٨٧، مدارك التنزيل وحقائق

التأويل، أبو بركات النسفي: ٢ / ٧٠٨.

(٢) ينظر: العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص ٢٧١ وما بعدها.

(٣) سورة البقرة الآيتان: ٥٥، ٥٦.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ١ / ٤٠٣.

﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١)، قيل: إن المقتول ضرب بعض من أعضاء تلك البقرة التي أمرهم الله أن يذبحوها كما قال موسى لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾^(٢)، فلما ضرب به حيي وأخبر بقاتله ثم عاد ميتاً كما كان^(٣).

ويقول ابن عطية في بيان هذه الآية ﴿كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى﴾.. الآية): «الإشارة بكذلك إلى الإحياء الذي تضمنه قصص الآية، إذ في الكلام حذف، تقديره: فضربهو فحيي، وفي هذه الآية حض على العبرة، ودلالة على البعث في الآخرة، وظاهرها أنها خطاب لبني إسرائيل، حينئذ حكي لمحمد ﷺ ليعتبر به إلى يوم القيامة، وذهب الطبري إلى أنها خطاب لمعاصري محمد ﷺ، وأنها مقطوعة من قوله تعالى: ﴿أَضْرِبُوهُ بَعْضُهَا﴾، وروي أن هذا القتل لما حيي وأخبر بقاتله عاد ميتاً كما كان، واستدل مالك رحمه الله بهذه النازلة على تجويز قول القتل وأن تقع معه القسامة»^(٤).

ويقول الماتريدي في بيان هذه الآية «فكما أحيأ الأرض بعد موتها بالمطر المنزل من السماء، يقدر على إحياء الموتى، وبعثهم على الوجه الذي لا يظنون ولا يتوهمون، والله أعلم. ويحتمل: إحياء ذلك القتل لهم، لما لم يكونوا مطمأنوا على إحياء الموتى؛ فأرأهم الله (ﷻ) ذلك؛ ليطمئنوا، وليستقروا على ذلك، ولا يضطربوا فيه»^(٥).

وختام القصة على هذا النحو يوضح الغاية من ورائها فليس الغاية من إحياء ذلك المقتول أن يكون إحياءه آية مشاهدة على الإحياء في الآخرة^(٦).

(١) سورة البقرة الآية ٧٣.

(٢) سورة البقرة الآية ٧٣.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١ / ٤٥٧.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: ١ / ١٦٥.

(٥) ينظر: تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة: ١ / ٤٩٥.

(٦) ينظر: د / عبد العزيز الدبور. دراسات في العقيدة الإسلامية، ص ١٥١.

يقول ابن كثير وقوله ﴿كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتِ﴾^(١) أي: فضربه فحيي، ونبّه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتل: جعل الله تبارك وتعالى ذلك الصنع حجة لهم على المعاد، وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة والفساد^(٢) إذا رؤيتهم لهذا الأمر المحسوس أصبح حجة عليهم فعليهم أن يؤمنوا به.

٣ - قصة الملأ من بني إسرائيل الذين خرجوا من ديارهم مخافة الموت . فأماهم الله ثم بعثهم بعد ذلك، الذين أخبر الله عنهم بقوله . تعالى : ﴿الْمَرْسَرِ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾^(٣).

يقول الإمام الرازي مبيّناً حال أولئك النفر الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلوف، فأدركهم الموت ثم أحياهم الله مرة ثانية فيقول: «كانت قرية وقع فيها الطاعون وهرب عامة أهلها، والذين بقوا مات أكثرهم، وبقي قوم منهم في المرض والبلاء، ثم بعد ارتفاع المرض والطاعون رجع الذين هربوا سالمين، فقال من بقي من المرضى: هؤلاء أحرص منا، لو صنعنا ما صنعوا لنجونا من الأمراض والآفات، ولئن وقع الطاعون ثانياً خرجنا فوقع وهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفاً، فلما خرجوا من ذلك الوادي، ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه: أن موتوا، فهلكوا وبلّيت أجسامهم، فمر بهم نبي يقال له حزقيل، فلما رآهما وقف عليهم وتفكر فيهم فأوحى الله تعالى إليه أتريد أن أريك كيف أحْيَيْهم؟ فقال: نعم، فقل له: ناد أيتها العظام إن الله يأمرك أن تجتمعي، فجعلت العظام يطير بعضها بعض حتى تمت العظام، ثم أوحى الله إليه: ناد يا أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحمًا ودمًا، فصارت لحمًا ودمًا، ثم قيل: ناد إن الله يأمرك أن تقومى فقامت، فلما صاروا أحياء قاموا، وكانوا يقولون: سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت، ثم رجعوا إلى قريتهم بعد حياتهم، وكانت أمارات أنهم ماتوا

(١) سورة البقرة الآية ٧٣.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١ / ٣٠٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٧٣.

ظاهرة في وجوههم، ثم بقوا إلى أن ماتوا بعد ذلك بحسب آجالهم»^(١).

فهذا دليل ملموس لوقوع البعث، وقد وقع بالفعل وشاهده العيان وهؤلاء قوم من بني إسرائيل وقع فيهم الوباء ففروا هاربين، قال ابن عباس: كانوا أربعة آلاف خرجوا فراراً من الطاعون، وقالوا نأتي أرضاً ليس بها موت فأماتهم الله . تعالى . فمر بهم نبي فدعا الله فأحياهم^(٢).

٤ - قصة الرجل الذي مرّ على قرية فتعجب من حالها وأنكر إحيائهم مرة أخرى يقول الله تعالى: ﴿أَوَكَلِّدِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ وَقَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

فهذا دليل ملموس لوقوع البعث يقول القرطبي - رحمه الله - : «قال ابن عباس في رواية أبي صالح: إن {بخت نصر} غزا بني إسرائيل فسبى منهم أناساً كثيرة فجاء بهم وفيهم عزيز بن شرخيا، وكان من علماء بني إسرائيل فجاء بهم إلى بابل، فخرج ذات يوم في حاجة له إلى دير هرقل على شاطئ الدجلة، فنزل تحت ظل شجرة وهو على حمار له، فربط الحمار تحت ظل الشجرة ثم طاف بالقرية فلم ير بها ساكناً وهي خاوية على عروشها فقال: أني يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام»^(٤)، والذي مرّ على القرية هو «عزيز» عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال ابن كثير في تفسيره: «وهذا هو القول المشهور والقرية المشهورة هي بيت المقدس مر عليها عزيز بعد تخريب

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٦ / ٤٩٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن: ٣ / ٢٣٠.

(٣) سورة البقرة: آية (٢٥٩)

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٣ / ٢٨٩.

بختصر لها وقتل أهلها»^(١).

٥ - سؤال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عن كيفية إحياء الموتى قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

يقول الماتريدي في بيان هذه الآية «كان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ موقناً بأن الله يحيي الموتى، ولكن أحب أن يعاين ذلك؛ لأن الخبر لا يكون عند ابن آدم كالعيان، على ما قيل: «ليس الخبر كالمعاينة»، وقيل: يحتمل سؤاله عما يسأل لما نازعته نفسه وحدته في كيفية الإحياء، وقد تنازع النفس وتحدث بما لا حاجة لها إليه من حيث نفسه؛ ليقع له فضل علم ومعرفة»^(٣).

وقد ذكر المفسرون لسؤال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا أسباباً منها:

١ - أنه لما قال لنمرود: ﴿رَبِّ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أحب أن يترقى من علم اليقين بذلك إلى عين اليقين.

٢ - وأن يرى لك مشاهدة «ولم يكن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بسؤاله ذلك شاكاً في قدرة الله - تعالى - قطعاً»^(٤).

٦ - ما أخبر الله به عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أنه كان يحيي الموتى بإذن الله الموتى بإذن الله حيث يقول تعالى ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ١ / ٦٦٠.

(٢) سورة البقرة: آية (٢٦٠).

(٣) ينظر: تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة: ٢ / ٢٤٩.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير: ١ / ٦٨٩.

رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

٧ - ما أخبر الله به من قصة أهل الكهف منهم لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً، ثم بعثهم الله بعد هذه المدة الطويلة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرَيْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ (٢).

وهذه الأدلة التي قدمناها أدلة مادية حسية وقعت كلها لتدل على قدرة الله على إحياء الموتى بعد مماتهم، وقد أخبر الله (ﷻ) وكذا أنبيائه ورسله عن وقوع البعث ومن هنا يجب الإيمان به، وهذا برهان قطعي على القدرة الإلهية، وقد أخبر الله ورسله عن وقوع البعث والحشر فوجب القطع بذلك؛ لأنه أخبر به من ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته فالآيات المتقدمة فيها دلالات واضحة على قدرة الله . تعالى . في إحياء الموت.

يقول د/ عبد الرحمن حبنكة: «إذا عرف هؤلاء المنكرون للبعث هذه الحقيقة عن الرب الخالق، سقط توهمهم هذا، وعرفوا أن الله على كل شيء قدير، وعلموا أن وعد الله حق، وشواهد شمول علم الله (ﷻ) لكل كبير وصغير في الوجود حتى أجزاء الذرة وحركاتها وما هو أصغر من ذلك، ظاهر في تصاريف هذا الكون، وحركاته المتقنة، وتغييراته الحكيمة، من أصغر عناصر كل ذرة، إلى أكبر كل مجرة» (٣).

إن البعث من القضايا التي جاء بها القرآن الكريم وجاءت به الشرائع السماوية وعلى هذا فإن الله تعالى يعيد الأجسام بعد موتها كما كانت من قبل، وهذه الأدلة التي ذكرناها في إثبات البعث ووقوعه ليست فيها غموض فهي واضحة وضوح الشمس في

(١) سورة آل عمران: من الآية ٤٩ .

(٢) سورة الكهف: من الآية ٢١ .

(٣) ينظر: د / عبد الرحمن حسن حبنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها: ص ٥٧٧ وما بعدها.

وسط النهار، والناظر للقرآن الكريم يجد أنه قد خاطب الناس أصناف الخلق من المنكرين لهذه القضية وغير المنكرين، أما غير المنكر فإن القرآن يخاطبه وذلك من أجل إرساء عقيدته ويزداد إيماناً مع إيمانه، وأما المنكر لهذه القضية فإن القرآن يخاطبه ويسوق له الأدلة المنطقية والحسية وذلك مثل إنزال المطر من السماء وإنبات الأرض بعد موتها، وكل ذلك يعد صورة واضحة من أجل إثبات هذه القضية التي أصبحت مجالاً للشك بين عشية وضحاها، وأما من لم يؤمن بهذه الأدلة المحسوسة وغيرها فهو جاحد ومنكر لوجود الله؛ لأنه أنكر خبر السماء وأنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۝ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ۝ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تُظْفَرُ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۝﴾^(١).

آراء واتجاهات العلماء في البعث:

نجد أن عقائد الناس تختلف من واحد لآخر تجاه هذه القضية وذلك لما يلي:
أولاً: ذب كثير من الناس قديماً وحديثاً بالبعث والنشور، وبعض الذين قالوا بإثباته صَوَّروه على غير الصورة التي أخبرت بها الرسل.

وقد ذكر القرآن قول المكذابين وذمهم وكفرهم وتهددهم وتوعددهم، قال تعالى: ﴿وَلَن تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝﴾^(٢)، وقال: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا أَلْهَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝﴾^(٣).

(١) سورة الكهف: الآيات: (٣٥-٣٧).

(٢) سورة الرعد: آية (٥).

(٣) سورة الأنعام: الآيات: ٢٩-٣٠.

ثانياً: نجد أن موقف المنكرين للبعث لا يخرج عن أمرين:

الأمر الأول: إما أن يُنكر البعث؛ لأنه لا يؤمن بالله تعالى، فهو جاحد وجود الله وهذا الصنف لا تقدم له دليلاً؛ لأنه منكر لوجود الله.

والأمر الثاني: هو أن يؤمن بالله، ولكنه ينكر البعث، وذلك لأنه يستبعده أو يتعجب من وقوعه، وقد ذكر القرآن هذين النوعين^(١).

وقد قسّم الإمام الغزالي المنكرون لهذه القضية إلى ثلاثة أصناف وهم:

الصنف الأول: الدهريون: وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر، العالم القادر، وزعموا: أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه، وبلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان، كذلك كان، وكذلك يكون أبداً وهؤلاء هم الزنادقة^(٢).

الصنف الثاني: الطبيعيون^(٣): وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة وعن

(١) ذكر القرآن هذين النوعين في قول الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۚ﴾ [وَأَوَّاهٌ مِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ] ﴿١٠٠﴾ ﴿لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ مَا تَفْعُلُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيطٌ ۚ﴾ [سورة ق الآيات: ٤٠-٤٢]، وقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ وَقَالَ مَنْ لِي بِالْعِظَمِ وَهِيَ رَمِيمٌ ۚ﴾ [سورة ق الآية: ٤٠]، وقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۚ﴾ [الآيتان من سورة يس (٧٨-٧٩)].

(٢) الزنادقة: هم المانوية. وكانت المزدكية يسمون بذلك. ومزدك هو الذي ظهر في أيام قباد وكان موبدان موبذ أي قاضي القضاة للمجوس وزعم أن الأموال والحرم مشتركة وأظهر كتاباً سماه زند، وزعم أن فيه تأويل الأبيستا وهو كتاب المجوس الذي جاء به زرادشت الذي يزعمون أنه نبيهم فنسب أصحاب مزدك إلى زند فقيل: زندي وأعربت الكلمة فقيل للواحد: زنديق وللجماعة زنادقة، ينظر: مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي، ١ / ٥٦، وينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الفارابي، ٤ / ١٤٨٣.

(٣) والطبيعيون هم أهل العلم الطبيعي. ويطلق الطبيعيون أيضاً على فرقة يعبدون الطوائع الأربع أي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة؛ لأنها أصل الوجود، إذ العالم مركب منها وتسمى هذه الفرقة بالطبائعية كذا في الإنسان الكامل. ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، =

عجائب الحيوان والنبات، وأكثروا الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات فظنوا أن القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم، ثم إذا انعدم فلا يعقل إعادة المعدوم، كما زعموا إلى أن النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة، وأنكروا الجنة، والنار، والحشر، والنشر، والقيامة، والحساب.

الصنف الثالث: الإلهيون: وهم المتأخرين منهم وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الأولين من الدهرية والطبيعة، وأوردوا في الكشف عن فضائهم ما أغنوا به غيرهم^(١) وهؤلاء ذهبوا إلى أن النفس الإنسانية باقية بعد الأبدان ولا يلزم فواتها من فواتها ولا لسبب خارج أما أنه لا يلزم فواتها من فواتها فلأن كل شئيين لزم فوات أحدهما من فوات الآخر لابد، وأن يكون له به نوع تعلق، والتعلق أما بالتقدم أو بالتأخر، أو المعية والتكافؤ فلو فانت النفس بفوات البدن للزم أن يكون لها أحد الأقسام من التعلق^(٢).

إن هذا الصنف ينكر البعث وذلك لادعائهم أن النفس تتعلق بالبدن فيستحيل انفكاكها عنه، وهذا معنى التعلق الذي يقصدونه من خلال كلامهم، فإذا انعدم البدن بكل صورة فلا تعود إليه النفس، ومن هنا قالوا إن المعاد روحاني فقط.

ويقول ابن الجوزي^(٣) رَحِمَهُ اللهُ: «قد لبس على خلق كثير فجحدوا البعث

= تحقيق: د/ علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د/ عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د/ جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م، حرف الطاء: ٢ / ١١٣٠.

(١) ينظر: المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي، بدون ط: ١ / ٤ وما بعدها.
(٢) ينظر: غاية المرام في علم الكلام، . على بن أبي على بن محمد الأمدي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة، ١٢٩١م، تحقيق: د/ حسن الشافعي: ١ / ٢٥٨.
(٣) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها. له نحو ثلاث مئة مصنف، منها: تلقيح فهوم أهل الآثار، في مختصر السير =

واستهولوا الإعادة بعد البلاء، وأقام لهم شبهتين إحداهما أنه أراهم ضعف المادة، والثانية اختلاط الأجزاء المتفرقة في أعماق الأرض قالوا، وقد يأكل الحيوان الحيوان فكيف يتهياً إعادته وقد حكى القرآن شبهتهم، فقال تعالى في الأولى أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابًا وعظامًا إنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون، وقال في الثانية أإذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد وهذا كان مذهب أكثر الجاهلية»^(١).

أصناف الناس في المعاد^(٢):

الناس في المعاد على أربعة أصناف:

المذهب الأول وهو مذهب أهل السنة (الأشاعرة) يرى هذا المذهب أن المعاد من الأمور الممكنة عقلاً، وطالما أنه في حيز الإمكان فلا مانع لوقوعه، وقد دلّ عليه الكتاب وأخبر به الصادق فهو واقع لا محالة، يقول صاحب المواقف: «وهي جائزة عندنا خلافاً للفلاسفة والتناسخية»^(٣)، وبعض الكرامية وأبي الحسين البصري، لنا أنه لا

= والأخبار قطعة منه، و(الأذكىاء وأخبارهم ومناقب عمر بن عبد العزيز وروح الأرواح و)شذور العقود في تاريخ العهود، توفي سنة ٥٩٧هـ - ١٢٠١ م، ينظر: الأعلام: ٣/٣١٦.

(١) ينظر: تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م: ١ / ٧١.

(٢) المعاد هو: مصدر أو مكان - وحقيقته العود توجه الشيء إلى ما كان عليه، والمراد ههنا الرجوع إلى الوجود بعد الفناء أو رجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرق وإلى الحياة بعد الموت، والأرواح إلى البدن بعد المفارقة، هذا هو تعريف المعاد الجسماني، أما الروحاني فهو: رجوع الأرواح إلى ما كانت عليه من التجرد من علاقة البدن واستعمال الآلات أو التبرؤ عما ابتليت به من الظلمات، ينظر: المقاصد للتقازاني، تحقيق وتعليق: د/عبد الرحمن عميرة: ٥ / ٨٢.

(٣) التناسخ: تناسخ الروح عقيدة شاع أمرها بين الهنود وغيرهم من الأمم القديمة مؤداها أن روح الميت تنتقل إلى حيوان أعلى أو أقل منزلة لتنعّم أو تعذب جزاء على سلوك صاحبها الذي مات وأصحاب هذه العقيدة لا يقولون بالبعث (التناسخية) القائلون بالتناسخ وإنكار البعث، ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، باب النون: ٩١٧/٢، =

يمتع وجوده الثاني لذاته ولا للوازمه وإلا لم يوجد ابتداء^(١).

ويقول صاحب المقاصد في إثبات المعاد أي وجود بعد عدم، أو العود بعد المفارقة فإن جمهور المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة غير أبي الحسين البصري، والماتريدية أثبتوا المعاد فقالوا: «إثبات المعاد بطريق الوجود بعد الفناء:

(١) اتفق جمهور المتكلمين على جوازها.

(٢) اتفق الفلاسفة على امتناعها^(٢).

(٣) ذهب غير البصري إلى جواز إعادة الجواهر لكن بناء على بقاء ذواتها في عدم حتى لو بطلت لاستحالت إعادتها، فقال بعض المعتزلة يمتع إعادتها مطلقاً لأن المعاد إنما يعاد بمعنى فيلزم قيام المعنى بالمعنى وقسموا الأعراض إلى قسمين:

الأول: الأعراض التي لا تبقى كالأصوات والإرادات، فقال الأكثرون: يمتع إعادتها لإختصاصها عندهم بالأوقات.

والثاني: الأعراض الباقية، وقسموها إلى قسمين:

(أ) ما يكون مقدوراً للعبد.

(ب) وما لا يكون مقدوراً للعبد.

أما الأول فلا يجوز إعادتها لا للعبد ولا للرب، وأما الثاني فجوزوا إعادتها بناء على أن الأصل فيما لا دليل على وجوبه وامتناعه هو الإمكان، قال الحكماء: إن كل

= ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د / أحمد مختار عبد الحميد عمر، باب نسخ: ٢٢٠٢/٣، وأساس البلاغة للزمخشري: ٢٦٦/٢.

(١) ينظر: المواقف، للإيجي: ٣ / ٤٦٦.

(٢) الامتناع: هو عدم الوجوب وعدم الإمكان، والممتع ما ليس بواجب ولا ممكن، ويجيء مستوفى في لفظ الواجب، ينظر: الكتاب: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي: ١ / ٢٦٣.

ما قرع سمعك من الغرائب فذره في بقعة الإمكان ما لم يزدك عنه قائم البرهان^(١). وعلى هذا فإن جمهور المتكلمين يثبتون المعاد بخلاف بعض المعتزلة الذين يقسمون الممكن إلى جواهر وإعراض، وذلك لأنهم يثبتون شيئة المعدوم ويقولون بأنه ثابت بخلاف الأشاعرة الذين يقسمون المعلوم إلى موجود ومعدوم وواسطة بينهما، وعلى هذا فالمعاد مثل المبدأ؛ لأن كلا منهما ممكناً ويستحيل انقلاب الممكن إلى مستحيل؛ لأن هذا من باب انقلاب الحقائق، وحقيقة الواجب غير حقيقة الممكن وأيضاً الممكن لا ينقلب إلى مستحيل والعكس.

الاعتراضات الواردة على إعادة المعدوم والرد عليها من خلال سورة الروم:

الاعتراض الأول: فإن قيل العود أخص من الوجود ولا يلزم من إمكان الأعم إمكان الأخص ولا من امتناع الأخص امتناع الأعم^(٢).

الجواب على هذا الاعتراض: وهو أن الوجود الأول ممكن والمعدوم ممكن فهما قابلان للوجود ضرورة استحالة الانقلاب، فالوجود الأول (المبدأ) إن أفاده أي الوجود الثاني زيادة الاستعداد لقبول الوجود الأول على ما هو شأن سائر القوابل بناء على اكتساب ملكة الاتصاف بالفعل، فقد صار قابليته للوجود ثانياً أقرب، وإعادته على الفاعل أهون ويشبه أن يكون هو الحق والمراد بقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣) وإن لم يفده زيادة استعداد أي أن الوجود الأول (المبدأ) لم يفد (المعاد) زيادة استعداد، فمعلوم بدهاة أنه لا ينقص عما هو عليه بالذات من قابلية الوجود في جميع الأوقات^(٤).

(١) ينظر: المقاصد للتفتازاني: ٥ / ٨٣ بتصرف، وينظر: أصول الدين للبغدادى: ٢٣٢.

(٢) ينظر: المواقف، للإيجي: ٣ / ٤٦٦.

(٣) سورة الروم: الآية (٢٧).

(٤) ينظر: المقاصد للتفتازاني: ٥ / ٨٣ بتصرف، وينظر: تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام،

للسندجي، تحقيق: السيد الشريف الجرجاني: ٢٤٢

يقول صاحب المواقف: «إن المعاد يقبل الوجود في جميع الاوقات؛ لأنه ممكن والممكن ما يقبل الوجود تارة والانتفاء تارة أخرى إذا ليس بينهما عموم ولا خصوص؛ لأن وجودهما أي (المبدأ والمعاد) واحد؛ ولذلك يقول صاحب المواقف: «قلنا الوجود أمر واحد لا يختلف ابتداء وإعادة، وكذلك الإيجاد فإذا يتلازمان إمكانًا ووجوبًا وامتناعًا^(١) فوجود المبدأ والمعاد، فهما متلازمان أي غير منفكان، فإذا وجد الملزوم وجد اللازم أي من حيث الوجوب، والإمكان، والامتناع أعني الأمور العقلية.

ويقول صاحب المقاصد: «الأقرب أن تحمل الإعادة التي جعلت (أهون) على إعادة الأجزاء، وما تفتت من المواد إلى ما كانت عليه من الصور والتأليفات على ما يشير إليه قول الله تعالى ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾^(٢)، لا على إعادة المعدم؛ لأنه لم يبق هناك القابل والمستعد، فضلا عن الاستعداد القائم به»^(٣).

الاعتراض الثاني: من خلال قوله تعالى في سورة الروم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾^(٤)، حيث يقول المعترض: «ما معنى كون الإعادة أهون على الله تعالى وقدرته قديمة لا تتفاوت المقدرات بالنسبة إليها؟، والمعنى أن المعترض يقصد أن القدرة تتعلق بالممكن، فالمبدأ ممكن، وأيضا المعاد فكيف تكون الإعادة سهلة وقدرة الله واحدة؟.

والجواب على هذا الاعتراض كما يقول الشيخ السعد: «كون الفعل تارة من جهة الفاعل بزيادة شرائط الفاعلية، وتارة من جهة القابل بزيادة استعدادات القبول وهذا هو

(١) ينظر: المواقف: ٣ / ٤٦٦.

(٢) سورة يس: الآية (٧٩).

(٣) ينظر: المقاصد، للفتازاني: ٥ / ٨٣ وما بعدها، وينظر: تقريب المرام للسندجي: ص ٢٤٤.

(٤) سورة الروم: الآية (٢٧).

المراد هنا، وأما من جهة قدرته فالكل سواء»^(١).

وهنا كون الفاعل من جهة القابل للإعادة، وأيضاً قدرة الله تعالى واحدة بالنسبة للممكنات سواء للإيجاد أم للإعدام فلا فرق بين القدرة في (المبدأ والمعاد).

ويقول الإيجي: «ويمكن في إثبات جواز الإعادة أن يقال الإعادة أهون من الابتداء كما ورد في الكلام المجيد وله المثل الأعلى؛ لأنه أي ذلك المعدوم استقاد بالوجود الأول الذي كان قد اتصف به ملكه الاتصاف بالوجود فيقبل الوجود أسرع، وأشار باقتباس قوله تعالى وله المثل الأعلى إلى أن تلك الأهونية، إنما هي بالقياس إلى القدرة الحادثة التي تتفاوت مقدراتها مقيسة إليها»^(٢).

ولله تعالى المثل الأعلى فقدرته قديمة، أما قدرة البشر فهي حادثة، ومن ثم تتفاوت المقدرات بالنسبة إليها بخلاف قدرة الباري جلّ جلاله.

الاعتراض الثالث وهو قول المعترض غاية ما ذكرتم أن المعدوم ممكن الوجود في الزمان الثاني، كما في الزمان الأول نظراً إلى ذاته، وهو لا ينافي امتناع وجوده لأمر لازم له كامتناع الحكم عليه، والإشارة إليه على أن الكلام ليس في الوجود، بل في الإعادة التي هي الإيجاد ثانياً لذلك الشيء بعينه، وإمكان الوجود لا يستلزم إمكانها^(٣).

ومعنى هذا الاعتراض أن المعاد ليس هو المبدأ، وإمكان وجود المبدأ لا يستلزم الإيجاد ثانياً؛ لأن هذا غير ذاك كما نفهم من كلام المعترض.

والجواب على هذا الاعتراض:

يقول صاحب المقاصد: «لو امتنع المعدوم لأمر لازم له لامتنع وجوده أولاً، كما لو امتنع لذاته، ثم إمكان الوجود مستلزم لإمكان الإيجاد، سيما بالنظر إلى قدرة واحدة

(١) ينظر: المقاصد، للتقازاني: ٥ / ٨٤ بتصرف يسير.

(٢) ينظر: المواقف: ٣ / ٤٧٠.

(٣) ينظر: المقاصد: ٥ / ٨٤.

على أن المراد بالإيجاد هاهنا كونه معادًا وهو معنى الوجود ثانيًا»^(١).

إذا المعدوم ممكن الوجود؛ لأن إمكان الوجود يستلزم إمكان الإيجاد أي وجود المبدأ بعد أن لم يكن يستلزم وجوده بعد إن كان، وذلك بالنظر إلى قدرته تعالى؛ لأنه لو كان ممتنعًا أي المعاد لكان وجوده أولاً كذلك أي ممتنعًا لكن وجوده أولاً كان ممكنًا فدلّ ذلك على أن إعادته ممكنة، وإلا لانقلب الممكن إلى ممتنع وهذا مستحيلًا، فثبت وجود المعاد وهو أهون على الله تعالى؛ لأن هذا بالنسبة إلى القدرة الإلهية فهو (هين).

المنكرين لإعادة المعدوم:

ذكر علماء الكلام أن المنكر لإعادة المعدوم يدعي الضرورة، وقد يتمسك بالدليل تارة أخرى يقول صاحب المواقف: «والخصم يدعي الضرورة تارة ويلتجئ إلى الاستدلال أخرى أما الضرورة فقالوا تخلل العدم بين الشيء ونفسه محال بالضرورة إذ لا بد للتخلل من طرفين متغايرين فيكون حينئذ الوجود بعد العدم غير الوجود قبله حتى يتصور تخلل العدم بينهما، وعلى هذا فلا يكون لمعاد هو المبتدأ بعينه؛ لأن كلا منهما موجودًا بوجود مغاير لوجود صاحبه فهما موجودان متغايران، فلا يكون الموجود الأول بعينه معادًا بعد عدمه»^(٢).

ومعنى هذا أن الخصم يدعي أن التخلل بين الشيء ونفسه محال إذ لا بد أن يكون التخلل بين شيئين متغايرين أي وجود مع عدم فالوجود مغير للعدم؛ لأن هذا غير ذاك وإلا لأصبحا متساويان، وهذا باطل؛ لأن الوجود ضد العدم والعكس، وعلى هذا فالوجود الأول غير الثاني فلا معادا كما يقول المنكر.

والجواب بالمنع بأن حاصلة تخلل العدم بين زمني وجوده بعينه، وما ذاك إلا

(١) ينظر: السابق الصفحة نفسها.

(٢) ينظر: المواقف للإيجي: ٣ / ٤٧٠ وما بعدها.

كتخلل الوجود بين العدمين الشيء بعينه»^(١) إذا العدم تخلل بين زمني وجوده وأيضًا هذا مثل تخلل الوجود بين العدمين إذ لا فرق بين تخلل العدم وتخلل الوجود، والتخلل قد حصل بين شيئين فلا عبرة بكلام المنكر؛ لأن الضرورة تدعي ذلك.

ويجيب أيضًا صاحب المواقف فيقول: «إنه لا معنى لتخلل العدم هاهنا سوى أنه كان موجودًا زمنيًا ثم زال عنه ذلك الوجود في زمان آخر، ثم اتصف به في زمان ثالث، ومن هذا تبين أن التخلل بحسب الحقيقة إنما هو لزمان العدم بين زمني الوجود الواحد وإذا اعتبر نسبة هذا التخلل إلى العدم مجازًا كفاه اعتبار التغير في الوجود الواحد بحسب زمانيه على أن دعوى الضرورة في حكم خالفه جمهور من العقلاء غير مسموعة»^(٢).

إنّ كلا من (المبدأ والمعاد) في حيز الإمكان ونستند على قاعدة الفلاسفة وهي: كل ما قرع سمعك من الغرائب فدعه في حيز الإمكان مالم يزدك عنه قائم برهان، فدعوى الضرورة مخالفة تمامًا لجمهور العقلاء، ومن ثم فهي غير مسموعة.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،



(١) ينظر: المقاصد: ٥ / ٨٤.

(٢) ينظر: المواقف للإيجي: ٣ / ٤٧١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فما هذا إلا جهد مقل ولا ندعي فيه الكمال، ولكن عذرنا أنا بذلنا فيه قصارى جهدنا فإن أصبنا فذاك مرادنا، وإن أخطأنا فلنا شرف المحاولة والتعلم، ولا نزيد على ما قاله عبد الرحيم البيساني، إلى العماد الأصفهاني: «إني رأيت أنه ما كتَبَ أَحَدُهُمْ في يَوْمِهِ كِتَاباً إلا قالَ في غَدِهِ، لو غَيَّرَ هذا لَكَانَ أَحْسَنَ وَلَوْ زَيْدٌ ذاكَ لَكَانَ يُسْتَحْسَنُ، وَلَوْ قُدِّمَ هذا لَكَانَ أَفْضَلَ، وَلَوْ تُرِكَ ذاكَ لَكَانَ أَجْمَلَ، وهذا مِن أعْظَمِ العِبرِ، وهو دَلِيلٌ على استِلاءِ النِّقصِ على جُمْلَةِ البَشَرِ»^(١).

وأوجز فيما يلي أهم ما اشتمل عليه هذا الكتاب المتعلق بقضايا العقيدة في ضوء سورة الروم).

- الأدلة التي في الآفاق والتي تشهد على وجود الله تعالى ووحدانيته في هذا الكون البديع وعظيم قدرته . والتي تشهد أيضاً . بوجوده تعالى، وذلك من خلال النظر في آثاره تعالى وآلائه التي لا تعد ولا تحصى في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٣٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾^(٢).

- الكشف عن الارتباطات الوثيقة بين أحوال الناس، وأحداث الحياة، وماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، وسنن الكون ونواميس الوجود، وبيان أن كل

(١) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة) مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية): ١٩٤١م: ١ / ١٤.

(٢) سورة الروم: الآيتان ١٧، ١٨.

حركة، وكل حادث، وكل حالة، وكل نشأة، وكل عاقبة، وكل نصر، وكل هزيمة... كلها ترجع إلى قانون دقيق، وهذا واضح وجلي في سورة الروم في قول الله تعالى ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(١).

- الإيمان بالله يتضمن: الاعتقاد الجازم بأنه تعالى رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق الرازق المحيي المميت، وأنه . وحده . الذي يستحق أن يفرده العباد بالعبودية والطاعة، والذل والخضوع وغير ذلك من أنواع العبادة، وأنه . تعالى . المتصف بصفات الكمال المنزه من كل عيب ونقصان، وهذا ما يجب على كل إنسان أن يعتقد في الله حتى يحقق عبوديته للخالق.

- الأمر بعبادة الله وحده وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والحث على التمسك بدين الإسلام باعتباره الدين القويم الذي لا يقبل سبحانه من عباده ديناً غيره، وهو دين الفطرة والتي ورد ذكرها في قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

- الكشف عما في طبيعة البشر من تقلبات في طبائعهم وذلك عند تدركهم الرحمة فمن دأبهم يفرحون، وإذا أصابهم القنوط حين الشدة فهم يجأرون وهذا ما نسميه (بموقفات الفطرة)

- ثبوت المثل الأعلى للباري - جل وعلا . بنص الكتاب والسنة فلا أحد يماثله تعالى لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.. يوم القيامة في مثل قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٣) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ هُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ

(١) سورة الروم: من الآية: ٤.

(٢) سورة الروم: الآية: ٣٠.

أَصْلَ اللَّهِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١﴾.

- إثبات الصفات والأسماء التي أثبتتها الأشاعرة ونفاها المعتزلة، والتي وردت في السورة الكريمة وفي هذا دلالة على أن كل اسم أو صفة مرتبط بتمام الارتباط بالآية التي ورد فيها مما يدل على إعجاز القرآن الكريم.
- إثبات صفة الوحدانية لله تعالى من خلال السورة ونفي الشريك عن الله تعالى.
- إثبات صفة (القدرة) الإلهية من خلال السورة الكريمة، وذلك من خلال الآيات الكونية التي تدل على قدرة الله تعالى المطلقة.
- إثبات صفة الإرادة الإلهية ومعناها أنه لا يقع شيء في الكون إلا بمراد الله فمرد الأمور (جليها، وكبيرها) إلى الله تعالى.
- صفة العلم من صفات المعاني التي أثبتها . الباري سبحانه . لنفسه فقد علم . جل وعلا . أولاً ما يكون من عبده المختار من سعادة وشقاوة، وما يحصل له من الغنى والفقر، والقوة والضعف، ومن ناحية تحديد عمره وانقضاء أجله، ثم كتب ما يعمل في اللوح المحفوظ فهو . سبحانه . كتب لا يجبر أحداً من عباده على حسب ما كتب في الأزل ما يكون من العبد بمحض اختياره، وإرادته فعلمه . تعالى صفة انكشاف للماضي والحاضر والمستقبل وهو معنى قول أهل العلم علم ما كان وعلم ما يكون، وعلم ما لم يكن إن لو كان كيف كان يكون، فعلمه تعالى يتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق انكشاف وإحاطة.
- أسماء الله تعالى الواردة في سورة الروم، تدل على شرف المسمى، وأن الاسم غير المسمى خلافاً لمن قال بأن كلاً منهما واحد، وذلك لأن مفهوم المسمى غير مفهوم الاسم، وذلك أن الاسم لفظ دال والمسمى مدلول.
- الإيمان بالرسول يتضمن التصديق الجازم بأن الله . جل وعلا . أرسل رسلاً وأنبياء ليرشدوا الخلق في معاشهم ومعادهم، وقد اقتضت حكمة اللطيف الخبير

أن لا يترك خلقه سدى، ولا هملاً بل أرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، فيجب الإيمان بمن سمى الله منهم في كتابه على التفصيل، والإيمان إجمالاً بأن له . تعالى . رسلاً غيرهم وأنبياء لا يحصيهم إلا هو ويختص آخرهم وسيدهم نبينا محمد باعتقاد عموم رسالته وشمولها لكل أحد دون تطرق النقص إليها وبقائها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

- تحقيق النصر للمرسلين، وتأييدهم بالمعجزات الباهرة والتي تدل على أنهم رسل الله تعالى أرسلهم ربهم إلى هداية البشر.
- ضرب الأمثال في القرآن العظيم له دلالة على تثبيت الإيمان في قلوب البشر، مما يدل على تقريب المعقول في صورة المحسوس.
- ضرب الله سبحانه في هذه السورة أمثالاً لإحياء مختلف الأموات بعد زوال الحياة عنها، وإحياء الأمم بعد يأس الناس منها، وأمثالاً لحدوث القوة بعد الضعف، والضعف بعد القوة، كل ذلك لبيان قدرته سبحانه، وأنه سبحانه هو القادر على شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.
- إثبات صدق نبوة سيدنا محمد عن طريق الاخبار بالغيب.
- الإيمان باليوم الآخر يتضمن التصديق الجازم بكل ما أخبر الله به عن هذا اليوم الذي توفي فيه كل نفس ما كسبت، وتصديق النبي فيما أخبر به مما يكون بعد الموت من الحشر والنشر والصحف والميزان والحساب والجزاء والصراط والحوض والشفاعة، وفتنة القبر وعذابه ونعيمه، والجنة والنار، وما أعد الله لأهلها فيهما.
- إثبات البعث يوم القيامة من خلال السورة الكريمة، وأنه حق لا ريب فيه، ولا ينكره إلا جاحد بيوم الدين، أو جاهل بهذا الدين.
- إثبات قضية البعث وتنفيذ شبه المنكرين لهذه القضية والرد عليهم من خلال سورة الروم.

المصادر والمراجع

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) ١ د / محمد مصطفى الشناوي، قضايا النبوة في الكتاب والسنة، مكتبة الأزهر الحديثية، فرع جامعة الأزهر بطنطا، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- (٣) ١ د / على أرسلان آيدين، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم البعث والخلود بين المتكلمين والفلاسفة (في إثبات عقيدة البعث والخلود والرد على المنكرين) رسالة لنيل درجة الأستاذية من جامعة الأزهر، تحت إشراف الإمام الأكبر / عبد الحليم محمود، ط استانبول ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- (٤) إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، ط ١٤٠٥ هـ.
- (٥) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون ط.
- (٦) ابن رشد القرطبي الأندلسي، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتحقيق: د / محمود قاسم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٦٤ م.
- (٧) أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، معجم ديوان الأدب، مراجعة: دكتور / إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- (٨) أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- (٩) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرّج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- (١٠) أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين بن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- (١١) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، عني بتصحيحه: هلموت ريتز، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا) الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- (١٢) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- (١٣) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جمال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- (١٤) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، أعلام النبوة، دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٩ هـ.
- (١٥) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، تفسير أبو السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (١٦) أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وقدم له

- وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- (١٧) أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي الشهير بالصاوي المالكي، لغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدريد لكتابه المسمى أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك)، دار المعارف، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- (١٨) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧١ م.
- (١٩) أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحفة الأحوذ بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية - بيروت، بدون ط.
- (٢٠) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، بدون ط.
- (٢١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
- (٢٢) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ، وطبعة أخرى: تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- (٢٣) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، لسان الميزان تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م.
- (٢٤) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الدرر

الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان،
مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد - الهند، الطبعة: الثانية،
١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

(٢٥) أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق
المصطفى، دار الفيحاء - عمان، الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ، وطبعة
أخرى: دار الفكر، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

(٢٦) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، الذريعة إلى
مكارم الشريعة، تحقيق: د/ أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام - القاهرة،
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

(٢٧) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في
غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية -
دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

(٢٨) أبو القاسم عبد الكريم القشيري، شرح أسماء الله الحسنى دار آزال بيروت،
الطبعة الثانية ١٩٨٦م - ١٤٠٦ هـ.

(٢٩) أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب
العلمية - بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(٣٠) أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، بن جزي الكلبي الغرناطي،
التسهيل لعلوم التنزيل، شركة دار الأرقم، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

(٣١) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم،
تحقيق الشيخ / على محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان،
الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

(٣٢) أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري العوتبي (العُماني الإباضي):
عوتب الخيام، الأنساب (أنساب العرب) تاريخ العوتبي، ، بدون ط، وبدون
نشر.

- (٣٣) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور / بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.
- (٣٤) أبو بكر الباقلائي محمد بن الطيب، إعجاز القرآن للباقلاني، دار المعارف - مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.
- (٣٥) أبو بكر بن عثمان السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- (٣٦) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، بدون ط.
- (٣٧) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
- (٣٨) أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي: إعراب القرآن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
- (٣٩) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الاقتصاد في الاعتقاد. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- (٤٠) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، قواعد العقائد، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (٤١) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (٤٢) أبو خمير السبتي، مقدمات المرشد في علم العقائد في دفع شبهات المبطلين والملحدين، تحقيق: الدكتور / أحمد عبد الرحيم السائح، مكتبة الثقافة الدينية،

- ط ١، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م.
- (٤٣) أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- (٤٤) أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: الدكتور / محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- (٤٥) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى.
- (٤٦) أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، نَقَضُ الْإِمَامِ أَبِي سَعِيدٍ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ عَلَى الْمَرْيَسِيِّ الْجَهْمِيِّ الْعَنِيدِ فِيمَا افْتَرَى عَلَى اللَّهِ (ﷻ) مِنَ التَّوْحِيدِ، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- (٤٧) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، العين، تحقيق: د / مهدي المخزومي، وآخرون، دار ومكتبة الهلال.
- (٤٨) أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف) ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- (٤٩) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل: تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

(٥٠) أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

(٥١) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمينا، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخریج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

(٥٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق ودراسة: الدكتور/ الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ.

(٥٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

(٥٤) أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي، المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨ م، والجزء الثالث صدر بتاريخ ١٩٩١ م.

(٥٥) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء

- التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- (٥٦) أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني المالكي، الحقائق في تعريفات مصطلحات علم الكلام، اعتنى بها أبو عبد الرحمن المالكي، بدون نشر ولا طبعة.
- (٥٧) أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٢ - السنة ٣٣ - ١٤٢١ هـ.
- (٥٨) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، غريب الحديث: تحقيق: د/محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- (٥٩) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- (٦٠) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- (٦١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الجرائيم، حققه: محمد جاسم الحميدي، قدم له الدكتور /مسعود بوبو، وزارة الثقافة، دمشق.
- (٦٢) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- (٦٣) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، جمهرة الأمثال، دار الفكر - بيروت.
- (٦٤) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران

العسكري، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، وطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ب «قم» الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ..

(٦٥) أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، تحقيق: الشيخ / أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٦٦) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ.

(٦٧) أحمد بن الشيخ محمد الزرقا: شرح القواعد الفقهية، دار القلم - دمشق - سوريا، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

(٦٨) أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس بن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: الدكتور / نزار رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت.

(٦٩) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٧٠) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، ط دار الفكر سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

(٧١) أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير المكتبة العلمية - بيروت.

(٧٢) الأستاذ / حسن عبد السلام، الأغذية، دار المعارف، ١٩٤٤ م.

- (٧٣) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: حازم القاضي: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢هـ.
- (٧٤) الإمام / عبد الكريم الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام، حرره وصححه: ألفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- (٧٥) الإمام / مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد، تحقيق وتعليق د/عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب بيروت لبنان ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، وطبعة أخرى: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط ١ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- (٧٦) الإمام /إبراهيم بن حسن اللقاني، أرجوزة جوهرة التوحيد، مع شرحها تحفة المريد على جوهرة التوحيد الإمام / إبراهيم بن محمد الباجوري، تقديم لجنة العقيدة والفلسفة القسم الأول ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- (٧٧) الإمام /السيد محمد ماضي أبو العزائم، تفصيل النشأة الثانية، بحث تحليلي عن البعث بعد الموت، مطبعة الجمالية، القاهرة، ١٣٧٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- (٧٨) الإمام أبي البركات النسفي، بحر الكلام، تحقيق: محمد السيد البرسيحي، دار الفتح للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- (٧٩) الإمام أبي الحسن الأشعري، اللمع، صححه وقَدَّم له وعلَّق عليه الدكتور /حمودة غرابة، مدير المركز الثقافي بلندن، مطبعة شركة مساهمة مصرية، ١٩٥٥م.
- (٨٠) الإمام أبي المعين النسفي، التمهيد لقواعد التوحيد، تحقيق: حبيب الله بن أحمد، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
- (٨١) الإمام أبي المعين ميمون النسفي الماتريدي، تبصرة الأدلة في أصول الدين، تحقيق: اد / محمد الأنور حامد عيسى، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١.

- (٨٢) الإمام أبي اليسر محمد البزدوي، تحقيق د/هانز ليبنتز لنس، أصول الدين، ،
عَلَّقَ عليه، د/أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى،
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- (٨٣) الإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، أم البراهين،
تحقيق: د/ خالد زهري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية.
- (٨٤) الإمام الأستاذ أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادى، أصول
الدين، مدرسة الإلهيات بدار الفنون النورية باسطنبول، الطبعة الأولى،
١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.
- (٨٥) الإمام الأكبر اد/ أحمد الطيب، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس
الأعلى للشئون الإسلامية مصر
- (٨٦) الإمام البيجوري، شرح البيجورى على الجوهرة، - طبع الهيئة العامة لشئون
المطابع الأميرية - القاهرة ١٣٩٠هـ ١٩٧١م.
- (٨٧) الإمام الجليل إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف
الجويني، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تحقيق وتعليق: محمد زاهد
الكوثري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- (٨٨) إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول
الاعتقاد، تحقيق: الدكتور محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد
الحميد، الناشر: مكتبة الخانجي - مصر، مطبعة السعادة - مصر،
١٩٥٠م.
- (٨٩) إمام الحرمين الجويني، الشامل في أصول الدين، تحقيق د/سامي النشار،
مكتبة المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٩م، بدون ط.
- (٩٠) إمام الحرمين الجويني، هوامش على العقيدة النظامية، تحقيق: د/محمد عبد
الفضيل القوصي، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ -
١٩٨٤م.

- (٩١) الإمام العارف الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني، اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، بدون نشر ولا طبعة.
- (٩٢) الإمام النسفي، شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى بالاعتماد في الاعتقاد تحقيق: د/عبد الله محمد عبد الله إسماعيل، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١٢ م.
- (٩٣) الإمام فخر الدين الرازي، الأربعين في أصول الدين، مكتبة الكليات الأزهرية، ط ١، القاهرة ١٤٠٦ هـ.
- (٩٤) الإمام فخر الدين الرازي، الإشارة في علم الكلام، تحقيق: هاني محمد حامد محمد، رسالة ماجستير في العقيدة والفلسفة جامعة الأزهر كلية أصول الدين، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون ط.
- (٩٥) الإمام فخر الدين الرازي، شرح معالم أصول الدين، تأليف: الإمام شرف الدين عبد الله بن محمد الفهري المصري، المعروف بابن التلمساني، تحقيق: نزار حمادي، دار الفتح للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- (٩٦) الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، نهاية العقول في دراية الوصول، تحقيق: د/سعيد عبد اللطيف فوده، دار الذخائر - بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
- (٩٧) الإمام/ سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد النسفية مع حاشية جمع الفرائد بإنارة شرح العقائد، وجمع الفرائد للأستاذ صدر الوري القاري المصباحي، مكتبة المدينة - كراتشي . باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، وطبعة أخرى: تحقيق: د/ أحمد جمال السقا، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- (٩٨) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري،

- مؤسسة الرسالة - بيروت.
- (٩٩) البحوث التربوية الثقافية الاجتماعية والعقائدية لمجمع البحوث الإسلامية، القاهرة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- (١٠٠) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
- (١٠١) تأليف المرحوم الاستاذ الكبير، محمد الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، دار الكتب الحديثة مطبعة السعادة، بدون تاريخ.
- (١٠٢) تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- (١٠٣) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- (١٠٤) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.
- (١٠٥) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور / محمد رشاد سالم: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- (١٠٦) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن

أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(١٠٧) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، شرح العقيدة الأصفهانية، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٥هـ.

(١٠٨) الجرجاني، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(١٠٩) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تلبیس إبليس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(١١٠) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

(١١١) جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي، أصول الدين، تحقيق: الدكتور عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(١١٢) جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتنّي الكجراتي، جمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

(١١٣) حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد، حققه وعلّق عليه وشرح غريب ألفاظه، الأستاذ الدكتور / على جمعة محمد الشافعي، دار السلام، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(١١٤) حاشية الشيخ اسماعيل الكلنبوي على شرح جلال الدين الواني الصديقي، دار سعادات المركز الثقافي العربي، ١٣١٦هـ، بدون ط.

(١١٥) خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة: ١٩٨٠م.

(١١٦) د / إبراهيم مذكور، الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ط سمر كوا للطباعة والنشر، د ت.

(١١٧) د / جمال محمد سعيد عبد الغني، فلسفة الألوان في الإسلام، بحث منشور في حولية كلية أصول الدين بالمنوفية، العدد ١٥، سنة ١٩٩٥م

(١١٨) د / عبد العزيز موسى الدبور، دراسات في العقيدة الإسلامية، الجزء الأول (الإلهيات)، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

(١١٩) د / عبد الغني الغريب طه، الدراسات الكلامية في النبوات والسمعيات رؤية وتطبيق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(١٢٠) د / محمد الأنور حامد عيسى، أبعاد الغزو الفكري، ، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

(١٢١) د / يحيى هاشم حسن فرغل، مداخل إلى العقيدة الإسلامية، ط ١٩٨٥م.

(١٢٢) د / عبد الله شحاته، تفسير الآيات الكونية، ، دار الاعتصام، بدون طبعة.

(١٢٣) د / على محمد ناصر فقيهي، منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان، رسالة ماجستير، مخطوطة بجامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا، فرع العقيدة، ١٣٩٤ - ١٣٩٥ هـ.

(١٢٤) د / محمد جمال الدين الفندي، الإسلام وقوانين الوجود، ، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٢م.

(١٢٥) د / يوسف محمد عبد الله، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

(١٢٦) د / أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، جمع القرآن الكريم في عهد

الخلفاء الراشدين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة

(١٢٧) د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(١٢٨) د/ التهامي نقرة، عقيدة البعث في الاسلام، دار القلم، تونس.

(١٢٩) د/ جمال محمد سعيد عبد الغني، ط تأملات بين الألوان والغرائز والشيخوخة، مكتبة زهراء الشرق . القاهرة، ١٩٩٨ م.

(١٣٠) د/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الثمر المجتئى مختصر شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض.

(١٣١) د/ سيد فرج عبد الحليم، نظرات في قضية البعث، بحث مستهل من حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، العدد ١٧، المجلد الثاني، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

(١٣٢) د/ عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، القرآن وقضايا الانسان، دار العلم للملايين - بيروت، ط أولى، ١٩٧٢ م.

(١٣٣) د/ عبد الكريم الخطيب، الإنسان في القرآن من البداية إلى النهاية، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٧٩ م.

(١٣٤) د/ عبد الكريم نوفان عبيدات، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية (دكتوراه)، ط الأولى، دار النفائس، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(١٣٥) د/ محمد حسن حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

(١٣٦) د/ محمد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(١٣٧) د/ محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر

- للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- (١٣٨) د/ محمد محي الدين عبد الحميد، رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، مكتبة الإيمان، ط الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
- (١٣٩) د/ محمود عمران، الامبراطورية البيزنطية وحضارتها، دار النهضة العربية، ط١، ١٤٢٢هـ.
- (١٤٠) د/ مصطفى سعيد الخن، العقيدة الإسلامية أركانها حقائقها مفسداتها، دار الكلم الطيب، الطبعة الثالثة.
- (١٤١) د/سميح دغيم، موسوعة مصطلحات الإمام فخر الدين الرازي، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- (١٤٢) د/عوض الله جاد حجازي، المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، الطبعة الرابعة.
- (١٤٣) د/غالب بن على عواجي، الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار، المكتبة العصرية الذهبية . جدة . ط الثانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- (١٤٤) د/محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد - بيروت، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣هـ..
- (١٤٥) د/مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر، الأردن عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
- (١٤٦) الدكتور /جميل صليبا، المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية)، الشركة العالمية للكتاب - بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- (١٤٧) الدكتور /زغلول النجار، الإعجاز العلمي في سورة الروم: بحث منشور على الموقع الإلكتروني: <http://www.elnaggarzr.com/pg/51>
- (١٤٨) الرازي، المسائل الخمسون في أصول الدين، تحقيق: أحمد السقا، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- (١٤٩) رينهارت بيتر آن دُوزي، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه:

- محمّد سليم النعيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م.
- (١٥٠) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، المطلع شرح إيساغوجي، دار الطباعة العامة ببولاق ١٢٨٢ هـ.
- (١٥١) الزمخشري جار الله، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
- (١٥٢) زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- (١٥٣) زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب ٣٨، عبد الخالق ثروت - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- (١٥٤) سيد سابق، العقائد الإسلامية: دار الكتاب العربي - بيروت.
- (١٥٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٧٢ م.
- (١٥٦) شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
- (١٥٧) شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- (١٥٨) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب

- العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- (١٥٩) الشوكاني، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- (١٦٠) الشيخ / أحمد بن محمد العدوي . الشهير بالدردير، شرح الخريدة البهية في علم التوحيد، تحقيق: عبد السلام بن عبد الهادي شنار، بدون دار نشر وطبعة.
- (١٦١) الشيخ / محمد أبو زهرة، العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن، مجمع البحوث الإسلامية - ١٩٦٩ م، بدون طبعة.
- (١٦٢) الشيخ / محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر، ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م.
- (١٦٣) الشيخ / عبد القادر السندجي الكردستاني، تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام، لفخر الدين والملة - تحقيق السيد الشريف الجرجاني، المكتبة الازهرية للتراث . بدون ط، ولا سنة نشر.
- (١٦٤) شيخ الإسلام / فخر الدين الرازي، لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، الطبعة الأولى، ١٣٢٣ هـ، المطبعة الشرفية بمصر، بدون دار النشر.
- (١٦٥) شيخ الإسلام ابن تيمية، النبوات، ط دار القلم.
- (١٦٦) الشيخ الرئيس / ابن سينا، تحقيق: حسن عاصي، الأضحوية في المعاد، شمس تبريز نهران تلفن، ١٣٨٢ هـ.
- (١٦٧) الشيخ الرئيس / ابن سينا، الإلهيات من كتاب الشفاء، تحقيق: آية الله حسن زاده، مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- (١٦٨) الشيخ محمد جمال الدين القاسمي، دلائل التوحيد، ضبطه وصححه جماعة

من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.

(١٦٩) الشيخ/ أحمد بن محمد المالكي الصاوي، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، تحقيق د/عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير دمشق بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(١٧٠) صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد بن أبي العز الحنفي، الأذرع الصالحي الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية: تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، وطبعة أخرى: دار السلام، الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(١٧١) عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩ هـ) حققه: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

(١٧٢) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، دار الفكر - بيروت.

(١٧٣) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان صيدا.

(١٧٤) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، معجم مقالات العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: أ. د / محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب - القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

(١٧٥) عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم، اشتقاق أسماء الله، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- (١٧٦) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- (١٧٧) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم - دمشق، الطبعة الثامنة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- (١٧٨) عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، حققه ونسقه وعلّق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار - من أعضاء مجمع اللغة العربية، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- (١٧٩) عبد الرزاق نوفل، الله والعلم الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨ م.
- (١٨٠) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧ م.
- (١٨١) عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- (١٨٢) عبد المجيد بن محمد الوعلان، الآيات الكونية دراسة عقدية، رسالة: مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، إشراف: عبد الكريم بن محمد الحميدي، الأستاذ المشارك، العام الجامعي: ١٤٣٢ هـ / ١٤٣٣ هـ.
- (١٨٣) عبد الوهاب خلاف: علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة - شباب الأزهر، الطبعة الثامنة، دار القلم.
- (١٨٤) عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح،

طبقات الفقهاء الشافعية، البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٢م.

(١٨٥) عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، كتاب المواقف، تحقيق: د/ عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.

(١٨٦) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق وتصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

(١٨٧) على أحمد عبد العال الطهطاوي: عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(١٨٨) علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي، غاية المرام في علم الكلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة، ١٣٩١هـ، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، بدون ط.

(١٨٩) فخر الدين الرازي، المطالب العالية من العلم الإلهي، دار الكتاب العربي.

(١٩٠) فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، مكتبة الكليات الأزهرية، بدون ط.

(١٩١) الفيروز آبادي محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، القاموس المحيط تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(١٩٢) فيونا شاندر، سلسلة العلوم المبسطة جسم الإنسان، ترجمة / أحمد محمود، دار الشروق، الطبعة العربية الثانية، ٢٠٠٨م.

(١٩٣) القاضي أبي بكر الطيب الباقلائي البصري، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

(١٩٤) القاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم أبو بكر الباقلائي،

تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق الشيخ /عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(١٩٥) القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، تثبيت دلائل النبوة: أبو الحسين المعتزلي، دار المصطفى - شبرا - القاهرة بدون طبعة.

(١٩٦) القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عزب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

(١٩٧) القاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي، شرح المواقف، تأليف: السيد الشريف على بن محمد الجرجاني، ومعه حاشيتا السيالكوتي والحلي على شرح المواقف، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(١٩٨) القاضي كمال الدين أحمد البياضي الحنفي، إشارات المرام من عبارات الإمام، ، تحقيق: د / يوسف عبد الرازق الشافعي، زمزم بيلشنز، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(١٩٩) كريسي موريسون، العلم يدعو للإيمان، ت: محمود صالح الفلكي بدون ط، ولا دار نشر.

(٢٠٠) الكمال بن الشريف بن الهمام، المسامرة في شرح المسامرة في علم الكلام، وشرحه الشيخ قاسم بن قطلوبغا، المكتبة الأزهرية للتراث، بجوار الجامع الأزهر، ١٣٤٧هـ.

(٢٠١) للإمام سيف الدين الآمدي، أ بكر الأفكار في أصول الدين، تحقيق: د/ أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية الإدارة المركزية للمراكز العلمية مركز تحقيق التراث، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٢٠٢) الله يتجلى في عصر العلم، تأليف: نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة

السنة الدولية لطبيعيات الأرض، أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسيما،
ترجمة: الدكتور / الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: الدكتور
محمد جمال الدين الفندي، دار القلم، بيروت، لبنان.

(٢٠٣) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد
الكريم الشيباني الجزري بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق:
طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت،
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

(٢٠٤) مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ / غلوي بن عبد القادر السقاف:
الموسوعة العقدية، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar. net تم تحميله
في ربيع الأول ١٤٣٣ هـ.

(٢٠٥) محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، دار الفكر العربي،
الطبعة: الرابعة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

(٢٠٦) محمد إسماعيل إبراهيم: القرآن وإعجازه العلمي، دار الفكر العربي - دار
الثقافة العربية للطباعة.

(٢٠٧) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، الأسماء
والصفات نقلا وعقلا: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة
الخامسة، العدد الرابع، ربيع ثاني ١٣٩٣ هـ، مايو ١٩٧٣ م

(٢٠٨) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء
البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،
بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٢٠٩) محمد الحمود النجدي، النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، مكتبة
الإمام الذهبي، الكويت.

(٢١٠) محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة العبادة، دار الفكر، بيروت - لبنان،
الطبعة الرابعة، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

- (٢١١) محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل،
الدمشقي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت.
- (٢١٢) محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين،
المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود
الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ -
٢٠٠٣ م.
- (٢١٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مفتاح
دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية - بيروت.
- (٢١٤) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية: أحكام
أهل الذمة: رمادي للنشر - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- (٢١٥) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، الروح
في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار
الكتب العلمية - بيروت.
- (٢١٦) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية،
الصواعق المرسلّة في الرد على الجهمية والمعتزلة، دار العاصمة، الرياض،
الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- (٢١٧) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، بدائع
الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- (٢١٨) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، فائدة
جليلة في قواعد الأسماء الحسنى: تحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن
البدر، غراس، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- (٢١٩) محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة،
مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
- (٢٢٠) محمد بن أحمد بن إسماعيل، فقه أشراف الساعة: الدار العالمية للنشر

- والتوزيع، الطبعة: السادسة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- (٢٢١) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م.
- (٢٢٢) محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي.
- (٢٢٣) محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، مفاتيح العلوم، دار الكتاب العربي، الطبعة: الثانية.
- (٢٢٤) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- (٢٢٥) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، التَّحْبِيرُ لِإِيضَاحِ مَعَانِي التَّيْسِيرِ: مَكْتَبَةُ الرُّشْدِ، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- (٢٢٦) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- (٢٢٧) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ.
- (٢٢٨) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢٢٩) محمد بن عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د/عبد العظيم إبراهيم المطعني: دار القلم للنشر والتوزيع: طبعة مزيّدة ومحققة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٢٣٠) محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز الباوردي، المعروف بغلام ثعلب العشرات في غريب اللغة، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر، المطبعة الوطنية - عمان.

(٢٣١) محمد بن علي الحسن بن بشر أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة، دار ابن زيدون، دار أسامة، بيروت - دمشق، بدون ط.

(٢٣٢) محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د/رفيق العجم، تحقيق: د/علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د/عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د/جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

(٢٣٣) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

(٢٣٤) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

(٢٣٥) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

(٢٣٦) محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبة

- السنة - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- (٢٣٧) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.
- (٢٣٨) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس، اليعمرى الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، دار القلم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- (٢٣٩) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، التوحيد، تحقيق: د / فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية - الإسكندرية.
- (٢٤٠) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) تحقيق: د/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- (٢٤١) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منطور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- (٢٤٢) محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
- (٢٤٣) محمد حسن مهدي البخيت، عقيدة المؤمن في النبوات والسمعيات، الطبعة الأولى، جامعة الأزهر ٢٠٠٣ م.
- (٢٤٤) محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي: إظهار الحق: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- (٢٤٥) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)،

- الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.
- (٢٤٦) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الوحي المحمدي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- (٢٤٧) محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- (٢٤٨) محمد عبده بن حسن خير الله، رسالة التوحيد، دار الكتاب العربي، بدون طبعة ودار نشر.
- (٢٤٩) محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- (٢٥٠) محمود محمد غريب، سورة الواقعة ومنهجها في العقائد (دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، من علماء الأزهر الشريف والموجه الديني لشباب جامعة القاهرة، دار التراث العربي - القاهرة، الطبعة: الثالثة - ١٤١٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- (٢٥١) محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، دار اليمامة - دمشق - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٥ هـ.
- (٢٥٢) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام . تقي الدين أبو العباس بن تيمية . ط الأولى . ١٤١٨ هـ.
- (٢٥٣) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (٢٥٤) مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مكتبة المثنى -

- بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية): ١٩٤١ م.
- (٢٥٥) المعجم الوجيز، خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- (٢٥٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، وآخرون، دار الدعوة.
- (٢٥٧) معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق) دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م.
- (٢٥٨) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، بعناية: بسام عبد الوهاب الجاني، الجفان والجاني، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- (٢٥٩) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
- (٢٦٠) المنقذ من الضلال، تحقيق د/ عبد الحليم محمود، دار المعارف، ط ٣.
- (٢٦١) منير محمد الغضبان، فقه السيرة النبوية، جامعة أم القرى، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- (٢٦٢) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ.
- (٢٦٣) ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، مباحث العقيدة في سورة الزمر، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- (٢٦٤) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، الطبعة: الثانية، مزينة ومنقحة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

(٢٦٥) نشوان بن سعيد الحميري اليمني، الحور العين، تحقيق: د/ حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٩٤٨م.

(٢٦٦) نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

(٢٦٧) وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مراجعة الدكتور / عبد الصبور شاهين، دار البحوث العلمية الطبعة الأولى، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م.

(٢٦٨) يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالباني الملقب بالمؤيد بالله، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

(٢٦٩) يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه: دكتور /محمد محمد أمين، تقديم: دكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الأول	
الإلهيات في ضوء سورة الروم	
المبحث الأول: أدلة وجود الله - تعالى - من خلال سورة الروم	٩
مسلك السورة في إثبات وجود الله	١١
معنى الوجود في اللغة	١٦
معنى الوجود في الاصطلاح	١٧
الدليل الأول: دليل الفطرة	١٨
تعريف الفطرة في اللغة	٢٤
تعريف الفطرة في الاصطلاح	٢٥
الآيات التي تشير إلى دليل الفطرة	٢٦
أقوال العلماء في بيان هذا الدليل	٢٦
أهمية دليل الفطرة	٣٢
العلاقة بين الإسلام والفطرة	٤٣
ارتباط دليل الفطرة بالإنسان	٤٤
ما الحكمة في الإيجاد في عالم الذر؟	٤٦
موقفات الفطرة كما تصورها السورة الكريمة	٤٨
الدليل الثاني: من أدلة وجود الله تعالى من خلال السورة (دليل الحدوث)	٥٤
معنى الحدوث في اللغة والاصطلاح	٥٤

الصفحة

الموضوع

٥٦	أقوال العلماء في بيان هذه الأدلة
٦٠	معنى الخلق الوارد في سورة الروم
٦٨	الدليل الثالث على وجود الله تعالى من خلال السورة دليل العناية
٧٠	أقوال العلماء حول هذه الأدلة
٧٦	الدليل الرابع من أدلة وجود الله من خلال السورة دليل الاختراع
٧٦	تعريف الاختراع في اللغة والاصطلاح
٧٧	أقوال العلماء في هذا الدليل
٨٠	الدليل الخامس من أدلة وجود الله من خلال السورة «دليل الغاية»
٨٠	معنى الغاية في اللغة والاصطلاح
٨١	المعنى التفصيلي في هذا الدليل عند علماء العقيدة
	الدليل السادس من أدلة وجود الله من خلال السورة «تعدد مزايا كل
٨٦	آية»
٨٦	أقوال العلماء حول هذا الدليل
٩٢	الدليل السابع: من أدلة وجود الله «برهان المثل الأعلى»
٩٢	تعريف المثل الأعلى في اللغة
٩٣	المراد بالمثل الأعلى
٩٨	المبحث الثاني: الصفات الواردة في سورة الروم
٩٨	أولاً: تعريف الصفة
٩٩	ثانياً: أقسام الصفات
١٠٣	الآيات التي تثبت الصفات من خلال سورة الروم
١٠٤	أقوال العلماء في بيان هذا الدليل
١٠٩	من الصفات التي ذكرت في سورة الروم صفة الوحدانية ونفي الشريك
١١٧	صفات المعاني الواردة في سورة الروم

الموضوع	الصفحة
الآيات الدالة على صفة القدرة من سورة الروم	١١٧
أقوال العلماء في بيان هذه الآيات	١١٨
صفة الإرادة كما تصورها سورة الروم	١٢٥
أقوال العلماء في الأدلة السابقة	١٢٥
صفة العلم الإلهي الواردة في سورة الروم	١٣٢
الآيات الدالة على صفة العلم من خلال السورة	١٣٢
أقوال العلماء في هذا الدليل	١٣٣
المبحث الثالث: أسماء الله الحسنى الواردة في سورة الروم	١٤٤
البيان الإجمالي لهذه الأسماء من خلال سورة الروم	١٤٤
أقوال علماء العقيدة في بيان معاني أسماء الله الحسنى	١٤٦
أولاً: حقيقة الاسم، والمسمى، والتسمية	١٤٦
تعريف الاسم	١٥٠
أقوال علماء العقيدة في بيان معناها	١٥١
أقسام أسماء الله تعالى عند علماء العقيدة	١٥٤
معنى الإله الوارد في السورة	١٥٧
ومن أسماء الله الحسنى التي وردت في سورة الروم اسم الله (الرحيم)	١٦٤
ومن أسماء الله تعالى التي وردت في سورة الروم اسم الله (الحكيم)	١٦٥
ومعنى (الحكيم) في اللغة	١٦٦
تعريف الخلق في اللغة	١٦٧
أقوال العلماء في بيان هذا الاسم	١٦٨
ومن أسماء الله التي وردت في سورة الروم اسم الله (العليم)	١٧٠
معنى العليم في اللغة	١٧٠
ومعنى التقدير في اللغة	١٧٤

الصفحة

الموضوع

١٧٥	أقوال علماء العقيدة في بيان هذا الاسم
١٧٨	ومن أسماء الله تعالى الواردة في السورة الكريمة اسم الله (الباسط)
١٧٨	معنى القبض والبسط
١٧٩	أقوال علماء العقيدة حول هذا الدليل
١٨٠	ومن أسماء الله تعالى الواردة في سورة الروم اسم الله (المنتقم)
١٨٠	معنى المنتقم
١٨١	أقوال علماء العقيدة حول هذا الاسم

الفصل الثاني

قضية النبوة الواردة في سورة الروم

١٨٣	
١٨٥	المبحث الأول: أهمية النبوة وحاجة الإنسان إليها من خلال سورة الروم ...
١٨٥	أولاً: أهمية النبوة
١٨٧	الآيات التي تشير إلى قضية النبوة من خلال سورة الروم
١٨٩	أقوال علماء العقيدة حول هذه الآيات
١٩١	الدليل الثاني الذي يثبت قضية النبوة من خلال السورة الكريمة
١٩٤	المبحث الثاني: شبه المنكرين للنبوة من خلال سورة الروم
١٩٤	الأدلة من السورة الكريمة على إنكار النبوة والمعجزات
١٩٥	أقوال علماء العقيدة في هذه الآيات
١٩٦	أولاً الفرق بين الشبهة والدليل
١٩٧	المنكرون للنبوة طوائف
١٩٧	الشبهة الأولى وتنسب إلى البراهمة
١٩٩	الرد على شبهة البراهمة
٢٠٣	الشبهة الثانية وتنسب إلى الجبرية

الصفحة	الموضوع
٢٠٤	الجواب على هذه الشبهة
٢٠٥	الشبهة الثالثة: من شبهات المنكرين للنبوّة
٢٠٦	الجواب على هذه الشبهة
٢٠٨	الشبهة الرابعة: من شبهات المنكرين للنبوّة
٢١٠	وظيفة الرسل من خلال سورة الروم
٢١١	من وظائف الرسل من خلال سورة الروم تبليغ الشريعة الربانية
٢١٢	أقوال علماء العقيدة حول الآيات
	من وظائف الرسل من خلال سورة الروم هداية الأمة إلى الخير وإنذارها
٢١٢	من العذاب
٢١٣	من وظائف الرسل التربية على منهج الشريعة الربانية
٢١٤	أقوال العلماء حول هذا الدليل
٢١٧	المبحث الثالث: المعجزة وشروطها من خلال سورة الروم
٢١٧	تعريف المعجزة في اللغة
٢١٩	حد المعجزة في الاصطلاح عند المتكلمين
٢٢٢	دلالة سورة الروم على المعجزات
٢٢٢	أقوال علماء العقيدة حول هذا الدليل
٢٢٥	الدليل الثاني على إثبات المعجزة من خلال سورة الروم
٢٢٥	أقوال علماء العقيدة حول هذا الدليل
٢٢٧	شروط المعجزة
٢٣٥	أقسام المعجزة
٢٣٦	معجزات الرسول من خلال سورة الروم
٢٣٧	أقوال علماء العقيدة حول هذا الدليل
٢٤٠	تعريف المثل في اللغة

الصفحة	الموضوع
٢٤١	تعريف المثل الأعلى
٢٤١	ضرب الأمثال
٢٤٣	فوائد ضرب الأمثال
٢٤٦	الهدف من ضرب الأمثال في القرآن
٢٤٦	الأهداف الاعتقادية
	المبحث الرابع: إثبات صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ من خلال الإخبار
٢٥٣	بالغيب من خلال سورة الروم
٢٥٣	أولاً: من دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ
٢٥٤	الأدلة على صدق دعوى نبوة سيدنا محمد ﷺ
٢٥٥	أقوال علماء العقيدة حول هذا الدليل
٢٦١	عناية العلماء ببيان صدق الإخبار بالغيب في سورة الروم
٢٦٤	دلائل صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ
٢٦٤	بيان إخباره عن المغيبات الماضية والمستقبلية
٢٦٨	تأييد الوحي الإلهي لقضية الإخبار بالمغيبات
٢٦٩	من أوجه إعجاز القرآن الإخبار بالمغيبات
٢٧٨	الدلائل العقلية التي تثبت النبوة للرسول
٢٧٩	أوجه الدلائل العقلية التي تثبت نبوة سيدنا محمد ﷺ
	الفصل الثالث
٢٨٣	السمعيات الواردة في سورة الروم
٢٨٥	السمعيات في اللغة والاصطلاح
	المبحث الأول: اليوم الآخر ومدى اهتمام القرآن الكريم به من خلال
٢٨٧	سورة الروم

الصفحة

الموضوع

٢٨٧	 مفهوم الإيمان باليوم الآخر كما ورد في سورة الروم
٢٨٨	 أقوال علماء العقيدة في هذا الدليل
٢٩٠	 لماذا اهتم القرآن الكريم باليوم الآخر؟
٢٩١	 ما معنى الإيمان باليوم الآخر؟ وما الذي يدخل فيه؟
٢٩١	 عناية الكتاب والسنة بالإيمان باليوم الآخر
٢٩٤	 أسباب اهتمام القرآن باليوم الآخر
	المبحث الثاني: البعث والحكمة منه والمسالك التي سلكها القرآن في
٢٩٨	 تقرير عقيدة البعث من خلال السورة
٣٠٠	 إنكار البعث كما تصوره السورة الكريمة
٣٠٠	 الأدلة القرآنية التي تشير إلى إنكار البعث من خلال السورة الكريمة
٣٠٠	 أقوال علماء العقيدة في هذه الأدلة
٣٠٢	 الدليل الثاني: من أدلة المنكرين للبعث من خلال سورة الروم
٣٠٢	 أقوال علماء العقيدة في بيان هذا الدليل
٣٠٥	 تعريف البعث في اللغة
٣٠٧	 تعريف البعث في الاصطلاح
٣٠٩	 المقارنة بين المعنى الشرعي لكلمة (البعث) والمعنى اللغوي
٣١٠	 حكم الإيمان بالبعث
٣١٢	 الحكمة من البعث من خلال السورة الكريمة
٣١٣	 الدليل الذي يشير إلى الحكمة من البعث من خلال السورة الكريمة
٣١٧	 حقيقة البعث كما تصوره السورة الكريمة
٣١٨	 أقوال علماء العقيدة في بيان حقيقة البعث
٣١٨	 المسالك التي سلكها القرآن الكريم في تقرير عقيدة البعث
٣٢٦	 المبحث الثالث: أدلة وقوع البعث من خلال سورة الروم

الصفحة	الموضوع
٣٢٦	الدليل الأول: إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي،
٣٢٦	الدليل على ذلك من السورة،
٣٢٦	أقوال علماء العقيدة في هذا الدليل.
٣٣١	الدليل الثاني على إثبات قضية البعث.
	الدليل الثالث من أدلة وقوع البعث من خلال السورة خلق أصل الإنسان
٣٣٤	من تراب
٣٣٤	الدليل الدال على ذلك من سورة الروم
٣٣٥	أقوال علماء العقيدة في هذا الدليل
٣٤٢	أطوار خلق الإنسان من التراب
	الدليل الرابع من أدلة وقوع البعث من خلال السورة الكريمة الاستدلال
٣٤٥	بأن من خلق الأعلى والأكبر فقدرته على خلق الأدنى والأصغر أولى
٣٤٦	أقوال علماء العقيدة في هذا الدليل
	الدليل الخامس من أدلة وقوع البعث من خلال السورة الكريمة آية المنام
٣٥١	واليقظة،
٣٥١	أقوال علماء العقيدة حول هذا الدليل
	الدليل السادس: من أدلة وقوع البعث من خلال السورة قياس النشأة
٣٥٦	الثانية على النشأة الأولى
	الدليل السابع من أدلة وقوع البعث، قياس إحياء الأرض بعد موتها
٣٦٤	بالمطر والنبات
٣٦٤	الآيات التي تشير إلى ذلك
٣٦٤	أقوال علماء العقيدة في هذه الآيات السابقة
٣٧٠	المبحث الرابع: شبه المنكرين للبعث من خلال سورة الروم
٣٧١	أقوال علماء العقيدة في بيان هذا الدليل

الصفحة	الموضوع
٣٧٢	النماذج التي أخبر عنها القرآن
٣٧٨	عقائد الناس تجاه قضية البعث
٣٧٩	المنكرون لهذه القضية
٣٧٩	الصنف الأول: الدهريون
٣٧٩	الصنف الثاني: الطبيعيون
٣٨٠	الصنف الثالث: الإلهيون
٣٨١	أصناف الناس في المعاد
٣٨٣	الاعتراضات الواردة على إعادة المعدوم
٣٨٤	الاعتراض الثاني والجواب على هذا الاعتراض
٣٨٥	الاعتراض الثالث: المنكرون لإعادة المعدوم
٣٨٩	الخاتمة
٣٩٣	فهرس المصادر والمراجع
٤٢٥	فهرس الموضوعات